٣٣٦٨

Copyright © King Saud University

٨١٠

غ٠ و (غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة) ، تأليف
محمد بن ابراهيم بن يحيى بن على الانصارى الكتبى ،
جمال الدين الوطواط (٦٣٢-٧١٨هـ) . كتبت في
٣٣٦٨ القرن الثانى عشر الهجرى تقديرا .

٢٥١ق ٢٦س ٣٠×١٩سم

نسخة حسنة ، خطها مغربى ، مطبوع

الاعلام ٦: ١٨٧ ، معجم المطبوعات ١٩٢٠

١- ادب اللغة العربية أ- الوطواط ، محمد بن
ابراهيم (- ٧١٨هـ) ب- تاريخ النسخ .

(غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة)

تأليف محمد بن ابراهيم الوطواط - ٧١٨ هـ

ف ٣/٥٩٢
٦/٦/١٢٩٩هـ

غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة .

مكتبة جامعة الرياض – قسم المخطوطات
اسم الكتاب غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة
اسم المؤلف الوطواط محمد بن ابراهيم (-٧١٨هـ) الرقم ٣٣٦٨
تاريخ النسخ لعله القرن الثاني عشر الهجري
عدد الاوراق ٢٤٥ ق
ملاحظات ادب اللغة العربية القياس ٢٠×٩كم
٨١٠
غ و

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

الحمد لله الذي جعل اللسان عنوان عقل الإنسان، وأذن للذهن في
الجنان، بتفصيح العبارة وتصريح البيان، وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد المجتبى
من سر عدنان، المبعوث بجوامع الكلم الشاملة لأنواع البيان، الناهج في مقاصد منهجها
عقول أهل العصر والأزمان، والمخصوص بمحاسن الشيم الشهية بمكارم الأخلاق ومزايا
الإحسان، والغاية في طلبات الأصفياء، فصبابة الرحمان، وعلى آله وصحبه ذوي ورع
شجرته الباسقة الأفنان، وقرابه سماء رسالته أعيان الشهادة والرضوان، وسادات
الأخيار، صلاة وسلاما دائمين ما دام ثمر الكلم مقتطفا بجنان البيان، وبعد
فإنه لما رأيت تفاوت معاني الأحكام، دالة على تباين مباني الأغراض، وأن النفوس
تتعاون في تنقلها إلى أغراضها على حسب اختلاف جواهرها وأعراضها، عز إنها عرض
اختلج في خاطري، وأمل اعتلج في صدري، على أن أجمع كلاما في المحاضر والمنازع التخيلية
مما تقبله النفوس الخواص والعوام، وأجعله كتابا يغني اللبيب عن التطويل و…
وتجنب بالحرية التحرية والغريب، فيشتمل على شأن الجد وحسن … التكرر عن
أي حساب الكتب المجموعة في ضروب الآداب، فتصفحت مضمونها، وتلمحت فنونها
واستقصيت عيونها، واستخرجت أبكارها وعونها، وجمعت في هذا الكتاب من زواهر
أسرارها، وجواهر أصدافها، ملح فكاهات جلت عن أن يعانيها مثل موشاة
والحكم النافعة بمحاسن في أنواع من البلاغة معشاة، ونسج بيان يغزو …
سبلا وغايات، وبروح المتعة بما لا … آيات، وجعلته شاملا لمحاسن شواهد
نائيلا من … العرب مواردها، محتويا من … الإنسان …
سلكها، ومن شان انتقاء على … محترمة … الخواطر بنفحات مسكها

غر بمحاسن سلكها

أحاديث

۞ أحاديث لو صيغت لما كانت بحسنها ۞ عقود الدرر أو شمت لما عبقت بها المسك ۞

وكثرته من الأخبار في ربيعه، وأبدعت فيما أودعت فيه من النكات إلى البلاغة
المبدعة من نوادر رائحات، وأجوبة مقربات، يبدو في أوراقها شموس نيرات، وتشابه
أنوار يتمائل بأرقان، العقل كلها أرق من النسيم، وأورق من التسنيم، وكلا النوعين
وإن اختلفا في الأشكال … والمعاني، واختلفا في الصور والمباني، فكل منهما يمتزج
في معنى الكفاءة والنضارة، ويتأرج منه عرف البراعة والنضارة، وتنطق به
بكلمات الكلم وسر الحرية، بعقود النغم وسر الكمية.

۞ كما أزهرت روضات حسن وأثمرت ۞ فأضحت وطعم الحسن فيها تنعم ۞

وجنيته خرائد الأخبار، ومخصوصات الأشعار، لئلا تسأمه من المطالعة
النفوس، ولئلا يكون ذكرى … على الطروس، وجعلته يعتز ما الجنة ستة
عشر بابا، تشتمل من وجه الإبداع نقابا، وجعلتها متضاربة تتضاهى ذكاء واتساع
وتباين الأفراد والجمع، كل باب يشتمل على ثلاثة فصول في ثلاثة مقاصد، تقيد
بما … من الجنس كل طالب تمامه، ومن … العقول ما يناسب، فصلت
… وتقاسيم … الشواهد العقول بأعلى فصول تعني
عن حسان فنونها ومعانيها، وتعجب وجه غائبها وشانيها، وقدمت في أبواب
المحاضر فصل في قرائحها، ليتنسم المتأمل عبق … قوائحها، واتبعته
فصلا ثانيا … عن التخيلية من أزهار خمائل الأخبار، وأبكار عقائل
الأفكار، النابغة باختيار … الأمثال السائرة، الآتية في اختيار …
مسمى عن الناظم ساحرة، وعززت بثالث في ذم ما ذم من الأخلاق، وسبب بكل
على أنه أنشر … عليه المخصوص والمحاور، والشيء بالشيء يعرف فيذكر بضده
يحمل ويذكر، وترتبا فضائية الأحاديث التي بها … الشمس أشكالها وآ…
… كما يقال شجون، وأحسنه ما جرى … بالمغربين، على أنني لم
أر الحصر في الإحاطة بكل شيء إلى ما يشاكله ويلائمه، ويناسبه في المعنى ويلائمه
فما في هذا الأسلوب، ولا يخرج عن المقصود والمطلوب، ورتبت فصول أبواب
المنازع على العكس من أبواب المحاضر والمنازع، وأطلعت … فيها مسا …
من محاسن الملح التي تجر الأرواح … في … قبل زينة، وتعمر … به

من كل ما يرديه فإخوانه على اختلافهما باختلافهما في الحسن يتكلفان، وبعضهما ببعض
ضرايب لأن إذ شيء الحسن بباطنه بنفسه ورونقه، تنفر الأقوام عن حسن
ترصيعه وتطيبا عن فهمه، ضرايب لما استجمعا حسنا، واتمر بطيبهم حسنه الظاهر
وسره، نهض صحبة أن يصيب جميع الآمال وذا غرام، وخوفا أن تفرقه
النفوس عند النظر بالتحير عنه والإعراض، اشتد يكون تعلقه بهم إذا معلما، و
يكونون أسرارا معلنا ومعلنا، إذ الكتاب لا يعلم ما في باطنه إلا من سيمة
عنوانه، كما أن الإنسان يعلم ما في قلبه من نعمات وجهه وفلتات لسانه
وأنا أرغب لمن وقف على هذا الكتاب من سراة الأدباء والكتاب، القاطعين
أزمة الآداب من جناة الخواطر، القاطعين نحار الألباب في ميادين النوادر،
أن لا يعجلوا بعرضه إلا اختيار يتم الاختبار، وأن يحرق انتقادهم بالانصاف عند
الانتقاد، فإن أجادوه فليكتبوا وإن عثروا فلينبهوا، ومع هذا فإن التماس
التنقيح عن القيام بالعجز فقبيح، والتطفل إن استعار في تنقيح ما ألفت
بالذي وتعليل شعر من تكاثر وتيسيرا لأن أتاح لعثاره مقيل،
والخ لا رجوا أن يتمم أمركم ، كرامنا يرضى شأنه الصبح والسنن ،
والله أسأل أن يكسبه ذلك معشقا، ويكسبه حسنا ورونقا يكون به قرة
القلوب محببا، ويعيبون المفضول من عيبه ولعل فتاح رغبا، وبه أستعين على
سلوك سبل الرشاد فيما نحوت، فمنه العبير بهبة التوفيق ما رجوت. ولما
انتهينا جوادهم بحثنا إلى غاية البيان عن الحادثة وحاز قصب السبق في مضمار
التحقيق بالسداد وأتينا فوا بأن نعقبه بذكر مقدمة في فضل الإنشاء
على الرأي في طلب المعاني ليكتفي بالجهد الأول ومن الشيء الثابت
تكون أسنا لما قصرنا منه انظر وانتخبنا من الكشف عن ماهية الأخلاق
وحقيقة معانيها، وكيف صورتها ومبانيها بقول شاف، وتلخيص كاف،
وجمعنا اخترنا من كلام الحكماء الأعلام، ونخبة الأذكياء والأعلام فقالوا
الخلق نوعان، أسانة وإحسان بنتيجات من طبيعة جبلت عليها نفس
الإنسان، فإذا ارتسم في أهل الخليقة لديه كان مجرى من نعله الغريزة ويكون
الأمكان، وذلك خلان المحمودة وأركانه في بعض الناس عن [illegible] قبل الباقين

يمكن أن يصيروا إليها بالرياضة والمداومة ويترقوا إليها بالتدرب والعادة
فأما من لا يكونوا على الخير مطبوعين فلا يروا به متطبعين، والفرق بين
الطبع والتطبع أن الطبع جاذب منفعل والتطبع مجذوب مفتعل، فتجتمع
فضائلهما مع التكلف ويفترق تأثيرهما مع الاسترسال، وإذا غلبت العادة
على الطبع المجبول في النفس وكان فيها مكان الضياء من الشمس، صارت طبيعة
ثانية، وشيمة لازمة، وقد قال أبو إسحاق الصابي في رسالة يحض
فيها على لزوم الكلم واللعب والعشار في أطراف البلاد، الطبيعة الثانية
المكتسبة بالعادات أصعب انتقالا من الأولى المركبة في الذات وذلك لأن الأولى
تنتقل عن جبلتها في حال الكبر [illegible] تمكنها وإمكان التغير والتغلب فيها. و
الثانية تستحكم على مرور الزمان، ومع المواظبة والإدمان، فتمتنع على
المحاول عكسها عن وجهتها حالة [illegible] منها عودا عاسيا وإباء عاصيا ومن تجنب جامدة
وطبيعة جامدة لا تتخلق بغير ما جبلت عليه واستحكم فيه وقد يكون في الناس
من لا يقبل طبعه انقيادا للحسنة وكذا الأخلاق الجميلة وذلك من رداءة
جوهر وخبث عنصر، ومن الناس من تقبل نفسه الأخلاق المحمودة وينبو
طبعه عنها وهذا موجود أكثر من الأول ولا يشبهه لأنه لا يجب أن يتحلى بالمحاسن
ويرغب إليها بالتكلف وتعشقه مع ذلك نشوة إلى السفية وتنافع من
المثلبة لذكر سلكها طبعه بإباء عليه واستعصائه من تكلف ما ندب إليه
يختار العطل منها على التحلي، ويستنزل الحق على قولها بالتسهل فلا ينفعه
التأنيب وكذا يرد عن التأديب، وسبب ذلك على ما ذكره المتكلمون في الأخلاق أن
طبع المطبوع أملك للتغير التي يمر محلها لاستيلائه أيامها وكثرة أعوانه
له والأدب طارئ على المحل غريب فيه، ويحكى عن هذا أن أعرابيا وجد
ذيب فلذة بعد به بلبن شاته ويخرجه معها إلى أن عسى قتلها كبر حمله ما فيه
من الطبع العنيف الذي على افتراس الشاة فلما رآه [illegible] معنى شعرا

بقرت شويهتي وفجعت قلبي ✽ وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها ونشأت معها ✽ فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء ✽ فلا أدب يفيد ولا أديب

والسخاء. وقال اعرابي: ابيت الشاب كلام امرئ بما عرفه كي انه لا حاجة لصاحبه، ومن كلام
جعفر الصادق رضي الله عنه: من تخلق بالخلق الجميل وله خلق أصيل فتخلقه مماثلة
زائل، ومولى خلقه الأول آيل، كالمذهب على النحاس فيمحى وتظهر عينه
للناس، وقد قال زهير بن أبي سلمى:

ودع الطباع وما تروم غيرها ... فالطبع ان ملكته قهرا
كالنار إن موهتها صفرت ... والماء إن صفرته اخضرا

وقال آخر:

ومن يبتدع ما ليس من خيم نفسه ... يدعه ويغلبه على النفس خيمها

وأما الذي يجمع التقابل وإنه أهل قبول التي تكون بنفسه أنها كهيئة متوسطة الحال
بين اللؤم والكرم، فمن تكتسب الأخلاق من معاشرة الأخلاء، فإن صلاحها
من معاشرة الكرام، وفسادها من مخالطة اللئام، ورب طبع كريم أفسدته
معاشرة الأشرار، وطبع لئيم أصلحته مصاحبة الأخيار، فقد روي أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل. وقال
علي رضي الله عنه: لو لقي الحسن الأخ رفعته في ثوبه فانظر من ترفعه. وقال
بعض الحكماء في وصية لولده: يا بني احذر مخالطة ذوي الطباع المرذولة لئلا
تسرق طباعك من طباعهم وأنت لا تشعر، ثم أنشد:

واصحب الأخيار وارغب فيهم ... رب من صاحبته مثل الجرب

فإذا كانت الخليقة من الأخلاق حسن الطبع كما هي السجية فيه في محاسن الشيم
يفتني، ويتم رشده في كرم المكارم يبتني، وإن كانت مع الأعمال خبيث الأحوال
كانت النفس به كدرة، فيجب على العاقل اللبيب والعاقل الأديب أن يحصر
نفسه حتى يجوز الكمال بتهذيب خلائقه، ويكتسب حسن الجمال بمحاسن شمائله
وحميد كل أيقه، ويكون في الضواجر ويسمو العالي إلى أن يرقى في درجات المجد والمعالي
فقد قيل: من شمر في سابق الجد وجد مفتاح المجد، ومن كلام الشاعر لا يحصل في
العيش إلا من التعب، ولقد قال الوزير أبو القاسم الحسين بن علي المغربي فيه:

فيا طالب كل منزلة ... يعرض دونها العطب
فإن أسلم رجعت ونفسي ... قطعت وأنجح الطلب
وإن أعطيت فلا عجب ... لكل منية سبب

وقال عمرو بن العاص: المرء حيث يجعل نفسه، إن رفعها ارتفعت، وإن وضعها اتضعت.
وقال الشاعر: وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ... ففي صالح الأعمال نفسك فاجعل.
قال بعض الحكماء: النفس عزوف، ونفور ألوف، متى ردعتها ارتدعت،
ومتى حملتها حملت، وإن أهملتها فسدت. وقال الشاعر:

صبرت على اللذات حتى تولت ... وألزمت نفسي هجرها فاستمرت
وجرعها المكروه حتى تجرعت ... ولو حملته جملة لاشمأزت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أطمعت تاقت وإلا تسلت
وكانت على الأيام نفسي عزيزة ... فلما رأت عزمي على الترك ولت

وقال آخر:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقد ألفوا الفخر بالنفس والأفعال، لا بالأسماع والأقوال، وقالوا: الشرف
بالهمم العالية لا بالرمم البالية، وقالوا: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب
أبيه. وقال عامر بن الطفيل:

وإني وإن كنت ابن فارس عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمقنب

وقالوا: الشرف بالعقل والأدب، لا بالأصل والنسب، وقالوا: شرف المرء
بفضله لا بأصله، وجلالته بأدبه لا بنسبه، فافخر بالطلوع العالية، لا
بالعظام البالية. وقال أبو الطيب المتنبي:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرت لا بجدودي

وقالوا: كن عصاميا لا عظاميا، ومعناه لا تفخر بشرف آبائك ولكن بما
يؤثر من آبائك. وعصام المشار إليه كان رجلا سوقة ثم صار حاجبا للنعمان بن
المنذر، مستدلا على سبب وصوله إلى هذه المنزلة العالية وإلى نيل هذه الغاية، فقال:
نفس عصام سودت عصاما، وعلمته الكر والإقداما، وصيرته ملكا هماما.
وقالوا: شرف الأعراق يحتاج إلى شرف الأخلاق، ولا حسن لشرف نسبه
وسخف أدبه. ويحكى في هذا أن رجلا من بني هاشم تخطى رقاب الناس في مجلس
أحمد بن أبي دؤاد، فقال له أحمد: يا بني، الأدب ميراث الأشراف، ولست أرى

عن كل مرسل مهذار فإنه يستحقر كلامه من حضر مجلسه وقال الشاعر

وإذا امتحنت بأعين مغبونة * فإنما شربني مكذب ومصدق

فلا تغبطن في إنشاد لشاعر * جريت بجد الغريب محقق وقال

آخر إذا ما الحي عاش بغير لب * فمن ذا الحي عنه وهو ميت

تخول بني آدم وبنيت جروه * ومن رمت أنباء فما تنبت وقال

آخر جمل نفسك فعلا تكون بها * من الآن ما غني النفيس عن بنثر

ولا تكن شجر العليق راق عل * بغير ثمر فقيرا كلا على الشجر وقال

ابن الرومي وما الحسب الموروث لا در دره * بمحتسب إلا بآخر مكتسب

فلا تتكل إلا على ما فعلته * ولا تحسبن المجد يورث بالنسب

وليس يسود المرء إلا بنفسه * وإن عد آباء كراما ذوي حسب

إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة * من المثمرات اعتده الناس في الحطب

وقال آخر يفخر بما شاد أهل النسب * فخيق الأدب

من كان يفخر بما شادت أوائله * فأنت تفخر بما شادوا وما سكوا

ما كان في الحيوان نابتهم معالمهم * وأنت تحوي من الميراث ما تركوا وقال

آخر يزين الفتى أخلاقه وتشينه * وتذكر أخلاق الفتى ومولديه

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي

وإذا رأيت أبوشم في خلق الفتى * فهو الوسم أما كان في الشعر والجلد

وقال أبو الطيب مفتخرا أنهم ومصيرا على ...

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * إذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال عبد العزيز بن نباتة السعدي

ومن يتبع العقل رحضا وجوههم * إذا كانت الأعراض غير حسان

فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى * فما كل مصقول الحديد يمان

آخر وليس جميل الوجه من زان حسنه * ولا كنه من حسنته مناقبه

فلا تحفظ المرء حلة العقل * ويسأل من ذي الحسن وقائعه

وقال قوله في الحكمة فليحذر الحال منهما على ما تترك به رتبة الكمال

الإنسان التام من تم عن نفسه رتبة النساء والملاهي وبذلك يجري المساوي

والمقاوم

والمقاوم ومثل الحر فلما ينبغي الابتداء الإنسان وإذا انتهى إليه كان بالملائكة أشبه

منه بالحيوان لأن الإنسان مطبوع بأنواع الشهوة مشغول عليه وعلى جميع

ضروب النقص والكمال فإنه مما كرهوا ما كان يعسر إلا بالوضع أن الإنسان

إذا أقام من عن نيته وأعمل الاجتهاد حقه كان ممكنا ومما أن يكون راغبا لجميع

مناقبه وفضائله متبيقظا لما يرى معايبه ونقائصه وارداه لما يبغيه شريعة

المكارم الصافية زاملة خلائقه في إبراد المحامد الصافية مستعملا لكل فضيلة

متجنبا كل رذيلة مختبرا في بلوغ الغاية القصوى وقمع النفوس عما تحب

وتهوى عاشقة لصور الجمال مستثقلا لمجالس الفعال يرى الكمال دون محله و

التمام أقل أوصافه وفضله فيغفر قبيح به والفعل أن يكون بهيمة ومن

أمكنه أن يكون إنسانا وإنسانا ومن أمكنه أن يكون ملكا قال المتنبي

ولم أر في عيوب الناس شيئا * كنقص القادرين على التمام

ولم أسمع أحسن من قول تميم بن مقبل

وإذا رأيت فتى بأعلا قنة * في شامخ من عز المستمع

فألت بنفس العروف بفضله * ما كان أولاه بغير الموضع

والنهج القويم الموصل إلى الثناء الجميل الذي هو أن يستعمل الإنسان فكره

وتمييزه فيما ينتج عن الأخلاق المحمودة منه ومن غيره ويأخذ نفسه بالاستحسان

منها واستحليه وينهى عما استقبح واستقبحه فقد كيف لك نشر بها وتأدبا لنفسه

تركه ما كره من الناس مثله وكره منه أنت من غيرك وقيل لعيسى عليه السلام

من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فتجنبته وقال الشاعر

إذا أعجبتك خلال امرئ * فكنه تكن مثل من يعجبك

وليس على المجد والمكرمات * إذا جئتها حاجب يحجبك

وقالوا من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك هو الأحمق

بعينه وقال الشاعر لا تلم المرء على فعله * فأنت منسوب إلى مثله

من ذم شيئا وأتى مثله * فإنما دل على جهله

ويقال الإنسان يطارح الملك بقوة العقل والتمييز ويطارح البهيمة بقوة

الشهوة والغضب فمن حرمت همته إلى رتبة قوة العقل والتمييز حتى ترى بها عاقبة

فعله فجعل أن يلحق بالملائكة فيتمنى ملكا لكمال أخلاقه ومن عرف همته الى الرتبة
العزيزة الشهوانية فآثار اللذة الصريانية (?) فأكل كما تأكل الأنعام فجعلوا يلحق
بالبهائم فيصير إما نهم الكثرة أو شرها كالخنزير أو ذم با كالكلب أو حقود الجمل أو
متكبر كالنمر أو زواغا كالثعلب أو جامعا لذلك كالشيطان ولقد صدق القائل

وإذا الفتى ساس الأمور بعلمه ... وأعين بالسداد والتهذيب
سميت الأمور به فيتبع سابقا ... في كل حال مشهر ومغيب

اللهم كما خلقت الإنسان بقدرتك في أحسن تقويم وأعليته باختصاصك له
دون الكل بالتكريم وشرفته بإرادة تحذوه الخير والشر وجعلته بفضلك في عنان
النفع والضر روض اللهم جوامح نفوسنا إلى اقتفاء آثار الأكارم واقتفاء ما
يبعث على حميد من فنون المكارم وذد اللهم سوائم كيفنا عن مراتع المآثم
ومرابع ما يتوجه به علينا من فنون المكارم فهذه الخزالة والعون وحيرك
أزمة المكارم والكون وهو ذات انشقاق كمائم مترادكنا عما اكتنف من مختلفة
زهرات الأدب واستصحار أفنان فنونه الرائقة العطرات المنسقة بأنواع
النعم والآلاء

الباب الأول في الكرم وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول في وصف الأخلاق الحسان المتعلقة بما نفوس الأعيان
الفصل الثاني في ذكر الصنائع والأشياء المحمودة من أقسام الكرام
الفصل الثالث في ذم التحلي بالأفضال إذا لم يكن من أهل الخصال
الباب الثاني في اللؤم وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول في ذم من يتصف بالأخلاق وما يتعلق به من قبيح الأخلاق
الفصل الثاني في ذكر البخل والشح الدالين على نوع التوبيخ
الفصل الثالث في أن من تخلق باللؤم انتفع وعلا على الكرام وارتفع
الباب الثالث في العقل وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول في مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبيله
الفصل الثاني في ذكر أنواع العقل الشيء الزائد على العقل المشبه
الفصل الثالث في أن معرفة العقل لا يغني عنها ولا تعادل
الباب الرابع في الحمق وفيه ثلاثة فصول

الفصل

الفصل الأول في ذم الجهالة والجنون وما اشتملت عليه من الفنون
الفصل الثاني في ذكر النوادر المستطرفة من مجانين البادية والحاضرة
الفصل الثالث في احتجاج الأديب المتحامق في أن الحمق من أزكى الخلائق
الباب الخامس في الفصاحة وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول في أن الفصاحة والبيان أزين ما تحلت به الأعيان
الفصل الثاني فيما يتحلى به أرباب الأدب من بلاغات الكتاب والخطباء
الفصل الثالث في أن معرفة فن الأدب مانعة من نيل الأماني والرتب
الباب السادس في الفقر وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول فيما ورد من ذم الفاقة من ذم الفقر والفاقة
الفصل الثاني فيمن فخر بالقانع لسانه عن ذمه ما فيه من آفاته
الفصل الثالث في أن الفقر المكفر لا يأمر إلا بابتذال الله والافتقار
الباب السابع في الذكاء وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول في مدح الفكر والأذكياء والفطنة من فرد الأنساء
الفصل الثاني في ذكر نوادر الأذكياء البديعة والأجوبة المجيبة السريعة
الفصل الثالث فيمن تسبب بذكائه وفطنته الى ورود حياض منيته
الباب الثامن في التطفل وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول في ذم البلادة والتطفل من ذوي التعالي والتنزل
الفصل الثاني فيمن تأخذه منهم المعرفة ونوادر أخبارهم المستظرفة
الفصل الثالث في أن أنواع التطفل وأنبله شتور على الأدباء مشتمله
الباب التاسع في السخاء وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول في أن التبرع بالنائل من أشرف الخصال والشمائل
الفصل الثاني في ذكر ما منح لأماجد الأجواد وملح النوادر والأفعال
الفصل الثالث في ذم الشح والتبذير إذ كلاهما من سوء التدبير
الباب العاشر في البخل وفيه ثلاثة فصول
الفصل الأول في ذم الإمساك والشح وما فيهما من الشين والقبح
الفصل الثاني فيما استملح من نوادر البخلاء من الأراذل والمتحللين

الفصل الثالث في مدح القصد في الإنفاق خوف التعيير بالإملاق

الباب الحادي عشر في الشجاعة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول في مدح الشجاعة والبسالة وما فيهما من الرفعة والجلالة

الفصل الثاني في ذكر ما وقع في الحروب من شدائد الأزمات والنكبات

الفصل الثالث في ذم التصدي للمهلكة ومن لا يفي بما ملكه

الباب الثاني عشر في الجبن وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول في أن خلق الجبن والفرار مما يشين بالأحرار

الفصل الثاني فيمن جبن عند اللقاء خوف الموت ورجاء البقاء

الفصل الثالث فيمن يثني على الفرار والإحجام فاعتذر بما ينفي عنه الملام

الباب الثالث عشر في العفو وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول في مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والسهو

الفصل الثاني فيمن حلم مع الاقتدار وقبل من المسيء الاعتذار

الفصل الثالث في ذم العفو عمن أساء والتمدح بمآثر الرؤساء

الباب الرابع عشر في الانتقام وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول في ذم التشفي والانتقام ممن أخطأ فسرى في الانفعال

الفصل الثاني في ذكر من كف عن معاقبة بأشد العقوبة ومن رأف به

الفصل الثالث في أن الانتقام لحدود الله خير من عفاة من حقد ووكد

الباب الخامس عشر في الصداقة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول في مدح اتخاذ الإخوان فإنهم العدة والأعوان

الفصل الثاني فيما يتم به عقد شرف المحبة من شرائع الصداقة والصحبة

الفصل الثالث في ذم التطفل والتغيظ بما يستحسن من التشفي والتعريض

الباب السادس عشر في العزلة وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول في ذم الاستئناس بالناس لتلون الطباع وتباين الأجناس

الفصل الأول (الثاني) فيما يحض على الوحدة والاعتزال من ضيم الغلاب والخبال

الفصل الثالث فيما يختص به منزل الكتاب من دعاء من حوا أن يسمع ويجاب

الباب الأول في الكرم وفيه ثلاثة فصول

العمل

الفصل الأول من الباب الأول في وصف الأخلاق والخصال المتعلقة بالنفوس الأخيار الكرم نوعان أحدهما أن يكون الإنسان شريفًا عن غيره والثاني أن لا يجعل نصيبًا للغير من غيره فالأول يسمى تعففًا وزهادة والثاني يسمى وإجادة والأول أشرف من الثاني لأنه أتم ونفعه أعم فمن كان تقيا كان عند الله مكرمًا وعند الناس مجلا معظمًا قال الله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم وقال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس في الميزان شيء أثقل عند الله من حسن الخلق وما حسن الله خلق رجل وخلقه فأطعمه النار وقال الحسن البصري سعة الأخلاق منحة من الله فإذا أراد الله بعبد خيرًا منحه خلقًا حسنًا ويقال من لانت كلمته وجبت محبته وحسنت أحدوثته وكثرت القلوب التي تحبه وتنافست في مودته وقالوا أحسن الشيم ما تشعشع منه بارقة الكرم وأوصى حكيم ولده فقال يا بني إن مكارم الأخلاق تدل على شرف الأصل وطيب الأعراق وسمع بعض الأعراب يقول لولده يا بني إن البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال عليه الصلاة والسلام أحبكم إلى الله تعالى أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وفي بعض الكتب المنزلة الأخلاق الصالحة ثمرات العقول الراجحة وقال الحسن الأخلاق لبعض الأعلاق وقالوا من حسنت أخلاقه درت أرزاقه وقيل لبعض الأدباء متى يبلغ الرجل ذروة الكمال قال إذا اتقى من خلقه وجاد بما رزقه واختار من القول أصدقه وحسن في كل الأحوال خلقه فقد نال النجح في الكمال كرمه ويقال إن في التوراة يقول الله تعالى يا موسى ليكن وجهك بشاشا وكلامك لينا تكن أحب إلي من الناس ممن يعطيهم الذهب والفضة وقال ابن الرومي

لو لم يكن خلقا جميلا يستدل به على جميل ولسلكنا كمسراه

وقل ما أبصرت عيناك من حسن إلا وفي وجهه للخير عنوان

والتقدير من قال وما اكتسب المحامد كالذي بذلها بمثل البشر والوجه الطليق وفي بعض الآثار المروية عن ابن عباس أن موسى عليه السلام قال يا رب أفضلهم وعيوب

أربعماية سنة بكثرة رسله وتجدد آياته فأوحى الله إليه أنك قد كنت سهل الحجاب وعلى كل الحجاب وأنه لن يكن من أبوابك. كانت العرب تقول لا شيء أضيع للمملكة من شدة الحجاب ولا أهيب للرعية ولا أنفع من سهولة الحجاب لأن الرعية إذا وثقت من الولاة بسهولة الحجاب أحجمت عن الظلم وإذا وثقت بشدة الحجاب هجمت على الظلم وركب القوي الضعيف فخير خلال الولاة سهولة الحجاب وهي أخلاق أهل الوفاء ملاك خلقه كتمييز الأشجار على معاني الأنوار أخلاق من جمعت الحرية الهمة أجملها وقد شتت المروءة أكملها أجملها أخلاق تجمع الأهواء المتفرقة على محبته وتؤلف الآراء المشتتة في مودته أخلاق هي المسك لولا ما رأته والورد لولا مرارته والماء لولا اشتياقه إلى الكدر والروض لولا حاجته إلى المطر. فمن جمع شتات الأخلاق أتى كما قال الشاعر.

لا تحملن على الأيام تقطعها ∗ كما رفقت على الحمر العقار

أخو خلق شمول المكرمات شموله ∗ وتتوقع الأيام منه أو عاره

إذا لاح ضوء الصبح بأنواره ∗ أو ضاع نسيم الروض ونوارة

أخو صفات مثل ما تقفو الزائر حالة ∗ ورقت كما رق النسيم شمائله

الشيخ موفق لسبيل الشر متسع ∗ يرى بحجة كل ما يأتي ويجتنب

أخو تسموا عيون الناس كلما انفرجت ∗ للناس عن وجهه الأبواب والحجب

له خلائق بيض لا يغيرها ∗ صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

فمن عيون مكارم الأخلاق الدالة على طيب الأعراق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. وهو ما أدبه به ربه عز وجل في قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما امتثل أمر ربه وناله بشعائره قلبه أثنى على فعله بقوله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا من وصل من قطعه وعفا عمن ظلمه وأعطى من حرمه. وقال الحسين بن مطير

يقول أحب مكارم الأخلاق جهدي ∗ وأكره أن أعيب وأن أعابا

وأصفح عن سباب الناس حلما ∗ وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ∗ ومن حقر الرجال فلن يهابا

وقال الأحنف بن قيس واسمه الضحاك وقيل صخر لبنيه ألا أدلكم على المحمدة الخلق السجيح والكف عن القبيح. وقال أكثم بن صيفي لولده يا بني ذللوا أخلاقكم للمطالب وقودوها إلى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصلوا من رغب إليكم وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فتستعجلوا الفقر. وقيل لجهمة بن رابع الأزدي من أكرم الناس قال من إذا قرب منح وإذا ظلم صفح وإذا ضويق سمح. وقالوا من الأخلاق الشيء لا يتغير ويحض على المكرمات وتعين نشر البشر وترك الكبر وسلامة الصدر. وقال جعفر بن محمد الصادق خير السادة أرحبهم ذراعا عند الضيق وأعزهم حلما عند الغضب وأبسطهم وجها عند المسألة وأرحبهم قلبا إذا سأله وأكثرهم صفحا إذا قدر. وقال عامر العدواني يا معشر عدوان الخير ألوف عزوف وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه وإني لم أكن خيرا لكم حتى تعبدتكم. وقال يزيد بن المهلب استكثروا من الحمد فإن الذم قل ما ينجو منه أحد ومن رغب في المكارم صبر على المكاره واجتنب المحارم. ويقال المكارم موصولة بالمكاره فمن أراد مكرمة احتمل مكروها. وقال أبو الشيص

عشق المكارم فهو مشتغل بها ∗ والمكرمات قليلة العشاق

وأقام سوقا للثناء ولم يكن ∗ سوق الثناء يعد في الأسواق

بث الصنائع في البلاد فأصبحت ∗ تجبى إليه مكارم الأخلاق

وقال أبو الطيب المتنبي

تطلب المروءة وهي سوف ∗ ومن يعشق يلذ له الغرام

وللسادة الفعايل

أخو همم لا يرى مستسلما ∗ تعجبه الأمر يغيب المتكل

على كاهله وتجنبه الخرق ∗ لم يدر ما نفقة غيبة المحل ومال على

ابن العجل لو عز أثر على جنابه ∗ ما نجح الغايب من طرف جنابه

ولو أقام لا زما أصرابه ∗ لم تكن لينتجاه من حسابه

ما توتوا النجم وكلام جنابه ∗ الأوراد المتوالي عجابه

من يعشق العليا يبلغ عزه ∗ ما تقي المحبوب من أحبابه

وقال الشاعر:

دعيني أنل ما لا ينال من العلا ... فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل

تريدين إدراك المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشهد من إبر النحل

وقال الأشعث بن قيس واسمه معدي كرب لقومه إنما أنا رجل منكم ليس لي فضل عليكم ولكني أبسط لكم وجهي وأبذل لكم مالي وأحفظ حريمكم وأقضي حقوقكم وأعود مريضكم وأشيع جنائزكم فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي ومن زاد عليه فهو خير مني ومن قصر عنه فأنا خير منه فقيل له وما منزالك أحضكم على مكارم الأخلاق وعن رواية عادات السادات. وستة من عادات السادات السخاء والنجدة والمروءة، فالسخاء التبرع بالنائل قبل السائل والنجدة الذب عن الجار والإقدام عند الكريهة والمروءة حفظ الرجل دينه وإحرازه نفسه من الدنس إلى غيره من الأخلاق الجميلة التي هي بالمرء جميلة ويستر كل خلة منها بابه. وقيل أسباب المروءة تسعة العقل والحلم والصيانة والصدق والعلم والسخاء وأداء الأمانة والصفح والأدب الحسن والتواضع والعفاف تلك عشرة كاملة من محاسن الشيم شاملة. وقال ابن عمر ما رأيت بعد رسول الله أسود من معاوية فقيل له ولا من أبي بكر وعمر فقال كانا خيرا منه وهو أسود منهما بحلمه وجوده. ولما بغشي من بشر نعت الجود والحلم السؤدد. ويحكى أن رجلا رأى معاوية وهو صغير يلعب مع الصبيان فقال إني أظن هذا الغلام سيسود قومه فقالت أمه هند ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه. وقيل السيد من أورى ناره وحمى ذماره ومنع جاره وأدرك ثاره. وقال النبي صلى الله عليه وسلم اضمنوا لي ستا أضمن لكم الجنة اصدقوا إذا حدثتم وأوفوا إذا وعدتم وأدوا الأمانة إذا ائتمنتم واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم.

وذكر أن عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص فسلم ثم جلس ثم لم يلبث أن قام فقال معاوية ما أكمل مروءة هذا الفتى فقال عمرو إنه أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاقا أربعة أخذ بأحسن البشر إذا لقي وبأحسن الحديث إذا حدث وبأحسن الاستماع إذا حدث وبأيسر المؤونة إذا خولف وترك مزاح من لا يثق بعقله وترك مجالسة من لا يرجع إلى دينه وترك

مخالفة

مخالفة لئام الناس وترك من الكلام كل ما يعتذر منه. وقال عبد الملك لبنيه كلكم يترشح لهذا الأمر ولن يصلح له إلا من كان له سيف مسلول ومال مبذول ولسان معسول وعدل تطمئن إليه القلوب وأمن تستقر به مضاجعها الجنوب. وقال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ قال إن شئت أخبرتك بخلة وإن شئت بخلتين وإن شئت بثلاث قال فما الخلة قال كان أقوى الناس على نفسه قال فما الخلتان قال كان موقى الشر ملقى الخير قال فما الثلاث قال كان لا يحسد ولا يبخل ولا يبغي. وقال رجل للأحنف بم سدت قومك وما أنت بأشرفهم بيتا ولا بأصبحهم وجها ولا بأحسنهم خلقا قال بخلاف ما فيك يا ابن أخي قال وما ذاك قال بتركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك. وقيل لقيس ابن عاصم المنقري بم سدت قومك قال ببذل الندى وترك الأذى ونصرة المولى.

وروي عن علي رضي الله عنه قال لما أتينا بسبايا طيء كانت في النساء جارية هيفاء سمراء كحلاء لمياء خميصة الخصر نقية الكشح مصقولة المتن فلما رأيتها أعجبت بها فلما تكلمت أنسيت جمالها لما رأيت من فصاحة كلامها أن قالت يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فإن رأيت أن تمن علي وتخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإني ابنة سيد قومي وإن أبي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة أبدا فقال عليه الصلاة والسلام من أبوك فقالت حاتم طيء فقال عليه السلام لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ثم قال للمسلمين ما حازت أسنتهم وحوته أعينتهم عن الغنيمة وإن أطاع فليفعلوا الفعل فقالت يا رسول الله أمرت لي من تبع ما صنع ما بدا لك فقال اللهم أصل أصحابه وأمثاله أعداء، وأقبل الأنصار بالفاخرة غضاضة وأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت إلى أخيها عدي وكان بدومة الجندل فقالت إليه عن الرحل قبل أن تعلقك حبائله فإني رأيت هديا ورأيا سيغلب به أهل الغلب ورأيت خصالا أعجبتني رأيته يحب الفقير ويفك الأسير ويرحم

الصغير ويعرف حق الكبير وما رأيت أحدا أجود منه ولا أكرم صلى الله عليه وسلم
وقال أنس: بن خارجة لا أشتم أحدا ولا أرد سائلا فإنما سوكرهم أشد خلته
أو جميع أسنى عرضه منه وروى البيهقي في شعب الإيمان بإسناده عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكارم الأخلاق عشر تكون
في الرجل ولا تكون في ابنه وتكون في ابنه ولا تكون في أبيه وتكون في العبد
ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن شاء من عباده صدق الحديث وصدق
البأس وأن لا يشبع وجاره وصاحبه جائعان وإعطاء السائل والمكافأة
بالصنائع وحفظ الأمانة وصلة الرحم
والتذمم للجار وقرى الضيف ورأسهن الحياء وفي أخلاقهم صون الوجه
بقناع الحياء وكف اللسان عن اللجاج والمراء والحياء ذبيل
اليد بالقبيح وشامير العقل التجارب وسمة الصلاح الشامل
وعنوان الفلاح الكامل من كان فيه فضلا من الحياء من نشر وجمع
من خلال الكمال ما افترقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء
في النار وقال الحياء لا يأتي إلا بخير وقال بعضهم الحياء على وجوه
حياء الجناية كآدم عليه السلام لما قيل له أفرارا منا يا آدم قال بل
حياء منك وحياء التقصير كالملائكة يقولون ما عبدناك حق عبادتك وحياء
الإجلال كإسرافيل عليه السلام تسربل بجناحيه حياء من الله وحياء الكرم
كالنبي عليه السلام كان يستحيي من أمته أن يقول اخرجوا فقال الله تعالى ولا
مستأنسين لحديث وحياء الحشمة كعلي رضي الله عنه حين سأل المقداد حتى
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم المذي لمكان فاطمة رضي الله عنها
منه وحياء الاستحقار كموسى عليه السلام قال إنه لتعرض لي الحاجة
من الدنيا فأستحيي أن أسألها يا رب فقال الله تعالى سلني عن ملح عجينك وعلف شاتك
وحياء الإنعام وهو حياء الرب سبحانه يرفع العبد كتابا مختوما بعد ما عبر
الصراط فإذا فيه فعلت وفعلت وقد استحييت أن أظهره عليك فاذهب فإني قد غفرت

لك وقال رسول الله استحيوا من الله حق الحياء فقيل كيف ذلك يا رسول الله
قال من حفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وذكر الموت والبلى وترك زينة
الحياة الدنيا وعلم أن الله مطلع عليه ولم يفعل ذلك فقد استحيى من الله حق
الحياء فالحياء اسم جامع يدخل فيه الحياء من الله تعالى ذكره فيه خوف ومراقبة
وخوف كل قبيح وقال يوسف بن علي إني لأستحيي من الله أن أعصيه بشيء
أخفيه من غيري والحياء من الناس يكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تقوى الله اتقاء الناس وقيل
من لم يستحيي منهم في سره كما يستحيي منهم في جهره وقيل لبعض الحكماء لا
تعمل شيئا في السر تستحيي منه في العلانية وكان يقال أحيوا الحياء بمجالسة
من يستحيا منه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصي عليك بالحياء
والآن نعظ فاتخذه استحيت من العشا اهند احتسبت الحسنة وأما استحياء الرجل
من نفسه إنني من أقصى بأن لا يستحيي أنه يحوا ولا يأتي في الخلاء ما يأتي في الملأ وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره
شيئا عرفناه في وجهه وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد خص من الحياء بأجل
الأقسام ومنح منه بأوفر الأقسام وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم
بأنه تستحيي منه الملائكة الكرام قال الإمام مالك رضي الله عنه
إنه أول من خضب الأولى بنية في الشعر وقال الأشر من الحياء فاحبا المسنين
وقالت عائشة رضي الله عنها نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن
الحياء أن يتفقهن في الدين وذلك فإنهن يتعلمن العلم مستحيي ولا
متكبر وذكر عثمان وكثرة حيائه وأنه يكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع
عنه الثوب ليفيض عليه الماء ويمنعه الحياء أن يقيم صلبه ومثله قال
أبو موسى الأشعري إني لأغتسل في البيت المظلم فما أقيم صلبي حتى آخذ
ثوبي حياء من ربي عز وجل وقال أبو بكر الصديق في خطبته يا معشر المسلمين
استحيوا من الله فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء
الآن وأنا مقنع بثوبي استحياء من ربي انتهى قول أبي بكر وكثرة استحيائه
واذكر قول بعض الأعراب وقلة حيائه وكان يقول لا بل من أربابها

وفي البيوت من غير أبوابها فلكن لتقوميه وكثر خصومته كان بالوقوف
والجبل في عنقه وينشر في نهره

والله لا يستحيي من الله ان ارى * أطوف بحبل ليس فيه بعير
وان اسأل المرء اللئيم بعيره * وبعران ربي في البلاد كثير

اقرأ باقرأ لو انسمت باعظم الاسماء ان بينهم ما بين الارض والسماء
الكتب ما نشأ عن العلماء والحكماء رضي الله عنهم في ذكر الكلم في الحياء والبيت وما
على الذكر اخي الخيانة والخيانة وقالوا من لا يستحيي من نفسه فجدير ان لا
يستحيي من غيره وقالوا في حد الحياء التوقي من المساوي وخوف الذم ويقال
الحياء انقباض النفس لا يهاج الرأي ويقال الحياء خوف المستحيي من نقص
يقع به من غير من هو افضل منه وقال يحيى بن معاذ من استحيا من الله مطيعا
استحيا الله منه وهو مذنب وسئل الجنيد عن الحياء فقال رؤية الالاء
ورؤية التقصير فيتولد منهما حالة تسمى الحياء وقال عمرو بن بحر الجاحظ
الحياء لباس سابغ وحجاب واق وستر من العيب وأخو العفاف وحليف الدين
ورقيب العصمة وعين كالئة تذود عن الفساد وتنهى عن ارتكاب الارجاس وسبب
الى كل جميل وقالوا من صعب اكرامه حسنت آدابه ويقال لا ترى مولاك ام
حتى ترى معصية ولا ترى معصية حتى ترى غفلة ولا ترى غفلة حتى ترى قلة
حياء فان افراط حجبوا على الشتاء من كرم ولؤم فاذا قوي الحياء قوي الكرم
واذا ضعف الحياء قوي اللؤم وقال بشار بن برد

واعرض عن مطاعم قد أراها * فأتركها وفي بطني انطواء
فلا وأبيك ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال بعض الادباء

ورب قبيحة ما حال بيني * وبين ركوبها الا الحياء
فكان هو الدواء لها ولكن * اذا ذهب الحياء فلا دواء

وقالوا لا يزال الوجه كريما ما دام حياؤه ولم يزد بالنجاح ماؤه وقالوا
حياء الوجه بحيائه كما ان حياة الغرس بمائه وقال ابن المعتز
في كتاب الادب من كساه الادب ثوبه ستر على الناس عيبه وقالوا الحياء يفتح

اسارير

اسارير وجهه ماء الحياء ويبين له نعمته صنائع النبلاء وقال الفرزدق
في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

يغضي حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم

وقالت ليلى الاخيلية في توبة بن الحمير

ويخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى اذا رفع اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس زعيما

وقال ابن المعتز ويكاد مبلغ الحياء بخده * تعبا يصبغ تارة ويورد
وقال اخر كريم يغض الطرف فضل حيائه * ويدنو واطراف الرماح دوان

جوامع ممادح الاخلاق والشيم المتعلقة بالسؤدد والاصالة والكرم

مدح اعرابي رجلا فقال كان والله تعبا في المكارم غير غافل فيها ولا متشاغل
بغيرها عنها وقال اعرابي لو وجد الكرم في غير نفسه لعلم انه خالد له
ومدح اعرابي رجلا فقال كان والله صحيح النسب مستحكم الادب من اي اقطاره
اتيته انثنى اليك بكرم فعال وحسن مقال ومدح اعرابي رجلا فقال كان
الله نصره والمطلوب ربقته لا يستغير الا عاودا ولا يستكبر الا بشاشة
وحمدا وما زال ابلاه من شيء لا يختلفه ثم ومن مال لا يختلف كرم وشاه
يحيى بن خالد رجلا عن ابنه الفضل فقال تركته وماء الحياء يتحدر من اسارير
وجهه وسيول الجود تسايل من فروج انامله وتناهى الفعل منشرح من
مسارب منطقه ونظم بعض الكتاب ابراهيم بن هلال الصابي في ابيات
يمدح بها الوزير المهلبي فقال

له يد برعت جودا بنائلها * ومنطق درّه في الطرس منتثر
فحاتم كامن في بطن راحته * وفي انامله سحبان مستتر

وقال زرعة بن سناء ماء ها

مثل الغمام وانامله زمزم * ومطلعه بدر وراحته بحر

ومن الغاية في التفسيم وقال ديك الجن يمدح بمثل ذلك

ان الغمام مشيمي والناس من نعمي * والبحر حلفه ذي والبدر مشرقه

وقال النمري بن نوار مفتخرا

لا تعلق الأبواب إلا بعامر صهري، ما تحت لشيء ولا تعلق أستاري

ولا أقول إن رمي في حليلته، ولا أبيع بقيتي ولا جاري

وقال آخر يفتخر بنفسه وكان مما يخلق فيه أ

ألم تعلمي يا عمرك الله أنني، كريم على حين الكرام قليل

إذا كنت في قوم طوال فضلتهم، بعارفة حتى يقال طويل

فإن لم يكن عظمي طويلا فإنني، له بالفعال الصالحات وصول

وقال ابن حبيب التميمي

إذا المرء عيني لم يكن خلع نافعي، لدى مركب فضل فلا حملت رجلي

ولم يك من زادي له نصف زاده، فلا كنت ذا زاد ولا كنت ذا رحل

شريكين فيما نحن فيه وقد أرى، على له فضلا بما نال من فضلي وقال

آخر وما أنا بالكافي صحيفة رحلها، لكي يعتقها خفا وإن كان صاحبي

إذا كنت ربا للقلوص فلا تدع، رفيقك يمشي خلفها غير راكب

أنخها فأردفه فإن حملتكما، فذاك وإن كان العقاب فعاقب

وقالت ماثل الزبيرية الفزارية

لا يبعد الله قوما إن سألتهم، أعطوا وإن قلت يا قوم انصروا نصروا

وإن أصابتهم نعماء جلا بغية، لم يبطروا وما وإن تصبهم محن صبروا

وإن يكايلوه عكاما أمر صادقهم، وإن يجاروه جاءوا ما أنسيت كسبهم

وقال مروان بن أبي حفصة يمدح آل معن بن زائدة

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا، أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيع الفاعلون فعالهم، وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

والأسباب التي تنقل من السيادة سبعة الحداثة والبخل والزنى والظلم والحمق والفقر والكذب واعتبرت هذه الأسباب فوجدتها قد تعرضت في أعيان الأماثل والسراة الأفاضل أما الحداثة فقد ساد أبو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة وما استوت لحيته وأما البخل فقد ساد أبو سفيان وكان أبخل من مادر الحباحب وقيل من أبي حباحب وأما الزنى فقد ساد عامر بن الطفيل وكان أزنى من قرد وأما الظلم فقد ساد كليب بن وائل وكان أظلم من حية وأما الحمق فقد

ساد عيينة بن حصن وكان أحمق من دغة وأما الفقر فقد ساد أبو طالب وعتبة ابن ربيعة وكانا أفلس من ابن المذلق ولا يعرف في العرب وأما الكذب فقد ساد فيه المهلب بن أبي صفرة فإنه كان أكذب من فاختة وكان إذا أخذ في الحديث يقول أصحابه راح يكذب

شرح ما ذكر من الأمثال ابن المذلق في هذا المثال أما سيادة أبي جهل ودخوله دار الندوة فكانت دار الندوة ناديا لسادات قريش لا يدخلها إلا مسود وأما قولهم أبخل من أبي حباحب فعلى اختلاف الروايتين فهو رجل من العرب كان يبخل بوقود ناره فإذا انتبه لها مستضيء أطفأها وعلا الى ... فصارت ... الخيل بحوافرها تعلو ورقه بالجندل تعلقه وعدم الانتفاع بها وأما قولهم أزنى من قرد فهو قرد بن معاوية الهذلي وقيل هو الحيوان المعروف وأما قولهم أظلم من حية فإنها لا تتخذ لنفسها بيتا بل كل جحر أمسته من به أخرجت منه وتسكنه هي وأما قولهم أحمق من دغة فإنها مارية بنت مغنج وهي من بني ربيعة بن عجل ومن حمقها أنها تزوجت وهي صغيرة في بني العنبر بن تميم فحملت فلما أخذها المخاض ظنت أنها تريد الخلاء فبرزت الى بعض الغيطان فوضعت فاستهل الوليد فانصرفت الى الرحل تظن أنها أحدثت فقالت لضرتها يا هناه أيفغر الجعر فاه قالت نعم ويدعو أباه ثم مضت الضرة وأخذت الولد فالنيه وبنو العنبر يعيرون ببني الجعراء وأما قولهم أفلس من ابن المذلق فهو رجل من بني عبد شمس بن سعد بن زيد مناة لم يكن يجد قوت ليلته وأبوه وأجداده يعرفون بذلك قال الشاعر

فإنك إذ ترجو تميما ونفعها، كراجي الندى والعرف عند المذلق

ويروى بالذال المعجمة وأما قولهم أكذب من فاختة فلأن حكاية صوتها هذا زمان الرطب تقول ذلك والطلع لم يطلع ولكن ذلك تقضي قصيدة كذا بل

أكذب من فاختة، تقول وسط الكرب، والطلع لم يبد لها، هذا أوان الرطب

وقال الواعظ خصال في أصناف أقبح منها في غيرهم الغش في الملوك والكذب في القضاة والخديعة في العلماء والغضب في الأبرار والحقد في الأشراف والسفه في الشيوخ والمرض في الأطباء والتهمة في الفقراء والحرص في الأغنياء والفخر في الفقراء. **الفصل الثاني من الباب الأول في ذكر الصنائع والمناشير**

المتعجبا من اخشاب الدكان قال خالد بن صفوان كان الاحنف بن قيس يفر من
الشرف والشرف يتبعه قال قولي عبد الله بن عامر بن الحضرمي اذا ساء تعرض من
ابيه من قبل الواثق فاجله عبد الله بن معمر بن سعد المخزومي فاجد التعجيل
بعض كبرها عنها ويعنيه بالبرها فيه جاء فيها

يا من يؤمل ان تكون خصاله ۞ كخصال عبد الله دين وانمع
اصدق وعف وداو دار نجدة واقنه ۞ والكف وكان وذا واحلم واشجع
والطف ولن وانتهزوا ازموا انهبه ۞ واحزم وجد وحام واحمل وادفع
فلقد نصحتك ان قبلت نصيحتي ۞ وهديت للنهج الاسد المهيع

وقال اسامة بن منقذ

ان كنت ترغب في سنا والكرام تبين ۞ في الناس بالفضل وابن من الثناء عوا
فاصفح اذا غضبوا واشجع اذا جبنوا ۞ واحلم اذا جهلوا وابذل اذا منعوا وقال
اخر جميل بنفسه افعال تكون بها ۞ من الزمان عميد النفس من يشم
تميز فلو ثروة في الكرم في النجار ۞ الترب عن النبل وحفظ الجار

قالوا الكريم من حمى حق الجار ونقعم منه اللفظ وقالوا في الكريم
حسنه وكثير حسنه كان ابو عقيل اذا نزل به جار قال له يا هذا انك اخترت
جارا واخترت دارا فجناية يدك على دونك فاحكم على حكم الصبي
على اهله وكان اقل تعرض له الغريب في الزمن ما حكم به عليه وذلك ان الصبي
اذا كان عند اهله حملهم الدلال على طلب ما يستحيل وجوده ويصعب رامه فهم
ابدا يسعون في تحصيل اغراضه وبلوغ ما يرضاه ويفرحون على الزامه
وكان حارثة بن مر يسمى مجير الجراد وذلك انه نزل بفنائه جراد فغدا اهل
الحي اليه يرعونه فمنعهم منه وقال ثم ما تريدون منه قالوا نريد ان نقتله
فقال انه في جواري فقال اما اذا سميتموه جاري فوالله لا تصلون اليه ابدا وكم دم
عمه وكان نور بن شجنة العنبري يسمى مجير الطير فكانت الطير لا تصاد بارضه ولا
تنفر وحكى ان زياد الاعجم وفد على المهلب فاكرمه وانزله عند ابنه حبيب
فجلسا يوما يشربان في بستانه فغنت حمامة على غصن فطرب لها زياد فقال له
حبيب انها قد تفرد بي انها كنت اراها معك فقال زياد لا لانا اشد لشوقها ثم انشد

تغشى انت في ذمتي وعهدي ۞ وذمة والدي ان لم تضاري
وبيتك فاصلحيه ولا تخافي ۞ على صغر مزغبة صغار
فانك كلما غنيت صوتا ۞ ذكرت احبتي وذكرت داري
فاما يقتلوك طلبت ثارا ۞ له نبأ لانك في جواري

فضحك حبيب ثم قال يا غلام ناولني القوس فجاءه بها فنزع له بسهم فاصابها
فوقعت ميتة فتمعر زياد مغضبا وقال الحمد لله ابا بسطام ذمتي وقتلت
جارتي وشكاه الى المهلب فغضب عليه وقال ما علمت ان جارة ابي امامة
ودمه ذمتي والله لاوقفنه دية الحر واعطاه من ماله الف دينار فقال
فيه من ابيات ذكر الغصة فيها جاءت منها

لقد عيثا من الكعبية ۞ فضربت شيخ اعراق المهلب
فضرب الف دينار بجار اجرته ۞ من العرب الاذ نبكي شجاء وبشر

ومرب بن يزيد بن المهلب من حبس الحجاج وقصد سليمان بن عبد الملك فجلس عنده
مستجيرا به فكتب الحجاج الى الوليد بن عبد الملك ان يزيد بن المهلب فار الله
وهرب ولحق باخيه سليمان فاستشاط غضبا وبعث الى سليمان فكلمه فيه
فكتب له سليمان ان يزيد عندي وقد امنته وانا اؤدي عنه ما يغرمه المال الذي الزمه
به الحجاج وهو ثلاثة الاف الف درهم فكتب اليه الوليد لا اؤمنه حتى
تبعث اليه فكتب اليه سليمان اذا كان لا بد من ذلك فبين يديه ما انا اجيء معه
فكتب اليه الوليد ولو جئت معه لا اؤمنه فقال يزيد بن المهلب ارسلني اليه
فاني والله لا احب ان اوقع بينك وبينه واكتب على بركة الله بالعهد ما يمكنك
فارسله وارسل معه ابنه ايوب وعلى بن كتابه وكان الوليد امر ان يقيمه
مقيدا فقال سليمان لابنه اذا دخلت على امير المؤمنين ادخل انت ويزيد
في سلسلة فيجعل فلما راه الوليد ابنه اخيه في السلسلة قال لقد بلغنا من
سليمان ثم رفع ايوب كتاب ابيه الرحيم وقال يا امير المؤمنين نفسي فداك
لا تخفر ذمة ابي وانت احق من منعها ولا تقطع من رجا النسلا منع جوارنا
لمكاننا منك ولا تذل من طلب العز بالعفو عنا فقرا
الوليد الكتاب فقال لقد شفعتنا على سليمان واقر بعد الغيز عن بن

صلى الله على سيدنا محمد وآله

وأمنه وكتب الى الحجاج يأمره بالكف عن آل المهلب وفيما كان يوم فتح مكة
جاء الحارث بن هشام الى منزل ام هانئ اخت علي بن ابي طالب رضي الله عنه مستجيرا
بها فدخل عليها علي فأخبرته الخبر فأخذ السيف ليقتله فقالت ام هانئ يا ابن
أمي قد اجرته فلم يلتفت الى قولها فوثبت فقبضت على يديه علي وقالت والله لا
تقتله وقد اجرته فلم يقدر على ان يرجع من يدها فخلاه وجعل يتفلت منها فلا يقدر
فدخل النبي صلى الله عليه وسلم اليها فقالت الا ترى يا رسول الله اني أجرت
رجلا فأراد علي ان يقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت
ولا تغضبي عليا فان الله يغضب لغضبه فتلطفي عنه ما تلطفت عنه فقال
عليه الصلاة والسلام يا علي غلبتك امرأة فقال والله يا رسول الله ما قدرت
أرفع قدمي من الارض فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لو ان ابا
طالب ولد الناس كانوا شجعانا ومن احسن ما يحكى في هذا الباب ما حكاه
وهب بن جابر الراجحي قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة في أيام الواثق
فطلبني السلطان أشد الطلب حتى ضاقت علي الارض بما رحبت فخرجت الى
البادية أريد رجلا منيع الجوار أعوذ به فلما انتهيت الى بني شيبان توجهت
الى بيت بفنائه فرس مربوط ورمح مركوز وترس منصوب فسلمت فرد علي نساء من وراء
الستر السلام ثم قالت امرأة منهن يا هذا أمستجير فناج ببواك
القرى قلت واني بطلب المكروب او يومن المخوف قالت يا وجه الى مكرم
بعضهم وقليلا ما ينجو من السلطان يطلبه والخوف يغلبه قالت نعم
فمالك عن ذنب كبير وطلب كبير وانك لقد حللت بفناء لا يظلم فيه احد
ولا يجاع فيه كبير هذا الاسود بن سنان اخو الكلاب واعمامه شيبان
صعلوك الحي قال الشيباني فقال الله صون الجوار وطلب الثار ورفود
النار وانه لنازع ولا نار وعمرا وصعبنا اما منتك تعرفت تقول

اذا اشتقت ان تلقى منية او زينة ❁ بكيل معرض وكل ثياب
وجيا نبيه حاز باشا وسوددا ❁ ومجدا فيه الا الاسود بن سنان
اعز ابن الشنب مر مجيد وتغرب ❁ واكرم مقلا بكيل مكتب
فمن لا يرى في ساحة الحي مثله ❁ يقوم نزاله او يقوم بحقل

فعلمت انه ربة البيت القوم وسكنت الى قولها ثم رحبت بي فقالت يا جارية نادي مولاي
فلم تلبث ان عادت ومولاها معها في جماعة من قومه فقال أي المستجير علينا فأشارت
الى فقالت يا اذا لم يمهه هذا رجل نبت به اوطانه وارهقه زمانه واوحشه
سلطانه وقد ضمنا له ما يطلب من مثله فقال انه لامر ان شاء الله
ثم قال أبشركم يا بني انه قد دخل في جواري فمن أراده بسوء فقد أرادني ثم أمر
ببيت فضرب الى جانبه وقال هذا بيتك وهذا مالك وانا جارك فلم ازل بينهم
في أعز دار وامنع جوار حتى سكن عني الطلب ورحلت **أهدر المهدي**
دم رجل كان يسعى بالفساد في زمنه وجعل لمن يقتله او يأتيه به مائة الف درهم
فاختفى الرجل زمانا ثم خرج متنكرا فاجتاز ببعض ازقة فقبض به رجل من بعض دروب
بغداد فعرفه فقام اليه وتعلق به وقال هذا بغية امير المومنين فاجتمع الناس
عليه وحضروا على ان يطلقوه منه فما قدروا فبينما هو كذلك اذ التفت فرأى معن بن
زائدة فنادى يا ابا الوليد اجرني اجارك الله فتوقف وقال للرجل الذي تعلق به ما
شأنك فقال بغية امير المومنين الذي جعل لمن يقتله او يأتيه به مائة الف درهم
فقال معن لبعض غلمانه انزل عن دابتك واحمله عليها وانطلق به الى منزلنا فقال
الرجل اتحول بيني وبين بغية امير المومنين فقال معن اذهب الى امير المومنين واخبره
انه عندي معن بن زائدة فانطلق الرجل واوصل الخبر الى المهدي فبعث اليه من يحضره فركب معن وقال
لمن خلفه من غلمانه من تركتم يخلص الى هذا الرجل ومنكم عين تطرف فلما
دخل على المهدي سلم فلم يرد عليه السلام وقال له أتجير علي فقال نعم قال ونعم
ايضا فقال معن يا امير المومنين قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر
الفا الى ايام كثيرة عرف بها بلائي وحسن غنائي فما رأيتموني اهلا ان تهبوا
لي رجلا واحدا استجار بي فأطرق المهدي مليا ثم رفع رأسه وقد سري عنه
وقال قد اجرنا من اجرت يا ابا الوليد فقال معن فان رأى امير المومنين ان يصله
فيكون احياه واغناه فقال قد امرنا له بخمسين الف درهم فقال يا امير المومنين
ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل له
العطية قال قد امرنا له بمائة الف درهم قال فعجلها له فان خير البر عاجله
فعجلت فانصرف واعطاها الى الرجل وقبل يد المهدي وخرج ومما ولي

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

صالح بن علي يقص من قبل أخيه أبي العباس السفاح خرج عليه رجاء بن روح البعلبكي
مع عمه الحكم بن ضبعان وكان على شرطة مروان فأرسل إليه أبا عون ومحمد بن الأشعث الخزاعي
فعسكر قرب من الحكم وبلغ صالح بن علي أن رجاء بن روح قد نزل معه واستجار بمحمد بن معاوية
فأجاره فأرسل إليه محمد فقال إلى الرملة واشهد قال بلى قال وكان جزائي منك أن أجرت
عدوي قال وما ذاك أيها الأمير قال رجاء بن روح وابنه قال أصلح الله الأمير أفتي وأحيي
من تشفي فيهما براءة إنما أنا الملح صدرك يضيق أو سل رجلا من ثغانة يعيش فيه
قال تحلفه قال نعم فأحلفه بطلاق زوجته وأعتق ثم عتقه وماتت له ... يحلف
فيما يشعر بذلك عن صالح بن علي ورجع إلى بغداد أكرم محمد بن معاوية
طلاق زوجته وأعتق رقيقه ومشى إلى مكة كما شرط له فقال عافر بن عباس بن جريج الرومي

موالمرء إما ماله فمحلل ... لعافيه وأما جاره فمحرم

وقال شبيب بن البرصاء

وجارتنا ما دام فينا عزيزة ... كأن بعينيها حياء الكعاب دماما
بكرت علينا تعضها وسمانها ... ونجاره كانت لنا بها ذماما

وقال مروان بن أبي حفصة

هم يمنعون الجار حتى كأنما ... لجارهم فوق السماكين منزل
أهم الباد روا الحرب وكانوا باطلة ... وإنما نعوا الجار لا عمار تحترم
أهم تتواجه فيها بأيام قسما رحمة ... وإن أجيب ما منا يعلوه الحد أن

والمثل المضروب في حسن الجوار جار كجار أبي دؤاد وذلك أن أبا دؤاد الإيادي جاور كعب
ابن مامة وكان كعب إذا جاوره رجل قام له بالنجدة وآنسه وحماه من بغيره
وإن هلك له شيء أخلفه عليه وإن مات وداه فجاوره أبو دؤاد فكان لا يأتي فيتعلم
منه فكان يفعل بجاره ما فعل كعب به فضرب به المثل ونسي كعب ومن أحسن ما قيل فيه

نزلت على آل المهلب شاتيا ... غريبا عن الأوطان في زمن المحل
فما زال بي إكرامهم وافتقادهم ... وبرهم حتى حسبتهم أهلي

ومن صنيع من ركب في الكرام أرومة صون المقيم بنفسه من عدو ويرومه
ورد في بعض الآثار أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود اصنع في
وأهن أقوال تعنس بحسنة وأمحو حسنته فرحمته قال يا رب وما تلك الحسنة قال

ص

من فرج عن مكروب كربته وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فرج
عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة والله في
عون العبد ما دام العبد في عون أخيه وقال من كفارات الذنوب العظام
إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب وقيل إن أفضل المعروف إغاثة الملهوف
ومن أمثالهم رب أخ لك لم تلده أمك ومن أحسن مثال في ذلك ما حكاه أبو حاتم
الكلابي من بأرض غنم فنادى أسيرا بالساعة الكلبي لا تأسر وأنعم فقال أنا
بأرض قومي ومن أهلكات إذ توجهت جانبي ولا معي ما أمر به ثم قال اللهم يومي بر
حل عنه واجعلني في الخير مكانه فجعل وبعث إلى قومه بما أفدي به نفسه
وذكروا أن كلب بن وبرة أغارت على حي من العرب فقتلوا منهم فمر أنفس غيلة
فاستجروا عليهم وقالوا إنما أنتم زوار ما أردنا قتالكم يوم المحلة في ذلك
إلى أجل فجاء بنو محرج بنو كليب يسألون قبائل العرب في المعونة حتى قدموا
أرض تميم فقروا وأماتوا وحين أحسبوا فلم يجدوا أحدا يرفع عنهم ولا يعينهم
وكانوا رهنا ما ابنه نفسه فمروا بحاجب بن زرارة بن عدس فسألوه ذلك
فقال قولوا فيه شعرا وخذوا فلم يكن فيهم من يقول شعرا حتى كوى ومضوا حتى أتوا
علي بن مجاشع فمروا بأبواد فقصدوا صعصعة بن ناجية بن عقال جد الفرزدق وهو يبغي
إبلا له فسألوه فقال لكم ذلك قبل البغي ما الذي جنيتم فيه فأخبروه
بأمرهم فأعطاهم عشر ديات ثم أرسلهم وأطلقهم فقالوا له أرسل الله فيك
شيئا رهنا من طول الغيب ورجع فبلغ ذلك تعمر وصعصعة هذا أول
من أحيا وأد البنات وفدا من ماله وكفت العرب عن وأد بناتهم بفعله ومثله
بمنتزح بالذكر قال امتزاج الخبز بالماء القراح ويتعلق به تعلق الأنامل
بالراح فما حكاه الجهشياري في كتاب الوزراء أنه لما تغير الأمر عن مروان
ابن محمد الجعدي آخر ملوك بني أمية طلب عبد الحميد بن يحيى كاتبه وكان صديقا لعبد
الله ابن المقفع ففاجأه الطلب وهو في بيت فقال الذين دخلوا عليهما أيكما
عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفا أن ينال صاحبه مكروه وخشي
عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال لهم ترفقوا فإن في عبد
الحميد علامات تعرفه بها فأرسلوا إلى من يرسلكم من يستوضحه منه فأتينا

وحدثونا فيه بحزونة فتعلوا ابو صعق لهم عند الحسين بعطاءات اشتمل عليها تربته
فاخبر وحمل اليه في العباير الشعاع فوشى فغضب عند الجبان بن عبد الرحمن فكان
يجي له حسنا ويضعه على راسه فلم يزل يفعل به ذلك حتى مات وقيل غير
ذلك وانا ذاكر فيما ياتي من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد ذكر من بديع
الحكاية ما حكاه صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الاجواد قال الامام جامع
مصر في ايام الحاكم لعنه الله المسلمون ان الانصار اخرجوا قام من فوا لهم قالوا كانوا
يسعون فيه الى ان قبض الحاكم على جماعة من الزجاجين فاتهموا باهل الغار وكتب
رقاعا فيها التقتيل ورقاعا فيها التقطيع واخرى فيها الجلد ونثرها عليهم فمن
وقعت في يده رقعة فعل به ما فيها فوقعت في يد رجل رقعة فيها التقتيل فلما
رآها بكى وقال والله لولا ام لي ما باليت فالتفت اليه شاب كان الى
جانبه فقال له في رقعتي الجلد ولا ام لي فخذ رقعتي وادفع لي رقعتك فابى عليه
فاقسم ان لا بد من فعلها فقتل هذا وجلد هذا وحكى الزبير بن بكار في كتابه الذي
سماه الموفقيات قال استشهد باليرموك الحارث بن هشام وعكرمة بن ابي جهل
وسهيل بن عمرو فاتوا بماء وهم صرعى فتدافعوه كلما دفع الى رجل
منهم قال اسق فلانا حتى ماتوا ولم يشربوا وقال مسلم بن الوليد صريع الغواني

يجود بالنفس ان ضن الجواد بها ... والجود بالنفس اقصى غاية الجود

وقال عمارة بن حمزة

يبيت قطرته تنفع قريبه ... لا خير في شيء اذا لم ينفع

وقال ابو عبادة البحتري واحسن واجاد

تعودته والغيث ينهمر وابله ... وقبلي لنا بحر الغمر من تناسبه
وحسب الفتى من نجحه ووفائه ... تمنيه ان يؤتى ويسلم صاحبه
اخ قومهم اذا اخا تغشهم ... لم تخش نائبة الدهر وقف
واذا وصلت بحبلهم ... حبلا امنت من الخوف
وقال ابو نواس الحسن بن هانئ يمدح الامين ويصف الغمر والكرم
اخذت بحبل من حبال محمد ... امنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني

فلو تسال الايام عني ما دريت ... واين مكاني ما عرفن مكاني
ومن اشرف اسباب الحسب وابين آياته وفاء الغمر واداء الامانة
فانهما من اوثق شمائل الغمر واصح دلائل المجد واقوى اسباب
التجمل في الجود واحوال فضائل الشكر والحمد وقالوا الوفاء اتم خلال
ومنتهى غاية الكمال يشير الحاجة اليه ويجب الحاجة عليه ويقرضا رهما دائما
وخلة لا تعرف لها جنسا ومنقبة فلا تجد منها تنائيا ولله در من قال
وفاء والود عند صادق الخبر ... مغرية عن الفقود متصبر
من الزلات ازال النعمه ... وما الدماء ميزات ثمره
لو انك تعي بمثله تعرفه ... فاخبره في الشاء والعسير
وقالوا من عجائب الناس يلقاء صادق وعالم بحسن الخلائق والزم نفسه
على العهود والمواثيق فقد ارضى الخلق والخالق وقالوا بالوفاء تملك
القلوب وتستدام الالفة بين المحب والمحبوب وقالوا من تحلى بالوفاء وتخلى عن
الجفاء فذلك من اخوان الصفاء والعفو احسن من قال
اذا انت اصحبت النصيحة صاحبا ... ولم تر عرو الطرق تجاهيا
وشاركته في حلوا لغمار ومره ... واصحبت في الاذوا شيم اياديا
ووجهت بالغمر الرضا ثم السرور ... ولم ارحلوها على الغمر وافيا
تفرعت اسباب المكارم كلها ... وجرت للعليا رسوما عواليا
وقالوا الخاط الا بوفاء ولا مودة الا بصفاء وقالوا الوفاء طالبها
شربها قليل واجروه وقالوا الوفاء من شيم الكرام والغدر من طباع اللئام
واوصى حكيم ولده فقال يا بني لا تحل عقدا عقدته ولا تنكث عهدا تحكم
فتكون قد نقضت العهود وخنت الخالق والمخلوق وقالوا من اودع الوفاء صدور
الرجال فقد اعتنقهم ومن امثال العرب في ذلك اوفى من السموأل وهو
السموأل بن عاديا بن حيا اليهودي صاحب حصن تيماء المسمى بالابلق الفرد ومن
خبره ان امرئ القيس كان قاصد الشام فاودع السموأل ادراعه وكن ائمة فمات
امرؤ القيس بانقرة فحصر السموأل الحارث بن ابي شمر الغساني وطلب غسانه
وتطلب منه ما كان اودعه امرؤ القيس عنده فابى ان يسلمه له فقال

ان تسلمه نقتله وترى وكان قد اسر ابنا له وبه على الحصن فقال اجلسوا لنبيلته ثم
جمع اهله واستشارهم فكل اشار بان يدفع اليه ما طلبه منه فلما اصبح قال له ينشر الى
ذبحه فسبيل ما فعل ما بدا لك فذبح الصبي وترك ورحل عنه ثم ان السموال وافى الموسم
بالادراع والكراع فدفعها الى ورثة امرئ القيس وفي ذلك يقول السموال مفتخرا

وفيت بادرع الكندي اني ... اذا ما خان اقوام وفيت
واوصى عاديا يوما بان لا ... تهدم يا سموال ما بنيت
بنى لي عاديا حصنا حصينا ... وماء كلما شئت استقيت

وفيه يقول الاعشى يخاطب شريح بن السموال بن عاديا وقيل شريح بن حصن بن السموال
وقيل شريح بن عمران بن السموال من ابيات

كان السموال اذ طاف الهمام به ... في جحفل كسواد الليل جرار
فسامه خطتي خسف فقال له ... قل ما بدا لك اني سامع حار
فقال ثكل وغدر انت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل اسيرك اني مانع جاري
فقال تقدمة اذ راح يقتله ... اشرف سموال انظر في دم الجاري
أأقتل ابنك صبرا او تجيء بها ... طوعا فانكر هذا اي انكار
فشك اوداجه والصدر في مضض ... عليه منطويا كاللذع بالنار
واختار ادراعه ان لا يسب بها ... ولم يكن عهده فيها بختار
وقال لا اشتري عارا بمكرمة ... فاختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديما شيمة خلق ... وزنده في الوفاء الثاقب الواري

وحدث الكندي في كتاب اخبار الامراء بمصر قال لما ولي المطلب بن عبد الله امارة
مصر من قبل المامون خرج عليه اهل مصر مع ابراهيم بن نافع الطائي فقتل ابو ... اليه ان يثب
عليه فيقتله المطلب فلم يقدر عليه واتهم به جماعة من قواد مصر وكان عبيد بن هشام
صاحب شرطة مصر فعرف المكان الذي اختفى فيه وكان ابراهيم بن نافع قد اودع ماله
عند عبيد بن هشام فسعى بعبيد الى المطلب فاحضره وقال له انه قد اودعك
ابراهيم فقد بلغني الثقة ان ماله مودع عندك وان لم تجئني به اخرجت نفسك
فانكرها وقعه ضربا وهو مع ذلك مقيم على الانكار فحلف المطلب مجود بيمين وقام عليه

انطلق به ثم لما سكن عن ابراهيم المطلب اخرجه عبيد من عنده ثم ارسل اليه ماله بعد
ذلك مع التجار وفيه يقول شعبان بن عيسى

لعمري لقد وفى وزاد وفاؤه ... عبيد بامر الكهل وفاء سموال
وفاء المنايا اذ اتته بنفسه ... وقد رفعت في عارض متهلل

اتي الحجاج بقوم ممن خرج عليه فامر بهم فضربت اعناقهم واقيمت صلاة المغرب وقد بقي
من القوم واحد فقال لقتيبة بن مسلم انصرف به معك حتى تغدو به علي قال قتيبة فخرجت
والرجل معي فلما كنا ببعض الطريق قال لي هل لك في خير قلت وما ذاك قال اني والله ما
خرجت على المسلمين ولا استحللت قتالهم ولكن ابتليت بما ترى وعندي ودائع واموال
فهل لك ان تخلي سبيلي وتاذن لي حتى اتي اهلي وارد على كل ذي حق حقه واوصي ولك
الله علي كفيل ان ارجع حتى اضع يدي في يدك قال قتيبة فتعجبت منه وتضاحكت لقوله
قال فمضينا هنيهة ثم اعاد علي القول وقال اني اعاهد الله لك على ان اعود اليك قال
قتيبة فوالله ما ملكت نفسي حتى قلت له اذهب فلما توارى عني شخصه اسقط في يدي
فقلت ماذا صنعت بنفسي واتيت اهلي مهموما مغموما فسالوني عن شاني فاخبرتهم
فقالوا لقد اجترأت على الحجاج فبتنا باطول ليلة فلما كان عند اذان الفجر اذا الباب
يطرق فخرجت فاذا انا بالرجل فقلت ارجعت فقال سبحان الله كيف جعلت لك عهد الله
علي فاخون ولا ارجع فقلت اما والله ان استطعت لانفعنك وانطلقت به حتى
اجلسته على باب الحجاج ودخلت فلما رآني قال يا قتيبة اين اسيرك قلت اصلح الله
الامير هو بالباب وقد اتفق لي معه قصة عجيبة قال وما هي فحدثته الحديث فاذن له فدخل
ثم قال يا قتيبة اتحب ان اهبه لك قلت نعم قال هو لك فانصرف به معك فلما خرجت به
قلت له خذ اي طريق شئت فرفع طرفه الى السماء وقال لك الحمد يا رب وما كلمني بكلمة ولا
قال احسنت ولا اسات فقلت في نفسي مجنون والله فلما كان بعد ثلاثة ايام جاءني وقال
لي جزاك الله خيرا اما والله ما ذهب عني ما صنعت معي ولكني كرهت ان اشرك مع حمد الله
حمد احد ولما تعرض الامر لمروان بن محمد وايقن بزوال ملكه وغلبة بني العباس عليه قال لكاتبه
عبد الحميد بن يحيى انه قد احتجت ان تكون مع عدوي فتظهر لهم الغدر بي فان اعجابهم بادبك
وحاجتهم اليك تدعوهم الى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعني في حياتي
والا فلا تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذي امرتني به انفع الامرين لك

وأقم بها ما عمرك الله يوما، حتى يتيح الله لك أو أمثل بغيات ثم أنشد

أقيم وما بي من الكفيف غربة ۞ فرب بعيد يشمل الشمل بعدما بين

تأمل قصة مساعدة وأعاد عليه القول ثانية فما أرى اليوم بعضهم إذا ما تمروا
وانظار بعد أناسا، والفرار. وجعل أناسا قل نزاله معه حتى قتلوه الله بعد أخر سنة
اثنين وثلاثين ومائة وله تسع وخمسون سنة وقيل بوصير قرية من أعمال مصر
وهو آخر ملوك بني أمية وكانت مدتهم ثلاثا وتسعين سنة وأحد عشر شهرا وأياما
وقدم به عبد الحميد إلى قرية تعرف بالأشمونين فاختفى بها فقبل عليه وحمل إلى أبي العباس
السفاح بالأنبار فقطع عنقه قال الجهشياري قتل وقد ذكرنا أنه ومن أحسن ما نظم
به إلى سماع وتليق به كتب الطباع ما يحكى أن معاوية بن أبي سفيان تزوج ميسون بنت
بحدل ونقلها من البدو إلى الشام وكانت كثيرة الحنين إلى أناسها والتذكر لمسقط
رأسها فاستمع لها يوما فسمعها تنشد

لبيت تخفق الأرواح فيه ۞ أحب إلي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني ۞ أحب إلي من لبس الشفوف
وأكل كسيرة في كسر بيتي ۞ أحب إلي من أكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج ۞ أحب إلي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني ۞ أحب إلي من قط ألوف
وبكر يتبع الأظعان صعب ۞ أحب إلي من بغل زفوف
وخرق من بني عمي نحيف ۞ أحب إلي من علج عنيف
خشونة عيشتي في البدو أشهى ۞ إلى نفسي من العيش الطريف
فما أبغي سوى وطني بديلا ۞ فحسبي ذاك من وطن شريف

فلما سمع معاوية الأبيات قال ما رضيت بنت بحدل حتى جعلتني علجا عنيفا ثم
طلقها وردها إلى أهلها وقال أعرابي لا تشتم أرضا فيها قوام بلدك. وكذلك أن يلد
فيها قبائلك ويقال مثلك إلى بلدك. من كرم محتدك ويقال كما أنه لا ينقطع حنين بنيتها
كذلك لا يزول حرمة وطنها ويقال من الوفاء تشوق الرجل لإخوانه، وحنينه إلى
أوطانه، وتلهفه على ما مضى من زمانه. وقالوا الكريم يحن إلى جنابه. كما يحن
الأسد إلى غابه. ويقال من علامة الرشد أن تكون نفسه إلى مولده تواقة.

وإلى

١٨

وإلى مسقط رأسه مشتاقة. وقال شاعر

أحب بلاد الله ما بين منعج ۞ إلي وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها نيطت علي تمائمي ۞ وأول أرض مس جلدي ترابها

وقالوا تنبري في الهواء الشامخ أشرفها من لجاجته فإنها إذا كانت بالهطال تزال
تشربه ولا تألف غيره حتى تموت. وقالت الحكماء: أرض الرجل ظئره وداره مهده
والغريب كالغرس الذي زايل أرضه فهو ذاو لم يثمر وذابل لم ينضر. وفطرة الرجل
معجونة بحب الأوطان، مجبولة على ذكر ما فات من الزمان. وقد ذكر الأزل والسبب
الموجب لحب الأوطان بقوله. وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالك

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ۞ عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

ومن محاسن فضائل الأشراف: الإنصاف بالعدل والإنصاف
فالعدل قوام الدنيا والدين وسبب صلاح المخلوقين وبه وضعت الموازين
ومن الرغبة إليه تكون، المؤمن من كل مخوف، به تأتلف القلوب، وتلتئم الشعوب
ويعم الصلاح، وتتصل أسباب النجاح، وتنعقد عرى الأنس والصلاح، ويشمل الناس
التناصف، ويتواصلون ويتعاطفون، وهو مأخوذ من اعتدال الأمور واستواء
ذات الاستواء الجانبين للميل والالتواء، وهو ميزان الله في أرضه الذي يؤخذ به الحقوق
ويزال به الجور والعقوق، وحقيقته وضع الأمور في مواضعها، ومن وضع
الشدة مكان اللين واللين مكان الشدة وكذا السيف مكان السوط والسوط مكان ذلك
وإلى هذا أشار المتنبي في قوله. ووضع الندى في موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف في موضع الندى. والإنصاف هو استيفاء الحقوق واستخراجها
بالأيدي العادلة والسياسات الفاضلة. وهو والعدل توأمان نتيجتهما علو
الهمة وبراءة الذمة باكتساب الفضائل واجتناب الرذائل. فالإنصاف
استثمار، والعدل استكثار، فمن يصل بالإنصاف استثمر، ومن يعدل استكثر
وما نقص ملك من أنصفه، ولا جار من أنصفه، وقد قيل من عدل في سلطانه استغنى
عن أعوانه. وقيل عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان. وروى الثقات
بأسانيد حسنة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عدل ساعة خير
من عبادة ستين سنة. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الفيلسوف على مثال من لو لو توقع الغمامة من جوده الى من يا استكثروا في الدنيا
وقال حكيم لبعض الملوك ايها الملك انما يحرك بالكبار عقلك واثار فضلك في
جمال بزتك وتكرم عن تيه وهر امته مركبة وكشاجة موكبة ويقال الملك ينبغي على
العدل مع الكرم ولا يبغي على الديار والجود وانه اشار بعض الشعراء بقوله

عليك بالعدل ان وليت مملكة … واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على عدل الكفور ولا … يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

دخل عمر بن الخطاب على ابي بكر الصديق رضي الله عنهما فسلم فلم يرد عليه فقال عمر
لعبد الرحمن بن عوف وقال اخاف ان يكون قد وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكلم عبد الرحمن ابا بكر في ذلك فقال انه اتاني وبين يدي خصمان وقد فرغت لهما سمعي وبصري
وقلبي وعلمت ان الله سائلي عنهما وعما قالا وعما قلت فشغلني عن رد السلام عليه
ويقال من قوى ملكه الله على بلاده وحكمه في عباده ان يكون لنفسه مالكا
وللهوى تاركا وللغيظ كاظما وللعدل فيما تنبي الغضب والرضى متحكما وللحق
في السر والعلانية مؤثرا واذا كان كذلك الزم النفوس طاعته والقلوب محبته
وأشرق بنور عدله زمانه وكثر على عدوه انصاره وأعوانه ولبعضهم من قال

يا ايها الملك الذي … بصلاحه صلح الجميع
انت الزمان اذا عدلت … فكله ابدا ربيع

وكتب بعض الملوك الى عامل له اذا اتاك نزع فرضا الله اقمته وكم مظلوما الله
نصرته فقد عززت العدل بالعمر فتر واستوجبت حسن المثوبة في الدارين ويقال اذا عدل
السلطان في رعيته ثم جار فعلى واجب ان يصبر عن له بجوره وقال عمرو بن العاص ملك عادل
خير من مطر وابل وكان كسرى يقيم رجلين من وزرائه عن يمينه وشماله اذا اراد النظر
في امور الناس فكان اذا زاغ من كلامه بغضب معهما وقالا له وارعيه ثم يقولا له ايها
الملك انت مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة انصف الخلق وانظر
لنفسك ويقال انه كتب ثلاث رقاع في احداها امسك غضبك فانك لست باله وانك
ستموت ويأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم عباد الله يرحمك الله وفي الثالثة
احمل عباد الله على الحق فانهم لا يسعهم الا ذلك فكان اذا جلس للناس عامة يقدم له في
امورهم قام بعض الحجاب على رأسه وبيده الرقاع فاذا رأى غضب على احد ناوله

الرفع

صح
وفي نسخة ابن العربي المقتبس
للعلامة ابن غزال
وهي التي هي عندي حمل
والعقد هي التي نقلوا الـ
عنوان ايام احمد وعدل في
وسياسته في منزل المجلس فيما بعد ارشاد
الغير وفيها ايضا اسقاط وكتب
بعض الملوك الى قوله وقال عمرو
ابن العاص وفي هذه النسخة المشار
اليها تقديم وتاخير واسقاط ولعل
الاعتماد على ما في النسخة الاخرى
المطبوعة والله تعالى اعلم

الرفعة الى ولي نعمائه والثانية على غضبه فناوله الثانية فان لم يسكن ناوله الثالثة
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله ان يوافوه في الموسم فاذا اجتمعوا قال
يا ايها الناس اني لم استعمل عمالي عليكم ليصيبوا من ابشاركم ولا من اعراضكم ولا
من اموالكم شيئا انما استعملتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم فمن كانت
له عنده مظلمة فليقم. ووصف اعرابي اميرا عادلا فقال هو على ابن عتبة عادلا
في اقضيته عاريا من الكبر قابل للعذر سهل الحجاب متحبب الى الصواب رفيق
بالضعيف مكرم للشريف غير محاب للقريب ولا محيف للغريب. وكان شمس
المعالي قابوس بن وشمكير عادلا في مملكته كان لا يؤثر بحسن الا اقام الحق عليه ولوانه
اقرب الناس اليه. ووقع جعفر بن يحيى الى بعض عماله انصف من وليت امرهم والا
انصفهم منك من ولي امرك. ووقع اخو الفضل بن سهل ان اذا ذات العماد انفع على
العباد وممن كان من التكلف المسلوك في استنزافها. عدل الملوك ما يحكى ان عمر بن عبد
العزيز ركب يوما الى الصلاة فلقيه رجل من اهل اليمن متظلما فقال

ادعوتنا من كان مظلوما اتيتكم … فقد اتاك غريب الدار مظلوم

فقال له ما ظلامتك فقال غصبني الوليد بن عبد الملك ضيعتي فامر بكتب
عهده له فوجد كما قال الرجل فامر فجمع من الديوان ورده عليه واعطاه كلفة نفقته
الى بلده. وسأل رجاء بن حيوة عن حال رعيته مع العمال فقال رايت الظالم مقهورا
والمظلوم منصورا والغني موقرا موفورا والفقير محبورا فقال الحمد لله الذي وهب
لي من العدل ما تطيب اليه قلوب رعيتي. وتعرض له متظلم في بعض الطرق فوقف له
وازال شكايته فقيل له لما قعدت حتى يستمع بدار المنزل فقال رايت الخير تتربع
الزمان به وخشيت ان اموت بنفسي وانما يرى في جنة فرصت فيها العزم واستعجل
الحزم وقد قيل اوضح السبيل للحكام وقد نعى على المتعسفين من الحكام من قال

واذا ما كنت يوما حكما … بين خصمين فكن واستشرع
واذن للقصة بالعرض فما … وضح البرهان فاحزم واستمع

وقال شاعر فرج متوليا القضاء بمدينة الحلة من ارض وسطاء والجلة

لا تفرح القضاة في حكمه … شهمة عدله وانصاف
يمضي اذا لم تلقه شبهة … وفي اعتراض الشك وقاف

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

أخي ❊ يكمل دينه لابن عقيل ❊ وكم فاد من بعض عقل جهول
واحتر بين تبعي لبواه ❊ على أنه يأتي احتفاظ وعقل

ومما اتفق على مدحه الإله وأولوا الأحلام التواضع من غير الفعال وأفضل المفاخر
فالتواضع ينبغي من غير فرك واستعمال الكبر والتيه ذام، والتشبه بالفقراء ولا يكون
لا تجاب معجبا، ولا الكبر متكبرا ومنتهجا، فإنه بعد الحال والعامل الجاهل من يعيبه
عليه، وبلا حقيقة ما أوتيت من بيانات الأقوال والأعمال عليه. قال الإمام الثوري
نهانا أن نفعل رجباء ومن تعالى نعني عكسا. وقال عمر بن عبد العزيز التواضع من مطابر
الشرف وكل ذي نعمة محسود عليها إلا التواضع. ويقال التواضع في الشرف أشرف
من الشرف. ويقال اسمان يتضمن معناهما ويفترق لفظهما التواضع والشرف
وكان صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويقول لو
دعيت إلى كراع لأجبت. وكان يخصف النعل ويحلب الشاة ويركب الحمار ردفا
ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم إذا أعيت ويأكل معه ويحمل بضاعته من السوق
ويسلم مبتديا ويصافح الغني والفقير ويفاوض أصحابه ويحادثهم ويمازحهم
ويلاعب صبيانهم ويجلسهم في حجره وكان على آخر من أصحابه وكان أرسل بيته
الآن قال لبيك ويقول لا تفضلوني على يونس بن متى وكان ... فتقولون
في ما قالت النصارى في المسيح إن الله ... رسوله وفي حديث
آخر لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله
ورسوله. وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل متكئا ويأكل القثاء ويقول إنما أنا عبد
آكل كما يأكل العبد. وقال البراء بن عازب رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق ينقل التراب حتى وارى التراب بطنه. وكان ينقل اللبن على عاتقه
مع أصحابه عند بناء مسجده بالمدينة ... وشاء ... ويقول
أنا سيد ولد آدم ولا فخر، آدم ومن دونه تحت لوائي، أنا أول من تنشق عنه الأرض
لست كأحدكم إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني ... الشفاعة ... قال
عن بلوغ مراده بأنه ... فلا ... إلى علاه. ولما
ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة قال ... وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ
كلامه الحسن البصري قال بلى ولكن المومن يهضم نفسه. وسئل بعض

التابعين

الناس ... هل رأيت أبا بكر قال نعم رأيت ملكا في زي مسكين. وقال ابن عباس كان أبو
بكر كثيرا ما ينشد إذا أردت شرف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زي مسكين

ذاك الذي حسنت في الناس سيرته ❊ وذاك يصلح للدنيا وللدين
إن الشعير الذي تمت سيادته ❊ فيتقي بعض من الدنيا التي ادريه
يصير بالعلم منه بحرا راجحا ❊ فيتغشى ملكا في زي مسكين

وكان رضي الله عنه إذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي
منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون
وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نادى يوما الصلاة جامعة فلما اجتمع
الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لقد رأيتني وأنا أرعى على
خالات لي من بني مخزوم فيقبضن لي القبضة من التمر أو الزبيب فقال عبد الرحمن بن عوف
يا أمير المؤمنين ما زدت أن قصرت على نفسك فقال له ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسي
فقالت لي أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك فأردت
أن أعرفها قدرها. واشترى علي رضي الله عنه تمرا بدرهم فحمله في ردائه فقال له بعض
أصحابه نحمله عنك فقال أبو العيال أحق بحمله. واستخلف علي رضي الله عنه أبا
... إلى ... فكان يحتطب ويأتي بالحزمة من الحطب على ظهره يشق بها
السوق ويقول جاءكم الأمير حتى يفعل الناس ... فيه ... وقيل لحبيب
ابن ... فقال ركبت الحمار ولبست الشملة وحلبت الشاة وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل هذا فليس فيه من الكبر شيء. وحكى الشعبي
قال ركب زيد بن ثابت فدنا منه عبد الله بن عباس فأخذ بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فقال زيد
أرني يدك فأخرجها فقبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا. ودخل
بعض الشعراء على الحسن بن زيد العلوي ... فأنشد ... ابن رسول الله
جد وابن ... فقال ... وابن ...
... واحمق ... بلا ... أنشد أبو العتاهية ...
... فقوله. يا ... كعبه ...
فقال الصادق ... إلا من ... الشرى رسول الله ...

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

وأنت بذلك الفضل تفخر. فقال له أحسنت وأمر له بخمسين ألف درهم. وقال الحماد بن النزر العروي

يا حبذا حين تمسي الريح باردة ... وادي الأقحوان وفتيان بها هضم
مخدومون كرام في مجالسهم ... وفي الرحال إذا صاحبتهم خدم
وما أصاحب من قوم فأذكرهم ... إلا يزيدهم حبا إلي هم

وقال أبو عبادة البحتري في ذلك

دنوت تواضعا وعلوت قدرا ... فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى ... ويدنو الضوء منها والشعاع

وقال آخر

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

قال ابن مسعود إذا اشتد خلفه أحد فالحمق واضع نعماكم فإنها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع. ومما روي على ابن عيسى الوزير رحمه الله في سنة ثلاثمائة رأى أصحابه يمشون خلفه كما يمشون خلف الوزراء فقال ما تبعتم اليوم وقال إنا لم نرض بغيرنا أن يفعلوا هذا معنا فكيف نكلفه قوما أحرارا لم أكن أرى أمرا لنا عليهم ومنعهم من المشي في ركابه. ويقال إن أول من مشت معه الرجال وهو راكب الأشعث بن قيس كان يركب وأصحابه يمشون فكان فاعلا أبو تمام حيث يقول

مبتذل في الصدور وهو مبجل ... متواضع في الحي وهو معظم

وقال الحسن أربعة لا ينبغي للشريف أن يأنف منهن قيامه عن مجلسه لأبيه وخدمته لضيفه وقيامه على فرسه وخدمته لمن يأخذ عنه علمه. وقال عبد الله بن مسعود رأس التواضع أن تبدأ بالسلام من لقيت وأن ترضى بالدون من المجلس. وقال عبد الله بن شداد أربع من كن فيه فقد برئ من الكبر من اعتقل البعير وركب الحمار ولبس الصوف وأجاب دعوة الدون من الرجال والمنصور العفيف

كن دون قدرك فيه دونه أبدا ... فلا يحمده امرء يشرا
وكن لمعلية النعم ... تكن به يهز غيرك شعرا

ومن أحسن قول ابن عبدون إنما المرء العجاب دع الفخر في الكبر والجبروت

نسج داود لم يفد ليلة الغا ... ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمندل في لهب النا ... ر مزيل فضيلة الياقوت

أربعة لا ينبغي للشريف أن يأنف منهن

وكذلك

وكذا النعام يلتقط الجمر وما الجمر للنعام بقوت

ومن الأبيات قال لمن يفتخر

الفخر في التكبر الآن أحمق ... فتبغض أن تنسب بالتواضع
فتنح النسح كل من هاك لا كن ... تبتسم ودومه كما تعكس

وما يدل على شرف الإنسان. الباب الثاني في النعم بأنواع المروءة.

قال محمد بن عمران المروءة اسم جامع للمحاسن كلها. وقال غيره من البلغاء المروءة جامعة لمحاسن الشيم حافظة لشباب المروءات دالة على كرم الأعراق باعثة على مكارم الأخلاق ناهية عن الأفعال الرذائل حاملة على شواردها المحامد وماشية تبعث على صلاح الدين والدنيا وتبعث على الذكر الجميل في الحياة والممات. الدين ومروءة تبع بأحكامها منفيرة بمكارمها. وقال بعض الحكماء المروءة سجية جبلت عليها النفوس الزكية وشيمة طبعت عليها الطباع الكريمة. وقالوا أولى الناس بالمروءة من ولد بمنزلة الشرف. وقال الشاعر

إن المروءة ليس يدركها امرؤ ... ورث المكارم عن أب فأضاعها
أمرته نفسه بالدناءة والخنا ... ونهته عن سبل العلا فأطاعها

وقد جمع الله سبحانه المروءة في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر. وجمعها عليه الصلاة والسلام على نوع آخر فقال من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته. وجمعها بعضهم على نوع آخر فقال باب مفتوح وخبز موضوع وستر مرفوع وطعام موضوع ونائل مبذول وكلام معسول وعفاف معروف وأذى مكفوف. وجمعها آخر فقال مروءة الرجل صدق لسانه واحتمال عثرات إخوانه وبذل المعروف لأهل زمانه وكف الأذى عن جيرانه. وقالوا اجتماع الدين والمروءة العفاف والأخذ بالكفاف وترك الانتصاف وقلة الخلاف. وقالوا المروءة أن لا تعمل شيئا في السر تستحي منه في العلانية. وقال أعرابي والله لولا أن المروءة ثقيل محملها شديد مؤنتها ما ترك اللئام للكرام شيئا منها. وقالوا المروءة الظاهرة الثياب الطاهرة كما قال ابن دريد

ابن المسيب لوددت ان احسن ما تكون في الثياب فقال اجمل ما تكونه في ثيابهم فلا
وقال عليه الصلاة والسلام إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس
والتباؤس وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما ان الله جميل يحب الجمال وقالوا من
مروءة الرجل ان لا يلبس ثوب شهرة كما قال بعض الحكماء كل ما اشتهيت نفسك
والبس ما يلبسه ابناء جنسك وقد أحسن بعض الشعراء في تكميل هذا الكلام
فجاء فيما اشار اليه بقوله البس ثوب شهرة ان العيون رمقته حيث فحلا نقاء وعليك من شيم
الثياب لباس الناس اما الطعام فكل ما اشتهيته واجعل لباسك ما اشتهاه
الناس وقالوا الشعر الباب من غنى مرادي العافي وقال عبد الله بن طاهر
يتبين من لباس الشاهدات ثم في المروءات الثياب ذوات الالوان فانها من لباس الغلمان
والنسوان وقال الشاعر يذم الذين يلبسون الثياب

يا من يلبس اثوابا يتيه بها ۞ في كل يوم على تغيير الناس كبر
ما غير الجل اخلاق الحمير وكذا ۞ نقش الثياب عن اخلاق الخنازير

ويقال يجب على المرء ان يرفع من نفسه بنفسه في لبسه ويلبس لكل حالة لبوسها
فيلبس تغيير التشكل من ذلك بل الفعل وكل من شواهد التعقل ومن علامات النبل
ونعم ما قال بعض الشعراء قل للذي يخرج عن شكله ۞ بين تغيير أثوابه أو عار

كيف ترجي ان تنال العلا ۞ ولن تنال الزهر من عار
من جارة المعتوه من زيه ۞ يراك له كاين ولا غار

وقال عبد الله بن مسعود كونوا جدد القلوب خلقان الثياب مغمورين في
الارض معروفين في السماء وروي ان الفتيان على احد الكتاب من الجن ازره ثوبا احسنا فلامه في
ذلك وعنفه فانشد على ثياب دون قيمتها فلس وفيهن نفس دون قيمتها الدنيا

فثوبك لا ضيح تحت الذيالة دجنة ۞ وثوبي نبيل تحت اذياله تمشي

وكان من البذخ يجري من اهل الكرم ومن أسماله وروي الكيسان حلل الكرام الفتى
تعرى والتموه افترى بكلثوم بن عمرو العتابي في منزل المرزبان وتحته بعجيبة
المرزبان وذلك أنه دخل على يحيى بن خالد في سمل وكان بثياب ما يبس فجابه
عليه فقال يا ابا علي يسر من حيث المرء هيئاته جماله وما ثيابه حتى يعجبه الكبر
همته ونفسه واصغراه قلبه ولسانه فقال شاعر في المعنى الذي تقدم

لا تنظرن الى الثياب فانني ۞ خلق الثياب من المروءة كاسي
وقال ابو سعيد واجاد في الشعر الذي أنشده

تعجبت درس شيبي فقلت لها ۞ لا تعجبي من طلوع النجم في الظلم
وزادها عجبا ان رحت في سمل ۞ وما درت دران الدر في الصدف

وقال آخر في المعنى

يا هاذن لم يكن القوم والعقد ۞ لا تنكر رجلا اثوابه جرده
ان يسير منعي داما ينيف منعقدا ۞ والليث منعقد والبدر منعقد
او كنت انكرت كمه وخلفتها ۞ فالفجر من ضوءه لا غراء والزبد
ان كان صرف الليالي دون غايته ۞ فنفس كرمه منه ضيغم لبد

ومن المروءة التطيب فانه ورد عن مكحول انه قال من نظف ثوبه قل همه ومن طاب
ريحه زاد عقله ومن جمع بينهما كملت مروءته وقيل الطيب والكرم لا يستغنى
في النبي وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بطيب الرائحة من الطيب ريحه وكان اذا
سلك طريقا عرف ان الصاحب فيه والله در من قال

ولو ان ركبا يمموك لقادهم ۞ نسيمك حتى يستدل بك الركب

وكان ابن عباس رضي الله عنه اذا خرج الى المسجد قال الناس هذا مسك او ابن
عباس لطيب ريحه وقال شاعر وتضوع مسكا طيب ريح ثيابه وذكراك ريح الاناجر الوساب

الفصل الثالث من الباب الاول في ذم التخلق
بالاخلاق الذي لا يوافق القلب اللسان

قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند
الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذا
الوجهين لا يكون وجيها عند الله وقال عمر بن الخطاب من تخلق للناس بما
ليس من خلقه فضحه الله وقال ابن مسعود من كان كلامه لا يوافق فعله فانما
يوبخ بذلك نفسه وقيل ما الوفاء بادل على الشاهد من كلام الرجل على باطنه وقال
زهير بن ابي سلمى ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وقال آخر كل امرئ راجع يوما لشيمته ۞ وان تخلق اخلاقا الى حين
وقال بعض الحكماء التخلق بالامر يا كله فمنظور الحق وكلامه منكور التخلق

… وسلم على سيدنا محمد وآله

حتى ما شئت لمن شئت * فقالوا ما أقبح بالمرء أن يقول ما لا يفعل وما أحسن الفعل
ابتداءً قبل القول فإن مقدمات محموده الأحسن حالا من مقدمات مذمومه. قال الحكيم يعني
فضل القول على الفعل دناءة، وفضل الفعل على القول مكرمة. يقال أحسن الفعال ما
جرى بحسن الفعال، من كلام الحكماء البرهان أحسن القول ما صدقه الفعل وأن القول
شاهد ما لم يجرحه الفعل. وقال محمود الوراق

* القول ما صدقه الفعل * والفعل ما أكده العقل *
* لا يثبت الفرع إذا لم يكن * يقله من تحته أصل *

كان رجل يكثر الثناء على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بلسانه ويتهمه قلبه
فقال له رضي الله عنه يوما وقد ألح عليه في الثناء أنا دون ما تقول وفوق ما في
نفسك فانظر إلى سر الظاهر المعربة لخبيات القلوب المكتوم لها القطعي
عن خبيئات الغيوب. وقال بعض الحكماء لأن يكون في نصف لسان ونصف وجه
على ما فيهما من قبح المنظر وسوء المخبر أحب إلي من أن أكون ذا وجهين وذا لسانين
وذا قولين مختلفين. وقال أرسطاطاليس وحسنا من الثقة فإنه يظهر على
الوجوه ما تضمره القلوب. وقالوا العيون طلائع القلوب. وقد أودع الشعراء بعض
هذا المعنى كثيرا فمن ذلك قول بعضهم

* إن العيون لتبدي في نواظرها * ما في القلوب من البغضاء والإحن *
وقال آخر
* العين تبدي الذي في قلب صاحبها * من الشناءة أو حب إذا كانا *
* إن البغيض له عين يصدقها * لا يستطيع لما في القلب كتمانا *
* والعين تنطق والأفواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا *
وقال آخر
* يدل أعينهم ما في صدورهم * إن الصدور يؤدي سرها النظر *
وقال آخر
* عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء لولاهما ما كنت أدريها *
* تكلم في البغيض البغض كامنة * والقلب يكتمها والعين تبديها *
* والعين تعرف من عيني محدثها * إن كان من حزبها أو من أعاديها *
وقال آخر
* تعرف مسامع محض المريب * فإن العيون وجوه القلوب *
* وكم بالغ تواري به الكلام * فإنك تجني ثمار العيوب *

ويقال العادات قاهرات فمن اعتاد شيئا في السر فضحه في العلانية وقالوا

حقيقة

حقيقة الثناء اختلاف السر والعلن كاختلاف القول والفعل. وقال زيد بن علي
من كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ومن كانت سواء فذلك العدل
ومن كانت علانيته أفضل من سره فذلك الجور. وقال أبو جعفر الجرجاني لا ينبغي
أن يكون حسن القول تمهيدا لقبح الفعل. لام عامر بن شراحيل الشعبي عبد
العزيز بن مروان على تقصيره في الخطبة لما كان عالما على منعه وتركه استعمال
البلاغة مع قدرته عليها فقال إني لأستحيي من الله أن أقول بلساني على منبر
خلاف ما أعلمه من قلبي. وكتب رجل إلى صديق له أما بعد فعظ الناس بفعلك
ولا تعظهم بقولك. وأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى
عظ نفسك فإن اتعظت فعظ الناس وإلا فاستحي مني والسلام
ومما يعاب من خلال الإنسان أن يكون بديع مقال اللسان وبعيد فعال الإحسان
قال عليه الصلاة والسلام ليس الملق من أخلاق المؤمنين. وقال ابن المعتز
كثر ملقه لم يعرف بشره. وذم أعرابي قوما فقال ملقهم أمر من الحنظل وابتسامهم
من التقبيل أحلى. وقال الشاعر إذا انتصبوا للقول قالوا فأحسنوا ولكن حسن
القول خالفه الفعل. وقال ابن جبير الأندلسي

* الناس شهد لكن في حشوه ضرب * وقد أتوا بها شيئا من العسل *
* تحلو لذائقها حتى إذا انكشفت * له تبين ما تحويه من دغل *

وقالوا فتات في وجه الكتاب المواعيد ويجمع نكث الصاب بالماء وقال شاعر
* يا أيها المتحلي غير شيمته * ومن شمائله التبديل والملق *
* ارجع إلى خلقك المعروف ديدنه * إن التخلق يأتي دونه الخلق *

وقد لواشي الناس في سوء الكتائب ضرب مواعيد. وفي ابتائهم عمرو
مسامع وقال شاعر تعطي كما وعد الإعطاء بالمنع * إذا لم يكن أصل المودة في القلب
وقال رجل لعلي رضي الله عنه علمني السلام على الإخوان فقال لا تبلغ بهم
النفاق ولا تقصر بهم عن الاستحقاق. ونظر هذا صالح بن عبد القدوس في قوله

* وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله *
* وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي * فأدبني هذا الزمان وأهله *

وقال آخر وبالغ في الذم لم يبق في الناس إلا الكذب والملق شوك إذا اختبروا وزهر إذا رمقوا

فإن كان عاق أتى إليك بلا جرم مقرّر ، فكن محسنا فعل الشكور بحسنة
وقال آخر: خل النفاق وكن مخلصا ، وعلنك فما تنتج الصحيفا
وإذا كنت بنفسك أرضيتها ، إلا عدوا وصديقا
وقال آخر: بدا النصيحة عند اللقا ، وتبدو الضغينة يوم اللقا
فمن حبائلك من قبله ، وكم تكشّف عليه الشرع

وقال أعرابي لرجل إن فلانا وإن ضحك لك فإن قلبه يضحك منك وبر الكبرة الشفقة عليه فإن غفلت عنه شيئا لم تسلم إليه فإن لم تجد عدوا فعلى نفسك فلا تجعله من بيانه شيئا وقالوا الناس يجعلونك لسانه ويحصلونك قلبه وقال شاعر:
إذا ما صاحب لم تغفر الذنب ، ويكفيه من أخيه أقله
فيبني من يظهر المودة إليك ، وإذا قال فاتق الغول بعلة
وصله تخليل يوم فإن زاد ، ذو تبيوما ثم يبيت عنبلة

ومما يلحق بهذا الباب ذم الرياء. سالب عن صاحبه جلباب الحياء.

الرياء من الكبائر وأخبث السرائر شهدت بمقته الآيات والآثار وتواترت بذمه القصص والأخبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يقبل عملا فيه مثقال ذرة من رياء. وقال علي رضي الله عنه للمرائي أربع علامات يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثني عليه وينقص منه إذا ذم وأما الحياء فقد تقدم أنه حياء من نفسه ومن الناس ومن الله تعالى فإن من يستحي من نفسه فليس لنفسه عنده قدر ومن استحى من نفسه ولم يستحي من الناس فقد استهان بالناس ومن استحيى من نفسه ومن الناس ولم يستحي من الله فقد استخف بالله وقد روي أن رضي الله بلسانه واستحقه بقلبه وكان أبو مسلم الخولاني يقول ما عملت كذا وكذا سنة عملا أبالي أن يراه الناس إلا حاجة الرجل إلى أهله وحاجته إلى الخلاء وكان الحسن البصري يقول لأن تطلب الدنيا بأقبح ما تطلب به أحب إلي من أن تطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة وقال الفتح بن خاقان كنت يوما عند المتوكل بالشرد فاستأذن يدخل بن ... فأذن له فلما قرب همهمت به فحمنا بنفسي المتوكل وقال كيف أجابه الله بشيء. واستتم ثم عاد. وكان

الشبلي إذا رأى من يدعي التصوف يقول ويلكم لا تغتروا فإن الله غيور لا يستحلكم بعد ذا وقد خاب من راءى. وقال شاعر يذم المرائين منهم
تربسوا بالصوف ترك الصفا ، مشائخ العصر لشرب العصير
بالرقص والشاهد من شأنهم ، شر طويل تحت ذيل قصير
آخر: الكهف والشامير نشكا ، وعلى المنقوش برزوا
ولئن صلوا وصاموا ، ولئن حجوا وزاروا
الثريا ، ولم يبشر لها روا
وكذا في بعض على الأنزال من تحويد
لا تحسبن عصابة ، حلقوا الشوارب للطمع
بكوا وحل بكائهم ، ما الفضل بينهم لا تقنع

وقال أربعة لا يعتبر بهن زهد المخطي وتوبة المحتضر وشكوى المرأة وتقوى الأمراء. صلى رجل صلاة خفيفة فقيل له أخففت الصلاة فقال لأنه لم يكن في صلاتي ليستر فيها رياء. ونظر أعرابي إلى رجل في المسجد وهو ساجد يبكي فقال نعم الرجل أنت لو كان هذا في بيتك. قال ثابت البناني دخلت على داود الطائي فقيل لي إن حاجتك ملك زيارتك فقال ومن أنا حتى أزار لست من العباد أنا كلا والله ولا من الزهاد أنا كلا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها وقال كنت في زمان الشباب فاسقا ثم شبت فصرت مرائيا والله إن المرائي لشر من الفاسق. ويقال كان الناس يراءون بما يفعلون ولا يفعلون بما يقولون فصاروا يراءون بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراءون بما لا يقولون ولا يفعلون [illegible] فأعجبه لباسه فقال قد بيض ثيابه ليسود صحيفته وأظهر ورعه ليخفي طمعه ونقص سباله ليعجب بها له وتخشع في محرابه ليغطي خرابه. فمن زي بعمائم أهل السنة وهو في الباطن من أهل البدعة. وقال شاعر
تصنع كي يقال له أمين ، وما معنى تصنعه لأمانه
ولم يرد الإله ولا رضيه ، أراد به طريقا للخيانة

ومن كلمه ومن الحكايات. وعجيب الحكايات. ما يدل من الرياء عرض ما فخر

أربعة لا يعتبر بهن

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

ومن صرع الحياء سمنه لا يجد ما يكفي أنه ومن على عمر بن عبد العزيز بن بلال بن أبي بردة فجعل يطيل ويكثر الصلاة فقال عمر للعلاء أترى ذلك تصنعا فقال العلاء أنا أخبرك بخبره يا أمير المؤمنين فأتى إليه العلاء بين العشاءين فقال له هل لك من حاجة تقضى فقال ما الحاجة فقال العلاء تعرف محلي من أمير المؤمنين فإن أنا أشرت عليه بتولية العراق فما تجعل لي فقال لك على عمالتي سنة وكان مبلغ ذلك عشرين ألف درهم فقال له العلاء أن يكتب له بذلك فكتب فأتى العلاء على نفسه فكتب له [illegible] فأتى العلاء إلى عمر فقال إنه غرنا بالله فكدنا نغتر وكنا نظنه فسبكناه فوجدناه خبثا ودخل على المنصور رجل أراد أن يوليه خطة ناحية من العراق فرأى أثر السجود في جبينه كركبة الجمل فقال له المنصور إن كنت أردت الله بهذا فما ينبغي لنا أن نشغلك عنه وإن كنت أردتنا فما ينبغي لنا أن نخدع لك فلم يوله ومر بعض الرواة بابن يزداد وهو جالس على باب داره وبين عينيه الرجل سجادة عظيمة وكان ابن يزداد شيخا ابن ثمانين سنة ومقعد منذ ثلاثين سنة فقال أبو الفضل [illegible] أن كان في أسفل من المقعود ما بجبهته من أثر السجود ووضع بعض الرواة بين عينيه سجادة وذكر أبو نواس وشرط عليه ثوبا وبات بها [illegible] وكان في ناحية [illegible] فأنشد [illegible] كيف أصبح أبوك قال أصبح من يعبد الله على حرف

وقال بعض من الشعراء لمرائي [illegible] في معنى أبو مية

شمر ثيابك واستعد لقابل ... واحكك جبينك للقضاء بثوم

وامش الدبيب إذا مشيت لحاجة ... حتى تصيب وديعة ليتيم

وقال أبو الفضل بن الربيع لأبي نواس أمرت بحبسه فحبس وتناساه زمانا فأظهر التوبة وكتب إلى الفضل بن الربيع أبياتا

أنت يا ابن الربيع علمتني الخير ... وعودتنيه والخير عادة

فارعوى باطلي وأقصر جهلي ... وتبدلت عفة وزهادة

بركوع أزينه بخشوع ... واصفرار مثل اصفرار الجرادة

لو تراني شبهتني الحسن البصري ... في حال نسكه أو قتادة

التسابيح

التسابيح في راحتي والمصحف في لبتي مكان القلادة

فإذا شئت أن ترى طرفة تعجب منها مليحة مستجادة

فادع بي كي ترى نسوج مثلي ... وتأمل بعينك السجادة

ترى أثرا من الصلاة بوجهي ... توقن النفس أنه من عبادة

لو رآها بعض المرائين يوما ... لاشتراها يعدها للشهادة

ولقد طال ما شقيت ولكن ... أدركتني على يديك السعادة

فلما وصلت هذه الأبيات إلى الفضل ضحك منها وكلم فيه الرشيد فأطلقه ولما أطلق كتب إلى الفضل يشكره على تفضله وجميل فعله وقيل لما بلغ الرشيد قول أبي نواس

يا أحمد المرتجى في كل نائبة ... قم سيدي نعص جبار السماوات

وقوله ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر

وقوله ما جاءنا أحد يخبر أنه ... في جنة من مات أو في نار

فقال هذا كلام زنديق وأمر بحبسه إلى أن أظهر التوبة ولقد بلغ [illegible] أبيات الغاية التي ما بعدها شيء في [illegible] والنهاية في رفض الحياء

الباب الثاني في اللؤم وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول من هذا الباب

في ذم من تنسك لأغراض وما اتصف به من قبيح الأخلاق

قال الله تعالى همازا مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم [illegible] النقائص كلها جمعها سوء الخلق وقال أبو [illegible] رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال الشؤم سوء الخلق وقال عمر رضي الله عنه إذا كان في الرجل عشر خصال تسعة منها صالحة وواحدة فيه سوء الخلق أفسدت تلك الخصلة تلك التسعة وقيل إن سوء الخلق شؤم يجر صاحبه في الدنيا إلى العار وفي الآخرة إلى النار وقال شاعر

وكم من فتى أزرى به سوء خلقه ... فأصبح مذموما قليل المحامد

وقالوا من ساءت أخلاقه طاب فراقه وقالوا سوء الخلق يدل على خبث الطبع ولؤم العنصر وبلاء السيئ الخلق أن يعزر من الصاحب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعنه عليه

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

الصلاة والسلام ان سوا تخلو من عذاب الله في الذي صاحبه والإمام في قبر
يشكما، فحكي انى انشار من الحديث اخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وقالوا
فلان له خلو خلو وشان شان وشيمة مشومة وخيم وخيم وطبع طبع
في مساوي اخلاقهم الذميمة. نقل الاخبار بالسعاية والنميمة
قالوا النميمة من الخصال الذميمة تدل على نفس سقيمة وطبيعة لئيمة
مشغوفة بهتك الاستار وافشاء الاسرار وقال بعض الحكماء الاشرار
يتبعون مساوي الناس ويتركون محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع الفاسدة
من الجسد ويترك الصحيحة وقالوا لم يمش ماش شر من واش فالساعي بالنميمة
كشاهد الزور ومن بلغك نقيصة ومن سعى به ومن سعى اليه يحكى ان عمرو بن معاوية
ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العتبي رأى رجلا يشغي برجل عند صديق له فقال
له نزه سمعك عن استماع الخنا كما تنزه نفسك عن التكلم به فان السامع شريك
القائل وانما نظر الى شر ما في وعائه فأفرغه في وعائك ولو ردت كلمة سفيه في
فيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها والنمام شر من الساحر فان النمام يفعل
في ساعة ما لا يفعله الساحر في المدة الطويلة اتى رجل
عبد الله بن عباس وهو والي البصرة فنقل عن رجل رضي الله عنه نميمة فقال له ان شئت
سألنا عما جئت به فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان
شئت اقلناك فقال أقلني قال ان شئت ان تفعل فافعل ثم انشد

توق من الامور وشاكلها • وعرج عن الجانب المشتبه
وسمعك صن عن سماع القبيح • كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح • شريك لقائله فانتبه

وسمع ابو الاسود الدؤلي قول الناس من نم لك نم عليك فقال

لا تقبلن نميمة بلغتها • وتحفظن من الذي انباكها
ان الذي انبأك عنه نميمة • سينم عنك بمثلها من حاكها

أتى رجل برجل عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر ان شئت نظرنا في امرك فان
كنت كاذبا فأنت من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وان كنت
صادقا فانت من اهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك

وقال

وقال بعض الملوك لوزيره ليكن ابغض رعيتك اليك أشرهم كشفا لمعايب الناس
فان للناس معايب وانت احق بسترها وانما عليك ان تحكم بما ظهر لك والله يحكم بما غاب عنك
واكره للناس ما تكره لنفسك واستر العورة يستر الله عليك ما تحب ستره
ولا تصغ الى نصر ساع فان الساعي غاش وان قال قول نصيح وقال
ارسطاطاليس النميمة تهدي الى القلوب البغضاء ومن نقل اليك نقل عليك وقالوا
شر من النميمة قبولها لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء
كمن قبله وأجازه وقالوا من اكرم السعاة من نفسه اوحشوه واوحشوا
منه ابناء جنسه وقال المهلب ما الساعي باعظم عورة ولا اقبح حالا ممن
قبل سعايته ولا يخلو الساعي ان يكون حاسدا فلا يشفي غيظه او عدوا
فلا يعمل بما يخشى له عدوه فيما يتحدث به ولقد احسن بعض الشعراء الظرفاء في قوله

لا تسعين بين المسود مخافة • لو كان حقا ما يقول فانما

وقال السري الرفاء يذم نماما

أنم بما استودعته من زجاجة • يرى الشيء فيها ظاهرا وهو باطن

قال ابن وكيع في الغلمان يذم من سمي مشتهرا نوما كأنه القلام بين نمار

أنم من النصول على مشيب • ومن كاد الزجاج على عقار

وقال آخر يذم من يقال له نماما

وصاحب سوء وجهه لي اوجه • وفي فمه كف لسين تنصب
وكم ترى منه مجيبا بفتنة • ويسعى في هنيا وجسي يحطب
كما يدب الداج في كل منصل • يدب على ما كان منه ويشرب
مرتب في الناس لم تؤمن عقاربه • على الصديق ولم تؤمن افاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به احد • من اين جاء ولا من اين يأتيه

ولقد احسن محمد بن شرف القيرواني في قوله يصف نماما

وذا وجه نحو ابواه الورى اذنا • كالنحل يلتقط منها كل ما سمعا
يظل يلتقط الاخبار مجتهدا • حتى اذا ما وعاها رده ما جمعا

والنميمة والكذب رضيعا لبان وفي ميدان الرذالة فرسا رهان
قال ابو حيان التوحيدي الكذب شعار خلق ومورد وبل وادب سيء وعادة

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

فاحشة وقلّ من استرسل معه إلا ألفه وقلّ من ألفه إلا أتلفه وأوصى حكيم
ولده فقال يا بني إياك والكذب فإنه يزري بقائله وإن كان شريفا في أصله ويذل
قائله وإن كان عزيزا في قبيله وقال الأحنف اثنان لا يجتمعان المروءة والكذب
وقيل أوضع الرذائل بل أخسّها وأجمعها للذم والمخلفة واكثر ما كذب في الدنيا
واكثر ما خرج بأجل الأمر وهي من أعظم علامات النفاق وأقوى دلائله على دناءة
الأخلاق وإن عرا منه يوم قد مر حاملا على حاله وقد نبه إذا قال. وقال
أرسطاطاليس فضل الناطق على الأخرس بالنطق وزين المنطق بالصدق فلذا
كان الناطق كاذبا فالأخرس خير منه. وقالوا احذر مصاحبة الكذاب وإذا
اضطررت إليه فلا تصدقه ولا تعلمه أنك كذبته فينتقل عن وده ولا ينتقل عن كذبه
وقال شاعر. ما أحسن الصدق والصدوق قائله. وأقبح الكذب عند الله والناس
وقال بزرجمهر الكاذب والميت سواء فإنه إذا لم يوثق بكلامه بطلت فائدة حياته
وقال معاوية يوما للأحنف وقد حدثه أتكذب قال والله ما كذبت مذ علمت أن الكذب يشين
وقال بعض الأدباء عجبت من الكذاب المشيد بكذبه وإنما يدل الناس على عيبه ويتعرض
للعقاب بربه فالإثم له عادة والأخبار عنه متضادة إن قال حقا لم يصدق
وإن أراد خيرا لم يوفق فهو الجاني على نفسه والدال على فضيحته بفعاله.
فما صح من صدقه نسب إلى غيره. وما صح من كذب غيره نسب إليه. فيقال الكذب جماع
النفاق وعماد مساوئ الأخلاق. عار لازم وذل دائم يخيف صاحبه في نفسه.
وهو آمن ويكشف ستر المحتسب ترك لوعد الكذاب من أنشد المبرد في كامله

إن النموم أغطي دونه خبري . وليس لي حيلة في مفتري الكذب
لا يكذب المرء إلا من مهانته . أو عادة السوء أو من قلة الأدب

ويكفي في ذم الكذب قوله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
وأولئك هم الكاذبون وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الصدق يهدي إلى
البر والبر يهدي إلى الجنة والكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن يضعني الصدق وقلما يفعل أحب إلي من أن يرفعني
الكذب وقلما يفعل وقيل لا يجوز أن يكذب الرجل لصلاح نفسه فإن ما عجز الصدق
عن إصلاحه كان الكذب أولى بإفساده ويفرق من قال وأحسن

عسود

يجود لسانك من الصدق تحظ به . إن اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضي ما سننت له . في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

ويكفي في معرة الكذب أن من عرف به مقت إذا نطق وكذب وإن صدق قال
هرمس اجتنب مصاحبة الكذاب فإنك لست منه على شيء فيحصل وإنما أنت معه
على مثل السراب يلمع ولا ينقع وقيل لبعض الحكماء أي شيء الكذاب أو
النمام فقال الكذاب لأنه يختلق عليك والنمام ينقل عنك وقال الشاعر

لي حيلة فيمن ينم . وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول . فحيلتي فيه قليله

فائدة قال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط فقال له أبو حنيفة أما هذه
فواحدة أشهد عليك بها وقال الأصمعي لرجل كذاب أصدقت قط قال نعم
قيل له عجب قال خفت أن أقول لا فأصدق ومن ظريف أخبار الكذبة
أن رجلا من آل الحارث بن كلدة قال بلغني أن الحارث غضب يوما فانتفخ في ثوبه
فخرج من ثوبه أربعة أزرار فتقعقعت أربعة أعين من عيون جلسائه فقال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى . وأيدي الراقصات على عكاظ
لكذب ما يكون إذا أتى لي . وشر ما يأتي في غلاظ

وآفة الكذب النسيان كما ورد في الخبر المأثور والمثل المشهور قال الشاعر

إذا أعجب الكذاب بالكذب لم يزل . يرى الناس كذابا وإن كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه . وتلقاه ذا فهم إذا كان حاذقا

ومن مستقبح خلائق اللؤم اطراح اللسان البذيء والوجه الوقاح

قال النبي صلى الله عليه وسلم شر الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم
وقال علي رضي الله عنه ما استقبح رجلان إلا غلب الأتم وقال الأحنف
ابن قيس ألا أخبركم بأدوأ الداء الخلق الدني واللسان البذيء وقد تواصى
هم بقتال الحياء من قل حياؤه قل إيمانه وقيل من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة
عليه وقالوا من علامة البذيء الوقاح أن يستوي عنده الخير والشر ويستوي
لديه النفع والضر ويبني عزائمه على ما سولت له نفسه ويغتر أنه
على ما خيلت له بطنته وحرضته به علته من غير روية ولا تفكر ولا تثبت ولا

نزل بي حتى أن لا يجد من العشاء ولا يستحيي من العار، ثم قال: عليه عرضه فلا
عار عنده لازم، وترك التشبث به من المكارم. وقالوا: اللؤم تعز العدا حتمه
والوقاحة جُنّة، فوجهه صُلب، ولسانه ذَلِب. وقالوا: الحلاقة خيرٌ من الضعافة
وقال أبو حيان: إن الخصم إذا كان الحق من كبده والعناد مطلبه فلو يعلم معه ولو
خرجت إليه بيضاء. وإن تغلبت الصفاقة، قال بعض الشعراء يصف معاندا ويعيبه

ترى له معرّا أخلاق كأنه ** بدعّل أمثل الصواب موكل

وقالوا: الوقاحة في الرجل تدل على اللؤم نجر، وخساسة فرع، وقلة خير، وكثرة
شر. وقال يحيى بن خالد: إذا رأيت الرجل وقاحا قليل الحياء فاعلم أنه
مدخول في نسبه. وقال الشاعر: صلابة الوجه لم تغلب على أحد إلا تكامل فيه الشر واجتمعا
وذم بعضهم وقاحا فقال: البواب الكعاب أحر أوجههم فما عرف الأحشاء فيهم مثل ما عرفوا
وكان العبد في مثل ذلك وأقصر في نحوه

يا ليت لي من جلد وجهك رقعة ** فأقدّ منها حافرا للأشهب

وقال الناجم يصف وجها

لنا عرس مثلم من دوي ** ووجه ملطم من جلد بغل
أنشرت ناجم ليرى حسن الكفاية التغير في وقاح فصاح فقال
لعلّ الله خالقها وجودها ** فما أخطأ من الحوار قالا
لعن ملئت وجهها حياءً ** وغيّرت خلقها حتى استحالا
وجوه ليت لي منها حذاء ** وليت يعلين منها نعالا
ولام بعضهم على الوقاحة فقال: إن وجوه القباحة يجيء على طاعة الله تعالى ويحتج
لذلك فقال: ويلقفه الله كتابه ويلقفه ما استكتبه، ويحتج على قول المتكبر
ويبسم له معاماله بيجيء ثم انشد: إذا رزق الفتى وجها وقاحا تغلب في
الأمور كيف يشاء. وقال جعفر: الحياء وعليه وعلى إبداء الكرام العفة
والرحمة والإخوان أن الله يبغض الشباب الوقحاء المتحشمين وقال الشاعر

ترى يكون ثمنه كهيبا ** لم يخرج الطيب من جبينه
كل امرئ في تشبهه يعلّه ** وبرشح الكوز بما فيه
أصل الفتى يجمعه ويركبه ** من مغلة يظهر حاجبه

جماع ما يتخلق به الأرذال من قبيح الشيم وذميم الأفعال

قال بعض الحكماء: أربعة من علامات اللؤم: إفشاء السر، واعتقاد الغدر، وغيبة
الأحرار، وإساءة الجوار. وقال عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف: من
خلقه مثلكا وأبوك أن يحتج ما فيهم عيبا. فقال: أنا لجوج، حقود، حسود،
فقال عبد الملك: ما في إبليس شيء من هذه الخصال. فبلغ ذلك خالد بن
صفوان فقال: لقد انتحل الشر بحذافيره، ومرق من جميع خلال الخير وتلافى في ذم
نفسه وتجرد في الرذالة على لؤم طبعه، وأمرك في ملامة الحجة على كفه وخرج
من الخلال الموجبة لضربه. **وقال** أبو تمام

مشا وليس نسر على العواذل لست أعني إلا بالهلاك

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أربعة من كن فيه فهو منافق: إذا حدث كذب،
وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر. وقالوا: اللئيم كذوب الوعد خؤون
العهد قليل الرفد كثير النكد. وقالوا: اللئيم إذا استغنى بطر، وإذا افتقر قنط،
وإن قال فحش، وإن سئل بخل، وإن سأل ألحف، وإن أسدي إليه صنيع أخفاه، وإن
استكتم سرا أفشاه، فصديقه منه على حذر، وعدوه منه على غرر. ومما أخذ في ذم
عيب اللئام من قول أحمد بن يوسف الكاتب في سعيد بن مسلم
ابن قتيبة فقال: محاسنهم مساوئ الشعراء ومساويهم مدائح الشعراء، أيديهم
معقودة بالعهد وأيديهم معقودة بالبخل وإنهم أعراض الشعراء فيهم كما قيل

كلا يكبرون وإن كانت حياتهم ** ويكبر مخازيهم وإن بلدوا

وذم أعرابي قوما فقال: أولئك قوم سلخت أقفاؤهم بالهجاء، ودبغت
جلودهم باللؤم، فلباسهم في الدنيا الملامة، وفي الآخرة الندامة. وذم
أعرابي قوما فقال: هم أهل الضائرة نوبة إلى أعراضهم وأكثرهم تعريا على
أعراضهم، يحومون عن المعروف ويعكفون على الفحشاء. **وكان عيسى**
ابن فرخانشاه يتيه على أبي العيناء في حال وزارته فلما صرف عنها لقي أبا
العيناء في بعض السكك فسلم عليه سلاما خفيفا فقال أبو العيناء لغلامه:
من هذا؟ فقال: أبو موسى. فدنا منه حتى أخذ بعنان بغلته وقال: لقد كنت
أقنع بإيمائك دون بيانك، وبلحظك دون لفظك، فالحمد لله على ما آلت

إليه قد لذه طلبه كانت أحظى منه بالنعمة نعم أصابت منه النعمة وليس
كانت الدنيا ابن معاوية بالاحتيال عليها نعم الحمد لله بمحاسنها باله فبادر عنده
ولبس السنة إذا أعطاه ظاهراً وتكرر عليه ونهينا عن قوله الذي وعده بعفو الله أيام
حمل النعمة وما شكرها حق النعمة ثم أكملها بذلك من عنايته ورجع إلى مكانه فقيل
له يا أبا عبد الله نفر بلا لغة في الشبه فبكى ثم أذنب فقال سل الله في حاجة
أقل من قيمته من ذي عندها بأنفع من خلقته قال بعض الأعراب زينت بزرك
الولد فإذا أثيابه أحرار على أجسام عبيد أقبال حكمهم أدبار هكذا اللئام أخذ
هذا المعنى شاعر فقال أرى حللاً تصان على رجال وأعراضاً تذال ولا تصان

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

وسئل بعض البلغاء عن رجل فقال هو صغير القدر قصير الشبر عظيم الكبر
كبير الفخر يبدي الضرر ويبيع الفخر وسئل آخر عن رجل فقال لو قذفت على الليل
لؤمه لانطمست منه نجومه يكاد يعدي بلؤمه كل من تسمى باسمه وقال
حجاج بن هارون يذم رجلاً وإنه ما له في الشرف أسباب متنات ولا في الكرم
علامات لحسان وذم أعرابي رجلاً فقال هو عبد البطن حر الثياب عظيم
الرواق صغير الأخلاق الدهر يرفعه وهمته تضعه وذم آخر رجلاً فقال
أما الوجه فدميم وأما الخلق فذميم وأما الخيم فوخيم وأما العرض فزنيم
وأما الحسب فلئيم وقال الجاحظ فلان لا تنجع فيه الرقى ولا تنفع
فيه الحيل ولا يبرأ المريض ولا يجري له الذم ولا يحل له النفع ولا يؤلمه
التوبيخ ولا يرحم المظلوم فإن استرحمه زاده غيظه ولا يرق لعقيب وإن تعرض
له قتله جوعاً وقال آخر فلان غث في دينه قذر في دنياه رث في مروءته سمج
في هيئته منقطع إلى نفسه راضٍ عن عقله بخيل بما وسع الله عليه كنوم
لما آتاه الله من فضله فلا هو يجوع إن سأل الحق ولا عن أخلافه يكف
ينبع الهدى ساغ ولا يعرف حق الإله كافر وأنشد ابن فارس

إذا نسبت بزعمي الفعل خلقته تلاش المغلة الأمر أبلا تعلم

وقالوا فلان كالشجرة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب منتهاها وخبث
مجتناها وقال الشاعر يتغنوا قوم ما لنا ما

بين الكشوت قبلا أحلوا المتي ولا تسيبه ولا تحلونه ورد
حقوا من اللوم متن لوا طابع ضوء الشمس في ظلام الليل الأحق
لو جاء مجاز النزهة ما ابتلت أنامله ولو تخوضه لج البحر ما غرقوا

ومن محاسن التشبيه في الذم قول بعضهم فلان يروغ من الحق روغان الثعلب
ويثب إلى الذلة وثب الخنزير ويستسلم إلى عدوه استسلام الضبع
وينام عن الخير نوم الفهد ويخرج من الغرب جبن العصفور ويدب إلى الشر
دبيب العقرب ويخبط في الجهل خبط الناقة ومن التشبيه فلان له كبر
مخنث وحسن نابحة ونشر ضراد وذل قابلة وملق داية ومجلس كلبه
وحرص نباش ونتن جورب وعقله هص وحشة قرد وقال ابن حجاج في مثل
هذا نسيم حش وريح مغفرة ونعت أبغو نش مصلوب
ولا يهجوا عفا الله عنه

نعمة الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام
لا يليق الغنى بوجه أبي يعلى ولا نور بهجة الإسلام
وسخ الثوب والعمامة والبر دون والوجه والقفا والغلام

وقال ابن عبدون وبالغ في الهجاء

كم قال مستغفر لا حمر زانيه مالي أحول ومن عينيك الناظرا
ونحو من قلته يا زانيه سروهم فيمن يؤنبها وحرتي شزرا
سار يحكم في مثل ثوب له شاكرا أو ذاكرا أو ما سيرا أو جاحرا

وأخر أما الهجاء فدعو عن ضد دونه والمرء فيك كما علمت قليل
ما ذنب جانب لهلوع ضد انه عرض عرضت به وأنت ذليل

الفصل الثاني من الباب الثالث في ذكر الفعل والقبيح الرذيل على المؤمن الوضيع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مما أدرك الناس من كلام النبوة
الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت وقال الشاعر

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

وقالوا فلان لا يستحي من الناس ولا يحتشم أن يكون من أهل الخبر كلمة

صلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد وآله

كلمة سوء لم تنتصب إلى الأبد ولو وقعت تعنتاً لما وقعت إلى الأبد وسئل
معاوية عن السفلة فقال هم الذين يسرهم فعل سوءهم وكذا نسبت معروفا
كما قال بعض الأعراب وقد سئل عن رجل فقال عليه في كل يوم قيامة من
فعله تشتد عليه بلوم أهله وشماتة أهل أذاه فقال اعزل من شماتة الرجال
وقال بعض الصالحين أفعال اللئام شهود لمعايبه وكان مروان بن أبي حفصة
اللئيم يسر في قوله وإذا أجملت عن أمر في اعراضه واصونه فما نظر إلى ما يصنع
وسئل محمد بن الحسن عن السفلة فقال من يحمل بقطعة الحجام ويجلس في الكرى
بعد العتام وقال الأصمعي السفلة هو الذي لا يبالي بما قال أو قيل له وقيل
ليحيى بن أكثم السفلة من الذي يعيبه ما صنع وقال أبو مسلم الذم د د
الأعراض عرض من يتخ فيه مرح وكلام وسمع الأخفش رجلا يقول لا
أبالي مرحت أو ذممت فقال يا هذا استرحت من حيث تعب الكرام د د د

فيمن يقال له من خلع في اللؤم الرسن الكنايات بالقبيح عن الفعل الحسن

من أمثال العرب في ذلك الكمي من ناشرة وذلك أن همام بن مرة كان قد
أخذ ناشرة من أمه لما مات أبوه وضاقت بن بينه ذرعا فرباه واحسن إليه
فلما بلغ ناشرة الحلم أتى شيئا قبيحا فنهاه عنه فتركه حتى نام واغتاله
ومن أمثالهم في قبح المكافآت جزاء مجازاة سنمار وذلك أن سنمار
الرومي بنى الخورنق للنعمان بن المنذر بالحيرة في عشرين سنة وتأنق فيه فأعجب
النعمان حسنه وإتقانه فقال للسنمار هل يمكنك أن تبني أحسن من هذا
فقال لو علمت أن الملك يعطيني ما أعطاني لبنيته بناء يدور مع الشمس
حيث ما دارت فقال وهل كنت تبني أحسن من هذا وما بنيت فأمر به فألقي
من أعلاه وقيل بل قال ما أعجب ما صنعت في هذا البناء قال أن فيه لبنة إذا
نزعت تساقط جميعه فخشي النعمان أن هو لم يمنعه ينزع تلك اللبنة فيسقط
النعمان على من فيه فيقتلهم فجعل ما ذكرناه **وأغار جذيمة بن مالك**
الجعفي على بني الغبر فاستاق منهم إبلا فلحقوا فلحقه الأغر فتكلموا
فيه فلم يقدروا عليه ولا قتلوا إليه ثم إنه ذكر إبلا كانت لبعضهم عند مجلى
ما كان في بيكر ودي منصرفا فنادى وقال والدا أما مغارة وكلما،

معتق

معتق وقد فعلت جميلا فنازلته الرماح والحجاب فنزل فلما الكمان وسكر أخذته
سنة فنام فوثبوا عليه وقتلوه ومما يستغرب منه ويستعجب ما أنا حاكيه
في هذا الباب ويستغرب لما حارب الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
برز من أصحاب عبد الرحمن عبد الله بن سوار الحارثي في طلب المبارزة فبرز
إليه بعض أصحاب الحجاج فقتله عبد الله ثم عاد فطلب المبارزة فقال الحجاج
للجراح بن عبد الله الحكمي اخرج إليه فخرج فقال له عبد الله وكان صديقا له
ويحك يا جراح ما أخرجك قال ابتليت بك قال فهل لك في خير قال الجراح
وما هو قال انهزم لك فترجع إلى الحجاج وقد أحسنت عنده وأما أنا فاحمل
مقالة الناس في انهزامي حبا لسلامتك فإني لا أحب قتل مثلك من قومي
قال افعل فحمل الجراح على عبد الله فاستطرد له عبد الله وتبعه الجراح د
يريد قتله فصاح بعبد الله غلام له وكان ناحية عنه وكان معه إداوة
وقال له يا سيدي إن الرجل يريد قتلك فعطف على الجراح فضربه بعمود على
رأسه فصرعه وقال له يا جراح بئس ما جزيتني به أردت لك العافية
وأردت قتلي انطلق فقد تركتك للقرابة التي بيني وبينك فلحقنا ما فيه
التعليل قصد أبو بكر الخوارزمي الصاحب بن عباد وقد مدحه بقصيدة قال فيها

• وما قلعت كفاه إلا لأربع • عوائد لم تخلق لمن يتلاه •
• لتقبيل أفواه وتنويل نائل • وتقليب هندي وأخذ عنان •

فلما بلغ إلى هذا البيت قال له لم تذكر القلم وهو آلة الكاتب وبه نقوم
ورأس مقال القصيدة مرحها بما جاء منها قوله

• بدا ثم لما أبدا فوق بر وتحت دم • ما قلعت بنان ألا لسيف وقلم •

فخلع عليه كل ملبوسه وخلع عليه كل من كان في مجلسه ما كان عليهم من الثياب
موافقة للصاحب فحصلت له مائة جبة فلم يرض ذلك وانصرف فهجاه بقوله

• لا تمدحن ابن عباد ولو مطرت • كفاه بالجود حتى جارت الديما •
• فإنها خطرات من وساوسه • يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما •

وانتهى أن مات الخوارزمي فعقب قوله لمن كان مبيتا فلما بلغ الصاحب موته قال

• سألت بريدا من خراسان مقبلا • أمات خوارزميكم قال لي نعم •

فعلت اكثروا بالحجر من موت قبلي ان الله تعالى الرحمن يكرم النعم

وممّا قرأ على خشبة نجار البيمار الغرور بمن لو كثر اليه ولستنيبه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة رفع لكل
غادر لواء وقيل هذه غدرة فلان و قالوا من نقض عهده ومنع رفده فلا خير عنده
و قالوا الغدر يضلع بكثير من الوالدين ولا عز لمن لا وفاء له و قال شاعر

اخلف بمن صحت الخيانة شيمة ... ان يعتري الا همّ بعد هواه
ما زالت الادواء تلحق بعدهم ... ابدا بغادر ... قنا كثيب

و قالوا الغدر من معنى الغدر و يقال من تعدى على جار دل على لؤم نجار ذكر
ان عيسى عليه السلام مر بانسان يحفر حفرة ومعه تعول له والله لتسقطن فيه
عنه لا تحفر عليك تحفه انصحه بما فيها فمضى عيسى وعاد فوجد الحفيرة جوبة
الرجل محبوسة فقال لمن وجد اني ما كنت تعول فيه ما كنت بالروح الله انه حلف في
و غدر وان شر غدر الا فتاك من سيء **وقال علي** رضي الله عنه الوفاء باهل الغدر غدر
والغدر باهل الغدر وفاء ومن الناس في الغدر عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس
ابن معدي كرب فان عبد الرحمن غدر بالحجاج وكان ولاه بلاد خراسان فخرج عليه وادعى
الخلافة وقاتله فكانت بينهما ثمانون وقعة اخرها دير الجماجم فاستعلى عليه وغدر
محمد بن الاشعث باهل طبرستان وكان عبيد الله بن زياد ولاه اياها فصالح اهلها
على ان لا يدخلها ثم عاد اليهم غادرا فاخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه ابا بكر وغدر
الاشعث بن قيس ببني الحارث بن كعب غزاهم فاسروه ففدى نفسه بمايتي بعير واعطاهم مائة
وبقيت عليه مائة فلم يؤدها لهم حتى جاء الاسلام فهدم ما كان
في الجاهلية وكان قيس بن معدي كرب وهو ابو الاشعث اخذ مغرم في اخر يوم
من رجب وكان يوم الجمعة فقالوا انه لا يحل لنا القتال في يوم السبت فلا خير منهم
ثم كان صبيحة السبت فاتلهم فقتلوه ومن مراجيعته وغدر معدي كرب بقوم كان
بينه وبينهم عهد الى اجل فغزاهم فاخذ نعمهم فقتلوه وقتلوا بطنه وملئوه
بالحصا **وممّا يدخل في هذا الحسب والضيافة دخول المرء في اهمال الخيانة**
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا
عهد له وقال صلى الله عليه وسلم لا تزال امتي بخير ما لم تر الامانة مغنما والصدقة

مغرما

مغرما و من الحكايات في هذا الباب ما يحكى ان شهر بن حوشب وكان من جلة العلماء واصحاب
الحديث ولي بيت الخراج فوضع في بيت المال يفتقر على الحراس واخذ منه ومعاوية
ثلاثة فعبث الخزانة فقدم من عدده ما خريطة فاعلم الخازن بذلك فعاقبه فقال
بيتي محسوبة ولا تسلوا عن اخذها وفيه يقول الشاعر

لقد باع شهر دينه بخريطة ... فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

كان للمأمون خادم يلي خاص ثيابه فكان يسرق ثيابه فبلغ ذلك فقال له اذا اسرقت
تاتيني بما تسرقه فاشتري منك قال فاشتري مني واشار الى ثياب بين يديه فقال بكم
تبيعه قال بدينار فقال ردها على ان لا تسرقها قال نعم فاعطاه دينارا ولم يخرج الخادم
قبيح شيئا لما رأى من حلمه عنه **وقال المنصور** لعامل بلغه عنه خيانة يا عدو الله وعدو
امير المؤمنين وعدو المسلمين اكلت مال الله وخنت خليفة الله فقال يا امير المؤمنين
نحن عيال الله وانت خليفته والمال مال الله فما بال نأكل اذا قحطنا منه واطلقه
وامر ان لا يولى عملا بعدها **سرق** رجل من مجلس انوشروان جام ذهب وهو يراه فلما
فقد الشراب قال والله لا يخرج احد حتى يفتش فقال انوشروان لا تتعرض لاحد
فقد اخذه من لا يرده ورآه من لا يتم عليه **ووقع** بعض الخلفاء على قصة رجل فقال جعل الله
لنا كشف احوال الناس ورحاء العسكر فتعبت مجدد وان تسلفت فستور وان استلبت فجراءة
وان خونت فارض ولا كنت ابوه وقعت جزا وتنبيها سوء ولتتبين كل حبس نفسي فيه الى
الشاد على اسوال العباد **واودع** بعض التجار عند ما في معرة النعمان وديعة وغاب
عنها مدة فلما رجع اليها طالبه بها فانكرها فتشفع اليه بروساء البلد في ردها فلم
يرد اليه حتى اخرج بها وادعى انها سرقت من حرز فاستحلفه فحلف فعمل فيه ابو
العلاء المعري الشاعر المعري ابياتا منها

لا يحفل الخائن العقبى اذا ادعى ... عدم الوديعة من خفير المودع
ان قال قد ضاعت فيصدق انها ... وقعت ولكن منه اشنع موقع
وان عويمر الخائن عندهم ... اذا وقع الجحود يطلقوه
واضيع ما يكون الحق عندي ... اذا خرج الخصم على اليمين

وقال آخر

اذا طلبوه بالعقوبة تحنثهم ... ينادي كيصفي لا يخفى النفوس
وان طلبوه باتعاب تغرد رأيه ... تخيلهم غيب الله غير معتنى

وإن أطعته بالعدل زاد ثناء على خير ما كانت كأن لم تبدل

ومن الصنيع الدال على لؤم الأصول من كان بسبب جوره على العباد يقول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم
أعتى الناس على الله وأبغض الناس إلى الله وأبعد الناس من الله رجل ولاه الله
تعالى من أمة محمد شيئا ثم لم يعدل فيهم وقال سفيان الثوري لأن تلقى الله بسبعين ذنبا
فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد ويقال
من طال عدوانه زال سلطانه ويقال الظلم يسلب النعم ويجلب النقم ويقال يوم
المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم وقالوا من ظلم من الملوك فقد
خرج من كرم الحرية والملك إلى دناءة العبودية والهلك ويقال ليس أسرع من تغيير
نعمة وتعجيل نقمة من الإقامة على الظلم وفي الخبر يقول الله تعالى اشتد غضبي على
من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري وقال بعض الحكماء شر الملوك الذي يأكل الضعفاء
وقال أبو منصور الثعالبي أحرى بالملك الظلوم أن يجني عنه ثمرات الغرور مع فقد
الأبرار وقالوا الظلم أسرع الأشياء إلى تبديل النعم وتعجيل النقم من الجور إلى الزوال وكان
ومن أمثال العرب الظلم مرتعه وخيم وقالوا أسد حطوم خير من وال ظلوم كان زياد ابن أبيه ممن
استكفاه بجوره وعسفه في ولايته على أمير المصرين والكوفة فلما ذاق من ثمرهما كبرت
عليه نفسه واستقلهما فكتب إلى معاوية إني قد ضبطت العراق بيميني وبقيت
شمالي فارغة فجمع له معاوية الحجاز واتصلت ولايته بالمدينة فاجتمع أهل المدينة
إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذوا بالقبر يسألون الله تعالى دفع ولايته عنهم
ورفع عبد الله بن عمر يديه وقال اللهم اكفنا شمال زياد كما كفيتنا يمينه فخرجت في
يمناه بثرة فشاور شريحا في قطعها فقال له لك رزق مقسوم وأجل معلوم وإني أكره إن كانت
لك مدة أن تعيش أجذم وإن حم أجلك أن تلقى الله مقطوع اليد فإذا سألك لم
قطعتها فتقول بغضا للقائك وفرارا من قضائك فلما خرج شريح من عنده لامه
الناس فقال إنه استشارني والمستشار مؤتمن ولولا أمانة المشورة لوددت أن الله
قطع يده يوما ورجله يوما وسائر أعضائه يوما يوما وزاد شيء في بعض الأيام فلما
خرج من عنده قال له مسروق كيف تركته قال تركته يأمر وينهى قال وما قولك
فإذا الموت تركه يأمر بالوصية وينهى عن البكاء عليه ومات في ثالث رمضان سنة ثلاث

وخمسين

وخمسين وكان مولده عام الهجرة وقبره بأرض الكوفة وسنأتي على نبذ من مولده ونسبه
فيما يلي هذا الفصل إن شاء الله تعالى **ومن المعروفين بالعسف والعنف**
يوسف بن عمر الثقفي ولي هشام بن عبد الملك العراق وكان شيخا نامي الوجه أحمق
عنيدا أسفا كان للدماء سفاكا بالظلم والعسف ولما ولي الأمر بالعنف قبض على عبد الله
القسري فبسط إليه حتى هجم عليه وعذبه فتعرض على جسر فقتله من أجل ما أخذ ثم رقى المنبر
وقال يا أهل العراق إن الحجاج كان ذئبا وأنا أسد ولعلي أشد عليكم بالكلام
العامة يجر ذيل الثواب وأتابكم والتابعة لو شد العقاب وقد أعذر من أنذر ثم نزل وحكي
عنه أنه دخل دار الضرب فعاير درهما فوجده ناقصا فضرب فيه دون من والصناع
عشرة آلاف سوط وكان الفضل بن مروان وزير المعتصم كالغاشم متيقنا بالظلم
متجبرا متكبرا كان المعتصم يقول الفضل بن مروان أسخط الله وأرضاني فسلطني
الله عليه فدخل عليه الهيثم بن فراس الشاعر متظلما من بعض عماله متظلما من
وعسفه ولم يجد عنده فخرج من عنده وهو يقول

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر ♦ فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم ♦ أبادهم التغيير والموت والقتل
فإنك قد أصبحت في الناس ظالما ♦ ستؤذى كما أوذي الثلاثة من قبل

فلما سمع الفضل أبياته قال ما الذي عنى بقوله فقيل له إنه أراد الفضل بن يحيى
والفضل بن سهل والفضل بن الربيع فتغير وجهه ولم يلبث إلا أياما يسيرة
حتى قبض عليه وحبسه فقال بعض الشعراء أبياتا يشير فيها على الفعل
الفضل المتفقة مبانيها المختلفة معانيها ونعم ما أبدع فيها وأجاد

نصحت بأخلاق النصيحة للفضل ♦ وقلت بحسن المقالة للفضل
ألا إن في الفضل بن يحيى لعبرة ♦ إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضل
وللفضل في الفضل بن سهل مواعظ ♦ إذا اتعظ الفضل بن مروان بالفضل
إذا ذكروا يوما وفرحت رابعا ♦ فكن ساعيا في السعي منك إلى الفضل
فأبق جميلا من حديث تكونه ♦ ولا تزع العرف وكن أقرب للفضل
فإنك قد أصبحت في الناس مثلهم ♦ وحين مكافأة الفضل والفضل والفضل

من أبيات كثيرة أثبت منها على ما مست الحاجة إليه ووقع الاختيار عليه وقاله

شاهدة بنكبته *

* لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها * ميتا وإن كان ذا عز وسلطان *
* يكفيك من عبر الأيام ما صنعت * حوادث الدهر بالفضل بن مروان *
* إن الليالي لم تحسن إلى أحد * إلا أساءت إليه بعد إحسان *

ومما يحكى عن البلغاء ما قاله للمأمون فقال يا أمير المؤمنين ما ترك فضل الله بضعا ولا ذهبا إلا ذهب به، ولا علقا إلا علقه، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا غلة إلا غلها، ولا عرضا إلا عرضه، ولا دفينا إلا دفنه، ولا رفيعا إلا أزاله، ولا جليلا إلا أجلاه، ولا ماشية إلا امتشها، فضحك منه وخرقه عن أهل بلاغته

ومما بعض عامله وكذبه فقال والله ما أدري في الغنم ما بقيت من أبيه إلا ميتا الفاجر ولا المشوش في العزوبة المتبعة إلا من الفاحش ولا يزيد جودا لا يتم في أمثل من سرابه غاية ابنه إلا من السنين والحصر بغير والتشريد والفاحش ولا من عوج حريب إسراء بل إذا فاجلته به إلا من التملك كلمة المغيرين ومما يحكى أيضا عاملا فقال كان يجبي خراج الوجهين ويأخذ جزية الشمد ويطلب زكاة الملائكة ويمنع جمع الريح وبرد العنبر على الماء، وحصر الحصا وكيل التراب وتحصيل الهباء. ومن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم نفر حلت المصيبة نجوم نزلت بهم وقدح البديع الهمذاني قاضيا ووصفه بالبخل فقال ما خرّ لا شاء من عيش أعزل من السكر والجام ترى به إلى الحكام ولا تورى أصره من بعض الذي يرض على الخبز ولا يشبعه أحب إليه من غمرات الخصوم على الكيس المختوم ولا أكيل أحق به من المنديل والحبق وفقر التطلع والتقتير وأسهم لوزاء البنيم وقع بيراقبا بالأسود بل يبرأ ابا بالسود كما قال سلامته منهم أنبهى من سلامته من أصحابه وما ألطف قول بعضهم في الذي أنشد في المجلس ويبيع الدين بالثمن البخس وهو رجل لا يتعب إلا خراب الدار ونماء ركن لا ينفع إلا على الطعام وذنب لا يغتفر عبادة الله إلا بين الركوع والسجود ومحارب لا يذهب مال الله إلا بين عروة والشنوة وقيل لبعض الأعراب أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما فقال لا لكن أنبل وجهه وأن حال ما عز إذا كان في خلقته سويا قويا ثم تستعر وأنشأ يقول زمن ابن سلمى

* ومن لا يذد عن حوضه بلسانه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم *

بسلام

ومن

ومن خلايق من رغب عن المكارم اللفاء المحتشمين والتكالب على المحارم

يحكى أن نصر بن سيار رضي الله عنه كان شريفا في قومه وموصلا فقال له أصبح شريكه فقال أبو الفضل لو لم أحسن شريفا لم تكن أنت والي خراسان، وكان يزيد ابن معاوية يلقب بالسكران لكثرة انهماكه على الشراب، ولقب أخطل بن الحجم بلقبه أن المسور بن مخرمة رضي الله عنه بلغه شرب الخمر فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلد المسور حد الخمر فجعل يقول المسور: أتشربها صرفا تفر دنانها * أبو خالد ويجلد الحد مسور * وكان له قرد يكنيه بأبي قيس يحضر مجلس شرابه ويطرح له متكا ويسقيه فضلة كأسه واتخذ له أتانا وحشية قد ريضت له وذللت وصنع لها سرج ولجام من ذهب يركب بها عليها ويسابق بها الخيل يوم الحلبة فجاء يوما سابقا وتناول القصبة التي من النهاية ودخل الحجرة قبل مجيء الخيل وعليه قباء وقلنسوة من الحرير الأحمر وفيه يقول بعض شعراء الشام

* تمسك أبا قيس بفضل عنانها * فليس عليها إن سقطت ضمان *
* ألا من رأى القرد الذي سبقت به * جياد أمير المؤمنين أتان *

كان أمير المؤمنين الوليد بن يزيد بن عبد الملك ماجنا زنديقا مستهترا مستخفا مستقيما بالخاصة والعامة مدمنا للخمر منقطعا باللهو واللعب عاكفا على ارتكاب المحارم مشتغلا بغفلته عن النظر في أمور المسلمين والقيام بحقوق الخلافة وأمور المملكة وأحوال الرعية وفيه يقول القائل

* تفرغ الخلفاء بالأمر الجليل * وأصبحت الرزية للمرتبين *
* تشاغل عن رعيته بلهو * وخالف قول ذي الرأي السديد *

ذكر ثقات المؤرخين أن الوليد أذن يوما للصلاة وهو مع امرأة فأمر جارية من حواشي جواريه أن تعمم وتتلثم وتصلي بالناس وهي جنب على هيئة الصلاة وهلك بهم وبلغ من تهكمه بالشريعة أنه كان يبعثه في رمضان والنساء من حوله بذلك ما يقال أنه من شعره

* ألا من مبلغ الرحمن عني * بأني تارك شهر الصيام *

وقوله:

* أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر *
* نشربها صرفا وممزوجة * بالسخن أحيانا وبالفاتر *

وحكي أنه استدعى الشعبي أن يحضر مع رأس المدينة واقتبسه سراويل من جلد قرده

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

لذنب واقترح عليه صوتا من شعر ابن قيس فغنى وأعطاه الف درهم وقيل انه لما دخل عليه أخرج له ذكره منعظا وقال له هل رأيت مثل هذا قط فقال يا أشعب له سجد ويروى انه تفاءل يوما في المصحف فخرج له قوله تعالى منه فجرح مورد نعلى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فقال

أتوعد كل جبار عنيد ۞ فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر ۞ فقل يا رب مزقني الوليد

السبب في قوله هذا انه تفاءل في المصحف فخرج له ولعنه من نظر ومن نعوت أبياتا فتح المصحف ينظر فيه فاتفق يخرج له فخرج له واستفتحوا ومن قوله في المصحف فعلقه بحبل وجعل يرميه بالنبل وهو يقول تقول في الحساب ولست أدري أحقا ما تقول من الحساب

فقل لله يمنعني طعامي ۞ وقل لله يمنعني شرابي ۞ تلاعب بالنبوة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب ۞ فمنعه الله طعامه وشرابه كما أراد في مقاله وسلط عليه من قتله ومثل به أقبح أمثاله فقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة بالنخيل وهو موضع على ستة أميال من تدمر وقد من العمر اثنتان وأربعون سنة وقيل تسع وثلاثون واشهر وكانت مدة ولايته سنة وشهرين وعشرين يوما وحمل رأسه الى دمشق وعلق بها وطيف به ولم يزل رأسه معلقا على الجدار الى ان فرغ الملك سنة خمس عشرة وما بعدها ومن أشعاره المستحسنة في الخمر

اشرب شراب علانية ۞ لذ المروءة زانية

اشرب بحرية واسقني ۞ حتى أنام مكانية

ودع التستر وانسيا ۞ فجماعة من شانية

وبعضهم: ليت حظي اليوم من ۞ كل معاش لي وزاد

قهوة أبذل فيها ۞ كان لي وتلادي

فيحل القلب منها ۞ ماله في كل واد

انما ذاك فلاحي ۞ وصلاحي ورشادي

وكان والبة بن الحباب من خلعاء الشعراء المشتهرين وهو الذي ربى أبا نواس وأدبه ويحكى عنه انه كشف يوما عن جبته فقبله فضرب على جبينه فقال له

ويلك

ويلك ما هذا فقال أما سمعت المثل جزاء سهيل البوجعاء في كمد قد زاد كلامه عجبا به ويحكى ان جماعة اجتمعوا في مجلس لمطيع بن اياس يشربون الخمر فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام فقال لهم يحيى بن زياد وهم سكارى ويحكم ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا حتى نصلي فقام مطيع فأذن وقال للمغنية تقدمي وصلي بنا واقرئي في صلاتك على القلب اذا بالحجارة ثابت وثابا فتقدمت وصلت وكانت بلا سراويل وعليها غلالة رقيقة فلما سجدت جميع جسمها فلما سجدت انكشفت ستها وبراهنها فوثب ابن مطيع وقبلها ثم قال

ولما بدا منها حيالها ۞ كرأس حليق ولم يعتمد ۞ سجدت عليه مقبلة

كما يفعل العابد المجتهد ۞ فقطعوا صلاتهم بالضحك وعادوا الى شربهم عنه وعرضوا انفسهم لما حذروا منه ومن أشعارهم قول أبي نواس

ألا انما الدنيا غلاء وكعاء ومراغ

فلا ذا أبالك هذا على الدنيا السلام

فيوشك انهم ونحسا ووبالا عليهم ونكسا الى ان تعلموا ان الذين امنوا ويعلم سرهم ونجواهم ولا كرهم الا ضلالا حتى كشفوا انه اضلال فتبرئنا الذي سنة الخجلة بعكسه الكبائر عنه والمنام من العمل ما يجوز بلا حرج الى قيام الساعة امين وللـه در من قال اذا المرء جاز الاربعين ولم يكن له دون ما يأتي حياء ولا ستر فدعه ولا تنكر عليه الذي أتى ولو جر أسباب الحياة الى القبر

ومن خلا بن العربي في الوضاعة آخر التعبير بالتكبر والرقاعة

قال بعض البلغاء الكبر من أخبث سرائر القلوب وأعظم كبائر الذنوب كم يرى صاحبه الله بها غليظا وكم يرى له من سواء في الفضل حظا حقيقا وكفى به شيمة مشؤومة وخلة مذمومة ان ملكت الا كان حربا وقربا وصار الكبر من الرجال ذميما ملوما ويكفي في ذم الكبر قول الله تعالى سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عيينة رحمه الله منعهم الفهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وقال عمر ما وجد أحد في نفسه كبرا الا لمهانة يجدها في نفسه وقال الشافعي أظلم الناس لنفسه اللئيم اذا ارتفع جفا أقاربه

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل. وقال أبو مسلم: ما تاه إلا وضيع ولا فاخر إلا لقيط ولا تعصب إلا دخيل. وقال أزدشير بن بابك: ما الكبر إلا فضل حمق لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه إلى الكبر. وقال الشاعر:

وقل لمعتصم بالتيه من حمق ... لو كنت تعرف ما في التيه لم تته

التيه مفسدة للدين منقصة ... للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقال آخر:

رأيت الفتى يزداد نقصا وذلة ... إذا كان منسوبا إلى العجب والكبر

ومن كان بالعجب مركبه مسندا ... فإني رأيت العجب من مغني الفقر

وكان يقال: من حمل من نفسه فوق قدر غيره أحمل، ومن أنف من حمل نفسه أفضى إلى حمل غيره. وقالوا: ألا تعجبون لعجب بعض شباب الكتاب. وقالوا: من قل عقله كثر عجبه. وقالوا: من أراد أن يحكم من حاله ما صار إلى كبر ونزع عن أعلم الناس أنه دون تلك المنزلة، ومن أراد أن يعلم حاله أعلمهم أنه فوق المنزلة دونه وأنه دون ما يستحق. وقال معاوية بن أبي سفيان: التواضع مع البخل والجهل أزين بالرجل من الكبر مع البذل والعقل، فيا لها حسنة غطت على سيئتين كبيرتين، ويا لها من سيئة غطت على حسنتين عظيمتين. وأنشد لأبي محمد بن محمد عمر بجانب رأسه النخوة تنفيه:

وسعت غرانة الرياسة في الكبر ... فأصبح ممقوتا به وهو لا يدري

يجر ذيول العجب كالباب رفعة ... ألا فاعجبوا من كاتب أرفع بالعجب

ومن الظريف ما يحكى من أفحش الكبر عن قرك وكلهم بالتعجب مغرور، وهو أن المهلب بن أبي صفرة مر على مطرف بن عبد الله وهو يتبختر في جبة خز فقال: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله. فقال المهلب: أما تعرفني؟ فقال له: ومن أنت؟ قال: أنا المهلب. قال: نعم أعرفك، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. ونظم بعضهم هذه الكلمات فقال:

عجبت من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة قذرة

وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في اللحد جيفة قذرة

وهو على تيهه ونخوته ... ما بين جنبيه يحمل العذرة

ولآخر:

يا مظهر الكبر إعجابا بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريب

لو

لو فكر الناس فيما في بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب

يا ابن التراب ومأكول التراب غدا ... أقصر فإنك مأكول ومشروب

ومن ظريف ما يذكر من أخبار المتكبرين ما يحكى أن علقمة بن وائل الحضرمي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قدم عليه من وفود العرب، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معاوية أن ينطلق به إلى منزل رجل من الأنصار ينزل عنده، وكان منزله بأقصى المدينة. قال معاوية: فخرجت معه وهو راكب ناقته وأنا أمشي في ساعة حارة فحفيت بشدة الرمضاء وليس لي حذاء، فقلت له: أردفني خلفك، فقال: لست من أرداف الملوك. قلت: إذا أعطني نعليك. قال: ما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فقلت: فألبسني نعليك. قال: يتعبك ما ترميه ولا كرامة تشرف بلبس نعلك ذلك، فإن الظل لك كثير. قال معاوية: فما نسيت مثل ذلك اليوم قط، والله لقد أفضته إلى حجري ثم أدرك سلطانه فلم أؤاخذه بل أجلسته معي على سريري. ويحكى أن عمارة بن حمزة وكان متكبرا جدا دخل على المهدي، فلما استقر في مجلسه قام رجل كان المهدي قد أعده لذلك فقال: مظلوم يا أمير المؤمنين. قال: من ظلمك؟ قال: عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي، وكانت من أحسن ضياع عمارة. فقال المهدي: قم فاجلس مع خصمك. قال: يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم، إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين. فلما خرج الرجل وانفض المجلس سئل عمارة عن صفة الرجل وما كان تظلم منه وأين كان موضع جلوسه فلم يعلم. وكان من تيهه أنه إذا أخطأ يمضي على خطئه تكبرا عن الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة، الموت أهون منه. وقال أبو جعفر الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب: إن عمارة كان أعور، وكان ممن استعمله المنصور على الخراج وكور دجلة والأهواز وكور فارس، وولي المهدي ذلك أيضا. وكان محمد بن يزيد بن حبيب ورب المستنطع بالله متكبرا كثير الكبر يكاد يعد كلامه عدا، وكان إذا كلم رجلا كلاما لم يفهمه منه ذلك الرجل بكلامه. ومن الكبر المستبشع والتيه المستشنع أن معن بن زائدة مرت به امرأة فقالت: يا عبد الله كيف الطريق لمكان كذا؟ فقال: يا هناه أمثلي يقال له يا عبد الله. ويحكى أن أبا نواس دعا إنسانا يكلمه فلم يجب

كلامه دعابة، وتمضي به استقراءً لفكاهته وانشدت لبعض المتكبرين مفتخراً

أتيه على جن البلاد وإنسها ... ولو لم أجد خلقاً لتهت على نفسي

أتيه فما أدري من التيه من أنا ... سوى ما يقول الناس فيّ وفي جنسي

فإن زعموا أني من الإنس مثلهم ... فما لي عيب غير أني من الإنس وكان ابن

طاهر، أيا الذي في الفخار مع الفخر ... زانه الكبرياء والجبروت

نسج داود لم يفد ليلة الغا ... ر وكان الفخار للعنكبوت

وبقاء السمند في لهب النا ... ر مزيل فضيلة الياقوت

ووصف ابن ربيع العراقي متكبراً فقال كان الدنيا خاتم في خنصره والسماء خلخال في

رجله وكان الشمس تطلع من جبينه والغمام يبرق من يمينه وكان كسرى حامل

غاشيته وقارون وكيل نفقته وقال آخر كان الحجب سقيفه والبرج رفيقه والنجم

أليفه والفلك حليفه ولبعض المتكبرين على الكبر والمحاباة بمقال التواضع

يكسب المنزلة والحمد في الكون في المواضعة بوجب المهانة وأنفس

وتغنيك الحا كرهها ما نشأت نفس عليك بل تلقى لها الزمن مكرما

وقال في معناه صالح بن عبد القدوس

إذا ما أهنت النفس لم تلف مكرماً ... لها بعدما عرضتها للهوان

إذا ما أهنت النفس هنت عليهم ... كما أنه من يكرم الناس يكرم

وأكرم بنفسي أن أتيه افتخارها ... وحقيق لم تكرم على أحد بعدي

والعجب الخطيئة الفتيحة التي تحمله النفوس وتدعو صاحبه إلى تيه وحمق

ومن قول بعض الشعراء في أبي الفضل العباس بن الحسن وقد أفرط في تيهه

بالغ في تيهه وأعجبه أني عباس أبا الفضل ... يرى الناس أقزاماً أراكه

تراه يرى تيه ومن نخوة ... كأنه لكاليه ليس كذلك ومن مختار

الغريب في شعر أهل المغرب قول أبي بكر يحيى بن سهل اليكي

فما نال فضلاً في العقيدة وعرسه ... وفتناه والتغيير في الخلق الثقيل

تباك وتزين فعلها مثل فعله ... وإن بدله يوماً حتى بدلت تستحي

وتكذب أحياناً وتحلف حانثاً ... وتكبر تغطيراً ومن شرق تبرق

وعاشق والذنب ميسانه ... إذا أذكرت لم يبق للشيخ منطق

وقال

وقال جعفر بن ... يهجو سعيد بن مسلم بن قتيبة

أبا سعيد لم ولدته ... ملوثاً بالكبر والتيه

تبيت إذا جئت به منكرا ... حتى تنبه الكلب

وفي هذا قول منصور متكبر

يا قليل الخير مغموراً بالصلف ... وأبي في الغي فرهاز الشرف

كن بخيلاً متواضعاً تحتمل ... أو سخياً يحتمل منك الصلف

آخر فيا من حلى مجففاً وما زلت متكبراً ... وما جن دنيا بالتكبر والبخل

فلو كان عندي البخل مثل تواضع أو التكبر جوده سني من الفعل

وقال آخر لست روح الله عيسى ... ولا أنت ابن عيسى

كلم الناس بالرفق ... من كلم موسى

آخر كبر بلا نسب، تيه بلا حسب، مجد بلا أدب، هذا من العجب

واعتذر متكبر عن كبره بقوله وما أوجبه في الناس وكم بر وكم كرم وجمع في الكرام

عن نجل. المستقر الذي هو فيهم وكان فيه إذا أنه هو فيه التاج من يعض

وينسبها إلى بطول هذه الأبيات

تحيت عن أهل هذا الزمان جميعاً ... أرفع نفسي حين منهم رأيتنا

وذلك ضعفي لأني رجل ... أعرف نفسي وأعرف الناس

عففت بنفسي من ملكهم أبداً ... وملت عيبي واستشعر الياسنا

تعرض حر ملكها ملكها ... فرعا للعفو تباعسا

وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني

يقولون في مثله انقباض وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما

إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من في الأرض أرضاه منعما

أنهنها عن بعض ... مخافة أقوال العدا فيم أو لما

وما زلت منحازاً بعرضي جانباً ... من الذم أعتد الصيانة مغنما

ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا طمع صيرته لي سلما

ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي * لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة * إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

الفصل الثالث من الباب الثاني في أن من تعلق باللوم انتفع وعلا على الكرام من لا نفع

قال سعيد بن المسيب الدنيا نذلة تميل إلى الأنذال وقال عبد الله بن المبارك لو لم يكن في الدنيا إلا أنها لا تفي بعهد ولا تزال تكون لنذل في ذلك مقنع لهوانها على الله تعالى وقال الشاعر في ذم الدهر وسوء معاملته لسراته وسفهائه لئن الكواكب حسبة أنه يجري إلى ما ركبت له ينتقض وسيد كل دانية كالدعائم فلما أن الكامل ماستوى رفائعه وترى الرفاع يرى له وقعادة وقال الآخر

راعيت الزمن يرفع كل وغد * ويخفض كل ذي شيم شريفة
كمثل البحر يغرق كل حي * ولا ينفك تطفو عليه جيفة
أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذي زنة خفيفة
وقال آخر دهر علا قدر الوضيع به * وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتطفو فوقه جيفه
رأيت الزمن بالأنذال يكبوا * ويرفع رأية القوم اللئام
كأن الدهر من نذل حسود * يطالب حقه عند الكرام

وقال أسامة بن منقذ

شغل الزمان بأهل النقص يرفعهم * حتى يتم الورى ما خص نوا
فالعالم رفع لباع الناس متوعل * في المكارم وأبطال مختفي
وقال آخر يا دهر حابيت اللئام ولم تزل * أبدا لأبناء الكرام معاندا
وعرفت كالميزان ترفع ناقصا * أبدا وتخفض ما كان زائدا
وقال آخر عجبا للزمان يرفع قوما * ما دريه ويمنح المال نوكا
فهو مثل الميزان يرفع ما خف * ويبقى في الموازنة سفلا
وقال آخر قل للزمان من المكارم عطل * يا قبيح الفعال جم الجفا
كم رفيع حططته من يفاع * ووضيع رفعته للثريا

ولغيره من الآخر في قوله

سالت

سالت زماني وهو بالجهل مولع * وبالجهل مجموع وبالنقص مختص
فقلت له هل من كريم يرى النهى * فقال كم يجاري الوقاحة والنقص

ويقال ارتفاع الدنايا بالرفعة إلى التسامي وإذا ارتفعت الأراذل تملكته الأماطل وقال قيس بن زهير أربعة لا يطاقون عبد ملك ونذل أثرى وأمة ورثت وقبيحة تزوجت وقال أزدشير في انتقال الدول أمر من رفع وضيع الأصل من رتبة شريفة فإن الوضيع إذا ارتفع تكبر وإذا افتقر استطال وإذا تكبر صال وقالوا سوء الخلق وطياشة العقل وإذا انعقد العتب على الرجل في شرعية تغلبه وبلوغ الوضيع فيه من الدولة بأن غاية أربه رجع إلى قول البكري الخوارزمي الذي ورد به شرع الإنصاف وحسم فيه ثورة العقلاء مادة الغلاب فإنه قال من عجيب الدولة تلك والصحابة ولا كبير مع الغفلة والكآبة وإنما الدولة أنثى تكبر بالنبات ومهنة تغير وتنقح بمنكبها والنظر بلا تلبية والترشيح بمجلس فيه ولا عمال بالعمال كما أن النساء بالرجال ويوهن خوته ومما حكي أن الرشيد بلغه أن موسى بن عيسى الهاشمي وكان أميرا على مصر من قبله عازم على خلعه فقال والله لأعزلنه بأخس من على بابي وقال ليحيى بن خالد اطلب لي كاتبا عفيفا يصلح لعمل مصر واكتم خبره فلا يشعر به موسى حتى يفجأه فقال قد وجدته قال من هو قال عمر بن مهران وكان كاتبا للخيزران وكان أحول مشوه الخلق خسيس اللباس فأحضره وكتب له كتابا بخطه إلى موسى بتسليم العمل إليه فسار ولم يكن معه غير غلام أسود اسمه أبو دره على بغل استأجره ومعه خرج فيه قميص ومبطنة وشاشية وطيلسان وخف وبغل ووصل إلى مصر ونزل خانا فأقام فيه ثلاثة أيام يبحث عن أخبار البلد وعمن فيه من العمال وأخبر من استوثق به ممن كان بجواره في الخان أنه من يوسي مصر واستعمل منهم كاتبا وحاجبا وصاحب شرطة وقال لأخيه بيت المال وأمر من تبعه ووثق به أن يدخلوا معه على موسى إذا اجتمع الناس فلما اجتمعوا من كنت في دار موسى فرغوا على الديوان فلما أتى جاؤوا إلى باب موسى فأذن موسى للناس إذنا عاما فدخل في جملتهم ومر أبو دره وموسى جالس في دسته والقواد بين يديه وكل من نصيب حاجته نيحضر وعمر جالس والحاجب ساعة بعد ساعة يقول له ما حاجتك وهو يتغافل حتى خف الناس فتقدم وأخرج كتاب الرشيد ودفعه لموسى فقبله ووضعه

صلى وسلم على سيدنا محمد وآله

على عينه ورأسه ثم سجد وقرأه فانتقع لونه وقال السمع والطاعة ثم قال أفرأيتا
حفص السلام وقل لذكر بعض حتى نتحرك منها وأنا من الجند بين يستقبلونك قال
أنا عمرو بن مسعدة وقد أمرني أمير المؤمنين أن أقيد للمنابر وأدفع المظلوم منه وأنا
فاعل ما أمرني به أمير المؤمنين فقال له موسى أنت عمرو بن مسعدة قال نعم قال نعوذ بالله
من هون حيث قال المتنبي في بلد مصر وأقرب المجلس فقبض على الديوان فبلغ موسى
الخبر فنزل عن فرشه وقال لا إله إلا الله ما كنا نخوض الساعة ما كنت أن أحرز
بلغ من الحيلة والحزم ما بلغت تسلمت مني العمل وأنت في مجلسي ثم نهض عمرو إلى
الديوان ونظر فيه وأمر ونهى وعزل وولى وكان يجري فوق ما بمعونة الخراج ويكتب وينم
فأمضى أشرهم من أربعة بكتابه فاستعمله ثم بكتابة الثانية فاستعمله فلما كان في
الثالثة فاستعمله فحلف إيمانا من كره بهذا بيان الله في بيت المال ببغداد ووكل
به من استحفظه إلى بغداد فخاف الناس من مثل ذلك فلم يتكلم من الخراج بعد ما ذهبتم
وإنما ذكرنا من الحكاية لما فيه من التنبيه على أن الرتبة التي أهلها إذا أوتينا أو
العزم الحقيقي والتصرف التسبيبة لم يكون ذلك فاه جانب فلا تنها ولم يتغير اتّنا
عن حالتها وإنما ذلك بحسب ما ينظر إليها الزمان فربما نظر إليها بعين سعد
أو نظر إليها بحرمان فإن سعدت ولينا من هو أكبر منها وإن حرمت تولاها من حرمه
السعد منها فمن قال المراتب السنية هم ذوو الأعراض الرفيعة ونقتصر
منهم على ذكر ثلاثة وهم زياد والحجاج بن يوسف وأبو مسلم وإنما اقتصرنا على هؤلاء
لأنهم أقاموا دولة من كانوا نوابهم من الخلفاء فزياد لمعاوية والحجاج لعبد الملك
ابن مروان وأبو مسلم لبني العباس فأما زياد فقيل فيه زياد بن أبيه وقيل زياد بن
عبيد الثقفي وقيل زياد بن سمية وقيل زياد بن أبي سفيان وإنما قيل ابن أبيه وابن
سمية لاختلاف الناس فيمن ينسب إليه وسمية كانت عند كسرى فوهبها لأبي الخير
قيل من أقيال الملوك حمير ملوك اليمن فوصل بها الطائف فمرض فعالجه الحارث بن كلدة طبيب
العرب فنجع فيه فكتبه فوهبه لك سمية فولدت له نفيعا ويكنى أبا بكرة ونافعا ثم كانت
تحت عبيد صعصعة بنت عبيد بن أبي سرح من علاج الثقفي وكان يسمى عبيد أبو ولدت لسمية
زيادا ويقال إن أبا سفيان واقعها على كره منها في حال سكر وكانت بغيا فحملت منه
بزياد وقالت لعبيد الله إنه ابن أبيك فكان عبيد الله يكنى به وروى أبو عمر بن عبد

البر

البر أن أبا سفيان أن زيادا اشترى عبيدا بألف درهم وأعتقه فكان يغبطه بذلك
وأما السبب في إضافة أبي سفيان زيادا إلى نفسه واعترافه به فما ذكر أن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه بعث زيادا في إصلاح فساد وقع في اليمن فلما رجع من وجهته خطب
خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص والله لو كان هذا الغلام قرشيا
لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله إني لأعرف من وضعه في رحم أمه
فقال له علي رضي الله عنه ومن هو يا أبا سفيان قال أنا فقال له علي مهلا يا أبا
سفيان أبا اسكت عن هذا الكلام فقام وأنشد

أما والله لولا خوف شخص ... يراني يا علي من الأعادي
لأظهر أمره صخر بن حرب ... ولم تكن المقالة عن زياد
ولا كنى أخاف حتف كعب ... لما نعم ونعتق عن بلاد
فقد كانت مجاملتي ثقيفا ... وتركي فيهم ثمر الفؤاد

وكانت من أبي سفيان فلتة من ذلك الذي حمل معاوية على إلحاق زياد بأبي سفيان وذلك
في سنة أربع وأربعين وشهد عنده زياد بن أسماء ومالك بن ربيعة والمنذر بن الزبير
على إقرار أبيه أبي سفيان بذلك وكان أبو بكرة يقول والله ما رأت سمية أبا
سفيان قط ولما ألحق معاوية زيادا بأبيه دخل مروان بن الحكم عليه فأنشده قول
أخيه عبد الرحمن ألا أبلغ معاوية بن صخر فقد ضاقت بما يأتي يدان

أتغضب أن يقال أبوك عف ... وترضى أن يقال أبوك زان
فأشهد أن رحمك من زياد ... كرحم الفيل من ولد الأتان
وأشهد أنها حملت زيادا ... وصخر من سمية غير دان

وهذا الشعر يروى لأبي بكرة ويروى أنه ليزيد بن مفرغ الحميري وأوله

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... مغلغلة من الرجل اليماني

وقال يزيد بن مفرغ

إن زيادا ونافعا وأبا ... بكرة عندي من أعجب العجب
هم رجال ثلاثة خلقوا ... في رحم أنثى وكلهم لأب
ذا قرشي كما يقول وذا ... مولى وهذا ابن عمه عربي

وهذا يشير إلى أن الثلاثة أولاد الحارث بن كلدة وتنزيه تبعوا عباد بن زياد

أعياه ما اللؤم عنده محول * وكم نتاج من فرعيه ولا أب *

وقل لعبيد الله مالك والدٌ * بحق ولا يدري امرؤ كيف ينسب *

وسأل رجل عامر بن شراحيل الشعبي هل تجوز الصلاة خلفه وكان يتولى فقال نعم منذ
ثلاثين عاما نصلي خلفه ونرجوا من الله القبول يعني زيادا وقال زياد لرجل يا ابن
الزانية فقال أتعيرني بشيء شرفت به أنت وأبوك قال الدميري فهو زياد
البصرة مع أخويه أبي بكرة نفيع ونافع وهو غلام وكان يكتب بالقلم العربي
والفارسي فاستكتبه المغيرة بن شعبة وأجرى له كل يوم درهمين درهم على القلم
العربي ودرهم على القلم الفارسي ثم ترقت به الحال وكملت مراتبه وانتمى
أمره الى أن ادعاه معاوية أخا وولي فارس لعلي رضي الله عنه ثم احتمل مالا
ومضى به الى معاوية وجمع له معاوية العراقين وهو أول من جمعا له وجمعا بعده
لولده عبيد الله ولمصعب بن الزبير ولبشر بن مروان أخي عبد الملك وللحجاج بن يوسف
وليزيد بن أبي كبشة وليزيد بن المهلب ولمسلمة بن عبد الملك ولعمر بن هبيرة وليزيد بن
عمر بن هبيرة ولم يجمعا لأحد غيرهم ممن ولي في أيام بني أمية ومنهم كليب ثقيف
الحجاج ذو البلاء في سفك الدماء والحجاج ولؤم الحجاج من قبل رضاعه ومكاسب آبائه
قيل إن أم الحجاج واسمها الفارعة بنت مسعود الثقفية كانت قبل أن تتزوج
يوسف عند المغيرة بن شعبة فدخل عليها يوما حين أقبل من صلاة الغداة وهي
تتخلل فقال يا فارعة لئن كان هذا التخلل من أكل اليوم إنك لنهمة وإن كان من
أكل البارحة إنك لقذرة انصرفي ما أنت لي بزوجة فقالت سمعت عنك ما هو من ذا
ولا من ذاك ولكني استكت فتخللت من سواكي فاسترجع ثم خرج فلقي يوسف
ابن الحكم أبا عقيل فقال إني نزلت اليوم عن سيدة نساء ثقيف وهي بالحضرة فتزوجها
فولدت له الحجاج مشوها لا دبر له فنقب دبره وأبى أن يقبل الثدي من المراضع
وأعياهم أمره فيقال إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة وأشار
عليهم أن يذبح جدي أسود ويولغوه دمه يوما وفي الثالث يذبح له تيس
ويولغوه من دمه ويطلوا وجهه ففعلوا ذلك فأقبل على ثدي
أمه فيما كسبه الرضاع الأول لؤما والرضاع يغير الطباع فكان في كبره سفاكا
للدماء فلما بلغ أشده صار هو وأخوه معلمين بالطائف وفيه يقول مالك بن الريب

بيجوا

بيجوا الحجاج عليه من الله ما يستحق *

تلذذ بقوم وأن كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد إياد *

زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادي *

وقال آخر: بركب تعليم الصبيان *

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر *

رغيف له فلكة ما ترى * وآخر كالقمر الأزهر *

هكذا رواه جميع الاخباريين والصواب ما ذكره ياقوت الحموي في كتاب البلدان
له قال الكوثر قرية بالطائف كان الحجاج معلما بها وأنشد هذا على ذلك

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه صبية الكوثر *

وعلى هذا يكون اسمه كليبا وهو الذي وسمه به ومن قرأه منه الوضوح وقال آخر

كليب تمالكم في أرضكم * ومن كان فينا عظيم الخطر *

ورأيت في بعض كتب التواريخ أن الحجاج لما احتضر قال لمنجم كان عنده هل ترى
ملكا يموت قال نعم ولست به إذ أرى ملكا يموت يسمى كليبا قال أنا والله كليب
بذلك كانت أمي تسميني ومما يؤيد ما ذكرنا من لؤمه ما كتب به إليه عبد الملك بن مروان
لما أراد قتل أنس بن مالك من عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما
بعد فإنك عبد طمت بك الأمور فعلوت فيها حتى عدوت طورك وتجاوزت قدرك وركبت
داهية إدا وأردت أن تروزني فإن سوغتكها مضيت قدما وإن لم أسوغكها رجعت
القهقرى فلعنك الله أخفش العينين منقوص الجاعرتين أمسح الرجلين ممسوح
الجاعرتين أنسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم فاذكر
مكاسب آبائك بالطائف إذ كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحفرون
الآبار بأيديهم وايم الله يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب لأغمزنك غمز الليث الثعلب
ولأركضنك ركضة تدخل بها في جحر أمك فإذا أتاك كتابي هذا فكن لأنس كالعبد
من عبيده وإلا أتاك مني سهم مثكل بكل نبأ مستغرق وفوق كل علو
ووصفه الحسن البصري فقال إن الخبيث أعمش جحظ في مشيته ويجعل
فيقوم عليه حتى تفوته الصلاة كم من الله يبغض وكم من الناس من يبغض فوقه الله وتحته
ما بينه الصفا وقد برده ثم يقول له ما بال الصلاة أيها الرجل قال معبان ذو

وأحسن
دون ذلك الشبع والسوءة وفيه يقول الأحمر بن سالم

ثقيف تحاباه من ثمود وما لهم ❊ أب ماجد من قيس عيلان ينسب
وأنت دعي يا ابن يوسف فيهم ❊ زنيم إذا ما حصلوا متذبذب

ويقال إن الحجاج كلبته فمضت إلى بيت جاءت عليه فقتله وأحرقه ودراكي الغوى وجرى بينه وبين بعض الخوارج مشاجرة فقال له إنما رغبتي لولا كرسي لوم أخيك الله أنه ونرمثلك لكنا كأجام به فقتل. وقال الحجاج يوما لعبد الملك لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذاك قال لم تلدني أمة بيني وبين حواء إلا تاجر فقال له عبد الملك لولا تاجر لكنت كلبا من الكلاب. وأولاد ولد يوسف ثقيف تبا له قلما وإنما استعملها من جمع عنها ولم يرض مما مضرب به المثل فما لوا أمته من قبائله على الحجاج وأولادهم وحيكم إلى روح بن زنباع ونفي ما الغي من أمره معه وكيفية وصوله إلى عبد الملك في الجلوة لما ننه من السنن كره في كتاب أخبار الظرفاء وذخائر الحكماء كلامه له في حياء الموحدين في شيب تولية الحجاج العراق وقال العتبي لما اشتدت شوكة أهل العراق على عبد الملك بن مروان خطب الناس وقال إن نيران أهل العراق قد علا لهيبها وكثر حطبها فجمرها حار وشهابها وار فهل من رجل ذو سلاح عتيد أبعثه لها فقام الحجاج فقال أنا يا أمير المؤمنين قال ومن أنت قال الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عامر فقال له اجلس ثم أعاد الكلام فلم يقم أحد منهم غير الحجاج قال كيف تصنع إن وليتك قال أخوض الغمرات وأقتحم المهلكات فمن نازعني حاربته ومن هرب مني طلبته ومن لحقته قتلته أخلط عجلة بتأن وصفوا بكدر وشدة بلين وتبسما بازورار وعطاء بحرمان وما على أمير المؤمنين أن يجربني فإن كنت للأوصال قطاعا وللأرواح نزاعا وللأموال جماعا وإلا فليستبدل بي فقال عبد الملك من أدب وجد بغيته اكتبوا له كتابه. ويقال إنه لما صار إلى روح وكان من جملة شرطته فشكى عبد الملك بن مروان إلى روح أن عسكره لا يرحل برحيله ولا ينزل بنزوله فقال روح يا أمير المؤمنين إن في شرطتي رجلا من ثقيف فقال له الحجاج فيه كفاية وفطنة فلو كلفته النظر في ذلك لقام به فقال عبد الملك قد وليناه فلما قام بذلك في العسكر يخبر بذلك مكانه بغير تخلف عن الرحيل والنزول فطاف ذات يوم في العسكر وقد رحلوا إلا

بعض حاشية روح مر بهم الحجاج فوجدهم جلوسا يأكلون فقال لهم ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين فقالوا يا ابن اللخناء انزل وكل وقل فضولك فقال لهم هيهات ذهب ما كنتم تعرفون ثم أمر بهم فضربوا بالسياط وطوفوا في العسكر وأمر بفساطيط روح فأحرقت فدخل روح على عبد الملك وذكر له ما فعل الحجاج فطلبه فلما جاءه قال له ما حملك على ما فعلت قال وكأني فعلت شيئا قال ومن فعله قال أنت يا أمير المؤمنين لأن يدي يدك وسوطي سوطك وما عليك إلا أن تخلف لروح فسطاطا مكان فسطاط يا أمير المؤمنين ولا تكسر حرمتي فيما قدمتني له فأعجب أمير المؤمنين قوله فاستحسنه وثمن جوابه وسداد قوله وأخلف لروح ما أتلفه وكان ذلك سبب اعتناء عبد الملك بالحجاج وتقريبه له

ومنهم ذو الأصل الزكي والنفس الأبية أبو مسلم صاحب الدعوة العباسية كان أبو مسلم واسمه عبد الرحمن بن مسلم عبدا لعيسى بن معقل فباعه بعده لإدريس جد أبي دلف واسمه قاسم بن عيسى بن إدريس بن العجلي وكان فيما قاله يجالس إدريس في الكوفة وأبو مسلم معه يخدمه فرأى بكير بن ماهان من أبي مسلم حزما وكيسا فقال لإدريس ما هذا الغلام فقال مملوك لي قال تبيعه قال هو لك قال بكم قال هو لك بلا شيء فأعطاه أربعمائة درهم وأخذه وبعث به إلى إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المنعوت بالإمام فدفعه إبراهيم إلى موسى السراج فسمع منه وحفظ عنه وما زال مترددا بينهما وذكر في تاريخ أن أرسله إبراهيم بالدعوة لبني العباس وذلك في سنة ثمان وعشرين ومائة وله من العمر اثنتان وعشرون سنة فقدم إلى خراسان يدعو الناس إلى طاعتهم والمبايعة لهم في أول يوم من رمضان سنة تسع وعشرين فنزل في قرية من قرى مرو وبث دعاته فقال الناس رجل من بني هاشم منكم له حلم ووقار وسكينة فانطلق فتية من أهل مرو من سعاك كانوا يطلبون العلة إلى أبي مسلم في عسكره فسألوه عن نسبه فقال خبري خير لكم من نسبي ثم سألوه عن أشياء من الفقه فقال إن أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ونحن إلى عونكم أحوج منا إلى إجابة مسائلكم فاعفونا فقالوا والله ما نعرف لك نسبا وما نظن إلا ستغلب علينا وتقتل ثم انصرفوا

عنه وكان كذلك ومن الدليل على الشؤم أصله ما نقم عليه أبو جعفر المنصور وهو أنه كتب إليه عندما مات [illegible] تم له أمر الدولة وانقادت الناس إليه بالطاعة والدولة يخطب منه الشيعة بيت علي بن عبد الله بن عباس وزعم أنه عليه [illegible] عبد الله فقال له المنصور عند [illegible] بعد [illegible] لما أراد قتله لقد أردت [illegible] لا أم لك من [illegible] على نفسك أن [illegible] ثم ترغب في بنات العباس [illegible] عليه أيضا أنه كتب إليه أبا [illegible] الله وإياك [illegible] بنفسه في أمرها ولما أراد المنصور قتله استشار مسلم بن قتيبة في ذلك فقال لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فقال حسبك يا أبا أمية قد أصبت الغرض ثم استدعاه ولم يأذن لأحد معه فلما دخل عليه مجلسه سأله أشياء تتعلق [illegible] جعل يذكر له [illegible] التي نقمها عليه وهو يعتذر عنها ثم ركضه برجله فوثب عليه الحرس فقتلوه وأخرج إلى [illegible] بالجوائز والخلع فتفرقوا [illegible] ثم [illegible] إليهم فتفرقوا وقالوا [illegible] بالأمر [illegible] وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائة وكان [illegible] على [illegible]

وفيه يقول أبو دلامة واسمه زند بن الجون يهجوه

أبا مجرم ما غير الله نعمة ... على عبده حتى يغيرها العبد

أفي دولة المهدي حاولت غدرة ... ألا إن أهل الغدر آباؤك الكرد

أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى ... عليك بما خوفتني الأسد الورد

وقد تقدمت ترجمته وكيفية ما فعله المنصور في الجملة الثالثة من التذكرة التوجيهية وخطب المنصور عند قتله فقال أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ولا تسروا غش الأئمة فإن أحدا لا يسر منكرا إلا ظهر ذلك عليه في فلتات لسانه وصفحات وجهه وتبادر [illegible] إنا لن نبخسكم حقوقكم ولن نبخس الدين حقه عليكم إنه من نازعنا عروة هذا القميص أوطأناه [illegible] الغمد وإن أبا مسلم بايعنا على [illegible] ولم ينفعه [illegible] [illegible] عليه ولما قتل أبو مسلم [illegible] من [illegible] تسمى الخراسانية [illegible] وقالوا [illegible] انتقلت من أبي هاشم عبد الله

إلى أبي محمد بن الحنفية ثم إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بوصية أبي هاشم ثم انتقلت من محمد إلى ابنه إبراهيم ثم من إبراهيم إلى أبي عبد الله السفاح ثم منه إلى أبي مسلم ومن [illegible] من اعتقد بموت أبي مسلم ومنهم من يقول إنه حي [illegible] انتقلت إليه وهم على انتظاره ويقولون إن الذي قتله المنصور شيطان تصور على صورة أبي مسلم وإنما [illegible] الثلاثة دون غيرهم لعظيم ما ارتكبوه من الجرائم التي نهى الله عن فعلها وأكثر [illegible] منها وبالغ في الوعيد عليها وهي قتل النفس بغير حق واستباحة [illegible] وهذا [illegible] مثله [illegible] أهل الكتاب [illegible] إلى الله المرجع والمآب ومما ينبغي أن يلحق بهذا الفصل [illegible] من أهل [illegible] الكرام [illegible] اللئام [illegible] على [illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة وفي [illegible] الكرام في اللئام كالنقط في جبهة [illegible] وقالوا [illegible] حتى [illegible] قال [illegible] بن عادياء

تعيرنا أنا قليل عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا ... عزيز وجار الأكثرين ذليل

حكي أن المعتصم لما أراد [illegible] من أصحاب المراتب أن [illegible] الحسن بن سهل [illegible] حاجبه [illegible] ويبكي [illegible] فقال [illegible] الملوك [illegible] وقال ابن المعتز إذا أخرجت الدولة وجها [illegible] بالأخبار [illegible] علي بن الحسين بن علي [illegible] هذا المعنى بقوله

إذا الأمور [illegible] ... [illegible]

كذلك [illegible] ... [illegible]

وقال أبو [illegible] يحيى بن [illegible] المعروف بابن أبي زياد الكاتب البغدادي وهو [illegible] حتى [illegible]

وكذا [illegible] ... [illegible]

ومن أحسن ما ورد في هذا الباب ما [illegible] الشعر [illegible] أرباب [illegible]

السموءل بن عادياء

إذا أخرجت الدولة وجها زوالها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا إلا وضعه
ولا يضع شيئا إلا رفعه وقال بعضهم لا تنظروا إلى خفض عيش الملوك ولكن
انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقالوا لا يفرح عن الولاية بزوال العزل
وخيال العزل كملاك الخيال كنت معلس على خافقة اجبر ما فيه ولي تراجعني
وإنما الدنيا دول كراحل قيل نزل ونازل قيل رحل وأنشدت لأبي العتاهية

رب قوم قد تغدوا في نعيم ، زمنا والعيش ريان غدق ،
سكت الدهر زمانا عنهم ، ثم أبكاهم دما حين نطق ،

ولما عزل قتيبة بن مسلم وكان على رياسة بني تميم قال شاعرهم يسليه من أبيات

ما أنت من عزلت فلا تجبب ، فللشمس تجلوها الغمام ،
إذا الولاية لا تتم لسواهر ، إن كنت تنكر ذا فأين الأول ،
لا تجزعن بملكك وال معزل ، وكما عزلت فعن قليل تعزل ،

ومن أحسن ما قيل في تسلية معزول قول محمد بن يزيد لأبي موسى ملك بن كمون وأجاد فيه يقول

لئن تمادت أضحت مجتمع الحمد ، وراعي المجد والعلياء عن كثب ،
وأنت حينئذ أناس فيها وبيته ، ودمعت ما بين الغوانية والريش ،
بكا تحسب لا أعراء عن بك مغنما ، جاز إلى لا صرار عاقبة الورد ،
وما كنت إلا كالسيف جرده الوغا ، فأجرى سلاه ثم عاد إلى الغمد ، وقال آخر

يا محمود إن عزلوك كان سبب الصبح لا ترى ، فالآن لا يغيرك لا عزال ،
لم يعزلوك لأعمال عنه ولا نا ، عزلوا العقاب عن الأعمال ،

لما نقل أبو جعفر الوزارة بعد ما عزل خلوا في جماعة العمال على أعمالهم ولم يعزل
إلا عيسى بن ماهان فقال ،

عزلت وما خنت فيما وليت ، ومن قاد قوما ولم يعز لوا ،
ومن ذا يرى أعلى أمثل ، تولى ويعزل لا يعقل ، وقال آخر
يا رب وال ومعزو ، لا يعرفون المناصب ،
ولي ما يعزل من أسف ، لمن ومولى المناصب وقال آخر
إن لا يحبهم الملك ، يحمي أميرا بغير تكبر له ،
لا عتاب سلطانه إلا ما ، ولا كانه في سلطانه فضله ،

ابن العتاهي وتلك العزل يحمد كل يوم ويبقى في قفا الوالي المولى وقال آخر

كم تائه بولاية ، وبعزله ركض البريد ، سكر الولاية طيب وخمارها صعب شديد

أبو خاب يمين تراه العيوج العرق يا بن زيادة

لا تفخرون بملوك دولة ، أهله الدهر منهم فوته رقبته ،
واعلم بأنك يوما تورثه ، لا يرضاه هكم إبا كما زال ليبينه ،
سار ومسرعوا هو موشى ونادم ، لولا الوزارة لي بما غير للحجنة ، وقال آخر
تنح عن الوزارة لا تردها ، فكل الخير فيها لا خير فيه
ألست ترى وزيرا كل يوم ، يباع متاعه فيمن يزيد عابر الخبر
للدهر إقبال وإدبار ، وكل حال بعدها حال ،
وصاحب الدنيا عاجلة ، والدنيا بالأماني أعجال ،
وكم أبلت الدنيا وكم جددت ، منى وكم تفنى وتغتال ،
تنشر أعراء بلا نعمتي ، مقطع أسباب ووصال ،
لا يبلد الشرة عن ضرب وكد ، ينكر في حاله ولا ماله ، وقال آخر
ما اختلف الليل والنهار ولا ، دارت نجوم السماء في الفلك ،
إلا لنقل النعيم من ملك ، قد انقضى ملكه إلى ملك ، ومن العجب

ما يحكى من تنقل الأحوال وتعرض النعمة للزوال أن نقل الفضل بن الربيع كان
تحمل على العباس بعد ما نزل في زنبيل وفيه اد وبيت نحلته ينتقل من مكان إلى
مكان ورد نقل الحسن بن سهل في زنبيل فيه نحلاه وفيها واسكن أبا ثم رد
نقله على العباس بعد ما قال بعضهم ،

متى المقادير تجري في أعنتها ، فاصبر فليس لها صبر على حال ،
يوما تريك خسيس الحال ترفعه ، إلى السماك وكدرا تخفض العالي ،

وسمع أعرابي يقول من أغنى لو كان أنه غني وعلا لو كان أنه بلا ونجا لو كان
أنه شفا قيل له في الجهم بعد ما هو رمانه في زوال نعمته فقال لا بد من الزوال
ولا نزول وأبغي خير من أزول وتبقى وقيل لبعض الأعراب صف لنا الدهر فقال
موهوب لما سلب سلوب لما وهب كالصبي إذا لعب وهذا قيل الفخر مع
الأمر خير من الغنى مع الخوف وتغيير أبو جعفر المنصور على وزيره أبا أيوب

الى زمانه فقال الا ليتني لم ادر ما قدر ابنه وكنت بادي عيشة انا بيرا ضيا
وراكت علوا لمن تدعوا بخطابه وتبغى تشبيه الجهال مركانا جيا
وقال بعضهم مسليا عن الحكمة وتسويغ حمولة ومطله

لعمرك ما الحمول الا تغطل خائن — ولا كل شغل فيه للمرء منفعة
ان كانت ولا ذراع في الغرب والنوى — عليك سواء فاغتنم لذة الدعة
وان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى — الا رب ضيق في عواقبه سعة
وقال
الى كم يحول الشيء ما نع — لا تطلب الذكي في المنابح
فلم يزل الغبي يخبر — ما لم تشي نحو لا ما بخ

ابو مطلة يقول عمر ما ذكره وقطعت بيره

زمان بتر وعيش مر — ولا من بكرى بالآلة تبر
وحال بلاء وهم يتوب — ودنيا تنادي بدار التنيتر حر ولد
واحسن ما تشتعل البلوى — على النائبات حلم وصبر
ولد في كل ما يذلني والبلى — ولا ولا حمد الله وشكر

الباب الثالث في العقل وفيه ثلاثة فصول الفصل الاول

من هذا الباب في مدح العقل وفضله وشرف مكتسبه ونبليه

قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد اختلف الحكماء في حد العقل فقالوا قولا كثيرا لا يشبه على ما هي عليه من حقيقة معانيها وصحة مبانيها وقال عمرو بن العاص العقل ان تعرف خير الشرين وشر الخيرين وسئل الحسن بن سهل ما حد العقل فقال الوقوف عند كل شيء قولا وفعلا وسئل اخر فقال كرهها في الشهوات والتلمح في الحركات وما يكون وما دام في الفهم النافع التجربة وقيل لحكيم ما مقدار العقل فقال ما لم يكن ملاما في واحد فما يوجد له مقدار وما لا يكل شيء غاية وعاقبة وحد العقل لا غاية له ولا حصر ولا كس الناس فيها وانوه فيه كتفاوت الا زمان في الحياة والطب واختلفوا ايضا في ماهيته كما اختلفوا في حده فقال بعضهم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور في البصر وهو البصر فالعقل نور في القلب والبصر نور في العين يتفاوت بزيادته ونقصه ويفقد وعمى القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لا تعمى

حد العقل

ماهية العقل

الا مجاز ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال النبي صلى الله عليه وسلم قبض الا عمى من عمى بصره ولكن الاعمى من عميت بصيرته فكما يرى بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور العقل كثيرا من المحجوب والمستور وقال بعض الحكماء العقل غريزة لا يعرف احد ان يضعها في نفسه ولا في غيره ولا يعرف الا بالافعال الدالة عليه وعلى كل حال فلا سبيل ان يوصف بجسم ولا لون ولا طول ولا عرض وقال عبد الله بن عمرو بن عتبة بن ابي سفيان المعروف بالعتبي العقل عقلان عقل تفرد الله بصنعه وهو الاصل وعقل يستفيد المرء بادبه وهو الفرع فاذا اجتمعا قوى كل واحد منهما صاحبه كتقوية النار في الظلمة النور اخذه من هذه الابيات ونسب الى امير المؤمنين سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه

رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع — ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع

ويفهم من مجموع ما ذكرناه ان العقل في القلب وهذا القول هو الموجود في جميع الكتب والمعلوم من مذهب الائمة قال الله تعالى افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل ما تعرف به بين الحق والباطل وقال بعضهم هو في الدماغ واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه وقال عمرو بن العاص يشغر الغلام لسبع ويحتلم لاربع عشرة وينتهي طوله لاحدى وعشرين وينتهي عقله لثمان وعشرين ويبلغ اشده لثلاث وثلاثين وما بعده الا تجارب قال بعضهم كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب وقال بعض الحكماء اربعة تحتاج الى اربع الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال بعضهم

اذا لم يكن عمر الفتى في غنى التجارب — اجادت له الايام في كيدها عقلا
وقال المتنبي
وما استغربت عيناي شيئا رأيته — بعد ما عوج الشيب قفا ثني

ومما اخترناه من احسن الكلم واسناها في العقل اشرف المواهب واسماها
قال عبد الله بن عباس دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها يا ام المؤمنين ارايت الرجل يقل قيامه ويكثر رقاده وآخر يكثر قيامه ويقل رقاده ايهما احب اليك قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال احسنهما

عقلا قالت يا رسول الله إنما يتفاضلون في عبادتهم فقال يا عائشة إنهم لم يتفاضلوا في
عبادتهم وإنما يتفاضلون في عقولهم فمن كان أفضل كان في الدنيا والآخرة أفضل
قال عليه الصلاة والسلام إن الجنة مائة درجة تسعة وتسعون لأهل العقل
وواحدة لسائر الناس وقال البراء بن عازب إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل
شيء وثيقة ومحجة وأوضح وأوثق الناس مطية وأحسنهم دلالة وأعرفهم بالحجة
الواضحة أفضلهم عقلا وقال صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا حتى يجعل
عقله أكمل من عقول جميع أمته وعقله يكون في أمته من مواشر منه اجتهادا وقال
ابن جهم لا تسأل عن صورة فيها عقل بالأشكال العقل ولا منه الصورة مليح بالنسان
وقال أبو الطيب المتنبي لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان
وقال الحسين بن علي رضي الله عنهما إذا لم يعجب من زوال العقل كيف يبتلى الله بعده شيئا
آخر وقالت عائشة رضي الله عنها قد أفلح من جعل الله له عقلا وقال مطرف
ما أوتي العبد بعد الإيمان بالله أفضل من العقل وقيل ما تم دين امرئ حتى يتم عقله
وما استودع الله رجلا عقلا إلا استنقذه به يوما وقال بعضهم لو صور
العقل لأظلم معه الليل ولو صور الجهل لأظلم معه النهار وقال ابن جهم العقل
كالمسك إن خبأته عبق وإن بعته نفق وقالوا كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل فإنه
إذا كثر غلا ولو بيع لما اشترى إلا العاقل لمعرفته بفضله وقال الشاعر

ما احتشى العقل إلا أنه غالي ، لو كان يوجد يباع العقل بالمال ،
لو كان يوجد يباع كان من نخصا ، فيه لكل عقل بالتعب مشغال ،

وقالوا لكل داء دواء ودواء الطب العقل ولكل شيء بذر وبذر الدنيا العقل
ولكل مسلم مسكن ومسكنه الإيمان العقل وقال العقل وزير رشيد
وظهير سعيد من أطاعه أنجاه ومن عصاه أرداه وقال بعضهم بصف العقل
لله در العقل من رائد وصاحب في اليسر والعسر وحاكم يقضي على غائب قضية الشاهد
للأمر وإن شيئا بعض أحواله أن يحط الخير من الشر لذو قوة قد خصه ربه
بجانب التقدير والأمر ومن قوله جمال من وهب له عقلا كسى من الثناء
حلة لا تبلى وقال أبو موسى رضي الله عنه لو لزمنا كل يوم مشغالا ذكر عقل
ما بات ماجنة من أصناف التكوع وقالوا العقل عقلك ومن لم يكن بريء عوك

إلى الصبر ونصيحة من الهوى وقال بعض الحكماء أعلى الخلائق مرتبة الملائكة ثم الإنس
وإنما صار لسان العبد الفضل على الخلق بالعقل والنطق وقالوا خير ما أعطي الرجل
العقل فإنه إذا ذكر ذكر وإذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أساء استغفر وقال
وهب مثل العقلاء في الدنيا مثل الليل والنهار ... ... الدنيا إلا بهما ... ...
المروءة هكذا ... الدنيا إلا إذا كان عاقلا وقيل ... وإن أي الناس أغنى
بالسعادة قال أنقصهم ذنوبا قيل من أنقصهم ذنوبا قال أتمهم عقلا وقالوا
إذا كان العقل في النفس البهيمية كان بمنزلة الشجرة الكريمة في الأرض الخبيثة
ينتفع بثمرتها على خبث المغرس ما حتى ... العقل وإن ... من ... إلا ... ...
وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في قوله لولده الحسن رضي
الله عنه خذ الحكمة أنى أتتك فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فلا تزال تتخلج
في صدره حتى تخرج فتسكن إلى صاحبها وقال شعيب بن حرب ... أفضل
من عقل يتردى به الرجال إن انكسر جبره وإن مال أنعشه وإن زل أقاله وإن اعوج أقامه
وإن عثر أقاله وإن افتقر أغناه وإن عري كساه وإن غوي أرشده وإن خاف أمنه وإن
حزن أفرحه وإن تكلم صدقه وإن أقام بين ظهرانيهم ... وإن غاب
عنهم أسفوا عليه وإن تكلم بين قالوا أجاد وإن قبضها قالوا مقتصر وإن
أشار قالوا عالم وإن هاج قالوا مجنون وإن أبطأ قالوا معتز وقال الشاعر

وأفضل قسم الله للمرء عقله ، فليس من الخيرات شيء يقاربه ،
يزين الفتى في الناس كثرة عقله ، وإن كرمت أعراقه ومناسبه ،
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ، فقد كملت أخلاقه ومآربه ،

وآخر: العقل حلة فخر من تسربلها ، كانت له نسبا يغني عن النسب ،
والعقل أفضل ما في الناس كلهم ، بالعقل ينجو الفتى من حومة الطلب ،

وآخر: ما وهب الله لامرئ هبة ، أشرف من عقله ومن أدبه ،
هما حياة الفتى فإن عدما ، فإن فقد الحياة أجمل به ،

وآخر: يعد رفيع القوم من كان عاقلا ، وإن لم يكن في قومه بحسيب ،
وإن حل أرضا عاش فيها بعقله ، وما عاقل في بلدة بغريب ،

وقال طاوس ما ملأت ... ... من ... بأن ... صاحبه من العقل ...

عم
ولو نام الحي عقله لراه فاز بينه وما يشينه فالمغبون من أخطأ حظه من العقل وقال الشاعر

♦ المرء بالعقل مثل الغصن بالورق ♦ إن فاته ورق عود من خشب ♦

ومما أثبتناه من الكلام الأربع الرابع فيما يمتاز به العاقل من الناس

ما روي عن بعض أهل العلم أن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض أتاه جبريل
عليه السلام بثلاثة أشياء بالدين والعقل وحسن الخلق وقال إن الله يخيرك واحدا
من هذه الثلاثة فقال يا جبريل ما رأيت أحسن من هؤلاء إلا في الجنة ثم مد يده إلى
العقل وقال لمن بقي اذهبا صعدا فقالا لا نصعد فقال أتعصيان فقالا لا نعصيك
ولكن أمرنا أن نكون مع العقل حيث ما كان وقال صلى الله عليه وسلم للعاقل
عشر خصال يعرف بها يحلم عمن ظلمه ويتواضع لمن دونه ويسابق إلى البر من فوقه
ويغتنم الخير إذا أمكنه ولا يعارضه الخوف ولا يصحبه العنف يتدبر ثم يتكلم
إن تكلم غنم وإذا سكت سلم وإذا عرضت له فتنة اعتصم بالله وقال
أبو عبادة ما دام في غيب السجايا ما تزال العيون لنا مولعة بغلة من خلاله ♦
♦ غير أن الحجا عقبى أوان شبابهم ♦ وأنبل من كان نبيل خلاله ♦

وقالوا من علامات العاقل ثلاثة تقوى الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنيه
وفي حكم داوود على العاقل أن يكون عارفا بأهل زمانه مالكا للسانه مقبلا على
شأنه وقال بعض الحكماء أربعة تدل على غزارة العقل حب العلم وحسن الحلم
وكثرة الصواب وصحة الجواب وقالوا إذا أردت أن تعرف عقل الرجل في مجلس واحد
فحدثه في خلال حديثك بما لا يكون فإن أنكره فهو عاقل وإن صدقه فهو أحمق
ولا ينبغي للعاقل أن يجاوز شيئا إلى غيره حتى يحكمه بالرأي وقالوا لا يفخر العاقل
بحمر من خيار نكزته ولا ييأس من خاف منعه ولا يعد ما لا يستطيع إنجازه
وقال لقمان لابنه لا يتم عقل المرء حتى يكون فيه عشر خصال يكون الكبر منه
مأمونا والرشد فيه مأمولا وفضل ما له مبذولا يصيب من الدنيا القوت
التواضع أحب إليه من الشرف والذل أحب إليه من العز لا يسأم من طلب العلم
ولا يتبرم من طلب الحوائج إليه يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثيره
من نفسه وأن يرى جميع أهل الدنيا خيرا منه وأنه شرهم وهي الخصلة التي بها
مجده ونقيت ذكره وعلا قدره وتشير به العالمون ذكره وقالوا العاقل الذي

بزله في الوجه نصحه وإذا عاداه رفع عن الظلم قدره فيستعين من أعانه بعقله
ويجتمع معاده به بعدله إذا أتم عقل الفتى تم فضله وقام على الاختيار منه دليله
فلا تنكر الأبصار ما سوغا عليه ولا تنكر الأذن سماع ما موقفا به

تنزه من هنا على احتياج في العقل والعلم إلى اكتساب فضيلتي الأدب والعلم

أما الأدب فقال بزرجمهر العقل يحتاج إلى مادة الأدب كما تحتاج الأبدان إلى
قوتها من الأطعمة وقالوا عقل بلا أدب فقر وأدب بلا عقل حتف وقالوا
عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح وقالوا لا عقل لمن لا أدب له ولا أدب إلا بعقل وقال
العقل بلا أدب كالشجر العاقر والعقل مع الأدب كالشجر المثمر وقال
بزرجمهر الأدب صورة العقل فحسن صورة عقلك كيف شئت وقال ابن المقفع
كما أن الأدب لا يكمل إلا بالعقل كذلك العقل لا يكمل إلا بالأدب وقالوا من
أن يكون أديبا أغزر من عقله فإن من زاد أدبه على عقله كان كالراعي في الغنم
الكثير وقال المهلب بن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراق يعجبني أن أرى عقل
الرجل زائدا على لسانه ولا يعجبني أن أرى لسانه زائدا على عقله وقالوا زيادة
العقل على اللسان فضيلة وزيادة اللسان على العقل رذيلة فأصوب ما قال
تعشق بلا أدب والعقل إن كان موجودا فلست أرى ذا العقل مستغنيا عن الأدب
إذ رأيته كالماء مختلطا ♦ بالترب يفهم عنه زهرة العشب ♦

وأما العلم فقدره كبير وفضله كثير ويكفي في شرفه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خير سليمان بين الملك والمال والعلم فاختار العلم فأعطي الملك والمال لاختياره
العلم قال بعض الحكماء إذا كان العقل والعلم في رجل فقد استكمل
الحياة وتمام أمور الرحمة العليا وجمع الدين والدنيا وقالوا العلم أفضل مكتسب
وأكرم منتسب وأشرف ما خير يقتنى وأطيب ثمرة تجتنى وبه يتوصل إلى معرفة
الحقائق ويتوسل إلى رضى الخالق وهو أفضل نتائج العقل وأعلاه وأكرم
فروعه وإذا كان كذلك لا يضيع أبدا صاحبه ولا يفتقر كاسبه ولا يخيب طالبه
ولا تنحط مراتبه وقالوا العلم وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل شريعة قال
معاذ بن جبل تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته
تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وهو الأنيس في الوحشة

وسلم على سيدنا محمد وآله

والصاحب في الغربة والوزير عند الخلاء · والقريب حين الغرباء

أجل ما يبتغى يوما ويكتسب · ويجتنى من خلال الرفد وينتخب

علم شريف جميل النفع فز معنا · فحامليه بأبواب العلو رتب

إن عاش عاش جميلا صافيا أبدا · لا يستطاع ولا ينبغي يجتنبه

وإن يمت فثناء شائع حسن · وتعبق رحمته من حيث تنقلب

وقالوا العلم للأغنياء عز وللفقراء كنز وما أحسن قول بعضهم

العلم أغنى من يرى بنوال منزلة · لا تذاهبه والمال مجموع

وقالوا لم يكن شيء أعز من العلم لأن الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك ولبعضهم في ذلك شعرا شاعر

العلم من شرفه لم يخش قيمته · أن يجعل الناس كلهم خدمه

وواجب حفظه عليه كما · يحفظ ما عاش ماله ودمه

ومن حوى العلم ثم أودعه · بجهله غير أهله ظلمه

وكان كالمبتني البناء إذا · تم له ما أراد هدمه

وقالوا العلم عز لا يبلى جديده وكنز لا يفنى مزيده وقال ابن المقفع تعلموا العلم فإن كنتم ملوكا فقتم وإن كنتم أوساطا سدتم وإن كنتم سوقة عشتم وقال بعضهم

العلم فيه جلالة ومهابة · والعلم أنفع من كنوز الجوهر

تفنى الكنوز على الزمان وصرفه · والعلم يبقى باقيات الأدهر

وقالوا العلم حياة للقلب فإذا أصبت قلبا ضعيفا فقوه بدرس فإذا أقوى بالدرس فهو محتجب بظلم كل المناظر فإذا ظهر فهو فقيه فانتهز العمل وما أحسن قول بعضهم: راحة النفس فيه ومن عادات البهيمة لن تنال العلم حتى تتعب النفس الكثير به وقالوا أول العلم استماعه والثاني حفظه والثالث العمل به والرابع نشره ويحتاج طالب العلم إلى ستة أشياء فراغ وحرص وجد وأستاذ وطول عمر ومعونة من الله تعالى وهذا مطلب إلا أنه لا بد منه ولا غنى له عن فهمه نظم ذلك شاعر فقال

أخي لن تنال العلم إلا بستة · سأنبيك عن مجموعها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة · وإرشاد أستاذ وطول زمان

وإن أولى ما يكلف اعتناء الأدب بالأولاد فإنهم حبات القلوب وأفلاذ الأكباد

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن وقال صلى الله عليه وسلم لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع وقال أدبوا أولادكم صغارا تقر أعينكم بهم كبارا وقال الشاعر

من يجمع الأدب الآخرات في صغر · وليس ينفع بعد الكبرة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت · ولن تلين إذا قومتها الخشب

وقالوا من أدب ولده أرغم حساده وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده سبقا وأدبه سبعا واستصحبه سبعا فإن أفلح وإلا فالق حبله على غاربه ولبعضهم في قول من قال

قولوا لمن ينصح ابناله · يريد الفضول تهذيبه

يضيع أوقاته بلا طائل · فيكفي العقول وتهذيبه

كله إلى الله وتدبيره · ثم إلى الزمن وتجريبه

فكان لا فرار لمن نزاه · ثلاثة بالحظ وتجريبه

فليس كما قال فإن التعلم إلا من لم يكن قد عزر له في الإهمال وعوده الصبا أبدا أمثاله يحتاج إلى التثقيف وكثير الشباب من يحتاج فلا غنى له عن التوفيق وأجمع ما يحكى في تأديب الصبي ما أوصى به عتبة بن أبي سفيان مؤدب ولده فقال له ليكن أول إصلاحك بني إصلاحك نفسك فإن عيونهم معقودة بعينك والحسن عندهم ما فعلت والقبيح عندهم ما تركت علمهم كتاب الله عز وجل ولا تملهم فيه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ولا تخرجهم من باب من العلم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم وتهددهم بي وأدبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء وامنعهم من محادثة النساء واشغلهم بسير الحكماء وعلمهم أخلاق ذوي الأدب واستزدني بزيادتك إياهم أزدك من زيادتي ولا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت على كفاية منك والسلام وأوصى الرشيد مؤدب ولده محمد فقال إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبسوطة وطاعتك عليه واجبة وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعلمه الآثار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره مواقع الكلام وامنعه من الضحك إلا في أوقاته ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه

بل يتميز فيه منه ولا تعرف منه مخيلة فيستحل الفراغ وبالجد وتقويمه ما استقر
بالقحف والصلابة ما رأيناه تغليظا بالشدة والغلظة وبلادة فيه وجه يتعلل
وقال للاصمعي يا عبد الملك أنت أعلم منا ونحن أعقل منك فلا تعلمنا في ملا ولا تسرع
بتركينا في خلا وانا كنا حتى نبتدئك بالكلام ومعنى انا بالا شهود الرؤية كان د
ودر متروك الصلاة يوما ومضى يلعب مع الصبيان بالكلاب فكتب اليه رقعة د
وارسلها معه مختومة يقول فيها

ترك الصلاة لاكلب تبتغيها ، تبغي الهراش مع الغواة الرجس
فليأتينك غاديا بصحيفة ، كتبت كمثل صحيفة المتلمس
فاذا أتاك مغضة بملامة ، أو عظة موعظة اللبيب الكيس
واذا احمت بضربه قبرزة ، واذا بلغت ثلاثا فلتخمس
واعلم بانك ما فعلت فنفسه ، مع ما تجرعني أعز الانفس

الفصل الثاني من الباب الثاني في ذكر
العقل الرشيد الدال على العقل المستبين

قالوا العقل أصل لكل محمود من الخلال واذا عدم العقل فلا نجاة للمرء مع
عدم العقل وقيل للحسن بن علي رضي الله عنهما متى يكون العاقل عاقلا قال اذا عقله
عقله عما لا ينبغي من عاقل وقال يحيى بن عبيرة ان فخاذ العقل علمه والفضل الحسنة
رعينه فاذا ضعف عن القيام عليه وصل الخلال اليها وان احسن ما ضرب به مثلا
العقل وجعل دلالة على صحة العقل ما يحكى ان قتيبة بن مسلم لما فتح كاشغر
من بلاد تركستان واوغل حتى قارب بلاد الصين كتب اليه ملك الصين ابعث الي رجالا
من اشرافكم يخبرني عنكم فبعث اليه عشرة رجال لهم كلهم جمال وعقول ودهاء واعطاهم
ثيابا ووسائد حسنة من انفس ما عنده وكان فيهم هبيرة بن شمراخ الكلابي فقال لهم
اذا دخلتم على الملك فاعلموه اني حلفت ان لا انصرف حتى اطأ بلادهم واختم
ملوكهم واجبي خراجهم قال فوصلوا الى الملك فلبسوا ثيابا بيضا تحتها الغلائل
وتطيبوا ولبسوا النعال السبتية والاردية ثم دخلوا عليه وعنده عظماء قومه
فجلسوا فلم يكلمهم الملك ولا احد ممن كان عنده فلما نهضوا قال الملك لمن حضر كيف رأيتم
هؤلاء فقالوا رأينا قوما ما هم الا نساء سواء ما بقي منا احد الا انتشر ما عنده فلما كان

من الغد دعاهم فلبسوا الوشي وعمائم الخز والمطارف وغدوا عليه فلما دخلوا قيل
لهم ارجعوا وقال الملك لاصحابه كيف رأيتم هذه الهيئة قالوا هذه أشبه بهيئة
الرجال من تلك فلما كان اليوم الثالث دعاهم فشدوا سلاحهم ولبسوا
البيض والمغافر وتقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح وركبوا ونظر اليهم الملك فرأى
كل واحد منهم مثل الجبل مقبلا فلما دنوا ركزوا رماحهم وأقبلوا مشمرين فقيل لهم
ارجعوا فركبوا خيولهم وتطاردوا وانما بعث بهم الملك فقال الملك كيف ترون قالوا
ما رأينا مثل خيولهم وتطاردهم فلما أمسى بعث اليهم أن ابعثوا الي زعيمكم فبعثوا
له هبيرة فقال له قد رأيتم عظمة ملكي وانه ليس أحد يمنعكم مني وانتم في بلدي بمنزلة البيضة
في كفي وانا سائلك عن امر فان لم تصدقني فيه قتلتك قال سل قال لم صنعتم ما صنعتم
في اليوم الاول والثاني والثالث ما فعلتم قال أما زينا في اليوم الاول فلباسنا
في أهلنا واما في الثاني فلباسنا اذا اتينا أمراءنا واما الثالث فزينا لعدونا
فقال ما أحسن ما دبرتم به دهركم قل لصاحبك ينصرف فاني قد عرفت قلة اصحابه
والا بعثت اليه من يهلككم فقال كيف يكون قليل الاصحاب من أول خيله في بلادك واخرها
في منابت الزيتون وأما تخويفنا بالقتل فان لنا آجالا اذا حضرت فأكرمها القتل
ولسنا نكرهه ولا نخافه وقد حلف الامير انه لا ينصرف حتى يطأ ارضكم ويختم
ملوككم ويجبي خراجكم ويعطوا الجزية قال فانا نخرجه من يمينه نبعث اليه بتراب من
أرضنا فيطأها ونبعث اليه ببعض أبنائنا فيختمهم ونبعث اليه بمال يرضاه ثم أذن
لهم في الانصراف وبعث معهم بهدية وأربع غلمان من أبناء ملوكهم فقبل قتيبة
الهدية والمال وختم الغلمان ووطئ التراب ومن اخبار العقلاء ان بعض ملوك
العجم بلغه عن ابنة ملك من الملوك انها بارعة الجمال فبعث الى ابيها يخطبها منه
فانعم له وبعث بها اليه فلما خلا بها امتنعت منه من بعد اخرى فمكث زمانا د
يراودها عن نفسها وهي ممتنعة فغضب من امرها فرفعها الى وزير من وزرائه ممن لم يكن
حاضرا وكان من خلقه وكان دهاء الملك فارسل الى الوزير فقال له ما ترى في عقوبة
الملك كذا وكذا فقال قد وجب عليها القتل فدخل اليها ابوها فراودها عن نفسها
فامتنعت منه فقتلها ثم ذكر ذلك عليه واشتد حزنه فبعث الى من وزرائه من
يقول ما تقول في عقوبة الملك وخاتمه قال ان لم يكن امرأة أو صبيا أو مجنونا فقد

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

وجب عليه القتل فقال إن جزاء من أشار على الملك بقتل من لم يوجب القتل قال
القتل فأمر بابن المرزبان فقتل وصلب وقبر أبوه ولم يظهر حزنا ولا جزعا وقد نبّه
ابنه الملك لينظر ما يقول ابن المرزبان يوما بابنه وهو مصلوب فنظر إليه وقال
ما أقول لمن كان يكيفه به الدنيا ولا بعد الآخرة ثم فأما قد أقربنا بالنار والشقاء
وأما بعد الآخرة بغفور ذنبه فبلغ الملك قوله فرقّ له ورجع عنه فندم فالعاقل
من ادعى من قرائن الهوى نفسه، وكم من شهوات تعقب إلينا وقسته
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ومعناه يعمي عن رؤية
الغي ويصم عن قول النصيح وقيل يعمي عن الرشد ويصم عن الموعظة وقال أبو بكر بن
دريد في مقصورته، وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا
وقال بعض الحكماء الهوى مركب في ميل بعيد في مضلات الفتن وقد يقع وخيم
يعترك في مواطن الحين ويعلق حبائل الاعتدا **وقال** بعض الحكماء الملائكة روح
وعقل والبهائم نفس وهوى والإنسان يجمع الكل نعمة وابتلاء فإن غلب الروح
والعقل على النفس والهوى فضلت الملائكة وإن غلبت النفس والهوى على الروح
والعقل فضلت البهائم وقالوا الهوى أشأم بدل والأمل قليل وأغش وآله وأغنى قوال
يكذب الغيبا ويقلب الأعيان ويجلب الهوان وقالوا الهوى خادع للألباب صارف
عن الصواب، فصاحبه أعمى مبصر أصم سميع وقال من كان بغناه هواه أفلح كان الرأي
الرشاد أسلك وقال بعضهم ملكاه العقل على الهوى بنا التشرد **وقال الشاعر**

واعلم بأنك لن تسود ولن ترى ... كرم الرشاد إذا اتبعت هواكا
وأخي
إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى كل ما فيه عليك مقال

وقالوا العقل الناس من عصى هواه، ولم يعطه الهوى فياه، شاعر
أراد من تبع الهوى. ومن الهوى حلو ومر، أمنع بعيشه نزهة وأنايله هواك وأنام
وقال علي بن الحسين المغربية، ما للكليم هواه، من الملام ملاذ، ما أخبر بنفسه
إلا، عن هو أما التزاد، وقال حكيم من در، اعص هواك والنساء، واصنع ما شئت
قال بعضهم، إذا ما تحيرت في حالة ... ولم تدر فيها الخطأ والصواب
فخالف هواك فإن الهوى ... يقود النفوس إلى ما يعاب
وأخر، إذا طالبتك النفس يوما بشهوة ... فعنّركله عنها إذا قوّاكله

وقد راشت الأعداء حتى بنفسه ... وقد وجدت فيه مقالا لعواذله
وما نزع النفس الجموح عن الهوى ... من الناس إلا حازم الرأي كامله
وقالوا كم من عقل أسير عند هوى أمير وقيل عقبى الهوى أذى من البر وقال الشاعر
وعاص الهوى المردي فكم من محلّق ... إلى النجم لما أن أطاع الهوى هوى
وقيل أعقل الناس من انحط عقله هواه، ومنع نفسه مما يكون سببا إلى بلواه
وتحفظ الأشياء بعين فكره واعتبار عقله من وروده الأمور فما فيه إيراد واصدار
فيحبس بالمشاهدة عن الأدواء ويأمن بمثله كثير الأعداء. وقال بعض البلغاء يعقد
الإنسان بفكره العواقب قبل أن يعرض منها ... حوادث وخواتم الأعمال ومن صدور
الأمور اعتبارا بأمثالها في الصدور وقال ... زبرح العواقب بمرآة فيكمل
يشتبه عليه بغفلة بفكر وحكي فيما يحكى أن الحجاج ومر على الوليد بن عبد الملك
كان يعرأ ... وقدحا أخذ بحاده بالأرض فقال له الوليد ما لا يمنعك من
الشراب فقال ليس بحرام ولا محظور ما أحللته يا أمير المؤمنين ولكني امتنع لما
منه ... خالف قول الصبر الناطح وما دبر إلا ... فاستحسن
ذلك منه وأعجبه. وحكي أن نصيبا دخل على عبد الملك بن مروان فتغدى معه
فلما ... عبد الملك ... فقال له هل لك فيما تنادم عليه فقال يا أمير المؤمنين
لوني حائل وشعري مفلفل وخلقي مشوه ووجهي قبيح ولم أبلغ ما بلغت من كرامة
أبائي ... وإنما بلغته بعقلي ولساني فأنشدك الله يا أمير المؤمنين
أن تحول بيني وبين ما بلغت به من المنزلة فأعفاه. وحكي من هذا ما حكي
أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال دخلت على الرشيد فقال غنني صوتا ... فغنيته
وإني لتعروني لذكراك هزة ... كما انتفض العصفور بلله القطر
فقال أحسنت والله وضرب بيده إلى ... فمشى منه ذراعا ثم قال زدني فغنيته
فهجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى ... وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فقال أحسنت ثم ضرب بيده إلى ... فمشى منه ذراعا آخر ثم قال زدني فغنيته
فيا حبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
فقال أحسنت ومشى بالباقي ذراعا ... ثم رفع رأسه إلي وقال لي تمنّ
واحتكم فقلت أعتق ... ... فقال ... فقال إسحاق ... عينيه ... رأسه

مجلسه حجر تبري فقال يا ابن العباس ان براءة تشهد لي بهذا المجلس وتجعلني سمرا وحديثا
يقول الناس ان ابا حرب قد عتب على مروان، اما والله لو كان بادرة جهل لا لتني
غلبت على صحة عقلي لما فعلته بغير هذا من املك ما كره ابن ابي الدعوان مجلت
سلك الموت بيني وبينه ينقطع امري ثم رفع راسه ودعى بابراهيم بن ذكوان
وقال له يا ابراهيم خذ بيد هذا الجاهل وادخله بيت المال واعطه ما يريد وابا
نال الصلات فرحلت وأخذت ما بيده من مروان اضعافا وقال الحر ازيد مشيرا الى قول

نهب • ان الكاس يرمي بعقل الفتى • فيزيل عن كل مستمع •
• ولوما ابتهاجي بكم لم اكن • نديما لكأس من أريع •
• وما كل سرور بعقلك السرور • بان تنكره وعقلي معي • وقد قلت
• ...... ودلال لما ازداد تبوقهما • ان حضروا وان وجع •
• وان بيرها نعوي به بنيه • واجانب السام الذي يشربني •

فاذا قيل لبعض المجانين هل لك في الشراب فقال ان الماء قليل تبسره الخمر حتى
يتشبه في بافاذ الماشي بشبه فيزداد تشبهه واحسن منها ما تكسر ان اعرابيا راود
امراة عن نفسها فانعت له بلا نعرين شعبتها فام عنه ولم يفجر وكيف وقد غشي
من غيره اثرا فقالت له يا هذا ما الذي عراك وقد بلغت مناك فقال ان رجلا يبيع
جنة عرضها كعرض السماء والارض بحبة بين مجريه لقليل الخبرة بالمساحة
وعلى ذكر ما ينتج من شرب الخمر قول من قال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح
الشرور وقول ابي الفضل الميكالي •
• عبرتني ترك المدام وقالت • هل جفاك من الرجال لبيب •
• هي تحت الظلام نور وفي الدهر • كتاب بيد وفي الخدود لهيب •
• قلت يا هذه عزلتي عن الشر • وما للرشاد فيه نصيب •
• انها للشرور منه وفي الا • لباب منه وفي العقاد ذنوب •
وقال رجل لابنه وهو يشربها كما الشراب افاضني في شرفك اوسلبني في عقلك او هو
في كلمك وقال الحمصي ذكر الحسن العيوب • ونوبيت اعرابه • وجرى
عشي من العيب قلت ان الخمر مجنبة فقال حاشا ما من الخبث قلت فتنها
الغنى قال نعم شربت ثم خرج الخبث قلت للاربان تنشيه قال كيف العيش والدين

وقيل

وقيل ما ابنه السكارى ثلاثة فرح حرك راسه برقص وكلب ما رشيه منبع وحية زوتيا تقيا منه
والعاقل من اعتبر بشورى نصحابه وكشف لهم عن مستور اغراضه والخفايه
قال الله تعالى لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل
على الله قال الحسن البصري ان الله عز وجل لم يامر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشورة
اصحابه لحاجة بهم الى رايهم وانما اراد ان يعلمهم ما في المشورة من البركة
قال عليه السلام المشورة حصن من الندامة وامن من الملامة وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الرجال ثلاثة رجل ينظر في الامور قبل ان تقع فيصدرها مصادرها
ورجل متوكل لا ينظر فاذا نزلت به نازلة شاور اهل الراي وقبل قولهم ورجل حائر
بائر لا ياتمر رشدا ولا يطيع مرشدا وقال سوار بن شاور رجلا لم يخل امرا من كبير ذا مراه
ومن اشار لهم زاحم بعود ادوع وقال العباس بن جعفر من ابيات
• وان باب امر عليك التوى • فشاور لبيبا ولا تعصه •
• وان ناصح منك يوما دنى • فلا تنا عنه ولا تقصه •
وقال بشار بن برد
• اذا بلغ الامر المشورة فاستعن • براي نصيح او نصيحة حازم •
• ولا تجعل الشورى عليك غضاضة • فان الخوافي قوة للقوادم •
• وما خير كف امسك الغل اختها • وما خير سيف لم يؤيد بقائم •
وقالوا نقصان مع الاستشارة احمد من الكمال مع الاستبداد وقالوا الاستشارة
العبرة واستشار صديقه واجتهد رايه فقد قضى ما عليه ويقضي الله في امره ما احب
وقالوا عليك بالمشورة فانها تامر بالحسن احسنه ونصح الله من احوج شاعر
• لا تقطعن الراي وهو مواجه • حكم الصواب اذا امر نابض •
• فالرد وهو لاجل ابغتنى • فاحفظ رتبته مواقف الخابض •
• اخ • شاور اخاك اذا النقط نائبة • يوما وان كنت من اهل المشورات •
• فالعين تلقى كفاحا ما دنى ونأى • ولا ترى نفسها الا بمرآة •
• اخ • نأت وشاور فان الامر • ر منه ما مضى ومستقبل •
• في ناي امطر من واحد • وراي الثلاثة لا ينقص •
فمن تعين عليه في المشورة وتكون النصح فيها وانها مشورة

قال بزرجمهر أحزم الرجال لا غنى له عن المشورة وأفضل العقلاء من لا يغنيه عقله عن الرأي وج
وان عني الرجال لا غنى له عن المشورة وقيل لا تدخلن في مشورتك بخيلا فيقصر
بفعلك ولا جبانا في حرب فيخوفك ولا حريصا في بذل فيحرك فإن البخل
والجبن والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن بالله وقيل استشر بالرجال زيادة
مقامه حتى تستشيره فيكون ذلك أفضل رأي واختيار منك إليهم وكذا رأيه بمنأى قال الشاعر

خصال يجري تشاور ثلاثة * فجزمنها جميعا بالوثيقة
وداء خالفوه ومنور تعقل * ومعرفة بحال الشيء الحقيقة
فمن حصلت له منها الثلاثة * متابع رأيه والرأي نجيبة

وقال أحد الحكماء إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه قد خرج من
عداوتك إلى موالاتك ولما نول ابن أبي مريم أن يزوج ابنته استشار والده مجوسيا فقال
بما رأيته ينبغي لك وأنت تستغني فقال لا إنه يثير على قال إن كسرى والبر العرب
كان يختار المال وقيصر والبر الروم كان يختار الجمال والبر العرب كان يختار النسب
ومحمد نبيكم كان يختار الدين فانظر من تقتدي وقال الأحنف بن قيس لا تشاور الجهول
فإن رأيه معلول وقالوا لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الأسير
حتى يطلق ولا المقل حتى يجد ولا الراغب حتى ينجح وقالوا لا تشاور ربة
في ملة ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا شابا في جارية وقال الشاعر

إذا الأمور عليك يوما أشكلت * فاعمد لرأي أخ نصيح مرشد
أصفيك نصحه من تراه وتد * ويرى أن مثل التخير رأيك فاسند
فما كل ذي لب بمؤتيك نصحه * ولا كل مؤت نصحه بلبيب
ولكن إذا ما استجمعا عند واحد * فحق له من طاعة بنصيب

وقال بعض الحكماء عليك بمشورة من حلب شطري دهره ومرت عليه ضروب خيره وشره
وبلغ من العمر أشده ومن التجربة أوراه ذروته وقيل كانت العرب تختار رأي الشيوخ
وامتزت في النوازل على مشورة الكهول لما يوجد فيهم من طلب الرأي وإصابة الحق
وحكمة النظر مع ما نحوا من حسن الصبر وسمت أحوالها وقد عدله خوم عن
هذا الجرع وتشوا في تمييز هذا المرتع فجعلوا للشباب التيسير إلا فيما مع نوم
الحكمة وأوهى السماع من ذاك للتجبر وقوة الحكمة من جافة من مغاومتم

الكهول

الكهول وبحات التبيين بكثير من تبيح الورع والحصول الغرائز غرين العقل فيهم
وحرية الحاضر الذي نسرهم إلى الصواب وتصيبهم فقال الشاعر

رأيت العقل لم يكن انتهابا * ولم يقسم على عدد السنينا
ولو أن السنين تقسمته * حوى الآباء أنصبة البنينا

وكانت الحكماء تقول عليكم بآراء الأحداث ومشورة الشبان لأنهم أذهانا تقل
الحواطر وتغلط الزوابل وقالوا الشباب خفيف نظرهم ويتقي فحصهم ويسرح
وكأنه زمن نمنى ولهم حيرة ذكاء يا ضرم وقيل أحسن ما قيل في مرح
شاب غزير العقل كثير الفضل قول القائل

إذ لقت حاجات الكهول من الحجا * في عنفوان شبابه المستقبل
وإذا أمرت فما يقال لنت أتى * وإذا أمضيته فما يقال لك اعدل

وقيل للعاقل إن أمر بالاستبداد في الأمور وإرادها فقنا رأى على حكم الفطناء المرور
قال المعلب برأيه حجة لو لم يكن في الاستبداد بالرأي إلا صونه السر وتوفير العقل
لوجب التمسك به وقال بزرجمهر إذا أردت نصيحا أثق به عار وجدت غير ذلك واستنطقت بنور
الشمس والقمر فإنما استغنى بنفسه أضوأ من نور غلبت وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه
الحكيم إن الأمر ستأتيه بيقلع تمنها وحسنانه فيكتشف منها فلا تقع معرفة
التتبع عليه ولا تتكل على الصواب ثم رأيه وقال عبد الملك بن صالح
ما استشرت أحدا منه إلا تكبر علي وتصاغرت له ودخلته العزة ودخلتني الذلة
فعليك بالاستبداد فإنه صاحبه جليل في العيون مهيب في الصدور وأنت متى
استشرت تضعضع شأنك ورجعت بك أركانك وما عز سلطان لم يغنه عقله
عن عقول وزرائه وآراء نصحائه وإياك والمشورة وإن ضاقت عليك المذاهب واشتبهت
لديك المسالك والتبس إذا أكشف رأي بيكرة الأنامة فاتبعه إذا الرأي أن ينجع

وما العجز إلا أن تشاور عاجزا * وما الحزم إلا أن تهم فتفعلا

وقال عبد الله بن طاهر ما حد كليم مثل كليم وقد أفلح من استبد الفص
فكما أحب إلي من أن تستشير والحكمة بعير التفهم لا مثل المشورة حتى ترى
في رأيه فإن أفضل الرأي ما جادت القريحة بفكره وأحكمت التروية بعقله وما أحسن قول القائل

يسير احتيالك ولا عقل ولا أدب * يخفى عليك إذا ما يسعد الفرد

تغزوا

ويقال الشعراء يترون

ولا تواني في رأيه عن تيقظ اذا ٭ جاءت القضايا باتية لنا يقينا

وقالوا كل رأي لم تتمخض به الفكرة فتلك كاملة صحو وسو تودد تغيم تام وقال الشاعر في مثله

ذهب الصواب برأيه فكأنما ٭ آراؤه خُلقت مع التقادير

واذا دجى خطب تبلج رأيه ٭ صبحا من التوفيق والتيسير

وقالوا فلان الحسن معقود بنواصي رأيه والنصر منقاد بنواصي افعاله فلان اذا اذكى سراج الفكر اضاء ظلام الامر وليس تدري فلتات ما د... حاباطانة الرأي

وذو عزمات مستمر مريرها ٭ اذا الامر يوما ما اضمحلت نوائبه

تحير بالمقاء ذو الشور كانما ٭ تجاهد فيه من كل امر عواقبه

واقرب من الحزم منه وانما ٭ مراياه الامور المشكلات تجاربه

ابو عبادة البحتري في سليمان بن عبيد الله

يرى العواقب في أثناء فكرته ٭ كأن افكاره بالغيب كهان

لا يكثر منه ذا النعتاء عمل ٭ كأنهم منه دوركة ذا العاشان

يريك بالظن ما يأتي الغيوب به ٭ اذ الظنون وبالاغراض اتيان

كأن آراءه والحزم يتبعها ٭ تريه كل خفي وهو اعلان

ما غاب عن عينه فالقلب يكلأه ٭ وان تنم عينه فالقلب يقظان

وله في أخيه عبد الله بن عبيد الله

يريك بالظن ما أخفى الغيب به ٭ والشاهدان عليه العين والكرم

كأنه وزمام الدهر في يده ٭ يرى عواقب ما يأتي وما يذر

برؤيته وفكرته سواء ٭ اذا ما نابه الخطب الخطير

واحزم ما يكون الدهر يوما ٭ اذا عجز المشاور والمشير

والعاقل من نصب من فكرته الحبائل واقتنص بها شوارد المطالب والوسائل فقال بالحيلة يستنزل العصم من جو السماء ويستخرج الحيتان من جوف الماء جمر الحيل فمن ذلك ما ذكر ان رجلين وثبا على دارا في زمن الاسكندر فقتلاه فجشراه بسوء فتكله بكاة ذلك عارا عليه فقال في مجمع من الناس اني قد قتلت هذا الملك العظيم القدر نشر اجناس ويوكلهم فجاز بناه فاستخرج ودفعنا على الناس فلما بلغهما كلامه كتما واقرا فقال الاسكندر انه مجازيكما فاستعفاه فانه لا يكون جزاؤه

م

ثم قتلهما وعرّضه الاسكندر لا تقتلوا امامكم على الناس فانه اطلبكم على الطول جرى اجلي ثم أمر فجعل بين ذلك وأحسن منها حيلة حملت عليه فجرى عليه الصواب في التخلص منها وسوما حكي عنه انه كان لا يفتح مدينة عنوة الا سومها وقتل من فيها فخرج على مدينة كان فيها مؤدب له فخرج اليه فاعظمه واكرمه واكبره ثم قال له ما جاء بك فقال ايها الملك انا احق من زين لك أمري واعانك عليه لانا وان أملتني المدينة انني ما عندك وكمعوا فيها لمكان فيك واحتيال لا تشفعني فيهم وان تقابلني في كل ما اسألك فيه من أمرهم فلما سمع الاسكندر مقالته علم ذلك نصحا له وان غرض المعلم واتقى غرضه وسر بذلك فلما رأى المعلم سروره كلب منه العفو على ذلك فجاوز فلما استوثق منه قال ايها الملك اني ارى من الرأي ان تخرج من هذه المدينة وتقتل اهلها فقال الاسكندر لا سبيل الى ذلك وقد تزوجها بعقبك فقال فارجع عنها اذا فارتحل وهو ذلك ما يحكى ان عمر بن الخطاب امر بقتل الهرمزان فشكى عطشا فاتي باناء فيه ماء فلما تناوله اكثر رعشته في يده توهم انه مرعوب فقال عمر لا باس عليك حتى تشرب فرمى الاناء من يده فكسره فامر عمر بقتله فقال أولم تؤمنّي فقال عمر ما قال منى فقال الهرمزان قلت لا باس عليك حتى تشرب ولم اشرب فقال عمر قاتله الله اخذ منا الامان ولم نشعر وعن حـ تعرض زايد على قتل جماعة من الاسرى فلما مثلوا بين يديه قام اصغرهم وقال ايها الامير ان تقتل اسراك وغرجا عوا وعطشوا فامر لهم بطعام وشراب فلما اكلوا وشربوا قام اليه وقال ايها الامير ان تقتل اضيافك فخلى عنهم وخلى سبيلهم وكل بابي الفتح رجل بعزبه فقال خلت منه فلما خاف ذلك عليه وخشي على نفسه التلف افترض من صاحب الغراب ما به الف درهم فكان تعرض الله يرمي به خوفا على ماله ومن لطيف الحيل ما حكى ان سلمان خطب الى عمر فاجمع على تزويجه فشق ذلك على ولده عبد الله وشكاه الى عمرو بن العاص فقال له انا اردّه عنك فقال ان ردّدته فانك يغضب امير المؤمنين فقال على أن أرده راضيا ثم أتى سلمان فضرب بين كتفيه فقال هنيئا لك أبا عبد الله هذا امير المؤمنين يتواضع بتزويجك فالتفت اليه مغضبا وقال أبي يتواضع والله لا تزوجها

والله لا أتى وجهك اقتحم رجل على الأحنف بن قيس فلطمه فقال له ما دعاك
إلى ما فعلت فقال جعل لي رجل من بني تميم جعلا أن ألطم سيد بني تميم فقال له
الأحنف لم تصنع شيئا ولست بسيد بني تميم وإنما سيدهم حارثة بن قدامة فذهب إليه
فلطمه في نادي قومه فوجدوا بأمره فقطعوا يده فقيل له إن ما صنع بك إنما الأحنف أراد
على علم منه أنه يجري به على سوء فعله وهذه الحكاية تشبه حكاية عن المعتضد مع
الأحنف فإنه المعتضد الشريف ... فأبى أن يستر شأنه ... [illegible]
من أعمال الجمال وقال أبو تمام

إذا جريت مع الكريم تكشفت * أتيت ببعض أخلاق اللئيم
وما قرع السفيه وإن تعدى * بأبلغ فيه من صفح الحليم

وحكي أن عبد الملك بن مروان أخا بشر العراق وضم إليه روح بن زنباع فلما دخل العراق
وأغرى بالشراب وثقل عليه روح بن زنباع فقال يوما من المجانين في مجلسه فقال أنا منه
أنا ملك أمانتها إلى ما ... [illegible] روح وكتب على بابه

يا روح من لبنيات محروسة * إذا ... [illegible]
إن الخليفة ... [illegible] * فما اشتغالك يا روح بن زنباع

فلما قرأ روح الأبيات أتى بها عبد الملك فلما قرأها أيقن أنه أراد الرجوع إلى
الشام فأمر بشر عن الحضرة ودعا له ... فلما قدم عبد الملك
قال له ... يا أمير المؤمنين قال وما ذاك فأخبره الخبر فقال بشر
وأهل العراق لما ثقلت عليهم ... على الإحتمال قدم قوم
على بابهم الحجاج واذعوا عليه بالعجز ... بالمقال كل من
حضره فقال إن الرعية ... استثقلوا ... يوجلونه إلا ما ... استثقلوه
وأتى إليهم ... ذلك فقالوا والله ما نعلم له سببا
... [illegible] ومكى أن رجلا أتى الحجاج وأودع
عند رجل مالا فلما رجع طلبه منه فجحده ... فأخبر الحجاج بذلك فقال له
... [illegible] ثم دعا بالأمين الذي الرجل المودع عنده وقال له
إنه قد تحصل عندنا مال ... [illegible]
واتخذ أقواما ثقاة يحملونه مع مخرج الرجل وأطلع ... ثم دعا بالشرطي

المال وقال له انطلق إلى صاحبك واطلب منه المال وقل له إن لم تؤد على
ما في شكوتك للقاضي فأتى صاحبه الرجل إليه وطلب منه المال فرده عليه فأخبر
الرجل القاضي بذلك فقال رضا كانت الحيلة في دفع المطلوب وسبيله فلم يجاوز
إلا من الرجل المودع فيها وعرفه والعاقل من إذا أتى تاج رياسته
عقوة أمر جواهر سياسته فالوا من طلب الرياسة فليصبر على مضض السياسة
وقالوا إذا صحت السياسة ثبتت الرياسة وقال أنوشروان فقال لم أمزح بأمر
ولا نهي ولم أخلف به وعدا ولا وعيدا وأعاقب للأدب لا للغضب وأثيب للغناء لا
للهوى وأودع قلوب الرعية هيبة لا يشوبها منهم ملق ومحبة لا يشوبها منهم بغض
وعممت بالقوت وحزمت الفضول وقال أزدشير لا يعاب ... بالسلطان
أنا ملك الأقوام بالنيات وأحكم بالعدل ... وأعم ... [illegible]
ومن كلامه لا سلطان إلا برجال ولا رجال إلا بمال ولا مال إلا بعمارة
ولا عمارة إلا بعدل ولا عدل إلا بسلطان وقال ابن جهم العالم حديقة سياجها الشريعة
والشريعة سلطان تجب له الطاعة والطاعة سياسة يقوم بها الملك والملك
راع يعضده الجيش والجيش أعوان يكفلهم المال والمال رزق تجمعه الرعية والرعية
سواد يستعبدهم العدل والعدل أساس به قوام العالم وقال الحكماء أسوس
الملوك لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها وقلوبها بخواطرها وخواطرها بأسبابها
من الرغبة والرهبة وقالوا ينبغي للملك أن يتفقد أمر رعيته في كل شهر وأمر خاصته
في كل يوم وأمر نفسه في كل ساعة وقالوا قلوب الرعية خزائن مليكها فما أودعها
من شيء فليعلم أنه فيها ويقال ينبغي للملك أن يعمل بثلاث خصال تأخير العقوبة
في سلطان الغضب وتعجيل مكافأة المحسن والعمل بالأناة فيما يعرض له ففي تأخير العقوبة إمكان
العفو وفي تعجيل مكافأة المحسن المسارعة بالطاعة وفي الأناة انفساح الرأي
وإيضاح الصواب وسأل المأمون رسول الروم لما قدم عليه على أي شيء ملككم فقال
بذل عرضه وسل سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة وجاءت إليه رهبة فقال المأمون
... الأشكال ... [illegible] ... فيه حكمة قال يدع الظالم
ويجبر على المظلوم ... [illegible] فقال ... فيكم ... يتعود
في القلوب فتخشع له ... فقال له المأمون لله أبوك لقد ... [illegible]

وقال أنوشروان الناس ثلاث طبقات تسوسهم ثلاث سياسات طبقة من خاصة
الأبرار تسوسهم باللين والعطف وطبقة من خاصة الأشرار تسوسهم بالغلظة
والعنف وطبقة من العامة تسوسهم بالشدة واللين كيلا تحرجهم الشدة ولا يبطرهم
اللين وقال عبد الله بن طاهر

إذا كنت للناس أهل سياسة ۞ فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل

وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا ۞ على الذل إن الذل أصلح للنذل

وقال معاوية إني لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث
يكفيني لساني ولو أن بيني وبين العامة شعرة لما انقطعت قيل له وكيف ذلك قال
كنت إذا جذبوها أرخيتها وإذا أرخوها جذبتها وكان زياد إذا ولى رجلا عملا قال
له خذ عهدك وسر إلى عملك واعلم بأنك مصروف رأس سنتك وأنك تصير إلى أربع خلال
فاختر لنفسك إن وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك وسلمتك من معرتنا
أمانتك وإن وجدناك قويا خائنا استهنا بقوتك وأحسنا على خيانتك أدبك وإن
جمعت علينا الجرمين جمعنا عليك المضرتين وإن وجدناك قويا أمينا زدناك في عملك ورفعنا
ذكرك وكثرنا مالك وأوطأنا عقبك وما أحسن قول معاوية لسلم بن زياد لما ولاه خراسان إن
أباك كفاني أخاه عظيما ومن استكفيته صغيرا فلا تتكلن على عذر مني فقد اتكلت
على كفاية منك وإياك من قبل أن تقول إياك منه فإن الخطأ إذا أخلف منك فيك أخلفا
منك بي وأنت في أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك
وما ترى إذا كان المحسن أحق بالنعمة والمسيء من العذاب بالنقمة بذل
المحسن النصح رغبة وانقاد المسيء إلى الحق رهبة ولا ينبغي للحرم من الملوك
أن يغفل عن قول أزدشير بن بابك الاستعداد منه والاستيطان عنه وممن يوقف بعض
موازنته اعلم أن السلطان والدين أخوان توأمان لا قوام لأحدهما إلا بالآخر لأن
الدين أس الملك وعماده والملك حارس الدين وبقاؤه ولابد للملك من أس ولا
بد للدين من حارس وكل حارس له ضائع وما لا أس له مهدوم واعلم أنه ليس على الملك
وعلى الرعية أن يكونوا للفراغ عن موضع فإن التضييع في فراغ الملك وفساد الرعية
من فراغ الرعية ويقال شيئان إن صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية وقال
المأمون أشقى الملوك من ساس نفسه لرعيته فاشتغل عنه مواضع حجته ونفع

مواقع حجته عنها وقال أبو منصور الثعالبي إذا كان الملك واضح سبيل العدل
فاشر جناح الفضل باسط جناح البر منبت نور الحسنة مثمر كل الطيبة ملك عنان
السياسة مفوق زمام الزمان يحسن أثاره وشرف الملوك بشرف جاهه من كلام البلغاء
خير الملوك من كفا وكف وعفا وعف قال الشاعر في بعض بني مروان

إذا ما قضيتم فيكم عنانكم ۞ وأمضيتم إياكم بترام

فجد الذي يغشاكم وقت طلبه ۞ وجد الذي يلغاكم ليسلام

رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة ۞ بلثم غلام أو بشرب مدام

ألم تعلموا أن اللسان موكل ۞ بمدح كرام أو بذم لئام

كان الرشيد في بعض غزواته فألح عليه الثلج ليلة فقال له بعض أصحابه
يا أمير المؤمنين أما ترى ما نحن فيه من الجهد والنصب ووقاء النعيم والرعية
فارة وادعة نائمة فقال اسكت فللرعية المنام وعلينا القيام ولابد للراعي من
حراسة الرعية وتحمل الأذية وإلى هذا أشار بعض شعراء الرشيد بقوله

غضبت لغضبك الخوارج والقنا ۞ لما نهضت لنصرة الإسلام

ناموا إلى كنف بعدلك واسع ۞ وسهرت تحرس غفلة النوام

وإنما قلّ من شغله عيبه عن عيب من سواه ولم يقع في جواب الشعبيه أمر هواه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق
الفضل من ماله وهم أهل الزينة والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تتبعوا عورات المسلمين فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم تتبع
الله عورته يوشك أن يفضحه ولو في رحله وقال الحكيم من عجب استر عيب أخيه
لما يعلم من نفسه وقالوا أحمق الناس من أنكر من غيره ما هو مقيم عليه وقيل
للربيع بن خثيم ما نراك تعيب أحدا قال لست عن نفسي راضيا فأتفرغ لعيوب
الناس وذم إخوانهم وقالوا من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون
ومن تتبع مساوئ العباد فقد فضحهم عرضه وقال الشاعر

لا تكشفن من مساوئ الناس ما ستروا ۞ فيكشف الله سترا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ۞ ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وما أحسن قول القائل إذا شئت أن تحيى سليما من الأذى ۞ ودينك موفور وعرضك صين

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

فلا ينبغي منك للشاة بنوة … فللناس شهوات وللناس أنفس
وعيناك إن أبدت إليك مساويا … فصنها وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بإنصاف وكن متوددا … ولا تلقه إلا بالتي هي أحسن

وقالوا فلان بعيد عن الفحشاء ويحترس أن يتكلم بها وقال الشاعر يبرع

عيي عن الفحشاء إما لسانه … فعف وأما ماله فكليل
آخر وإذا أتاك امرؤ بقبيحة … فأجبه بالإغضاء والإجلال
آخر كن بريء العين غضيضا عن الخنا … تنام وأذنك في المكارم تسمع

حكي أن رجلا عاب رجلا عند أناس فقال له إنا قوم استدللنا على كثرة عيوبك بما تذكر من عيوب غيرك لأن طالب العيوب إنما يطلبها بقدر ما فيه منها وقال الشاعر

أرى كل إنسان يرى عيب غيره … ويعمى عن العيب الذي هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه … ويبدو له بالعيب عيب أخيه

وقالت رابعة العدوية إن الناس إذا انصحوا لله في نفسه أطلعه الله على مساوي عمله فتشاغل بها عن خلقه والعاقل من جعل الإغضاء عن المساوي حصنا إليه من فوق اللئام فيا ود يقال ربما تحكه العاقل بسيء الرضى ويغضي على مثل جمر الغضا وقيل لبزرجمهر من أعقل الناس قال من لم يجعل سمعه عرضا للفحشاء وكان الغالب عليه التغافل وقال أبو بكر رضي الله عنه من استكثر عيانا التغافل تلك زمام الحر وقالوا أشرف الكرم غفلتك عما تعلم ويقال التغافل من الكرام يخصهم إلا غفلان والإكرام وأنشدنا أبو حزمة في المرتبة لكن في الفضل عبد الله بن محمد الخبازي رحمه الله

يا من تغافل للخنا متوهما … فجهلت منك فإنك جاهل
كم قد أغضيت منك على قذى … لولا التشوف لرأيت ما أنا فاعل
آخر ويشتمني النذل اللئيم فلا أرى … كفاء يعرضه عن قدره فأجاهله
أجر له ذيلي كأني متغافل … إذا هكذا كفرا وكفرا أقاتله

وقيل لبعضهم من العاقل قال الفطن المتغافل

أعرض عن العوراء إن أسمعتها … واسكت كأنك غافل لم تسمع

وبعضهم معرفا بكرمه ومعرفا بشيمه وإنه لا يغضي عن أمور كثيرة وإنما ينقطع الحبيب الواصل

واعرض

وأعرض حتى يحسب الناس أنني … جهلت الذي قالوا ولست بجاهل
وأعرض عن العوراء حتى يقال بي … بأذنيه وقر عنه حين ينطق
حياء ولكن ما تعرض بصونه … ولا خير في عرض يرى وهو ممزق
دعي فلا حاله من هجاني … فيا عجبا إن تفعل تشتماني
إذا حكيت البذاء عنه … فما هجاني سوى لساني

وأما ما قيل في التغافل والاحتمال والكف عن جواب قبيح المقال فقالوا أعقل الناس من لم يتجاوز الصمت في عقوبة السفيه وقال بعض الحكماء السكوت عن السفيه جواب والإعراض عنه عقاب قال الشاعر

إذا نطق السفيه فلا تجبه … فخير من إجابته السكوت
آخر لا ترجع إلى السفيه حكاية … إلا جواب تحية حياكما
فمتى تحركه تحرك جيفة … تزداد نتنا ما أردت حراكها
وللكف عن شتم السفيه تكرما … أضر به من شتمه حين يشتم

وقالوا إذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا وأوجعته عذابا ويقال ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة حليم من أحمق وبر من فاجر وشريف من دني قال الشاعر إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا … أصبت حليما أو أصابك جاهل

فاحبسه أما ما أعرضت جاهلا بسفيه … وأما ظلمت ما لا تحاول

وقال بعض الأعراب يمدح قومه

فما لهم حلم وصمت عن الخنا … وخرس عن الفحشاء عند التهاجر (التهاجر)
ومرضى إذا لاقوا حياء وعفة … وعند الحفاظ كالليوث الحوادر
لهم ذل إنصاف وعز تواضع … وعمي عن المولى ومش تجانب
فتحسبهم غيابون عما كره … وما وهم إلا العفاة العاذر

والعاقل من علم أن حظ الدنيا يسير فجعل فيها من التقوى زاد المسير وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا فقال من صح فيها سقم ومن سقم فيها برم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب من طلبها فاتته ومن قعد عنها أتته ومن بصر بها بصرته ومن نظر إليها أعمته وروي عنه أنه قال الدنيا والآخرة ضرتان

ومثله قول علي الرضى رضي الله عنه حيث قال فإذا ابتليت بجاهل متحكم … يجد المحال من الأمور صوابا
أوليته مني السكوت وربما … كان السكوت عن الجواب جوابا

فصل
الدنيا لحظة بين عدمين

متوارضية احرامها استحكمت الاخرى ، ومنها محمد بن تومرت المعروف بالمهدي
فقال تعطفه بين قرمزيها شركا . متشابكين . وقال حكيم الدنيا تطلب لثلاثة
أشياء للغنى والعز والراحة فمن زهد فيها استغنى ومن زهد فيها عز ومن قل سعيه
عليها استراح وقال عيسى عليه السلام أنا الذي كببت الدنيا على وجهها وجلست على
ظهرها فليس لي زوجة تموت ولا دار تخرب وكان يلبس الشعر ويأكل ورق الشجر
ويقول مع كل يوم رزقه وأين ما مشى بات وقال ابن السماك من جرعته الدنيا حلاوتها
بميله اليها واقباله عليها جرعته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها وقال علي رضي الله
عنه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب ان قربت من احدهما بعدت من الآخر وقال
رضي الله عنه الدنيا كمادة السموم يعتبر من عرفها جروح بن مجزوم وقال عيسى
عليه السلام تعجبون بالشتاء والصيف ولا تعملون بأيام من أجلها وقال يوسف بن اسباط
الدنيا لم تخلق لينظر اليها انما خلقت لينظر بها الى الآخرة وقال منصور بن عمار
الدنيا اولها بكاء واوسطها عناء واخرها فناء وقال لقمان لابنه يا بني بع
دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال
ابراهيم بن أدهم مساكين اهل الدنيا طلبوا الراحة فعدموها ووجدها الزهاد
فلزموها ولغير اهل عصرنا قال بعض المستقلين منها

أي دنيا لبئست لواتيني • الا بعضهن عمري ودينى
عجبت لحسن ترين مقلتها • ترين ما ساءت لئن ودينى

ومن المنظوم في ذلك قول بعض شعراء الزهاد واحسن في ذلك واجاد

تبا لطالب دنيا لا بقاء لها • كأنما هي في تصريفها حلم
صفاؤها كدر وسراؤها ضرر • أمانها غرر انوارها ظلم
شبابها هرم راحاتها سقم • لذاتها ندم وجدانها عدم
لا يستفيق من الانكاد طالبها • لو كان ما نحت في خفته رحم
فخل عنها ولا تركن لزهرتها • فانها نعم في طيها نقم
واعمل لدار نعيم لا نفاد له • ولا يخاف به موت ولا هرم
ومن يحمد الدنيا لعيش يسره • فسوف لعمري عن قليل يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة • وان اقبلت كانت كثيرا همومها

الاخرى

الاخرى • يا طالب الدنيا الى نعيمها • انتبه عن طلبتها تسلم
ان التي تطلب غدارة • قريبة العهد من اهل الشؤم
وقال احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد
الا انما الدنيا غضارة ايكة • اذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال الا فجائع • عليها وما اللذات الا مصائب
فكم سخنت بالامس عين قريرة • وقرت عيون دمعها اليوم ساكب
فلا تكتحل عيناك فيها بعبرة • على ذاهب منها فانك ذاهب
وذكرت الدنيا عند الحسن البصري فقال رحمه الله
احلام نوم او كظل زائل • ان اللبيب بمثلها لا يخدع
الا انما الدنيا كاحلام نائم • وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل اذا ما نلت بالامس لذة • فافنيتها هل انت الا كحالم
انما الدنيا كظل زائل • طلعت شمس عليه فاضمحل
كانما هي دار سكناها الى أجل • عليه بالسير حتما ان يرتحل
انما الدنيا كريح عاصف • او كجرعة الماء او كظل الغمام
واني لتبعي منشيفها • كالذي تبعه حال اسماع
لعمرك ما الدنيا بدار اقامة • ولكنها دار انتقال لمن يعقل
اذا ارتفعت حطت وان هي انخفضت • اشابت وان امكنت بأيامها دول
مذمومة بالهم مخطومة • شتى ذماتك يجمع اخلاطها
ولم تزل تغفل الا جهلا • أي تعتال الذ الا جهلا
والمقول التي يستمع ويغتر عليه ويتبع قول بعضهم بنفس
الزاهد في الدنيا من زهد فيها ومن اعرضت عنه وانبعث منه ولم تمكنه
من متاعها وضاقت عليه مع اتساعها فانه مضطر الى ذلك لفقر محض
وبعد بين وانما الزاهد من اقبلت عليه وحشرت مواهبها اليه وصفت له
بحذافيرها وامكنته من لذاتها فاعرض عنها واثر البعد منها كما قال ابو تمام
اذا الزهد لم يتم ومن صبغت له • بحبيها الدنيا فليس بزاهد
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما الزاهد في الدنيا من يكون بما

بيد الله أغنى منك بما في يدك ومر محمد بن واسع على قوم مجتمعين في مسجد فسأل عنهم
فقيل علماء زهاد في الدنيا فقال وما قدر الدنيا حتى يزهد فيها وقال الفضيل
ابن عياض لو عرضت علي الدنيا بحذافيرها حلالا لا أحاسب عليها في الآخرة لكنت
أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقال علي رضي الله
الدنيا جيفة فمن أراد منها فليصبر على مخالطة الكلاب وقال بعض البلغاء طالب
الدنيا مسافر راحل أيامه مراحل وأنفاسه مراحل نظم هذا القول شاعر فقال

رأيت أخا الدنيا وإن كان قاعدا ۞ تسير به أيامه وهو لا يدري

وقال آخر صاحب الدنيا بين فرحة وترحة وحسرة وعبرة طالب الدنيا بين الفشل
والنصب والندمة والأسف حكي أن سليمان بن عبد الملك قال لعمر بن عبد العزيز
وقد أعجبه سلطانه كيف ترى ما نحن فيه فقال عمر سرور لولا أنه غرور ونعيم لولا
أنه عدم وحسن لولا أنه حزن وغنى لولا أنه فناء وملك لولا أنه هلك وحياة
لولا أنه موت ونعيم لولا أنه أليم فظهر في وجه سليمان الكآبة من كلام عمر
ولم ينتفع بنفسه بعد ذلك وتوفي سنة ثمان وتسعين وسنه خمس وأربعين سنة
وكانت ولايته سنة ست وتسعين وقال قابوس بن وشمكير الدنيا دار
غرور وخداع ومتلف ساعة لوداع أملك فيها بين ورود وصدور ومنتقل منها إلى
قبر بعد أن كان بدور ونعيم يانع في الأنطاب وقد قال

نراع بذكر الموت في حين ذكره ۞ ونعترض الغفلات تلهو ونلعب
ونحن بنو الدنيا خلقنا لغيرها ۞ وما كنت منه فهو شيء محبب

الفصل الثالث من الباب الثالث في أن هفوة المقال لا يغضى عنها ولا تقال

كما قيل

قد يعفو الحلم الصبيح دفينة ۞ للمسيء فيها للتواضع معاذر
ذو العلم يعسر أن تقال عثاره ۞ وتقال عثرته الشنيعة الفلتان

ولسليمان بن عبد الملك كلام فيه نصيحة كلام مثل الشهد اللائح والصادق التي
القلب في الوعظ وموقوف له السكوت عما لا يعنيك من الكلام فيما يعنيك
والسكوت عما لا يعنيك خير من الكلام فيما لا يعنيك وقال عمرو بن العاص رضي
الله عنه زلة الرجل يجبر وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر قالوا كما اليقظان أنفع من كلمة

اللسان وجرح الكلام أصعب موقعا من الحسام فالواجب صيانته على الإنسان
وقد تقدم التحذير من لسانك تأمن سطوة سلطانك وسيأتي لهذا نظائر في بقية
هذا من الكتاب إن شاء الله تعالى ولبعضهم

يموت الفتى من عثرة بلسانه ۞ وليس يموت المرء من عثرة الرجل
احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ۞ إن البلاء موكل بالمنطق

فمن أخبار من أرسل لسانه فيما فيه فأصاب مقتله ولم يكن يخشيه
حكي أن رجلا من العجم وقف على شيرويه لما قتل أبرويز فقال الحمد لله الذي قتل
أبرويز على يدك وملكك ما كنت أحق به منه وأراحنا من عتوه وكبره وبخله
وجعله فإنه كان يأخذ بالإحنة ويقتل بالظنة ويخيف البريء ويذل المرء
فلما سمع شيرويه كلامه قال لحاجبه احمله إلي فلما مثل بين يديه قال له كم
كان رزقك فقال العطاء فقال والآن فقال ما زدت شيئا فقال ما دعاك إلى الوقوع
فيه وأنت إنما ابتدأت نعمتك من عنده ولم تنزع يده الآن وأمر بنزع لسانه فجاءه
ولما كتب محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم
بالمدينة في أيام أبي جعفر المنصور دخل عليه سديف بن ميمون فأنشده أبياتا
يحرضه فيها على الظفر بالدعوة ويطعن في دولة بني العباس يقول فيها

إنا لنأمل أن ترتد ألفتنا ۞ بعد التباعد والشحناء والإحن
وتنقضي دولة أحكام قادتها ۞ فينا كأحكام قوم عابدي وثن
فانهض ببيعتكم ننهض ببيعتنا ۞ إن الخلافة فيكم يا بني حسن

فبلغت المنصور هذه الأبيات فكتب فيه إلى عبد الصمد بن علي وكان عامله
على مكة فأخذه وقطع يديه ورجليه وجز أنفه ثم دفنه حيا وكان
الخزاعي هجاء للملوك جسورا على أعراضهم متحاملا لا يبالي ما صنع حتى عرف بذلك
واشتهر فقطع على لسانه بكر بن حماد الباهلي ممن كان ذا عقل يؤذيه ومما جنته
أبياتا يهجو فيها المعتصم وذكر قوم أنها لدعبل وهي هذه

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ۞ ولم يأتنا عن ثامن منهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكتب سبعة ۞ كرام إذا عدوا وثامنهم كلب
وما أنت عندي في الوفاء ككلبهم ۞ لأنك ذو ذنب وما ذنب الكلب

فبلغت المعتصم الابيات فامر بقتله فهرب الى زويلة بلد السودان بناحية المغرب
فمات بها وقيل بالاسوار وقيل بل عبد الله انت القائل هذه الابيات فقال لا والله
ولكن حدثوا الله خير ثنا ابعثوا ابراهيم بن المهدي انشاها برهة لما يهجرنه بغوه
فيه وبنو خليفة يا معشر الاعراب لا تقنطوا خذوا عطاياكم ولا تسخطوا

فسوف يعطيكم حنينية ، لا تدخل الكيس ولا تربط
والمعبديات لقوادكم ، وما بهذا احد يغبط
وهكذا يرزق اصحابه ، خليفة مصحفه البربط

وكان المعتصم يلقب بالثماني لانه الثامن من ولد العباس وفي عدد الثمانية في كثير من اموره وقد ولد في شهر
شعبان وهو الثامن من شهور السنة وهي سنة ثمان وسبعين ومائة وهو ثامن بني
العباس من ولد وثامن منهم ولدا وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وغزوات
فتوحاته ثمان وقتل ثمانية اعداء وتوفي وقد بلغ ثمانية واربعين سنة وخلف ثمانية
بنين وثمان بنات وترك ثمانية الف دينار ودرهم الى غير ذلك من عدد الثمانية

وقال ابو الفرج الاصبهاني ان جماعة من بني امية دخلوا على ابي العباس السفاح
وفيهم الغمر بن يزيد بن عبد الملك فاقبل عليه ابو العباس بالنظر من بين القوم لانه انشد

عبد شمس ابوك وهو ابونا ، لا نناديك من مكان بعيد
فالقرابات بيننا واشجات ، محكمات القوى بعقد شديد

فاعجبه ذلك منه واجلسه معه على السرير واقعد اصحابه يمينا وشمالا وقال لهم
اذ ادبر ارحلكم بنفسي واستخلفكم لي مشكورين فلعل الله يجمعنا ثم تفترقون
اذ دخل عليهم سديف فاشار السفاح اليه بعينه ان ادن فاستنشده فانشد مليا
حتى اتى على آخرها فقال السفاح يا ابن عم بني كعب هذا شاعرنا فقال هو كذلك محبا لعينيه
وارباب بني امية ان شاعرنا لا شعر من شاعركم واكثر بيانا واوضح لسانا فقال
السفاح وما قال شاعركم فقال

لو تقل البخت والاقيال مقبلة ، اهلا صرت عفر المناسم
لا يعبثون اذا البخت مما حلها ، زنر المجالس من سادات المنابر

فاحمرت عينا السفاح غضبا وتراكبت به حمية كادت العلم من سكينة ثم ضرب على فخذ الغمر
وقال قطعت امية ان تجاوز ما يشم ، عنها وتريب زبرها وحسنها

كلا ورب محمد ومليكه ، حتى تبيد كفورها وخؤونها

ثم قال خذوهم الى منصور فقتل ثمة عاجلا نيفا وسبعين رجلا من اهل خراسان فما
عطاهم الخشب وقال اشدخوهم فشدخوهم عن آخرهم قال سديف والله ما خرجت
من الدار حتى رأيتهم معلقين عن آخرهم من نهشت الكلاب رؤوسهم ولما بنى
زياد فيها البصرة وهو اول بناء بني بالجص والآجر بالبصرة امر اصحابه ان يسمعوا
من افواه الناس ما يقولون فيه ويحلفونه ويأتون بالقائل فأتي بانسان قيل انه
لما رءاك تلا قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم
تخلدون فقال له زياد ما حملك على هذا قال لم تكذب ... من منازع فصر واناخذك
على قلبه فبللاه لسانه فقال والله لا عاقبتك فيك بباقي الآية واذا بطشتم
بطشتم جبارين وأمر به فبني عليه ركن من اركانه وذكر غرس النعمة محمد بن الصابي
الهلال في كتاب الهفوات قال كان احمد بن يوسف الكاتب كثير السقطات وكان
يجالس المأمون وكان المأمون اذا تبخر يستفضل البخور وتخرج المجمرة فيضعها
فيه فتوضع تحت الرجل الجليل من الجلساء اكراما له واعتناء به فجاءت
النوبة يوما لاحمد بن يوسف فقال هاتوا المردود فسمعه المأمون فقال ألنا
يقال هذا ونحن نصل واحدا منكم بستة آلاف درهم واكثر ويجد انفسا
فصرنا الكرام وان اكون انا وانت افتتحنا بخورا واحدا ولا بأس لكن امنه
الله لبيتم ثم امر المأمون ان يحرق في المجمرة ثلاث مثاقيل عنبر ويبخر بها
احمد ويدخل راسه في كمه حتى يتبخر ففعل به ذلك وهو يستغيث
ولا يغاث حتى احترق دماغه وقام من المجلس الى منزله فمات من ليلته
وهو سقط من العقلاء في كلامه فكان سببا موكلا للموت والبلاء موكل
فانه وقع لعبد الملك بن مروان بلاذكاء وجودة الشعر وحسنه فاحب ان
يراه فامر باحضاره فلما دخل عليه استنشده فانشده قصيدته الرائية والتي مطلعها

ما بال عينك منها الماء ينسكب ، كأنه من كلا مفرية سرب

وانفق ان كانت عينا عبد الملك تسيلان دائما فظن انه عرض به فغضب وقال له
يا ابن اللخناء وهذا السؤال ثم قطع انشاده وامر باخراجه فاقام حتى اذن
للشعراء في آخرها فدخل معهم وغنى ما قال اول ما انشد

ما بال عينيك منها الماء ينسكب . حتى انتهى إلى قوله كحلاء في برج صفراء في نعج
كأنها فضة قد مسها ذهب فاستحسنه وأجازه وأكرمه وقال له لولا أنك قبلت
قبلت في الجاهلية هجرتك العرب . أنشد النابغة الجعدي بعض الملوك قصيدة أولها
نسبت أناسا ما بقيتهم ، وأبقيت بعدا ناسا بر أفناسها ،
فقال له الملك إنك لرجل شؤم . وأنشد أبو عيينة الجهني أبا سعيد قصيدة أولها
لك الويل من ليل تطاول آخره ، بوشك نوى حتى تنزع أباعره ،
فقال له بل اليوم الويل لك والحرب . وأنشد أبو دلف القاسم بن عيسى إسماعيل
الكاتب بعض ما رثى به ابنه ذهب الله بابني كنت فرما نعم منه ،
فغضب أبو دلف وقال أمك كانت نعم منه . ودخل أبو النجم الشاعر على هشام
ابن عبد الملك مع الشعراء فأنشد أرجوزته التي أولها الحمد لله الوهوب المجزل
حتى انتهى إلى قوله فهي على الأفق كعين الأحول فاستدرك
فعلمته ولم يقل الأحول وقطع إنشاده وارتج عليه وعلم أنه زلة فقيل
يخشى أن تكون غفلة فاملة من هشام كان أحول فقال له هشام ويلك أتمم
البيت وأمر بوجء عنقه وإخراجه من الرصافة . ودخل عمر بن هبيرة المنصور فقال
له عند انقضاء حديثه فمه يا أمير المؤمنين فنظر إليه المنصور مغضبا فقال
أعلمني يا أمير المؤمنين فإن حديث عمر بن هبيرة . ودخل الحسن اللؤلؤي في
المأمون ليلة وهو يسامره وكان يومئذ ولي عهد فطال الحديث فنعس المأمون
فقال أنعست يا أمير المؤمنين ففتح المأمون عينيه وقال سوقي ورب الكعبة
خذوا بيد غلامي . وسأل بعض الملوك كاتبا له وكان مقعدا في سعي أي وقت هذا
فقال وقت الزوال أراد زوال الشمس وهو وقت الظهر فتغير الملك وتطير
فقال زوال عمرك وما بالك فلما قلت وقت الدنو سنوات . وقال المدائني
كان رجل من ولد عبد الرحمن بن سمرة أراد الوفود بالشام بعد زمن المهدي فأخذ وحمل
إليه فلما مثل بين يديه اعتذر وبرئ المهدي منه نبلا وفضلا فعفا عنه وخلطه
مع جلسائه فقال له يوما أنشدني شيئا من شعر زهير فأنشده قصيدته
لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر حتى أتى على آخرها فقال المهدي ذهب
والله من يقول مثل هذا فقال السمري ذهب والله من يقال مثله فاستشاط

المهدي

المهدي غضبا وأمر أن يجر برجله وأن لا يؤذن له بعد ولما كان النصف من شعبان
سنة ست وثمانين مات عبد الملك بن مروان وعمره ثلاث وستون سنة وأيام وقيل اثنان
وستون ومدة خلافته كانت إحدى وعشرين سنة وأياما فجاءه ابنه الوليد فأنشد
أخوه هشام فما كان قيس هلكه هلك واحد ، ولكنه بنيان قوم تهدما ،
فلطمه الوليد على فيه وقال اسكت يا ابن الأشجعية فإنك أحول أكشف تنطق
بلسان شيطان . ودخل جرير بن عطية الخطفي على عبد الملك بن مروان بعدما
منعه من الدخول عليه كراهة منه وفي شعره فأنشده
أتصحو أم فؤادك غير صاح ، عشية هم صحبك بالرواح ،
فقال له بل فؤادك يا ابن اللخناء فحصر جرير وخرج خائبا وفي مثل الفضيحة يقول
مادحا بالأبيات أحمر بمثله المستجير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
خاطر رجلا خالد بن أبي صفوان وكان من كبار حتى إلى بلال بن أبي بردة
وكان أمير الكوفة وقاضيها فقبض على خالد ثم مر به موكب بلال فسأل من هذا
فأجابوا بلال فقام خالد وهو يقول سحابة صيف عن قليل تقشع فسمعه بلال
فقال والله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد ثم أمر به فضرب مائتين
سوطا وأمر بحبسه فقال له خالد علام تفعل بي هذا ولم أجن جناية فقال بلال
يخبرك بذلك باب مصمت وقيود ثقال وقيم يقال له حجر ثم ضرب الأرض بأنف
منكب بلال بعد ذلك وأحضر يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام في قيود وكان
جالسا عنده فقال له يا أبا عمرو إن بلالا عمر والله ضربني وحبسني ولم
أجن جناية وقد خلعت برأس كاهنة ثم التفت إلى بلال وقال الحمد لله الذي أذل
سلطانك وهدم أركانك وأزال جمالك وغيرها لك فوالله لقد كنت شديد
الحجاب مستخفا بالشريف معظم العصبية فقال بلال يا خالد إنما استطلت
علي بثلاث أن الأمير عليك مقبل وعني معرض وأنت طليق وأنا عان وأنت في وطنك
وأنا غريب فأفحمه ومن المعجزات أن جارية مثل الطيبة المولد تعلمها
بالزوال والتعبئة قال علويه كنت عند المأمون لما خرج إلى الشام فدخلنا
دمشق وجعلنا نطوف فيها على قصور بني أمية فدخلنا صحنا من قصورهم مفروشا
معروشا بالرخام الأخضر كله وفيه بركة يدخلها الماء ويخرج منها وبستان وروضة

مجرب

السمحا وتشرعن سنر محزواده

ثم جعلت جميع أنواع الملاهي تجاوبه العنصر من أجناس الآلات كبارها يغني صوته عن العود والمزمار وما يستحسنه الناس، فما زال وعزم على الصبوح ثم دعا بالطعام والشراب فأكلنا وشربنا ثم قال غنني بأطيب صوت وأحزنه فلم يرد على خاطري غير هذا الصوت

لو كان حوله بنو أمية لم ¦ يبكوه رجال الزمان تهجوا

فنظر إلي مغضبا وقال وعليه وعلى بني أمية لعنة الله فعلمت أني من أخطأت بما حضرني أعتذر من جفوته وقلت يا أمير المؤمنين أن أذكر بني أمية وزرياب عمي كان يركب في مائتين غلام ومملوك له ويملك ثلاثمائة ألف دينار أين غيره الذي بقي الضياع والأموال وأنا عبدك أموت جوعا فقال ما وجدت شيئا تذكرني به نفسك غير هذا ثم سكت ساعة وقال أعدل عن هذا وغنني ما أفرحت عليه بلا مجيء غير هذا الصوت. الحي شاهه إلى دمشق وليس ¦ أرض دمشق بمثلها وكنا

ثم قام بالصبوح فلاحكاني وقال لي الذي لعنة الله وحرسه ثم ركب فكان آخر عهدي به حتى مات وقتل الأمين لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان وتسعين ومائتين وكانت خلافته منذ قتل الأمين محمد عشرين سنة وأشهرا وله من العمر ثمان وأربعون سنة ومات المعتصم أيضا في هذا العام وكانت ولايته ثمان سنين وثمانية أشهر وكذلك كان عمر عبد الله بن طاهر وتوفي في ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين وكانت مدة إمارته بخراسان تسع عشرة سنة وتقدم عن المعتصم من بناء قصر بالبيداء فجلس فيه مع جمع من أعيان جلسائه وندمائه سرورا به فجاءه الناس أحسن من ذلك أبو ... إسحاق بن إبراهيم والشعراء فضربه يهنيه فيها وهما: يا دار غيرك البلا ومحاك ¦ يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم وتغامز الناس وعجبوا من بادرته وعقوبته مع علمه وعجبه وكونه خرمته لملوك وقام المعتصم من ذلك المجلس متطيرا منزلا ثم لم يعد إليه وقد فيه ما وقع لأبي نواس أنه أساء في أدبه وخالف فيه مذهبه وحكى أن جعفر بن يحيى البرمكي بنى دارا وتأنق فيها وانتقل إليها فدخل عليه أبو نواس مع من دخل إليه من الشعراء للهناء بها فأنشد

أربع البلى إن الخشوع لباد ¦ عليك وإني لم أخنك ودادي

وكان أن زاد الشعراء عند بحيلة ¦ فما أنا منها قابل لسعادي

أحسن

حزنت ... ¦ بمنية أرواح وصرعى غواد

فإن

فإن كان مهجور الفناء فربما ¦ يرى العيح من مهسور السنون جواد

فإن كنت قد بدلت بوسا بنعمة ¦ فقد بدلت عيني قذا بسهاد

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم ¦ بني برمك من رائحين وغاد

فتطير جعفر بها وتغير الوجوم في وجهه ثم قال نعيت إلينا أنفسنا يا أبا نواس فلم تكن إلا مدة يسيرة حتى أوقع بهم الرشيد وزعم بعض أهل التاريخ أن أبا نواس قصر التشاؤم لم يشء كان في صرعة من السروح وسبب ذلك أن أبا نواس دخل عليه يوما فلم يبشره ولم يرى مجلسه وكلمه في وجهه ثم دخل مسلم بن الوليد فبشر له وأدناه مجلسه وأقبل عليه فحلا أبا نواس وأغراه الحسد فجعل مرثية فجعله على سبيل التطير وقال المبرد في التطير إن الروضة أن أبا نواس عملها في الفضل بن يحيى

وحكى الثعالبي في كتاب الصوان أن شرف الملوك أبا سعيد الوزير جلس يوم عيد والناس يدخلون عليه يهنونه ويمدحونه فأنشد أحد الشعراء من قصيدة يهانيه

وأنت الذي حصني الذي أولته ¦ فماله قد تفرقت شر جنه

فتطير الوزير من ذلك لمناسبة شرح بشرح السلطة نحبه ثم أنشد آخر قصيدة أولها

عقرالصباح بيوم العطر محلول ¦ فقوم الكاس تاتعزيل معزول

فازداد تطيره وعجب الحاضرون من سوء ما اتفق فلما كان السابع من شوال قبض عليه وحمل إلى استنزك محبوسة تشاينة من الخلفاء وورد بالأعتذار منه ما نزل به من البلاء قال المنصور حججت سنة أربع وأربعين ومائة وأنا خليفة ماشيا لنذر لزمني فابعدت عن الناس وإذا أنا بامرأة كنت أعرفها ببيت داني مروان بن محمد فسلمت عليه وأخذت بيدي فقال تراك ملك رمقعة بالشام وافتتن يوم مروان بن محمد حتى على وأنشد:

أيامنا نساء بني أمية منهم ¦ وبناتهم بضيعة أيتام

نامت جدودهم وأسقط نجمهم ¦ والنجم يسقط والجدود تنام

خلت المنابر والأسرة منهم ¦ فعليهم حتى الممات سلام

فقلت لا تغضب مسئول على ما رمى به مثلي إلى كم كان من وإلى أعطاك فقال أعنانة حتى لقد أسأل أحرا بحوزه ملكني الغمار والحوار والعصا رفعت وأنى ذلك فقال ... قال المنصور فلولا أن حق الصحبة منعني عنه كنت قد همت به وشيعته نفسي منه فقلت له أتعرفني قال ما أتبينك معرفة وكم أنكرك من سوء فقلت أنا

المنصور فما سقط في يده ووقعت عليه الرعدة ثم قال يا أمير المؤمنين أقلني فقلت
القلوب على حب من أحسن إليها فأقلته وانصرفت ثم طلبته بعد ذلك فبان لي
بلغ أجله فكأنما البيداء أبادته قال أبو الفرج الأصبهاني وهذا مثل قول
أبو العباس السفاح بن ... من بني الليث وقيل من بني الديل بن بكر في بني أمية
من أبيات يمدح بها السفاح فيما قيل
وكل خليفة وولي عهد ، لكم يا آل مروان الفداء
إمارتكم شعار حين كنتم ، وبعضوا ما رأوه لهم سواء
وكنتم تحسنون إذا ملكتم ، وقبلكم إذا ملكوا أساءوا
فما ... رحلكم وأنتم ، لا ... وأغنيتم سواء
ولى عمر رضي الله عنه رجلا من قريش عملا فبلغه عنه أنه قال
اسقني شربة ألذ عليها ، واسق بالله مثلها ابن هشام
فعزله فلما قدم عليه قال له أنت القائل قال نعم والقائل بل بحر
عسلا باردا بماء سحاب ، إنني لا أحب شرب الشراب
فقال له عمر فجعل الله كذا قلت ورده إلى عمله وأتي عبد الملك بحلفة بن
الشيباني وكان من أجناد الخوارج فأمر بقتله وقال الشاعر القائل
فمنا سويد والبطين وقعنب ، ومنا أمير المؤمنين شبيب
فقال يا أمير المؤمنين إنما قلت أمير ومنا الرأي فاستحسن ذلك منه وأطلقه
فانظر إلى حزم هذا الرجل يسكر حاشا تحركه أمر عمره من أجله فأتى به وذلك
بغير الرأي من كلمته وجعل الرفع حرف النداء والذي النظام منصوبا أيضا
وقيل هذا البيت إلا بلغ فيه إلا من ... ذا والبيت لم يرو فيه خ
فلا تذا لا ... وائل ، فكل لذي تروم بالعراق عجيب
فيا بكر منكم كان مروان وابنه ، وعمرو ومنكم هاشم وحبيب
فمنا سويد والبطين وقال الحجاج لعبد الرحمن بن أبي بكرة ما أمانك قال تفرغت
على الله ... ثم إن عبد الرحمن شعر بزوال ... وكان يقابله الحجاج فتداركه
مسرعا وقال ... وما أملك إلا ... وأتى إنسان ... برجل ادعى
النبوة فقال له ما اسمك قال أنا أحمد النبي فقال ... زور أم

يقضي به ملمات الرجال الأعوان قرأ ما كنت به قال يا أمير المؤمنين أنا أحمد النبي
قيل ... أنت مبارك المأمون ما نبيء من رضي الله به بالسنة والورى لا زلوا المحبة
بالجنة وهذا وأمثاله كثيرة معروفة في وجوه عن الاستقصاء

الباب الرابع في الحمق وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول في ذم الحماقة والجنون وما اشتملا عليه من العيوب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤاخوا الحمقاء فإن صحبتهم بلاء وفي ذريتهم
ضياع وفي حديث آخر لا تسترضعوا الحمقاء فإن لبنها يغير الطباع وقال عمر
رضي الله عنه لم يقم جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر إلا خرج ... وقيل حد الحمق
الحمق ما دوا ... وقيل إلا ... ووضع الشيء في غير الموضع الذي وضع له وقيل
هو ... ما يجري من الغافل وقيل لعمر بن ... ما حد الحمق قال لا حد له كالعقل
وقال أبو يوسف الناس ثلاثة مجنون ونصف مجنون وعاقل فأما المجنون فأنت
منه في راحة لا يكلفك الله خلافه وأما النصف مجنون فأنت معه في تعب نفرق بك
الله وأما العاقل فقد كفيت مؤنته فمن قوسم في ذم الحمق والحمقاء في جميعها
وإنه داء عضال لا يبرأ الأبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الأحمق أبغض الخلق إلى الله إذ حرمه أعز الأشياء عليه وهو العقل وقيل
أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قال أتدري لم رزقت الأحمق قال
لا يا رب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالحيلة وقيل من لا عقل له
لا دين له ومن لا دين له لا آخرة له وقال الشعبي إذا أراد الله أن يزيل عن
عبد نعمته فأول ما يغير منه عقله وقالوا الحمق داء دواؤه الموت وقال الشاعر
لكل داء دواء يستطب به ، إلا الحماقة أعيت من يداويها
وقال بعض الحكماء لو جاز لوم الأحمق على أن يعقل جاز لوم الأعمى على أن
يبصر وروي أن عيسى عليه السلام قال إني داويت كثيرا وبقيت أعياني دواء
الأحمق ولم تعيني مداواة الأكمه والأبرص وقال الشاعر
وعلاج الأبدان أيسر خطبا ، حين تعتل من علاج العقول
وقال معلم موسى الهادي في معرض النفي فيه يا أحمق فشتم أخبر فسأله
أبو الهيثم عن السبب فقال قال لي يا أحمق ولو قال لي يا مجنون لاحتملته وقال

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

الشعبي خطب الحجاج يوم جمعة فأطال فقام اليه رجل اعرابي فقال ان الوقت
لا ينتظرك وان الرب لا يعذرك فأمر به فحبس فأتاه أهله وقالوا انه مجنون
فقال الحجاج ان اقر بالجنون خليت سبيله فجاء الى الرجل أهله وسألوه ان يقر لهم
بالجنون فقال لا والله ولا أزعم ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ كلامه الحجاج فـ
عفا عنه لصدقه واطلقه وقال الاصمعي قلت لغلام من أبناء العرب أيسرك أن يكون لك
مائة ألف درهم وأنت أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف أن يجني علي حمقي
جناية تذهب مالي ويبقى حمقي وقال سعيد بن هارون مكتوب في التوراة من صنع الاحمق
معروفا فهو خطيئة مكتوبة عليه وقيل اذا قيل لك ان غنيا افتقر فصدق او فقيرا
استغنى او حيا مات او ميتا عاش فصدق واذا قيل لك ان أحمق استفاد عقلا فلا
تصدق قالوا الاحمق تتمنى امه ثكله وتتمنى زوجته أنها عدمته ويتمنى
جاره منه الوحدة ويجد جليسه منه الوحشة ومما اخترناه من حكم أولي
التجارب في ذم الحمق ممن سلف من ذوي التجارب قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه
مجالسة العاقل في الخلاء والوحدة خير من مجالسة الجاهل على السندس والاستبرق
وقال الاحنف بن قيس انه ليجالسني الاحمق ساعة فأتبين ذلك في عقلي قال
لغلامه لا تعاشر الاحمق وان كان ذا جمال فانه كالسيف حسن منظره
قبيح أثره وقال الجاحظ لا تعاشر الاحمق فانه يعلق بك من مجالستهم يوما
من الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرا من الصلاح فان الفساد
أشد التحاما بالطبائع وقال ابن جهم مجالسة الاحمق عذاب الروح وقال
مسلم بن قتيبة لا تطلب حاجتك الى الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك
فسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته وقالوا العاقل
من جوهره على كل حال والاحمق محروم على كل حال وقالوا العاقل من عقله
في ارشاد ومن رأيه في امداد فقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في
اغواء ومن هواه في اهواء فقوله سقيم وفعله ذميم وقالوا صحبة العاقل
في فيح الجنان وأمثال الثمار ان من صحبة الجاهل يلبس حسنات وأثمار بأنواع
الطعمة وثمار وقالوا صحبة الاحمق غرر ومجاورته خطر والبعد عنه كهجر
وقال ابن المقفع ان الاحمق قال مطرانا ونسكنه وان اوحشته وان

استنكى

استنكى فحلق وان تركته تكلف فمجالسته فقر ومواددته تغوي ومفارقته شفاء ومقارنته
شقاء. وقال علي بن بسام لا تياسرن اللبيب وان جفا واقطع حبالك من حبال الاحمق
فعداوة من عاقل متجمل، أولى وأسلم من صداقة أخرق
وقالت الحكماء العاقل يطلع عقله على مجاورة الاحمق وقالوا الاحمق كالرمل
المنهار كلما قومت منه جانبا انهار عليك جانب آخر وقالوا مثل الاحمق كالثوب
الخلق ان رقعته من موضع تخرق من موضع آخر وقال مسكين الدارمي

اتق الاحمق ان تصحبه ، انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا ، حركته الريح وهنا فانخرق
او كصدع في زجاج فاحش ، هل ترى صدع زجاج يرتتق
واذا عاتبته كي يرعوي ، زاد جهلا وتمادى في الحمق

ومما يستدل به من ذميم الخلال على فرط حمق الاهوج والمائق
قالوا مما عرفت به الحمقى ان من طالت قامته وصغرت هامته وانسرحت
لحيته كان حقا على من يراه ان يقرأ على عقله السلام وفي التوراة ان اللحية
مخرجها من الدماغ فمن افرط عليه طولها قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله
ومن قل عقله فهو احمق وقالت اعرابية لفتى يخطب عليها صغر راسك
فبصغر عقلك وانسرحت لحيتك فانتشر عقلك وما رأيت ميتا يقضي بين
حبيبين غيرك وقال الماموني اذا كانت اللحية تكون شبه العقل قال مسلمة
ابن عبد الملك لجلسائه يوما يعرف حمق الرجل في اربع طول لحيته وبشاعة كنيته
ونقش خاتمه وافراط شهوته فدخل عليهم رجل طويل اللحية فقال نعم اما هذا
فقد أتاكم بواحدة فانظروا والبرهان من الثلاث فقيل له ما كنيتك قال أبو
الياقوت قيل فما نقش خاتمك قال وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد
أم كان من الغائبين قيل فما تشتهي من الطعام أحب اليك فقال الجلنجبين وهو الورد
المربى فأنشد مسلمة ما بعد كنيته وطول لحيته ونقش خاتمه شيء تعتبر
وقال ابن الرومي يهجو احمق ان تطل لحية وتعرض فالمخالي مخلوقة للحمير

على الله في عذاريك مخلا ، ة ولكنها بغير شعير
لو رأى مثلها النبي لاجرى ، في لحى الناس سنة التقصير

وقال آخر: قاتل الله الغباوة عن فتية … كأنما هو عرضهما والكمال
ملحية للشر معروبة … ووجهه من قوم فيها كالخيال

المعلمون قال الجاحظ: نسمع الناس يقولون: أحمق من معلم كتاب، وقد ذكرهم صاحب البيان بالحمق. وممن شهد بالعقل للناس وعرفه بالحمق أحمد بن ماجد، فجعل منه قسمة وتسعين جزءا في المعلمين وجزءا في سائر الناس.

وقال الشاعر كعوانهم، فخطأ رجال بأنه … معلم صبيان وإن كان فاضلا
وإن أحمق خلق الله كلهم … من كان للعقل بالتعليم مشتغلا
الله قاهم حقا وكونهم … يوكلوا وهم من الورى سبلا
داعي حمقهم في الناس واشتهر … بين الورى حتى أصبحوا مثلا

وحكى الجاحظ قال: مررت بمعلم شاب حسن الهيئة فجعلت أصعد فيه نظري وأصوب
وأنشدته: ما كان تحت العمائم … أقل عقلا من معلم
ويقول جلسنا في الصبا … عند عمر في رب متعلم
فكان أن الغم في حجر منه كمثه وانصرف. وكان الجاحظ كثيرا ما ينشد:
وكيف يرجى العقل والرأي عند من … يروح على أنثى ويغدو على طفل

ومما يحكى من حماقاتهم كانوا في حرفة المعلم متغفلا ... أبو جعفر الحاكم:
أرى عن جعفر للغيبة ملنسونا … عساكم الغيابة في حوائجنا
أن المعلم لا تخفى حماقته … ولو تعلق بالثريا وما حيثا

تعلم بسرالغلنسوة. **قال الجاحظ**: مررت بمعلم صبيان وقد كتب على لوح ولد قال يا بني تعصمن لما بك عن أصوله فيكسروا لك كثيرا
جمل الكتاب من المعلم ... بلده أن دخل سورة في سورة قال نعم ما لك
الله والقى الناس ... شيء في شيء وأنا أبدا ادخل الحافة في الشيء بلا
أنا آخر شيئا ولا ادري نتعلم شيئا ومن أمثالهم أحمق من معلم ومن أحسن ما قال
المتنبي: بيوت رائعة الغناء في جملة … تثبته ما يتبوء ... كتبه

والنساء فإنهن لا تزوج أم حبيبة لولا أنه أفضل منها وإن كانت امرأة
بلاءة بين حركة وسترته بالحجر ك فقال عقل ماية صبي بعقل معلم وعقل مائة
معلم بعقل خصي وعقل مائة خصي بعقل امرأة وذكر في ذلك قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم النساء ناقصات عقل ودين ومن أشد ما بلغنا أن العرش

ملكوا عليهم أمورا لم يفلح قوم ولوا عليهم امرأة. **والخصيان** قال الجاحظ:
في الخصي اثنتا عشرة خصلة متضادة لم يخرج من كونه مؤمنا ولا يخرج من كونه
مؤمنا وهو أكثر الناس غيرة وأشدهم مكابرة وهو أضعف الناس ...
وأشدهم على ... وهو أسوأ الناس أدبا وأحرصهم على تعليم الأدب وهو
أعز الناس ... وأمتنع ملبا وما خلا قط مع رجل إلا حدثته نفسه
أنه امرأة ولا خلا مع امرأة إلا حدثته نفسه أنه رجل. **وقال بعضهم**
إن الخصي يعلم الناس الأدب ويستر عنهم الأدب إن أحد كان والأبان ثم شرس
ضيق الحلق واسع الجلس. **وقال** الهيثم بن عدي في الخصي عشر خصال
لا تجتمع في غيره: الخيبة والنتنة والشين وسرعة الدمعة وطول العمر وكبر
الفرج والنتن في الصلح والإجادة في اللعب والغيابة في الكبر ولا استرخاء
في المعدة وسعة الحجر. **قال** بعض الشعراء يذم الخصيان:
شر الخصيان في الناس لا … شرة الصبي عن سر الفعال
معشر أشبهوا القرود وكل … خالفوها في خفة ورواح

ولقد بالغ أبو الطيب المتنبي في هجو كافور الإخشيدي ملك مصر ونعت معايبه
وأحاط بلاحاجة إلى ذكرها في هذا المختصر ولكن من أراد شيء منها
فجملة قوله من أبيات القصيدة التي أولها: أيا الحاج بالكامور والجلم
جاز الألى ملكت كفاك قدرهم … فعرفوا بك أن الكلب فوقهم
لا شيء أقبح من فحل له ذكر … تقوده أمة ليست لها رحم
وله من رائية: العبد ليس لحر صالح أبدا … لو أنه في ثياب الحر مولود
لا تشتر العبد إلا والعصا معه … إن العبيد لأنجاس مناكيد
من علم الأسود المخصي مكرمة … أقومه البيض أم آباؤه الصيد
أم أذنه في يد النخاس دامية … أم قدره وهو بالفلسين مردود
أولى اللئام كويفير بمعذرة … في كل لؤم وبعض العذر تفنيد
وذاك أن الفحول البيض عاجزة … عن الجميل فكيف الخصية السود

قبح الله الشعراء ما أفصحها لهم وأكثر ما يتعاطون الكذب في المدح وأشنع
الهجا لهم تجول ... شعراء قال فيه وقد وصف جبلا ركبه إليه معتذرا

في نيل ما يرجوه من الغنى عليه
مجانين بنات النساء عن زمانه ،، وخلت بها فاخلفت وتنافيا
وقد قصروا بهم استغل التوافيا ،،
،، فواجر كامور قوارك غنيتي ،،

لقربابغ من الوباء عليها خطيرا واعتاض من الكع شيئا يسيرا وحال فيه الحرق الرجاء وحال بينه وبين العفو والوفاء وكان يخاطب نفسه في اختيار التاع دنيا ومن في اختيار الشاع ويخلع خلعة لها وبه برئ على عرض دنيا وبعد دين كريمة من كريم شعري اني متى لم يبع ثمنه كريمه وكم بعده دنية لوداد الطمع في حجي ما رد خطه ولو اتاه الرمح من دبر كلب لم يخش وما غسله فكانه قد اتى الناس كما استحسنوا فوته استقبحوا فعله وكما عجبوا بشعر تعجبوا من حرق يبكي كجا ثم يشكوا ويبرح ثم يهجوا ويتشمر ثم يجرح شماته وبعضهم يستهجع عكسيته فكم من ثلبه وكم من عرض كشفا ثم سلبه وكم من محجبة اكل منها ثم بزق فيها ومن يكونه تركها ثم عكف عليها ووصف بعضهم الحياكة فقال فيهم تقال ينهم الا منار على الخرم العبداء عن التهم ولهم التطرف والتلطف والوفاء ورفلة الشهلة وفيهم كنز البلد وجمال الزول وعنوان النعم وكثيرا ما ادبوا اولاد الملوك ومنهم بويهم وعن موبهم كرى السياسات وقد روي عن

مادحها

والحاكة يقال الحمق عشرة اجزاء تسعة منها في الحاكة وواحد في سائر الناس أبو كاسم عقل امراتين كاملتين عقل رجل وعقل اربع صبيان عقل امراة وعقل اربعين حائكا عقل خصي وعقل اربعين معلما عقل حائك واحد وقالوا الدواء للحائك من النتن وسال رجل الاعمش عن الصلاة خلف الحائك فقال لا باس بها على غير وضوء قيل ما تقول في شهادته قال تقبل مع شاهدين عدلين وقال الحسن البصري من نعي في كراز حائك لم يرجع اليه عقله اربعين يوما والسبب في زوال عقولهم ما ذكر ان مريم عليها السلام ذهبت تطلب عيسى وكان قد ضل منها فلقيت حائكا فسالته كيف اخذ قريتها على غير الطريق التي سلكه فما اتت الطريق توهمه فكان يوجد ذلك بها وفي رواية فقالت اللهم اجعلهم سفلة الناس واظلم عقلا وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى واتبعك الارذلون قال هم الحاكة قيل لانهم عرفوا نعل النبي صلى الله عليه

دعاء مريم على الحوازي

وسلم

وسلم وعمامة يحيى بن زكريا وجراب الخضر وعصا موسى وغزل سارة وشاة دانيال وقصعة هود ودابة عيسى وسمكة عائشة من التنور وروى ابو عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العرب بعضها لبعض اكفاء قبيلة لقبيلة وحي لحي ورجل لرجل والموالي اكفاء الا حائكا وحجاما وقال علي بن الحسين اربعة اعمال كانت في سفلة بني اسرائيل وصارت في سفلة العرب وستكون في سفلة الاحرار الحياكة والحجامة والدباغة والكناسة وقال رفاعة ابن موسى سمعت الصادق يقول ستة لا يتجوزون الملاح والمكاري والحجام والحمامي والبيطار والحائك قيل لرجل من الحاكة تعال في بلدكم حائك قال لا قيل فمن ينسج ثيابكم قال كل منا ينسج ثوبه فيلبسه قيل له فاذا كلكم حاكة فما انتم فكان مجنونا واجن منه من يكون حالا واذا رايته نسبت مجنون بني عامر لطرف ومحاسن ما ذم به اهل الجهالة المتمسكون بعرى الغواية والضلالة الجهل راس الفضائح ومعدن القبائح ومقار العثار ومعيار الشنار ومما يدل على غلبة الطبع وجمود الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكدر النفس وخبث الطينة قال ارسطو العاقل يعرف قدر الجاهل لانه كان جاهلا فتعلم والجاهل لا يعرف قدر العاقل لانه لم يكن قبل عاقلا وقال اكثم بن صيفي ويل للعالم من الجاهل وقال اشد حوادث الدنيا عالم يجري عليه حكم جاهل وكانت ملوك العجم اذا غضبت على عالم وارادت عقوبته حبسته مع جاهل وجاء في تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام لما توعد الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا انه عزم على ان يحبسه مع غير جنسه وقال ابو الاسود الدؤلي اذا اردت ان تعذب عالما فاحضر له جاهلا فانه يقال الجهل موت الاحياء وقالوا لا مصيبة اعظم من الجهل ولا صاحب اخذل منه وقالوا الجهل في القلب كالاكلة في الجسم وقالوا الجاهل يجني على نفسه ويغش غيره اخبث الله منها وقال بزرجمهر الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره وقال ايضا العالم كبير وان كان صغيرا والجاهل صغير وان كان كبيرا وقال محمد بن جعفر الصادق رضي الله عنهما الادب عند الجاهل كالماء في اصول الحنظل كلما ازداد ريا ازداد مرارة

وقال وهب بن منبه يقال ان الجاهل اذا تكلم فضحه عيه واذا سكت فضحه جهله
لا يعلم بنفسه فيغضبه ولا على غيره فينفعه ان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وقد اعياء
رجلا فقال فلان ان اعرضت عنه اغتم وان اقبلت عليه اغتر وان حلمت عليه جهل
عليك وان جهلت عليه حلم عليك قالوا فلان لا يعرف اليمين من الشمال ولا الجنوب
من الشمال ولا السماء من الارض ولا الطول من العرض ينظر الى العلم نظر
المغشي عليه من الموت ان اصاب اعجب وان اخطا احتج وقالوا فلان خلقة بغير
اجتهاد وصوابه عن غير اعتماد فلان اذا الا معنى كلا ومعنى كاتب فمرا وعبير غلطا
وقال الشاعر يعيب وكذ يدري ويفخر وما درا وكيف يكون النوك ويد كذلك

لا تامن النوكى اذا ... ولو تطول بين الانف والسحب
وان تكن في يوما تكرم عن غلط ... وان تلاقه تم تراع له وأب
اذا ما كلمت ذا ... جانت يكون الجهل اقصر منهم
وان عناه ان تفهم جاهلا ... فيحسب جهلا انه منك افهم

وفي منثور الحكم من عرف بالجهل فهو بكل فضيحة اهل وبكفي في ذم الجهل ان فيه
الجاهل يشقى وينال علمه ومعلم الذكي يرقى ويكثر حمده وقيل مالكم تهد
تعاضبون الجمال قيل ان يعقلوا فقال لانا لا نكلف العمي ان يبصروا
وكذا الصم ان يسمعوا وقال الشاعر

واذا بليت بجاهل متجاهل ... يجد المحال من الامور صوابا
اوليته مني السكوت وربما ... كان السكوت عن الجواب جوابا

وقال بعض الحكماء عمى الجهل اشد من عمى العين لان الاعمى يتوقع ان يعثر
فيما ارتفع من الارض او يسقط فيما انخفض منها والجاهل يعثر فيما لا يستقل
منه ويقع فيما لا يخرج له عنه استاذه رجل من ثقيف على الوليد وعنده
عبد الله بن جعفر الصادق وهما يلعبان بالشطرنج فستر عبد الله الشطرنج
فلما دخل الرجل وسلم سأله الوليد عن حاله فاخبره ثم قال له اقرات القران
قال لا والله يا امير المؤمنين شغلني عنه امور وهنات قال اروتني من الحديث
شيئا قال لا والله يا امير المؤمنين قال تعرف الفقه قال لا والله يا امير
المؤمنين فكشف عن الشطرنج وقال شاهك يا ابا جعفر فقال عبد الله لم يبق

ومما جاء في اهل الجهل الشعر
بين علي الرضي رضي الله عنه للامون
مما قال له الشعر احسن ما رويت
في السكوت عن الجاهل وعتاب
الصديق فقال له
اني ليهجرني الصديق تجنبا
فاريه ان لهجره اسبابا
واراه ان عاتبته اغريته
فاري له ترك العتاب عتابا
واذا بليت بجاهل متحامل في نسخة
متحكم ...

مثال الصعب فما عندك اهن فقال الشعر الشرمني

كالثور عقلا ومثل التيس معرفة ... فما تجري في بين الحمق والعتن
الجمل شخص بنادي فوق هامته ... كم تسأل الربع تابا الربع مراص

وسئل ابو العينا عن مالك بن طوق فقال لو كان في بني اسرائيل ووقعت
قصة البقرة ما ذبح غيره البشامي يهجو جاهلا

لنا جليس تارك للادب ... جلاسه من نوكه في تعب
مخالف يغضب حال الرضى ... جهلا ويرضى عند حال الغضب
كانه من سوء تاديبه ... اسلم في كتاب سوء الادب

وقال شاعر يهجو جاهلا

يبيس يده من الجهالة مرتدا ... ذو ابيعي في بكوى الجمال
يبكي ان الجهل في الجهل ثابت ... وان النبي في باطن الذي خير دل داخي

يزم جاهلا يتعالى كل شي وهو لا يحسن شيئا فهو لا يزداد رشدا
الا ازداد اغبياء ومن صفات من يميز خلال النقص والغباء في معظم
اختلال فهمه هشا ما من علامات ان تكلم عجل وان حدث وهل وان استنزل
عن رايه نزل وان حمل على القبيح حمل ومن علامات الغضب في غير شيء
والكلام في غير نفع والبثاء السر والثقة بكل احد وان لا يعرف صديقه
من عدوه ومن علامات العجلة والخفة والتواني والضياع والتعبير بها
والغفلة والسهو ان استغني بطر وان افتقر قنط وان فرح اشر وان بكى
خار وان ضحك نهق وان اعطى كفر وان اعطي من وقالوا من علامات
الماء في كثرة الالتفات وسرعة الاجابة وتحريك الراس اذا مشى واذا
اعتبرنا هذه الخلال الذميمة وجدناها في كثير من الناس فلا يكاد يعرف
العاقل من الاحمق لكثرة الالتباس وشاهد هذا قوله عليه الصلاة والسلام
تنيم من احرالة وفي حقيقتها يعيش وقال وهب بن منبه خلق ابن
آدم احمق ولولا ذلك لما هنأه العيش نادرة قيل لبهلول عد لنا
المجانين فقال هذا يطول ولكني اعد العقلاء ونظر الى العتبي بعض الشعراء
فقال واجاد وما بقيت من اللذات الا محادثة الرجال ذوي العقول

مبني حيلى سلم على شر مجو واله

وقد كانوا إذا ذكروا طفيليا ۞ بغضهم وأهل من التطفيل
وما أكثر من قول من قال فيه كتب من في غفلة لوثة
ما في أوائل مسيبا ۞ أبو السلابيل والغيوث
أيغا تحزيرنا رضكم ۞ أم بيننا يضحك الحرص

الفصل الثاني من الباب الرابع في ذكر المعابيس
الصادرة عن المجانين البادية والحاضرة

ممن شهر منهم بالملح وعرف واستحسن كلامه أهل الأدب واستملحه جعيفران
واسمه جعفر وإنما صغر للتحبب وهو الحاهل في نفسه ومن أهل الطبع في جب قرية
هيد وجمعه تقال ما جعفر ابنه وكان بشبيه الحمق بنوع كثير
فكلمه بوعيه هذا يقول فيني وذا غيام فيه ودعوه يتحطط منهم
لعلمها بأبيه ويقال إن هذا له بيات منعه في عقل ليكون فيه إذا
ماه عقل لابيه وإن وابناه ونسي فيه ابنه رواها أبو الفرج الأصبهاني
في كتابه دكر تعامه وكان جعيفران متشيعا فقيل له يوما اشتم فاطمة وخذ
درهما فقال لا أشتم ما بيننا وفي آخر نصف درهم واستقبلته امرأة صبيحة
بيورانيها وقبلها كب الناس عليه يقومون فأنشدهم

قبلوا الفم للمرأة على ذروني عرة
ثم تحموا النحب فيه على خلفه الأنسان
لو أراد واعقابه نقبوا وجبهما العتمش

ووقف على علي بن إسماعيل الهاشمي فقال له أعطني درهما فأرى النعلان
بجره في محبوبي تيموني وهو يبشر

فقد زعم الناس ولم يكذبوا ۞ أنك من تيمني بني سقاتهم

فقال لغلمانه ردوه واعطوه درهمين فأخذهما وانصرف وهو ينشد

فمن كذب الله أحاديثهم ۞ ما هاشمي ممن خلى من أدم

وحكى الجاحظ قال كان جعيفران يأتي رجلا من بعض أهل عمل كلب فقال له
ما هذا قال أردنا أن نعز لبه قال قبح من أنا منها لقراءة وحكى الرياشي في كتابه
الذي سماه ... حدثنا عبد الله بن عثمان حدثني عمرو بن ... قال كان جعيفران الموسوس

بينا أنا

بينا أنا في كثير من الله وقت بفناء النبيا يوما عريانا والصبيان يصيحون خلفي
يرمونه جميعنا هم منه واذ طلبناه أنذر ربطه آخر اعتقه وسكر وعه أنشر
راتب الناس يرعونه بجنون على جانبه وكم في اليوم من جوع وكم قد وشوا لسن بلباسه
وكم كنت فيهم هذا لم يلابس واملاه ولو أن ذو دعوة رضى فاعم الحال له
يعوية ذا عقل أحل المنزل العالي وماذا في عرشي وكم هيبة المال
فقلت له أتحفظ شعرا في هذا المعنى حتى نعلم أنك شاعر قال نعم وأنشأ يقول
راتب الناس يرعونه بجنون على غمتين وماله في اليوم من جوع وكم بسرو عقر
وكم كنت فيهم هذا لم دنا من الوحشي ولو كنت كفارا وواله كانت الجنس
وأني راح العقل جيلا كاملا الغرو وماذا في تمر حق وكم هيبة العقد
فقلت له أعرف من يرعى هذا فرحبت بشلائه العقد وسعيه فأكل رمع واسم
راتب الناس يرعونه بوسواس والهاع وملكته أخا موق فربما قبل نبساع
وكم كنت أرى ذاك له ملابس وأعرابه ولو كنت أخا ملك واسراج والنساج
إذا أله كي يضى الناس ولم أرغ بالأنساج ثم قال فمجل بأقلت فاحضر له
بحا ما فأكل حتى شبع ثم أنشد راتب الناس في على حال يفوا اليس
ومن يضحكه فأهرا فقال الناس في الناس فمرع ما قاله الناس وبحل مجوه
الكاس وجاء الناس يغتني بأمثالي وأجناس ولو كنت أخا ملك لأغرني
من جلابيه وحشوته وصيونه على العيس وإن ابن عيشه بشراب منه
منتشا ثم نغض بيتول فقال بعض من حضر إني مني نصنع هذا بهذا
المسلول الهي با فيمم والله لا ما منه وسوطه فكيف ما منه إذا اشكو
يسمعه فرجع إلينا وهو يقول وقرأ في اكلوني إن تغنيت فليلا
كيف لا عرى ولا أبكي في الناس مشيلة أن يكرسا كم سرة في فعلوا الي النبيكا
وأنتوا أبو مكي سركم الله كلوبلاء فاعتذرنا إليه بلم يقبل ونعض بين منا وخرج
مخرجا حلقه فلم نزركه وقال بعض كتاب الكوفة اجتاز جعيفران يوما فقال
في أنا جائع فما في شيء عندك تطعمني فقلت سلني تجده قال اشتر لي معه بقليا
فلت نعم فدخل وبعثت الخادم في شراء البطيخ وقرعته البقل والخبز والسلوى
والخبز إما كل حتى شبع وانصات الخادم فأقبل علي وقد غضب ثم قال

سلمنا وخرجت ثم وثبت فأدبرت وأرانا بواهر وأمردا لي ثم خلت
قال فخرجت أطلبها فوجدتها خالية في الرملة بين قبور ما ومعي وقال
بعض الأدباء قلت لجعيفران أتجيز لي بيت شعر قال نعم إن يكن صحيحا قلت نعم
ما لك الدرهم ما تشتريه وما الحب إلا وعنه قرقت بك عيون الماء فالملك بن صوانع
فبكى ساعة ثم قال ودار السوق تقع على القلب وقريبا كيف الذي جادت به كف مادح
يعني جعيفران أتاه من حيث به أبو دلف فما أنشد

يا معرق الجود على دهر مولان ... وتاركي في التغيير والحال
قرضتني عن ذلة السؤال ... بجودك الواقع على الاستوال
فأنت ذو الطول والعز والجلال ... من عمر الأيام والليالي

وتشاجر رجلان في رجل فقال أحدهما هو من همدان وقال الآخر هو من بني
راسب فبينما هم كذلك إذ مر بهم جعيفران فتحاكما إليه فقال نشر بداء
ورجلاه في من عزيز ماء فإن كعبا فهو من بني همدان وإن رسب فهو
من بني راسب وقال الصفدي راسب من بني عامر بطن من الأزد وهمدان من ولد
أهل وهو قبيلة من سعد بن قيس عيلان ومن الحكاية نسبها الشيرازي في
كتابه إلى مثال الصعفة العيش المعروف في الشارع التغفل والحمو والله أعلم
ومن مشاهيرهم مجانين الكوفة البهلول والعقل الصغير والزمن المعلوم
من كان يا ابنة انه ودونه سعا وبين مجرى ساح بنت قسا ذلك والمنع من
الطعام والشراب قد دخل عليه بهلول وقال ادخل دهم ما لنا الجزع والحزن
جزعت بعدي شيء ومنه البلاد العلى الكبد كأنه مكان ابن وانه
مثل فجعد منه ذا ميرة عا بالطعام والشراب وادى للناس بالدخول
عليه للغناء وتقر بهلول يقوم في أصل شجرة يستظلون بفيئها فقال
بعضهم لبعض تعالوا حتى نسخر من بهلول فلما اجتمعوا إليه قال أحدهم
يا بهلول تصعد من الشجرة وتأخذ من الدراهم عشرة قال نعم فأعطوه
الدراهم فصار في كمه ثم قال هاتوا سلما فقالوا لم يكن في شرطنا سلم
قال كان في شرطي دون شرطكم وسئل عن مسئلة من الفرائض وهي رجل مات
وخلف ابنا وبنتا وزوجة ولم يترك من المال شيئا فقال للابن اليتم وللبنت

الثكل

الثكل وللزوجة خراب البيت وما بقي من المال فللعصبة وحمل عليه الصبيان
يوما فالتجأ إلى دار مفتوحة فوجد فيها قوما وبين أيديهم مائدة عليها
من أنواع الأطعمة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين فرمى وأغلق الباب ودخل
وهو يقرأ فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
وتبعه الصبيان يوما آخر فالتجأ إلى دار بعض العلويين فرأى رجلا فحماه
يقصيهم فقال يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل
نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا فخرج الرجل وغلق الباب وحماه
من الصبيان وحمل عليه الصبيان يوما فالتجأ إلى مصطفى مشر عليهم بقصبة
وهو يقول إذا انتصاني أمر فما انتظر فرجا فأضيق الأمر ما دناه من الفرج
وسمع مجنونا يقول في يوم عيد يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فلطم
وجهه وقال وكذا تعجل بالغزاة من قبل أن يقضي إليك وحيه وقال الرشيد
يوما من أحب الناس إليك قال من أشبع بطني قال أنا أشبعك فهل تحبني
قال الحب لا يكون بالنسيئة وأحضره الرشيد يوما فأجلسه في صدر الدار
وجلست أم جعفر حيث يراها وعيسى بن جعفر جالس مع الرشيد فقال له
الرشيد أتعرف هذا الجالس فقال أو لست أنا والثانية منك وأشار إلى أم جعفر
فقال له عيسى يا ابن اللخناء تقول هذا لأخي فقال بهلول وأنت الثالث
يا صاحب العربدة فقال الرشيد أخرجوه قال بهلول وأنت الرابع وقال
له عيسى بن جعفر يا بهلول قدام أمير المؤمنين تكلم بكل مجنون بن دهير فقال له
فاسرانت وخرنصيبت فيلا يصوتك فقال له الرشيد يا ابن اللخناء ما تستحي
مني فقال وأنت ابن اللخناء عن النسب فضحك منه وأخرجه وقيل له أيما
أفضل أبو بكر أو علي فقال أما وأنا في كندة فعلي وإن كنت في بني ضبة فأبو بكر وكنت
في الكوفة من غلاة الشيعة وبنو ضبة نواصب وهم أصحاب الجمل ورماه الصبيان
يوما بالحجارة فأدمته حصاة فقال

حسبي الله توكلت عليه ... من نواصي الخلق طرا في يديه
رب رام لي بأحجار الأذى ... لم أجد بدا من العطف عليه

فقال له رجل تعطف عليهم وهم يرمونك بالحجارة فقال اسكت لعل الله

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

يتكلم على محبة وقد معه وشرح فرح بما ذكره الصبيان فيصيب بعضنا بعضا وكان إذا انكم
إلى الأطفال ويشير معهم أبا زيد فرح منزلا ونعم منزلا وعمر منزلا فقيل له في ذلك
فقال ليس في هذا وكم الله من يخرج شيئا من أبيه فأخبر بهم اليوم ما نعرف أكبر واضربوه
والمقصود ومما يطلب التسلي بطلب العلم من الحكايات الحكمية من عليان
المجنون ذكر أنه وقع عليان بالمأمون فأمر بإحضاره فلما مثل بين يديه ازدراه
وأمر به أن يجلس في مجلس الطعام ثم قال له ما اسمك قال عليان فضحك منه فقال
عليان أن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون فقام به المأمون
وعظكم في عينيه بها ومر به رجل وهو يأكل تمرا والصبيان يؤذونه فقال الرجل انظر
إلى هذا التمر من رحمة الله وما ولد الصبيان من عذاب الله ونوع الصبيان
به يوما فقال له رجل هل لك في كذا من عندك قال نعم وأنت معهم ورآه رجل وهو
يأكل تمرا في الشتاء فقال له عليان أنا آكل في الشتوى ما آكل في الشتوى
أكل في الشتوى وقال له رجل ما الذي جبرك إلى ما أرى قال ممنوع الحظ قال له
مولد يعني أغريت أنت أما من العقل فتبع وأما من أهل فملا ادخل بهلول
على الرشيد وعنده عليان فكلمها وأغلظ عليهما في القول فأغلظا عليه في رده
الجواب فأمر الرشيد بالنطع والسيف فقال عليان كنا مجنونين صرنا ثلاثة
فضحك الرشيد وعفا عنهما فيل كان عليان يأوي إلى دكان الصحان بالكوفة
وكانت معه عصى لا يفارقها وكان الصبيان يعرفون الوقت الذي يصير فيه
إلى الدكان فيجتمعون عليه ويعبثون به فإذا أبلغ الأذى منهم قال للصحان قم حمني
الكيس وكاب الغطاء وأنا يحيني مرا فحانوت فيقول له شأنك فيثب ويقول

إذا التزم الفتى يوم عترته عيبه ... واعرض عن ذكر العواقب جانبا

ثم يشير ميسورك ويشير فوم إذا حاربوا شدوا مازرهم دون النساء ولو بانت بأطهار
ثم يتناول العصا ويشير عليهم ويقول

أشد على الكتيبة لا أبالي ... أحتفي كان فيها أم سواها

فإذا حمل عليهم ونع الصبيان بعضهم على بعض فيكشفوا فيصيح عليهم ويقول
عودة المسلمين وكذلك فعل عمرو بن العاص يوم صفين وكذا خرجت على رضي
الله عنه أوصى بنام قال ثم تنبع موليا وكذ تروم على خرج ثم يعود ويرجع إلى دكان

الصحان

الصحان ويلقي عصاه ويقول ما لقيت عصابة ما استرخت بالسقوى كما قومنا
بالأبواب الشام ومات أبوه وخلف ستمائة درهم فأخذتها الحافظ وحجر عليه
فيقيته لما تبين من نقص عقله فجاء بعد مدة إلى الحافظ وقال له أصلحك الله انك
حجرت على لما زعمت أنه مصاب في عقلي وإنه جائع على فادفع إلي ما يكفي درهم
حتى أنظر بها في أصحاب الخلفاء أبيع وأشتري وأقوم منها بنفقتي فإن أنست
منه رشدا فمنحته إلى الباقي وإن استلفتها كان الذي أتلفت أقل مما يقوم بأمكان
ما بين درهم فأخذها ولزم الحجر حتى أنفقها ورد الحافظ بعد ذلك فقال قبل
عليان ما صنعت بالدراهم قال أنفقتها فلبثت سبرت الحافظ أعزك الله من قبله
ما بين درهم عوضتها وتردها إلى الكيس حتى يرجع المال إلى ما كان عليه
قال فأنت تجحده ما أخذت شيء قال كلا ولكني ما أقمت عندك بينة بأنه موضع
ما أخذت ولكن ثبت عندك رشده قال صدقت وغرم الحافظ ما أسلمه إليه
كثرما من كثر إليه أخبارهم لا نبغته ونقتصر من الحكايات نوادرهم الرشيدة
حكى ثمامة بن أشرس قال بعثني الرشيد إلى دار المجانين لأصلح ما تبين من حالهم
فرأيت فيهم شابا حسن الزي كأنه صحيح العقل فقال لي يا ثمامة أنت تزعم أن العبد
لا ينعدم من نعمة يجب الشكر عليها وبلية يجب الصبر عليها وأنت تبيع المطبوخ
أرأيت لو سكرت ونمت وقام إليك غلام مثل وأولج فيك مثل ذراع البكر مقبلا
أمداد نعمة يجب الشكر عليها أو بلية يجب الصبر عليها قال فما تكلم أن ربما
ذا أجيبه فقال مسألة قلت ما هي قال متى يجد النائم لذة النوم إن قلت في
حال نومه فمحال وإن قلت إذا استيقظ فيعبر أن يجد لذة شيء انقضى ومضى ثبتت
ما أجيب جوابا فقال مسألة أخرى قلت وما هي قال أنت تزعم أن الكلالة تنزي
فما تزين الكلاب قلت لا أدري فقال أما الجواب عن المسألة الأولى فيجب أن تقول
النعم ثلاثة نعمة يجب الشكر عليها والبلية يجب الصبر عنها وأما المسألة
الثانية فالجواب عنها أنه محال لأن النوم داء ولا لذة مع وجود الداء وأما المسألة
الثالثة وأخرج من كمه حجرا وقال إذا عرا عليك كلب فهذا تزين ورماني بالحجر
فضحكت وأصاب الأسطوانة فلما رآه قد أضحكني قال فاتك التزين يا أيها
الكلب الحقير فعلمت أنه مجنون وأن عقله مطابق وتركته وانصرفت وقمعت

وبلية يجب الصبر عليها وبلية يجب الصبر عنها بملاذ من النفس الشهوانية وهي البلية

من تغنيه بالأبواب. وكان في بني أسد مجنون يسمى نعمان فجعل قوم من بني تيم الله بن ثعلبة
يعبثون به فقال يا بني تيم الله ما أعلم في الدنيا خيرا منكم قالوا وكيف ذلك قال
لأن بني أسد ليس فيهم مجنون غيري وقد قيدوني وسلسلوني وكلكم مجانين وليس
فيكم مقيد. وكتب بعض المجانين إلى عقلاء المجانين كتابا إليك تشكي ساعات
من ليلة الليلاء التي صبيحتها يوم المهرجان وقد جلت نفسي بالماء عيا عيا
والحجارة بعد أن الا كنت والصبيان فلعنهم الله وبترد ثم سلمهم تدبير الأول ذلك
وفاحت ما قد مررت أن قد نبيت إلا وحوت الحجارة فما فعل واستعمل قول الله
تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وركب بختيشوع المتطبب مع المأمون فتعلق به مجنون فقال أيها المتطبب جس
نبضي فجسه وقال له ما تشتكي قال الشهي فقال له خذ سواك أراك وأدخله
في دبرك فإنه صالح لذلك. ثم تبع المجنون بحجر ونحوه وقال خذ هذا جزاك
حتى تجرب دواك. فإن كان صالحا لذلك شكرناك وزدناك وكذا يكون الطبيب
سواك. فخجل بختيشوع وضحك المأمون من كلام المجنون ووقف صاحب الوسواس
على قوم فسألهم شيئا فردوه فولى وهو ينشد

أستأنف إذا أحسنت ظني بكم ... والحزم سوء الظن بالناس

وقال بعضهم رأيت مجنونين يتنازعان رغيفا يوشك كل واحد منهما صاحبه
به وهما يتقاسمان عليه فقلت لهما وأنا كالهازئ أربع عليهما أنا آكله إن لم
تأكلاه فقال أحدهما يا أحمق إن سعداء ما لا يسوغ إلا به فقلت وما هو قال
في الحمق وذهب العقل فتوليت عنهما فقالا يا مجنون لو كنت غاضا لم يكن لك
مما كلناه منزحين. سمع أبو الصقر المجنون سقاء يصيح في يوم من شتاء يوم
يسقي فيه الماء فقال وأي يوم يكون فيه الخبز. وقال علي بن الجهم الشاعر قال
مررت بمجنون والناس مجتمعون عليه يعبثون به فلما رآني فصل دونهم وأخذ
بعناني فقلت في أي شيء تعلق بي من بين الناس ثم فرج عني
أبلى بهم نفسي وقد علمت أنهم لو فتشوا ما بهم كانوا هم مثلنا هم
ثم جال بطرفه في الحلقة ثم أقبل بالمليح الوجه حسن الثياب فوثب إليه
وفرق ما كان عليه ثم نظر إلي وأنشد

هذا الشعير لربكم ... فرحا به أشقاهم

ودخل رجل الحمام فلا مني رجل من أصحابه المجنون فقال له يا مبتلى إن تبت
حيا ذاك وأدبته وأنشأ يقول قد فرقت بلاغ وهلكة وما قلت لو لم أجب فيه يبكي
إلا يا عباد الله قوموا لما بكم ... ولم ترحلوا الحماق إلا بسيرة

ووقف بعض المجانين على باب مسجد فبال فأرادت العامة ضربه فقال لهم
أرأيتم لو بال فيه حمار أكنتم ضاربيه قالوا لا قال فمجنون حمار فإنه لا عقل
لي من خوف الله وأكلفوه. وقال رجل من أهل نجار يعز سبر وكان ذا أدب فعقله
موسوسا يا هزيز أنت تعدو من الصباح إلى المساء أين يجعد خبزك إذا جاء الليل فقال

إذا الليل ألبسني ثوبه ... تقلب فيه فتى موجع

فقال أسألك عن خبزك فتنشد الشعر فقال يا ابن الفاعلة قد أجبتك فقال
الله نصارى وأنا سبر من ساداتنا إلا نصارى فقال

وإن قوما يسودك نعاجة ... إلى سبيل لهم فيه وسبيل

وقال المبرد دخلت دار المجانين فوقفت قبالة مجنون وأخرجت له لساني مجولا
وجهه عني فجئت إلى الناحية التي حول وجهه إليها وأخرجت له لساني
مجول وجهه إلى ناحية أخرى فجئت إليه وجعلت مثل ذلك فلما أضجرته رفع
رأسه إلى السماء وقال انظر يا رب قد حلوا وقد ربطوا ومن فعل ذلك وري فلانه
الموسوس وزعموا أن من شاغل بالنزان فمن حبه يتسلى

كذبوا والنار نشأ ولدانهن وقد يكد بالهوان وطى

إن نار الهوى أحر من الجمر على قلب عاشق يتصلى

فما اختبرنا من شعرهم الرقيق الجزل المنظوم في سلكه جواهر الجد
والهزل ما حكاه ابن حبيب في كتابه الذي صنفه في أخبار عقلاء المجانين
بإسناده إلى أبي إسحاق الدبلي قال رأيت عروك المجنون يوما خارجا من
الحمام والصبيان خلفه يضربونه ويؤذونه وهو يبكي فقلت له ما خبرك يا أبا
محمد قال ما أذاني هذا وقد الصبيان إنما يكفيني ما أنا فيه من العشق والجنون
قلت ما أظنك مجنونا قال بلى والله وعاشق قلت وهل قلت في معشوقك
شيئا قال نعم ثم أنشد جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو فمنزله حتى وبمنزله حتى

وقد سكنا تحت الحشا وتغانيا … على مهجتي إذ لم يبارحها الجمر
وأي طبيب يستطيع بحيلة … يعالج من داءين ما منهما برء

قال الآخر فلما فرغت منه فقال قف واسمع ما أقول فإن شرح غرامي على الخلق يطول

فموقف فاتن جفونه يغري بضعفه الجرحى … وحتام لا يزول وكم يبين
فجسمي بين ذاك وذا نحيل … وقلبي بين ذاك وذا عميد

ثم قال لي انظر ما سمعته يكفيك اخرج فيوما من الشام بعشقه فقال له بعض رجاء الخلاص منه كيف أصبحت فقال

أصبحت بينك على شفا جرف … من ضنا الوارد التلف
وأراك نحوي قبيح منقلب … منحرفا عني منحرف
يا من أطال بهجره أسفي … أسفي عليك أشد من تلفي

قال عبادة البجلي كان يبلغني أن ببغداد مجنونا يكثر أبا محمد له بر بقبة منه فتعرضت له في بعض سكك بغداد فقلت له كيف أصبحت أبا محمد فأنشد الأبيات الثلاثة المذكورة أصبحت بينك إلى آخرها قال فلما خرجت له قبضة نرجس كانت في كمي فحييته بها فجعل يشمها ثم أنشد يقول

لما أن وجدت الجنوب فبلا كل … حول متون زمزم وكدح
أضحى يلقحها بريح الصبا … فاستشغلت حملا بغير نكاح
حتى إذا كان المخاض تمخضت … وأتت بنوار يسلا أرواح
حاكى الربيع لنا ثيابا وشيت … بيد الندى وأنا من الأرياح
من أصفر في أزهر قد زانه … نثر على ورق من اللاه وضاح

وحكى أيضا أن هارون الرشيد بن بكار من الرقة فلما أقبلت مواكبه أشرف أهل الذين ينظرون إليه وفيهم مجنون مسلسل فلما رأى هارون رمى بنفسه بين يديه وقال يا أمير المؤمنين قد قلت فيك أربعة أبيات أفأنشدك إياها قال نعم فأنشد

فمكانك من ملك في العترا … تغنيك تمسيل الشموع
وعن يم رأيته في المشتهى … فكيف بما قبضته الضلوع
وسواك عبد بالثرى … لم يبغض على الضجيع
وقضا وجهده في الرجا … لا يشتري الهرد المنيع

ثم قال يا أمير المؤمنين هات أربعة آلاف درهم أشتري بها كساء وتمرا فقال هارون ثم مع إليه مجلت إلى أهله وحكى أيضا إدريس بن إبراهيم التيمي سمعني مجنونة أنشد يوم عيد

أرى اليوم قوما من تلاف غنيمه … وأقتامه فاليوم لم يشد ملكه

فقال بربيا من غير شيء وقد عجبت من أصحابي شمسه كما عجبت وردا لخدود الجماجم وقال إبراهيم بن المهدي بالله مواز ومرحوم عنها فتعرض له ماذا الموسوس واسمه محمد بن القاسم فأخذ بلجام بغلته وقال

تيهت شعرا في قوم أجدبوا … فأغيثوا بك من كل العجف
نظر الرحمن بالنفع لهم … وجرى منك لهم نيل من سلف
يا أبا إسحاق سر مشتوما … واسع محمودا فما بيننا خلف
إنما أنت سحابة ماطر … حيثما صرفه الله انصرف

فأمر له بستمائة ألف درهم ونظر إليه إنسان وهو يأكل تمرا ويبلع نواه فقال له لم لا ترمي نواه فقال هكذا وزن علي وقيل له كم يصيبون من الإنسان مجنونا فقال على قدر الصبيان وأخبار هذه الطائفة أكثر من أن تحصى وإنما ذكرنا هذا لأنكم استطرادا وربما يخرج عن الغرض ويطول جوهر ما شرطناه بالمعرفة وحكى صاحب كتاب الأغاني بإسناده قال حمزة بن أبي سلامة الشاعر الكوفي دخلت بغداد فبينما أنا مار في بعض شوارعها وإذا أنا برجل عليه قطيفة نظيفة وعلى رأسه قلنسوة سوداء وهو راكب قصبة والصبيان يصيحون خلفه يا خالد يا بارد فإذا أوذي حمل بالقصبة عليهم فلم أزل أطردهم عنه حتى فرقتهم وأدخلته بستانا فاستراح واشتريت له رطبا فأكل واستنشدته من شعره فأنشدني

فرحت قلبي وصار ملكه … فكيف أسلو وكيف أتركه
رطيب جسم كالماء تحسبه … يخطر في القلب مثل مسلكه
يكاد في النعيم يجري من رقته … لولا النعيم يمسكه

فاستزدته فقال لا ولا حرف ودخل خالد يوما على المعتصم وهو في مجلس أنس وفراغ فجعل ينشد وجعلت من ظريف حكاياته فجاء منطقه فخاطبه بعضهم إليه سببها فقال خالد

نعاينه جرحت بلا ثمر من حبها … أشتكي التي من أثرها وتمنيتها

لا يجمع حيلا ويسر على بشر محمود واله

بيضاء في حمرة علت بجادية ... كأنما نفحت من خمر منسربتا
جاءت بها فينة من عند قانية ... زوجي من الشذو والمسك كافوريا
لو كنت حيا وناديت بنغمتها ... إذا لأسرعت من جفني أجبتها

وحكى المبرد قال خرجنا من بغداد إلى جاسنكر فيه وأمرد بجمعية ديارا فلما قربنا منه قال واسط جلنا إلى دير هرقل ننظر إلى المجانين فنظرنا إلى فتى منهم ناحية عنهم فجلنا إليه وسلمنا عليه فلم يرد السلام فقلنا له ما تجد فقال

الله يعلم أني كمد ... لا أستطيع أبث ما أجد
روحان لي روح تضمنها ... بلد وأخرى حازها بلد
وأرى المقيمة ليس ينفعها ... صبر وليس يضرها جلد
وأظن غائبتي كشاهدتي ... بمكانها تجد الذي أجد

فقلت له أحسنت فأومأ بيده إلى شيء يرمينا به فولينا هاربين فقال لي سألتكم بالله إلا ما رجعتم حتى أنشدكم فإن أحسنت قلتم أحسنت وإن أسأت قلتم أسأت فرجعنا ووقفنا وقلنا له قل فأنشد

لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم ... ورحلوها وسارت بالدمى الإبل
وقلبت من خلال السجف ناظرها ... ترنو إلي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان خلته عنما ... ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من البين ما قد حل بي وبها ... من نازح البين حل البين وارتحلوا
يا حادي العيس عرج كي أودعهم ... يا راحل العيس في ترحالك الأجل
إني على العهد لم أنقض مودتهم ... يا ليت شعري لطول العهد ما فعلوا

قال فقلنا له ماتوا فصاح وقال والله وأنا أموت واستلقى على كفيه وفرد فما برحنا حتى دفناه رحمة الله تعالى عليه

الفصل الثالث من الباب الرابع في احتجاج الأدباء المتغافلين على الحمقى المتحاذقين

قال الله تعالى فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء وهذا يدل على أن القلوب هي العقول لأنها مقرها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يحاسب الله الناس على قدر عقولهم وفي خبر آخر إن الله يحاسب

كل امرئ على مقدار عقله وبعضهم قال ما جعل الله لرجل عقلا وأراد إلا احتسب عليه من رزقه وقيل من زيد في عقله نقص من رزقه وقول في زيادة العيش لا تحصل إلا بالجهالة والطيش فقال بعض الحكماء من أعظم الناس عيشا وأحسنهم حالا وأطيبهم عيشا وأنعمهم بالا فقال من كبر أمره ولم يبلغ له خزنة أحزانه المتنبي فقال

تصفو الحياة لجاهل أو غافل ... عما مضى منها وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقيقة نفسه ... ويسومها طلب المحال فيطمع
ولا في بكى الكاتب

من رزق الحمق من أنعمه ... إياه رزقا واضحا كما ترى
يجهل تغال الهم عن نفسه ... والفكر في الدنيا وفي الآخرة

وقال حكيم لم أر في الدنيا أسر ولا أهنأ من الجاهل بالعقلاء فقال الشاعر

الروح والراحة في الحمق ... وفي زوال العقل والخرق
من أراد العيش في راحة ... فليلزم الجهل مع الحمق

وهو لا من لا يأمن ما هو فيه ومن لهم الهم والعقل لا يعتريهما ومن لهم استراح من لا عقل له وقال بعض الحكماء إنما قل رغبة من عقله يحجبه عن اللذات ونقص من الشهوات فمن جرى عليه حكم البشرية فما كاد سواه واتبع غرضه ومناه وقيل زلة عاقل ومعجوة ذاكي مفقود بالله من شرها ونرغب إلى الله في الكفاية عنها وقال الشاعر

أرى العقل بؤسا في المعيشة للفتى ولا عيش إلا ما حباك به الجهل

وقالوا الجاهل ينال أغراضه ويظفر بما رامه ويطيع قلبه ويجري على هواه ومريد من اللوم سليم من العتب ذخر زلاته وتغفر هفواته وقال آخر الجاهل رخي البال خالي البال تمر به الهم حتى الظهر لا يفجعه خوف الموت بفكر ولا يجد ألم الشعاع على كرب وقالوا الجهل مظنة الراحة والسرور ومسرح المزاح والفكاهة وطليعة اللهو والنشاط صاحبه في دائم من عمرة اللوم والعتب وأمان من قوارض الفزع والهم وقال المغيرة بن شعبة ما العيش إلا في الغاء الحشمة وقال الشاعر

وراثة الهموم في صحبة العقل فمن قرا ونيتها بامراض عقلي

احتجاج من أهلك نفسه من عقال العقل ورضي بنيادلا انتصاه بالحمق والجهل

قال بعضهم لما كان العقل في العنوة ابرا من الاكدار وخاليا دون الاغراض جعل لعكسه ماخوذا من بعكسه العقال فكم من الطيور العالية وابن المعقول من الشارد وسلمى يتضمن على اختيار ويحبب الاحمق شرابه كم يعتنى ويجي ويكي ويجبر وقالوا لو لم يكن من فضيلة الجهل غير الاقدام وورود الحمام اذ هما من الشجاعة والبسالة وسبب تحصيل الرفعة والجلالة وقال شاعرهم

تالله للعقل لا استصحبنه أبدا ... فالعقل ينزل دار الذل والبؤس
نعم تعاقلت دهرا لا أرى فرحا ... ومن تحامقت طار الناس من نوبي

وقال يحيى بن اكثم ما رأيت العقل الا خادما للجهل وقالوا كم عاقل أحرمه عقله وجاهل صيره جهله وقال بعض الحكماء لا يزال العاقل يشقى بعقله لكثرة تفكره وحضور ذهنه وما أحسن قول عبد الله بن المعتز في هذا المعنى مع زيادة للمصنف العقل كالمرآة الصقيلة يرى صاحبها فيها مساوي الدنيا فلا يزال في صحو مهموما متعززا للشرور حتى يشرب الخمر فيه اكثر منه غشيه الصدا كله حتى لا تظهر تلك المساوي والجهل كالمرآة الصدية لا يرى صاحبه الا منشورا ابدا من الشكر ويعرى فيه العاقل يشتري حالة الجهل الى نفسه لتزاد من الهموم عليه بل لتعلق في العواقب والتعب في اكتساب المحامد والمناقب فاذا اضاف بالهم ذرعا ولم يطق لردها نزعا احتال على دفعها بالشرب فيتجلى عنه غيم الهموم والا نزاح فيسلم السراة والافراح ومن مستنكر ما نظم في هذا المعنى قول أبي معاذ بشار بن برد

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ... ولا عيش في الدنيا لغير العاقل
ترحلت عيسا من كروم بابل ... فبت من عقلي على مراحل

الشريف أبو يعلى بن الهبارية

تجاهلت لما أن رأيت العقل نافعا ... وانكرت لما كنت بالعلم نافعا
وما نافعي عقلي وفضلي وفطنتي ... اذا ابت معي النكبة والدهر جايعا

أحاسن اقوال المرء أن العقل ضير للغنا وشر لبيع حاجبة الوصل للغنى

وروي عن الامام محمد بن الحنفية رضي الله عنه انه قال وكل الجهل بالغنا والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم انه ليس له من الامر شيء وفي مثل هذا يقول علي بن احمد الجزائري المعروف

سبحان من انزل الاشياء منزلها ... وصير الناس مرحوما ومرحوما
فعاقل فطن اعيت مذاهبه ... واحمق جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الالباب حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

قال رجل لبزرجمهر تعال نتناظر في القدر فقال وما اصنع بالمناظرة رأيت الظاهر فاستدللت به على الباطن فقال له الرجل وكيف ذلك قال رأيت الاحمق مرزوقا والعاقل محروما فعلمت ان التدبير ليس للعباد وقيل اعجب الاشياء نجح الجاهل واكداء العاقل حتى قيل لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهايم نظم هذا ابو تمام حبيب بن اوس الطائي فقال

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ... ويكدي الفتى في دهره وهو عالم
فلو كانت الارزاق تجري على الحجا ... هلكن اذا من جهلهن البهايم

وقال ابو الطيب المتنبي

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وقال ابن المعتز

العقل ليس بسعد خلفاءه ... ما قال حتى يسعد المغرور
وحكومة لا دهر تسعد جاهلا ... فيها ويشقى العالم النحرير

آخر

لو كانت الارزاق تدرك بالحجى ... بجلادة او قوة وشراس
لا خرت فضلها بارع بمعنى ... وبلغت وعيلني مساوس
لكنما قسم ونيل سرور ... ما لا يغير الا الناس

آخر

ان السعادة ام تيسير بركة ... اعمل المعالي اللي بالعقاد بن
محزونة عن عباد كما ليس لها ... وتتر ساقها الى قوم بتيسير

وحكى بن حبيب في كتاب عقلاء المجانين قال حدثنا سعيد بن عمار بن عكاشة قال كان عندنا رجل عاقل كثير الادب اديب يسمى عامرا وكان مع كثرة ادبه محروما مقلا لسيء انه تحامق فجعلت اتعلمه حتى كثر به في بعض الطرقات والصبيان حوله يضحكون منه فقلت يا عامر ما هذه الحالة فأنشد عجلا وانتزر من تحت

يا عاذلي لا تلم أخا حمق ، يضحك منه الزمان ما لحق الوان

حمقت نفسي لكي أنال بهن ، فالعقل في ذا الزمان حرمان

وكان الحمدوني الشاعر يتحامق فعذله بعض أصحابه على ذلك فقال حماقة تعولني

خير من عقل أعوله ثم أنشد

عذلوني على الحماقة جهلا ، وهي من عقلهم ألذ وأحلى

حمقي اليوم قائم بعيالي ، ويموتون إن تعاقلت هزلا

دع عنك ما للعقول فما رأى ، لا ينفع الانسان الا حمقه

كم عاقل أمسى بغاية عقله ، وأخو الغنى وغدا بحظوته يفضله

الشريف ابن الهبارية الجهل أروح للفتى من عقله ، يمسي ويصبح آمنا مستورا

نزل العواقب جانبا عن مكرهم ، وسعى رواحا في الشؤون وبكورا

والعقل يعقله على حسراته ، وتبصره وبرى محسورا

وتراه معنا كثيرا أنجمشه ، يحيى أسيرا ويموت مغيرا

لما علا الجهال في أيامنا ، وعلوا وقالوا منبرا وسريرا

أخفيت علمي والظرف منا يلي ، فعلى الكرى إذ اجهلني أميرا ، ولد

ابطا العقل في دهرنا عقال ، والجهل جاه والحمق مال

كم من فتى عاقل أديب ، يقتله الجوع والهزال

وجاهل أحمق بغيض ، يخدمه الدهر والرجال ، اخر

ولما رأيت الدهر أحمق جاهلا ، يصيب ويدبر ويخطي ولا يدري

يميل ويعطي لاحمق الغير سؤله ، ويقصر أبناء العقل بالفقر

فيمنعهم من رزقه ويرودهم ، إذا ورد الشكوى تحامقت للدهر

فكأن من المنكوح وشروة من العقلاء فإن مرأة بعال الزمان الناس العقلاء

اسماعيل الحرمان : عبد القاهر الجرجاني

كبر على العقل يا خليلي ، ومل إلى الجهل ميل هائم

وكن حمارا تعش بخير ، فالسعد في طالع البهائم ولد ايضا

هات عيش الذي يعيش في ذا الزمان ، والمجون التعقول والمجهول

فاغتنم حمقة التي أنت فيه ، تحظ بالمكرمات والاحسان

١٠ اخر

اخر إذا كان الزمان زمان حمق ، فإن العقل حرمان وشوم

فكن حمقا مع الحمقى فإني ، أرى الدنيا بدولتهم تدوم

اخر إن يماما بين نسر يلبث خترا ، وتجرد في الرجال الشرودا

لزمان أبرا الحمقى أنا ، سر وأجمع من العيون الشعودا

اخر من كسر العقل وأصحابه ، ونجت للحمق أبوابه

فاشتغل الحمق تكن ذا غنى ، فقد مضى العقل وأربابه

اخر تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم ، ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل

وخلط إذا لاقيت يوما مخلطا ، تخلط في قول صحيح وفي هزل

فإني رأيت المرء يشقى بعقله ، كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

اخر أرى زمنا نوكاه أسعد أهله ، ولكنه يشقى به كل عاقل

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته ، فكب الأعالي بارتفاع الأسافل

وقال بعض ظرفاء الأدباء وهو أبو الحسن الجابي

كملت الرزق بالحرمان من الغرب الى الشرق فلم يكسبني العقل سوى البعد من الخلق

فاذ برت عن العقل واقبلت على الجنون فجاءت اناس اشعار وقالوا أحمق الخلق

وجاء والا في الجنون بما شاء من الرزق فمن لام على الحمق فقد صاد عن الحق

ومما ورد عن ولي الانجاد بأن الحكماء أجمعوا لصاحبه من الحجا واسرى به كل

شاربه من نجوم الرجا فانهم قالوا العقل وسوء الحظ كالعلة والمعلول لا ينفك

لا حدهما عن الآخر قالوا إن كان العقل مقرون بالفقر وقيل انشاده العقل على

الفقر يجيبه فقيل اذ نعت انت في الا انا بك فقال شاعر

عش بجد ولا يضرك نوك ، إنما عيش من ترى بالجدود

اخر لا تنظرن إلى عقل ولا أدب ، إن الجدود قرينات الحماقات

اخر الفقر أنفع بالفتى من عقله ، فانظر بجدك في الجواد أو ذر

ما أقرب الأشياء حين يسوقها ، قدر وأبعدها إذا لم تقدر

اخر هنئني ما دار الناس الغنى وجاهه ، فقيل يقولوا عاجز وجليس

ولست الغنى والأنس من حيلة الفتى ، ولكن أحاظ قسمت وجدود

ونغرالهم من قال لا تنظرن إلى الجهالة والحجا وانظر إلى الأدبار والاقبال

كم من صحيح العقل أخطأه الغنى ... وعديم عقل فاز بالأموال

ودعت أم اسكندر لولدها فقالت رزقك الله حظا يخدمك به ذوو العقول
ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الحظوظ وجنى رجل جناية فأمر به بأن يختار
وقال أنا بجل أن تمنى بعقلي ومن أمثالهم أبحر قبلا تكن وقالوا عبيدة ستر
ما أسعدك جدك. قال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري

لا تطلبن بغير حظ رتبة ... قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما ... هذا له رمح وهذا أعزل

ومما قاله آخر ونسب للشافعي رضي الله عنه

الجد يدني كل أمر شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق
فإذا سمعت بأن مجدودا حوى ... عودا فأثمر في يديه فصدق
وإذا سمعت بأن محروما أتى ... ماء ليشربه فغاض فحقق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجا حرم الغنى ... ضدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق
وأحق خلق الله بالهم امرؤ ... ذو همة يبلى برزق ضيق
بلى رب من يغلبني حجة ... فأود منها أنني لم أخلق وبعضهم
قالوا افتقرت وما رزقت وإنما ... بالشيء يكتسب اللبيب ويرزق
فأجبتهم ما كل سعي نافع ... الحظ ينفع لا الحيل المخلق
كم ساع يتعب وآخر مثله ... ضر ويكتسب الحرير ويحنق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره ... وبه إذا حرم السعادة يمحق وآخر
كم يوجد الرزق بلا فطن والطلب ... وكم ذكي وكم حر وكم تعب
بل الحظوة التي تعلو بصاحبها ... لا بالحظوة التي في سائر الكتب
كم من غلام أديب فطن ذكي مهذب ... مثل الشهاب في الثقب
يمسي ويصبح ذا مال ذي نشب ... يغلب الكلب بالنيران واللهب
وآخر جلف كسيح لا كمال له ... من ذنبه العقل أو أذنب
لم يعرف البيت من أواه الكتابة ... ولا يميز بين التبر والعتب

فرأيتها تحوي الآداب ضاحكة ... وأخرته الليالي كل ذي حسب
فمن يرزق الجهول تتعب رواحله ... ويحرم الرزق من يوتاه من تعب
مع أنه واجد في الناس واحدا ... الرزق والنوك مقرونان في سبب
وخصلة ليس فيها من ينازعني ... المال والروح من ذي وال لا دب
يا باعث العيش كم أبغيت ذا حمق ... الرزق أغرى به من لازم الحرب

ويقال إذا أقبل جد المرء ما لا فرار تسعى وإلا وكان تعضه وإذا أدبر
بالأيام تقاديه والنحوس تراوحه وتغاديه ويروى أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إن السعادة لتلحظ الحجر فيدعى ربا والشقاوة لتلحظ الحبيب
أبراز في غنوته وإذا أقبلت البقاع وجدتها تثرى كما تثرى الرجال وتحرم

تشترى كما تشترى الرجال وتحرم

وقال آخر وهو من أبرع ما قيل في هذا الباب

وإذا السعادة أحرستك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل ... واقتد بها الجوزاء فهي عنان

وقال عبد العزيز بن عمر بن نباتة

الله ما تخشى ما يرجى وجدك مانع ... وكم تخشى من شيء وجدك دافع
فلا نافع إلا مع الحظ ينفع ... وكم طالب لا معه السعد نافع
آخر: إذا كنت مرموقا بغير سعادة ... فلا تخش يوما من رجوع الكواكب
فإن تك ممن قد زادك الله سعده ... يعيذك رحمن من صروف النوائب

ومن الغريب المطبوع في هذا الباب قول محمد بن شرف الدين والي

إذا صحب الفتى جد وسعد ... تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد ... طفيليا وقاد له الرقيب

الباب الحادي عشر في الفصاحة والبيان وفيه
ثلاثة فصول الفصل الأول في معنى البيان

إن الفصاحة والبيان أشرف ما تفضل به الإنسان
قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان وقال عليه
السلام إن من البيان لسحرا حد البيان قال الجاحظ في كتابه الذي سماه
البيان والتبيين البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن قناع المعنى

وعند الحاجة، ثم إن الصمت حتى بعض المشايخ إلى حقيقة العي، ويحمل على محموده كما أنها ما
كان. وقيل لجعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ما البيان، فقال أن يكون اللفظ محيطا بمعناك كاشفا
عن مغزاك. وقال: أحسن البيان ما كان معربا عن المعنى يسبق إلى الفهم تلقيه، وموجزا
يخف على اللسان تعاطيه، فما أولع من جاوره من جنا بري هذا الفضاء في مرج من مبتنى الفصاحة
والبيان. وقول ابن المعتز: البيان ترجمان القلوب، وصيقل العقول. وقال سهل بن هارون:
البيان ترجمان العقول وروض القلوب. وقال بعض من ذهب عنا بيوتنا عليك بالفصاحة
في ستكشف ما تمامه صواب تجعله كالتبر السبيك غير المموه. ويقال من عرف
بالفصاحة اللسان تحكمت العيون بالوقار. وقال هشام بن عروة: ما أحسن الناس
مروءة أعجب إلي من الفصاحة. وقال بعض البلغاء: الفصاحة أعون شاهد لعقد
على اجتماع شمل الفضل وأقوى دليل واضح على استكمال الذكاء، والفضل لن تزال تنتشر
له مثلها في رجوع البحر مجرا وترتفع لهم في مراتب العلوم ذكرا، وربما سودت غير مسود
ورفعت من الحضيض إلى الثريا محل الشمس والقمر، ولذا بالفصاحة والبيان استولى
يوسف عليه السلام على مصر ونال زمام دهور وأطلعه ملكها على الحال من أمره
واستورثا بعض بني الناس إلا بفصاحة لسانه وحسن بيانه أعلى مكانه وأعظم شأنه

ومما يتميز به أهل النظر فصاحة المنطوق لا مجرد اللسان

قال أبو الفرج الأصفهاني في رسالته: ما من شيء من الكلام الحيوان كله متساو نغمة
الحركة، والمخاطب لا يسمع إلا بمجرد الصوت عليه سبيل، وإنما فضل العالم
إلا نسيق باللسان المنطق عن مراد العقل البليغ الحكمة من القوة إلى الفعل فإذا هم
بين الفاعلين أن الإنسان بفضيلة النطق أشرف مصنوع وأفضل مطبوع مفروق
أن يكون أكمل هذا الجنس فضلا وأعجز هذا العالم فعلا من كان فسكنه بفضيلة
المنطق موفورا لحظه من ربع البلاغة معمورا. وقال أبو القاسم: إن الإنسان زينة وأرفع
منزلة من الكلام فيقر حكم على الكمال بالنقصان وأهل العي محل البيان، ولو كان الصمت
أفضل من الكلام فيقر حكم على الكمال بالنقصان وأهل العي محل البيان، لتعبدنا الله
به فيما أنزل بأنه لا يعلم، وكان الناس من نوح بحجة العقول في غيرهم والسنة
أو رسول. وقال بعض الحكماء: الكلام حق لأن الإنسان الحي الناطق. وقالوا: الصمت
منام، والنطق يقظة. وقال عبد الملك بن مروان: الكلام فاضح يحكم بين الخصوم

وضياء

وضياء يجلو الظلم حاجة إلى تماثيل الأسواق، كما جمع الرواة الأغرين. ويقال
هو الإنسان لأنه الناطق، كان زينته أبلغ كان بالإنسانية أخلق. وقيل لبعض
الحكماء: أيما أفضل الصمت أو المنطق؟ فقال: إن الله تعالى بعث أنبياءه بالمنطق ببيان الحجة
وإنك تمدح الصمت بالمنطق، ولا تمدح المنطق بالصمت، وما عبرت به عن شيء فهو أفضل منه
ويقال من فضل الناطق على الصامت أن الناطق يذكر ناسيا ويعلم جاهلا ويرشد ضالا
ويعلم جاهلا. وقيل لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: أيهما خير
الصمت أم الكلام؟ فقال: لعن الله المساكتة فما أسرعها للفساد وأجلبها للعي
والله للمماراة أسرع في هدم العي من النيران في يبس العرفج. قال: إنما الصمت متاع
السلامة والكلام قبل الجميع. وقال الشاعر

خلو اللسان لكفه وكلامه ... من السكوت وذاك حكمه مخرس
وإذا نطقت فكن لبيبا سائلا ... إن الكلام يزين رب المجلس

وقالوا: اللسان عضو إن مرنته مرن، وإن تركته حرن. وقالوا: اللسان إذا كثرت حركته
رقت عذبته كالرجل إذا عودت المشي مشت. وقال بعض البلغاء: فضل الكلام القلب
وزارع الفكر ومهبط العقل وزينته والعوار وثمرته الصواب وجانبه الصمت. وقال
خالد بن صفوان: ما الإنسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مرسلة أو حائط
مهملة. وقال أبو نواس: لسان المرء أوجه شيء فيه، والمنطق سلاحه على المرء به يتصل
الود ويحسم الحزن. شاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ومما شرف به اللسان من حظ بين الأعضاء أنه رفيع قدر على ساير الأعضاء
فالكفيل بتوجيهه وأهله لتعبيره وتمييزه من خطابه لأنه لا يلتقي به الإنسان
وكان من يخبر عماد ... ووصل الخطاب وناظم الجواب وواصف نعم
به الأشياء وواعظ ينهى عن الفحشاء وسائر يسأل عن الخطاب وسامع ترد به
الخطاب وموقع يلبس العواطف ومونس يزيل وحشة الأنام ومفرق بين علة
الحليل ومن يدعو إلى الجميل وزارع ينبت الوداد وحاصد يرتب الضغائن والأحقاد
حقاد. ومن أجاد من قال: أحسن ما ناطق بعبارة تلتزم إلا ما

إن كان لم يبرح مكانه ... بالنطق عجز تماعة الأذان

وممّا ينال به الكامل أعلى الرتب ۞ التحلّي بأنواع جواهر الأدب

الأدب يعين الإنسان على توجيه فرائض رأيه ويحسن في حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله
فيلحق صاحبه بالأفاضل وإن قصرت به العيوب عن محلّه بالأجلاء ويحمل النفوس على
سبيل الأدب باتّباع الأدلّاء ويستحقّ المتحلّي به أن ينشد فيه قول بعض الأدباء

۞ ومؤدّب النفس إلى الأشرف يتبعه ۞ يريه كلّ ما يأتي ويجتنب ۞

وموضوعه نفسي وكسبي فالنفسي ما كان من محاسن الأفعال الدالّة على كرم الطبائع
والكسبي ما استفاده الإنسان من أماثل [illegible] من أقوال الحكماء بأعينه المطلوب [illegible]
ومواقع [illegible] عليه في هذا الموضع يقع ذكره في النفوس أعزّ موقع [illegible]
في المعاني [illegible] من الاشتغال بفنون علوم الأدب المعتبرة كالنحو واللغة
والعروض ونظم الشعر وإنشاء النثر وما يتعلّق بذلك من البديع وعلمي المعاني والبيان
وما ذكرنا [illegible] نال به حماد الراوية [illegible] وإسحاق الموصلي [illegible] من
الخلفاء والجوائز من الوزراء [illegible] بمجالسهم بالمجلس [illegible] فقال أكثم
ابن صيفي الرجل بلا أدب شخص بغير آلة وجسد بلا روح وقال بزرجمهر [illegible]
شيء لا [illegible] مثله وقال الأحنف [illegible] الأدب ذؤابة الشرف [illegible]
وقال أنوشروان عجبت لمن [illegible] الأدب كيف لا [illegible] نفسه إلى مكرمة وقال
بعض الأعراب لولده عليك بالأدب فإنّه يرفع العبد المملوك حتى يجلسه في
مجالس الملوك وقال عبد الملك لبنيه [illegible] إن كنتم ملوكا برزتم وإن كنتم أوساطا
نفعتم وإن أعوزكم المعاش عشتم [illegible] الأدب [illegible] وقال بعض
الأعراب تعلّموا الأدب فإنّه زيادة في العقل ودليل على العقل وصاحب في الغربة
[illegible] في الوحدة [illegible] المجالس وسبب إلى درك الحاجة وقال المأمون [illegible]
[illegible] خير من أن أموت [illegible] فقال [illegible] ملكك بالأدب
كما تزكو النار بالحطب وقال الخليل بن أحمد [illegible] يكتسب بالأدب ما لا يكتسب به
[illegible] قال إنّ الأدب أكرم الجواهر [illegible] مع [illegible] الوظيفة [illegible]
الجليلة [illegible] والوسيلة [illegible] عليه [illegible]
وأجل [illegible] وقال الشاعر الأدب للفقير مال وللغني جمال وللحكيم كمال
ولقد أحسن من قال [illegible]

۞ لو وزنتم رجالة الأدب ۞ بالذهب [illegible] الجميل رجح ۞

وممّا ذكروا أنّ التحلّي بالآداب يلحق الدني بذوي الأحساب

فيعلّي من قصرت به نسبه [illegible] وقالوا [illegible] ونسب [illegible] حسب [illegible]
بأعلى الرتب وقالوا الأدب يبلغ بصاحبه الشرف وإن كان دنيا [illegible]
كان [illegible] والغنى وإن كان فقيرا [illegible] وإن كان حقيرا [illegible] يستغني بالأدب
عن الحسب كما حكي عن سيبويه قال [illegible] رجل [illegible] المأمون [illegible]
ابن من أنت قال أنا الأدب يا أمير المؤمنين فقال نعم النسب [illegible]
ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت ومن حيث يوجد [illegible] وقال الشاعر

۞ كن ابن من شئت واكتسب أدبا ۞ يغنيك محموده عن النسب ۞
۞ إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا ۞ ليس الفتى من يقول كان أبي ۞

وقال بزرجمهر [illegible] وإن كان [illegible] وإن كان خاملا
[illegible] وإن كان [illegible] وكثرت [illegible] وإن كان فقيرا وقالوا [illegible]
[illegible] الأدب [illegible] حاجته [illegible] وفي ذلك قال الشاعر

۞ لكلّ شيء زينة في الورى ۞ وزينة المرء تمام الأدب ۞
۞ قد يشرف المرء بآدابه ۞ فينا وإن كان وضيع النسب ۞

وآخر ۞ كم من [illegible] وضيع [illegible] ۞ [illegible] ۞
۞ فرط [illegible] بالأدب [illegible] ۞ [illegible] النسب [illegible] ۞
۞ [illegible] الأدب [illegible] ۞ [illegible] والتحلّي [illegible] ۞
۞ إنّ الأديب [illegible] عن الحسب ۞ [illegible] محتاج إلى الأدب ۞

وآخر ۞ [illegible] حسب [illegible] ۞ واعجب [illegible] عن حسب ۞
۞ [illegible] حسب [illegible] ۞ [illegible] ۞
۞ [illegible] ۞ [illegible] ۞

وقيل [illegible] الأدب [illegible] النسب وقالوا [illegible] بالأدب [illegible]
[illegible] والنسب وقيل الأدب ينوب عن الحسب ولا ينفع حسب بلا أدب وقالوا
المرء [illegible] بفضيلته [illegible] وبفضله [illegible]
[illegible] بآدابه [illegible] بأقواله [illegible] ذكرهم [illegible]

فقال له أعد الشاهد وأشهد الرقيب يكون دينا على قانون كان لذا وانصرف جالسا وهناك
قال أحمد بن أبي دؤاد فرضيت إلى ما بلغ المجلس الخصيص أو مادة. حكي أنه كان
المجلس بين الرعية في حالة رثة ومعيشة ردية ونجوم من عنده في غاية الضيق
فعلها فحجزته فما نفذ حتى سقى بقبل عن راح له في غير حراملة وجد الناموس المعتصم
الموصلي المتيمم من بين رجلا من أصحابه يكون في صحبة المعتصم يوجبه على الكمال و
يكتب إليه أخبار فقال يا أمير المؤمنين معنا قوم لهم معرفة وتذكرني فجمعوا إليه من
الكتاب بمعرفة أمور السلطان شيئا يصلحون معه لهذا الأمر ثم وقع له أجر به
أجد وأن فقال إنه جمع الذي فيه أدبا وديانا وعقلا فأرسل إليه وقلده المظالم
فعمل ثم حل بعده الشأم المعتصم محلا عظيما كي يختار له أتباع مقامه بعض معه وكانا
حاشية عن الوزارة للعبادة الشيء مشهورة ✽ ومنهم الفضل بن سهل ذو الر
ياستين كان من أهل بيت مجوسيا نجارا وهناك عاجلهم الرعيتان وبايع الخمر
فبلغ به الأمر إلى أرفع الرتب. حكي عنه أنه كان يشتغل بتسبيح أحمر اللون
الحجر مكتوب عليه رياسة الحرب والآخر أسود الحجر مكتوب عليه رياسة التدبير
ولهذا سمي ذا الرياستين وصار إلى أمره أنه كان يدري أحكام النجوم وكان المأمون له
في هذا العلم أرب فاتصل به بسببه وصحبته في حداثته أيام أبيه الرشيد وهو
مجوسي فغلب عليه وحمله على محبته إياه الأدب وطلب الحكمة فقال له يوما مما يكون
من حاله فأخبره أنه يرى في طالعه أنه يلي الخلافة سلبا وأن ذريته تعمر ويعمر
عنه شرقا وغربا فبلغ الرشيد شأنه وخبره واستخبره على المأمون فجرده
فاستتر حينا ثم جرى له أن بعض ما أتى الرشيد وهو في الحلبة فجثا بين يديه وهو
يقول يا أمير المؤمنين أعوذ بك من سخطك واعترف بالذنب وأسلم لله على يديك
فقال الرشيد هذا فأنا المجوسي الذي سرق دمه فقال نعم ووهبنا الله الإسلام
له فبايعه ومعاودة فبلغنا عنه وإنه في صحبة المأمون ✽ ومنهم محمد بن عبد
الملك الزيات كان له الحال بن أيوب يوما وفرقت بينهم محاورة في مناظرة وهو
ودي ليس هذا الحل الذي ولد من العجز فقال له أبا تجارة تعني منزلتك تلاجي اكتب
فتاجرا نعرفه الله بالأدب وأطلب بعد التجارة إلى الوزارة وليس العيب في
خسيسة ما تضع وإنما هو كان ثم بها ما تضع ولو كنت ما ملكته معاملة الفضل

ابن سهل وأنه للفضل كان لأنه لم تقرع على مثل هذا القول الذي فجعط ويفيض في
معهد كنت تزحلها إلى الخلافة تلوذ بالجدران وتتبع الأفياء فأكثر الناس من عجبهم
القوم خوفا منه لكنه رفع شأنه في المجلس فقوفي من سوء أدبه معه وقربه على
من هو تشفع عليك فقال له الفضل مهلا أنا قلت كلمة مقولة وتمثلت قبل غروب
لم أعتقد به ما أماهة له إذ كنت ألوذ بالجدران وأتبع الأفياء فقوما الفضل
معهد كان ذلك وذلك لم أكن أراك هناك وإن أولى الناس أن يعيبني ما قرا
باستحقاق الفضل لأنك. فقال ابن الزيات هذا شيء من ذلك ونهض من مجلسه وقال
أعجبني في مكان الفضل ما بلغه يأتيه كل يوم فيقعد حتى يقضي الناس ثم يقضي تجارة ا
ابن الزيات فجرى وأنه في حاجته وخالصه وأراد الفضل يخوفه فإن أولى الناس
أن يعيبني أمرا باستحقاق الفضل لأنك لأن الفضل كان رأى على محمد بن الزيات سوادا
فأراه تنزعه عليه وقال له لم تتشبه بأصحاب السلطان وأهل المراتب ثم ما لبث
تكلم في دعايم والقبائل حتى طلع ابن الزيات الوزارة وجلس الفضل بن سهل بين يديه
وكان ابن الزيات مليا بعلم الأدب كاتبا شاعرا نحويا له نثر في شيء منها عبارة
ولد برك الأتان يحكى في سبب تقدمه أنه كان يتولى قهرمانة الدار وتشرع على
الملحق أنه ورد على المعتصم كتاب الحرب فيه من أن بلاد الجبل نزل بها مطر عظيم
كثر منه الكلأ فقال المعتصم لأحمد بن عمار وكان يتقلد العرض عليه ما الكلأ
فقال لا أدري فقال المعتصم إنا لله وإنا إليه راجعون خليفة أمي وكاتب عامي ثم قال
من يقرب أقبل الكتاب فعرف فكان محمد بن عبد الملك الزيات فطلبه فلما مثل بين يديه
قال له ما الكلأ قال النبات كله رطبه ويابسه فالرطب خاصة يقال له الكلأ
واليابس خاصة يقال له الحشيش ثم اندفع في وصف النبات من ابتدائه إلى انتهائه
فهذا هو السبب فيما ذكرته ونكبه بما وصف ما شاء وزر الكثير ومن محاسن أفضل

هذه الصناعة الآخذين بأعنة الفصاحة والبراعة

وقد وصل بن بلال في العباس وقد قيل عنهم فقال أولهم فهو من حيز الخلافة ليثر فوه
وبلسان الفتوة فيتحققون ويقرع خاطر بن صموت رجلا بصياغة المنطق فقال
كان والله جزل الألفاظ لا تغري بمعاني اللسان فيصح ما أخر إليه الرياح معنى
الكلام فلبيق الذي فيه قليل الحركات ومدح أعرابي رجلا بالفصاحة فقال الأخرز مام

الكلام مبانيه أسهل معانيه ومعانيه أجمل مبانيه ما يستجمع به الطرب الجامحة واستنطق به الأبصار الطامحة وذكر ابن المقفع بليغا فقال ما زالت ينابيع حكمه تنفجر في مغاني الآذان حتى أعشبت بها القلوب عقولا فزاد في هذا المعنى أبو الطيب المتنبي في قوله

نحكي إذا ما ابتدأ الحديث شاته ، أعطى بمنطقه القلوب عقولا

كتب إسحاق الصابي في الوزير أبي محمد المهلبي رحمه الله تعالى

قل للوزير أبي محمد الذي ، قد أعجزت كل الورى أوصافه

له في المحافل منطق يشفي الجوى ، ويسوغ في الأذن [illegible]

فكأن لفظه لؤلؤ متنخل ، وكأنما آذاننا أصدافه

قيل فلان إذا أنشأ وشى وإذا عبر حبر فلان إذا أنشأ نشرت زهرات الآداب من عذوبة لسانه وإذا أنشد حرك الوقار بإحسانه فلان لله دره ما أبسط لسانه وأطول عنانه وأبهى بيانه وأجود إتقانه أبو عبد الله المنجم يمدح بليغا

حكم سبائكها خلال بنانه ، متفرق وطليبه في قلبه

كالروض مؤتلفا بحمرة نوره ، وبياض زهرته وخضرة عشبه

وكأنها والسمع معقود بها ، شخص الحبيب بدا لعين محبه

حسان بن ثابت في عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ، بملتقطات لا ترى بينها فصلا

اخ ، كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع ، لذي إربة في القول جدا ولا هزلا

اخ ، كلام كوقع القطر في المحل يشتفي ، به من جوى في باطن القلب كامن ، اخ

وإن خفقا [illegible] ، ألذ وأحلى من [illegible]

وأجرى على النفس من قوتها ، وأطيب من عيشة راضية

الصاحب بن عباد الوزير [illegible]

مقال تعربه أوائل وأواخر ، وتعربه [illegible] تعرب

سوالف من [illegible] كتاتم ، أو اللؤلؤ الرطب الذي لم يثقب

اخ ، تقول سواك لما [illegible] ، وكل مقول سواك كأنه [illegible]

اخ ، كلام [illegible] ، من الرجاء [illegible]

الفصل الثاني من الباب الخامس

فيما يتحلى به الأدباء من بلاغات الكتاب والخطباء

ولنورد أثناء هذا الفصل نبذة تبين في حد البلاغة وأقسامها والطرق التي يوصل سالكها إلى معرفة تفصيلها أو قياسها قال كلثوم بن عمرو العتابي البلاغة إظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق وقال علي بن عيسى الرماني أبلغ الكلام ما حسن إيجازه وكثر إعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه وقالوا البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ وقيل لبعض البلغاء من البليغ قال الذي إذا قال أسرع وإذا أسرع أبدع وإذا أبدع حرك كل نفس بما أودع وقالوا لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى لا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك وقالوا البليغ كالمهر من الجواد يسبق وإن كان مجريه [illegible] وإن كان مستصعبه وقال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان البلاغة ما رضيته الخاصة وفهمته العامة وقالوا البلاغة الإجادة وبلوغ الإرادة والعرب تسمي حلية اللسان [illegible] لهم [illegible] كل زمان قال بعض حكماء الكلام مياه تنبت عروقه وعليها تغدو غصونه فنجتني منه ما حلا وعذب ونترك ما ثلج وخبث وقال الجاحظ ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آنق في الأسماع ولا أقود للطباع ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من كلام الأعراب الفصحاء العقلاء وسئل [illegible] أي أشعر العرب أو العجم فقال العرب أحلم وأعلم وأعقل وأعلم وأشجع وأنكر وأنكى وأذكى وأزكى وأعفى وأعقد وأحمى وأحصف وأبلى وأبلغ وأسخى وأسمح وأشرف [illegible] وأشرم وأنجى للعار [illegible] وسأل كسرى الحارث بن كلدة [illegible] ما الذي يحمد من أخلاق العرب ويعجبك فيهم فقال الحارث لهم أنفس سخية وقلوب جرية وعقول صحيحة وأنساب صريحة يمرق الكلام من أفواههم مروق السهم من الرمية أعذب من الماء وألين من الهواء يطعمون الطعام ويضربون الهام عزهم لا يرام وجارهم لا يضام [illegible] إذا [illegible] وبدائع الفلاحم البلاغة وبرائع معانيهم الرائعة ما يحكى أن أعرابيا قال عند [illegible] في طلب الرزق وإنه [illegible] الأسباب وفرقت جميع الأبواب وأضحت غاية [illegible] الرحماء [illegible] وسأل أعرابي فقال سنة جردت وحال جهدت وأيد جهدت فرحم الله من رحم [illegible]

أعرابي على حلقة الحسن يسأل فقال رحم الله من تصدق من سعة أو واسى من كفاف أو آثر
من قلة فقال الحسن ما ترك أحدا إلا وسأله ووقف أعرابي على قوم يسألهم فقال يا أرباب
الوجوه الصباح والعقول الصحاح والصدور الفساح والنفوس السماح وذوي
الصلاح والفلاح أتاح الله لي منكم من يسمع كلامي فيعرف مقامي وسأل سائل
بمسجد الكوفة فلم يعط شيئا فقال اللهم إنك بحاجتي عالم غير معلم أنت الذي لا يعوزك
نائل ولا يحفيك سائل ولا يبلغ مدحك قائل أسألك صبرا جميلا وفرجا قريبا وبصرا
بالهدى وقوة فيما تحب وترضى فتبادروا إليه بالعطاء فقال والله لا رزأتكم الليلة
شيئا ثم خرج وهو يقول ما نال باذل وجهه بسؤاله عوضا ولو نال الغنى بسؤال
وإذا السؤال مع النوال وزنته رجح السؤال وخف كل نوال
ووقف أعرابي على قوم فقال يا قوم أشكو إليكم زمانا كلح لي وجهه وأناخ علي بكلكله فعمر
نعمة من الشباب وثروة من المال وغبطة من الحال اعترتني جوائح الدهر بنبال مصائبه فعن
نسي لوائبه فما تركت لي ثاغية أجتدي ضرعها ولا راغية أرتجي نفعها فهل فيكم معين
على صرفه أو معين على حتفه فردوا عليه ولم ينيلوه شيئا فولى عنهم وهو يقول
فرضاع من باطل من أشيائكم جودا وتمسي الجود من أفعالكم
لا بارك الله لكم في مالكم ولا أزاح الشؤم عن أعيالكم
فالموت خير من فلاح حالكم وهو كلامهم في الأوهام ووقف أعرابي على امرأة فقال
الغزال يكون لونه ما نقص منه وتم فيها ووقف أعرابي فقال خلوت بها والغيم يرقبها
على عاب العمر رقيبه فقيل له ما كان بينكما قال لا شيء من قبيح جاسر والدنو بلا مساس
قال أمضي سعيا الصبح وقيل أول الصباح فغرت بالحق السلام وخرجت لا أنطق
عن الكلام وقال أخرجت حين الغيوم وسالت أرجلها جاريت أمرع الإبل
حتى انصدع الفجر وأرسل أعرابي ولده في حاجة من جمع خابيا فسأله قريبا خيبته
فقال أتيت سوق الصفا بكت السماء وضحك البرق وفهمه الرعد فجعلت التهامه كلمة
ورجعت ووصف أعرابي سحابة قال أنها سحابة تركت سودا بيضاء وبيضا سودا
ووصف أعرابي شعر ابنته فقالت لم يبق شعر كالدلاء الخيل يناله منها الذيل
إذا أرسلته خلته سلاسل وإن مشطته قلت عناقيد كلاما وأبل وقيل لأعرابية
ابن منزلك قالت ما في منزل الشمال أبيض إذا اصعصر وأكصر في أثنائه أنتقس

واعتمد أعرابية للمنصور في طريق مكة بعد موت السفاح فقالت يا أمير المؤمنين
ثم أحسن الله إليك في أعظم الأجر وأعظم عليك النعم في المنتين سلب خليفة الله
وأيد لك خلافة الله فأحسنت فيما سلبت واشكر له ما منحت وقيل لبعض
الأعراب ما عندكم في البادية طبيب فقال كلا إن حمر الوحش لا تحتاج إلى البيطار
وقيل لأعرابي كيف حالك قال الموت قدامي والذنوب ورائي وأصعد بلا استغفار وقيل
لأعرابي كيف فلان قال من جلاله قال وجه صبيح وقصر فسيح وقلب نصيح ونسب
صريح وخلق سجيح وسعي نجيح وعزم صحيح ملح من بدايع ألفاظ الكتاب
الأفاضل الحازقة فلا أشغل منها بخواطر سحر بابل وفي صورة أملوحة البيط
كلاما في فضل الكتابة كافيا وللكتاب من الأوراق عقل الحمول شافيا فمن فوا
الكتاب شاشة الملك وعماد وأركان قوامه والحواه بالفضل منه تبسط الأرزاق
وتقبض الآجال وبالأخلاق منهم نطاق الصعاق إذا أعجز عن صونها الرجال وقالوا
الكاتب ما لك زمام الملك يصرفه بقلمه إلى ما نشاء كيف شاء وقالوا القلم
الصناعات صناعة من بوته لكانت الكتابة رب الكل صناعة وقالوا الكتابة منجب
الآداب ومعلمة الحكمة ولسان ناطق بالفضل وميزان يدل على رجاحة العقل
وبالكتابة والكتاب قامت السياسة والرياسة والسيف والقرطاس الأعنة والأزمة
وعليهم يعتمد في حفظ الأموال وانتفاع شتات الأحوال وقال الكتبي بن يحيى الكتاب
الكتاب ملوك وسائر الناس سوقة وقال أبو الفتح الملوك أحوج إلى الكتاب
من الكتاب للملوك ومن فضل الكتابة أن صاحب السيف يزاحم صاحب القلم في قلمه
ولا يزاحمه الكاتب في سيفه وقال من حوا بأحسن من قول القائل
قوم إذا أخذوا الأقلام عن غضب ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ما لا ينال بحد المشرفيات
قوم إذا أخذوا الأقلام من قصب سفكوا الدماء بأسنة الأقلام
ولضربة من كاتب ببنانه أمضى وأنفذ من رقيق حسام
بل موضع بلاغتهم ومعجز نهاية عنهم ما كتب به النبي صلى الله عليه وسلم من كتاب
للنجاشي أما بعد فكأنا بك لنعمة ونطق وكأنك في الرقة علينا منا وكأنا لم
نرجع في أمر إلا تناوله ولا خفنا عليه إلا أمناه ومن بليغ مكاتباتهم

ما كتب به يزيد بن الوليد بن عبد الملك إلى مروان بن محمد وقد بلغه تلكؤه
ببيعته أما بعد فإني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد
على أيهما شئت والسلام ومنه ما كتب به عبد الحميد لرجل بالوصية على انسان
حق موصل هذا الكتاب عليك كحقه علي إذ رآك موضعا لأمله ورآني أهلا
لحاجته وقد أنجزت حاجته فصدق أمله ومنه ما ذكر أن المأمون قال لعمرو بن
مسعدة اكتب إلى عاملنا فلان كتاب عناية بإنسان في سطر واحد فكتب هذا
كتاب واثق بمن كتب إليه معتن بمن كتب له ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله
ومن بديعها ما كتب به أبو بكر الخوارزمي جوابا لأمر سرته وعلة التعزية ولم يكن بها
عيبه الدار فإذا لها مسرة في البر وقابلها مختصر في الشكر والسرور موصول دمعه
في الحزن ودمعة مفتاح محمود الأثر في الشكر والأجر وكتب ابن العميد إلى محمد بن يحيى
يستعطفه من رسالة وما أحسبنا إلا اشتركنا في الاسم فقط وتشابهنا في
محمد ومحمد فلو كنا السماكين لكنت الرامح وكنت الأعزل ولو كنا النسرين لكنت
الطائر وكنت الواقع ولو كنا الشعريين لكنت العبور وكنت الذراع أخشن
من قول المعتز في بعض تلفيف الدنيا في الناس والكنى كثيرا ولكن لا تلاقي أخلاقي
وكتب أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني البديع إلى من يستعطفه ابتداء المودة
موكدة والحرمة بعضها أشياء والناصحة والناصحة للمودة أولى بها وزيادة
والسابقة رضاع ثان والمطاعمة نسب دان ومعاشرة معه والصحبة
والأخوة رضيعا لبان وقمت بين يديه والقيام والصلاة شريكا عنان وأثنيت
عليه والثناء عند الله بمكان وأخلصت له والإخلاص مشكور بكل لسان
وكتب أبو العيناء إلى ابن المدبر يستجديه مسنا وأهلنا الضر وبضاعتنا الود
والشكر فإن لم تعطنا فلسنا ممن يلحف في المسألة فإن أعطوا منها رضوا
وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون وأبو العيناء كما قال فيه محمد بن مكرم وقد سئل
عنه من زعم أن عبد الحميد أكتب من أبي العيناء إذا احتذى كلم أو شرع في جمع كلم
ومن بلاغتهم ما حكي أن الرشيد قال ليحيى بن خالد إني أردت أن أجعل الخاتم
الذي في يد الفضل إلى جعفر واحتشمت منه فاكفنيه فكتب إليه يحيى قد أمر أمير
المؤمنين أعلى الله قدرك وأنفذ أمرك أن ينقل خاتمه من يمينك إلى شمالك فأجاب

البعض

البعض ما سمعت ما قال أمير المؤمنين في أخي وما انتقلت عني نعمة صارت إليه ولا
غربت عني شمس طلعت عليه فما نقل إلى من كان أملك والكلام إلى من هو للجباء غير رويته
وللشعور عنا بيم وكتب ملك الروم إلى المعتصم كتابا يتوعده فيه فأمر الكتاب
أن يكتبوا جوابه فلم يعجبه مما كتبوا شيئا فقال لبعضهم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ما تسمع وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار ومن مليح ما كتبه أبو العيش واسمه أحمد بن محمد بن عبد الله
ابن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي تعليلا أكتبه في العجل وفقك الله وسددك
وإلى كل خير أرشدك وبيت ضياع خراج الصواب ومساحة العطاء وكيل الماء
الأنهار وعدد الأشجار وكرا الأنهار وبار وحرمان البيوع وفسخ الشروع
بين العشر والخمس وأجريت لك من الأرزاق ما يقوم بأودك في كل شهر بعض
أهل حمص والشام لك مثل العراق وأمرتك أن تجعل عيالك بنساء واصطبلك
بحران ومطبخك بحران وبيت مالك بسجستان ودواتك بغانة ومجلسك بفرغانة
وخلعت عليك خز جنيز ومبطن شطي وسراويل مرزبني وعمامة من سخنة قمي
وحملتك على حمار مقطوع الذنب والأذنين مكسور الظهر والرجلين تبرز في حملك
كل يوم من تيهر واحمد الله على ما أعطاك وما بلغنا بذلك فيك نولبك وكتب
غراة ذكرنا بعد العفو لست ممن يربيع ذكره سنة ثمان وكما ينبغي
وكتب أبو العيناء إلى صديق له يتولى وكديه أما بعد فإني لا أعلم بوحشة
الله كنت غني عنك وكذا أخوك إياك لا تقدا على ... ولا رغبة في ذلك
نعلي بن سرك فيها وكذلك أقول كما قال الشاعر

أجار ابن عمرو من قريب وكديته ... تكون جدا فيها تخون وتسرق
وكان فيما في العنوان للغنا ... لعمالة به إلى العيوبة يتبين

واعلم أن الجمع كثير والمنع حرامه وليست كل فنون وكديته جاذي أبلغ العطلة
بأخرى السلطان أعمى دعر في سود بيض وليست منى الوصية التي أوصى
يعقوب بنيه ولكني رأيت الحزم أخذ العاجل وترك الآجل وللنزر
من كلام الخطباء والبلاغة والحسن ما كان من بعض بديع ومعنى حسن بعد
أن نورد في شرح الخطابة والخطباء كلاما يتزوج بالعقول امتزاج الماء

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

بالعصا. قال الله تعالى في داوود عليه السلام مبينا عن شرح ما أجمل الذي
العصا. والكتاب وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ذكر أن فصل الخطاب سواء أما بعد
في الخطبة وهو أول من قالها وقالت العرب أول من قالها قس بن ساعدة الإيادي
أول من خطب لقمان بعد داوود عليه السلام وبه ضرب المثل في الحكمة والموعظة الحسنة
في العرب أن شعيبا خطيب الأنبياء وفي المثل أخطب من قس بن ساعدة الإيادي
وكذلك قيس بن شماس خطيب العرب لأن النبي صلى الله عليه وسلم روى كلام قس
وموعظته بعكاظ ومن إنشاده تعجب منه أمام الرجال وتنقطع دونه أيدي الجمال
وجراءة كان خطيب العرب في الجاهلية وأما تميم فإن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عمرو بن
الأهتم التميمي عن الزبرقان واسمه حصين بن بدر فأجابه بكلام قرظه فيه وهو فيه بليغ فرضي
الزبرقان بالاقتصار على ما قال وقال إنه غض منه وإنه عرف لا يقال فقال في الحالة
الراهنة كلاما ذمه فيه فأبان من قبح ثوان مجمل في كل قول ولم يخرج في الثانية فتعجب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله فيه ومدحه له وذمه فقال في وصف
كلامه ما هو به أحرى صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة

قال قيس بن عاصم يمدح قوما بالخطابة

خطباء حين يقوم قائلهم ... بيض الوجوه مصاقع لسن

وقال آخر يفتخر بقومه في الفصاحة وإني من قوم كرام أعزة لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر
وقال أبو العباس ابن ... مادحا بني أمية بالخطابة في المعنى أيضا

خطباء على المنابر فرسان ... عليها وقالة غير خرس

لا يعابون صامتين وإن قالوا ... أصابوا ولم يقولوا بلبس

والخطابة من آلة الفصاحة وشرائط الإمارة قال الجاحظ الخطابة الطبع وعمودها
الدربة وجناحاها رواية الكلام وحليتها الإعراب وبهاؤها تخير اللفظ والمحبة
مقرونة بالإيجاز قال ابن أبي داوود تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز
والتشادق في غير ... والنظر في عيون الناس عي ومس اللحية هلك والخروج عما بني عليه
أول الكلام إسهاب وأرسل الله صلى الله عليه وسلم الخطب التي هي مطاعنها
بالعي والحصر والعيابة ... ورجعت ... عن مجاز ... في أبواب البلاغة
سواء في الأزمان غير أنا نورد منها في هذا الكتاب ... من سحائب اللبيب

العرض

الغرض المقصود وإصابة المراد الاسم الثاني خطب عليه الصلاة والسلام فقال
أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم
ألا وإن المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد
بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته
ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت
من مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار فيا لها من كلمات لو صادفت سمعا
واعيا وقلبا لحفظها إن الله راعيا وخطب أبو بكر رضي الله عنه عند موت النبي
صلى الله عليه وسلم وقد غشي المسلمين بحيث ... ما غشيهم فقال أيها الناس من كان
يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وإن الله اختار
لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتاب الله وسنته فمن أخذ بهما
عرف ومن فرق بينهما أنكر ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل
انقلبتم على أعقابكم الآية ثم قال أشهدوا الكتاب كما أنزل والحديث كما حدث وأن
الله حي لا يموت وإنا لله وإنا إليه راجعون ... وإن الله الجبار العظيم والنبي المصطفى
فإنه رضي الله عنه قام مقاما يخرس فيه مثله كل منطيق ويعيى القلب الصبور على حمل ما
يلقى وكان إذا فرغ من خطبته يقول اللهم اجعل خير زماني آخره وخير عملي خواتمه
وخير أيامي يوم ألقاك وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال أيها الناس اتقوا الله
في سرائركم وعلانيتكم وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تكونوا مثل قوم كانوا في
سفينة فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه فنظر إليه أصحابه فمنعوه فقال هو موضعي ولي أن
أحكم فيه فإن أخذوا على يده سلم وسلموا وإن تركوه هلك وهلكوا معه واعلموا أنه
لن يبلغ مرضى مخلوق أن يطاع في معصية الخالق وكان رضي الله عنه يقول في آخر
خطبته اللهم لا تدعني في غمرة ولا تأخذني على غرة ولا تجعلني من الغافلين وخطب علي
رضي الله عنه فقال أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت
باطلاع وإن المضمار اليوم وغدا السباق فاعملوا في الرغبة كما تعملون في
الرهبة وإن أخوف ما أخاف عليكم الهوى وطول الأمل ومن كلامه في خطبة مثل
من خلاص أو مناص أو ملجأ أو منجى أو معاذ أو ملاذ وخطب معاوية رضي الله عنه في
يوم شديد الحر فقال بعد التحميد والثناء إن الله خلقكم فلم ينسكم ووعظكم فلم يهملكم

تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وخطب
يزيد بن معاوية بعد موت أبيه فقال الحمد لله ما شاء صنع من شاء أعطى ومن شاء منع
ومن شاء خفض ومن شاء رفع إن أمير المؤمنين معاوية كان حبلا من حبال الله تعالى
مده ما شاء أن يمده ثم قطعه حين أراد قطعه وكان دون من قبله وخير ممن بعده ولا
أزكيه عند ربه وقد صار إليه فإن يعف عنه فبرحمته وإن يعاقبه فبذنبه وقد وليت بعده
الأمر ولست أعتذر من جهل ولا آسى على طلب علم وعلى رسلكم إذا كره الله شيئا غيره
وإذا أراد أمرا يسره وخطب سليمان بن عبد الملك فقال إنما الدنيا دار غرور ومنزل باطل
تضحك باكيا وتبكي ضاحكا وتخيف آمنا وتؤمن خائفا وتفقر مثريا وتثري مقترا اعلموا
عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس ظلام
الليل إذا عسعس وخطب عمر بن عبد العزيز فقال أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح لكم
علانيتكم وأصلحوا دنياكم تصلح لكم آخرتكم وإن امرأ ليس بينه وبين آدم أب حي
لمعرق في الموتى وكان يقول في آخر خطبته اللهم إن ذنوبي عظمت عن أن تحصى وهي
صغيرة في جنب عفوك وخطب في زواج فقال الحمد لله ذي الكبرياء وصلى الله على سيدنا محمد
خاتم الأنبياء أما بعد فإن الرغبة منك دعتك إلينا والرغبة فينا منك أجابتك وقد
زوجناك على كتاب الله وسنة رسوله إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وخطب
السفاح لما قتل مروان بن محمد وبويع فقال ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وتلا الآية
ثم قال نكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان فإذا يقولون زعما وكم يقولون ربنا ما لكم
أضلونا السبيلا فما تم عذابا ضعفا من النار إذ يقول الله وجاء بها وعد لكل ضعف ولكن
لا تعلمون أما أنا فقد عرفت لكم الزلة وأقلت لكم العثرة وعدت بفضلي على نفسكم وبحلمي
على جهلكم فليسكن روعكم ولتطمئن بكم داركم ولتعظكم مصارع أولئكم فتلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا وخطب المنصور فقال الحمد لله أحمده وأستعينه وأتوكل عليه وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أيها الناس اتقوا
الله فقام إليه رجل فقال أذكرك ما ذكرتنا به وأنت في ذكرك يا أمير المؤمنين فقال
المنصور مرحبا مرحبا ذكرت جليلا وخوفت عظيما وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل
له اتق الله أخذته العزة بالإثم والموعظة منا بدت ومن عندنا خرجت وفي رواية
فقال سمعا وطاعة لمن ذكر بالله وذكر به وأعوذ بالله أن أذكر به وأنسى نفسي فضلا إذا

وقسا

وما أنا من المتكبرين ثم التفت إلى الرجل وقال وأما أنت يا قائلها فوالله ما
الله أردت بها ولكن ليقال قام فقال فعوقب فصبر وأهون بها لو كانت وأنا
أحذركم أيها الناس أختها فإن الموعظة علينا نزلت وفينا ثبتت ثم قال رحم الله امرأ
نظر في دنياه لآخرته وخطب بشر بن الفضل وقال البصرة وجانب البحر ثم أخذ بقائم سيفه
وقال إن لكم داء من أشياء وإنا دواءكم بشفاء به فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به
فما بعد الوعيد إلا الإيقاع وإنما يعتبر بالكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وإنه
لبدء الخلافة يوم الجمعة حين نودي للصلاة فأتيه فخرج ثم رقى المنبر فحمد الله وأثنى
عليه ثم قال أيها الناس عمرنا وخصصنا بني العباس بأن النبوة من أصله وذكا نفاس
حقكم من الله بعد تربع طوله وقد نبكي تزوله فارجعوا فلونكم من الحزن على الفائت إلى
الأنس ودنا بالغ فجوزوا ثواب الصابرين وتعطوا أجور الشاكرين وخطب المأمون
في يوم عيد فقال أيها الناس عظم قدر أمر دنيا من جزاء العاملين وكانت من العمر فغيب
الله الله إنه الجد لا اللعب والحق لا الكذب وما سواه إلا الموت والبعث والميزان
والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب فمن نجا يومئذ فقد فاز ومن هوى فقد
خاب الخير كله في الجنة والشر كله في النار فليعمل منزل الكلام ما أجمعها لعنوه
المعكان وما أجل به الذنوب وأهلاها وأقبحها لنعلوه ولم تزل خلفاء بني
العباس يخطبون على الناس في الجمع والأعياد وآخر من فعل ذلك منهم الراضي
خطب العمال وقال الشعبي ما سمعت أحدا يتكلم إلا تمنيت أن يسكت مخافة
أن يخطئ إلا زيادا فإنه كان لا يزداد إكثارا إلا ازداد إحسانا خطب فقال
فقال أيها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون أن تنتفعوا منا بأحسن ما تسمعون فإن
الشاعر يقول اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري
اسمعوا قول منا وعوه فإنما علي ما حملت وعليكم ما حملتم كذا وقعت هذه الحكاية
ثم وجدت بعده الشعر بعض الثعالبي منه البيت منسوبا إلى الخليل بن أحمد ويجوز أن
يكون الخليل أنشده متمثلا به والله أعلم وخطب مصعب بن الزبير لما قدم
العراق واليا عليه من قبل أخيه عبد الله فقال بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك
آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون وأشار
بيده نحو الشام والحجاز والعراق يعني أخاه وعبد الملك بن مروان وجنوده إن فرعون

علا به ذكره وجعلوا أمثلتها شيئاً يستضعف كتابته منهم من يذبح أبناءهم ويستحيي
نساءهم انه كان من المفسدين وأشار بيده نحو الشام بن عبد الملك بن مروان ونريد
أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض
وأشار نحو الحجاز ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
وأشار نحو العراق بن أبي عبد الملك لما فتح وادي العاربة وكان الحجاج من الفصحاء
البلغاء، قال الشعبي كنت أسمع على المنبر ما رأيت أحداً أبين من الحجاج انه كان ليرقى
المنبر فيذكر إحسانه الى أهل العراق وصفحه عنهم وإساءتهم عليه حتى أقول في نفسي
انه لصادق مظلوم وخطب يوماً فقال أما بعد فإن الله كتب على الدنيا
الفناء، وكتب على الآخرة البقاء، ولا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء،
فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة واقهروا طول الأمل بقصر الأجل قال
الشعبي كلام حكمة خرج من قلب خرب وخطب سليمان بن علي بالبصرة فلما تلا
الا هو ثم قال ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون
ان في هذا لبلاغاً لقوم عابدين فقال هيهات ومنوا بحظ وعلموا بأن الحق لهم انهم صدقوا
عبيد والجن وعبدة وتعجلوا العقوبة فقاتلوا الذين اتخذوا الكعبة غرضا والفيء إرثا
وجعلوا القرآن عضين لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون وكم من بئر معطلة
وقصر مشيد ذلك بما قدمت أيديهم وان الله ليس بظلام للعبيد أمهلوا والله حتى
نبذوا الكتاب والسنة واعتدوا واستكبروا وخاب كل جبار عنيد ثم أخذتهم فكيف كان
نكير فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وخطب داود أخوه بالترضية فقال ايها
الناس حتى م يهتف بكم صريخكم أما آن لراقدكم أن ينتبه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون أغركم الإمهال حتى حسبتموه الإهمال هيهات منكم وكيف بكم والسوط بكفي
والسيف مشهر ثم أنشد حتى يبيد قبيلة وقبيلة ويعض كل مثقف بالهام
ويقمن ربات الخدور حواسرا يمسحن عرض ذوائب الأيتام
قال الجاحظ قال داود وسليمان من أفصح خطباء بني هاشم كانا في البيان كعيسى
وسليمان الا أن داود كان أحسن لسانا وأروع بيانا وكان لا يتفرع في تخير خطبة
منه وواجبا أن يكون بهذا الفصل لاصقا فمن لم يستعمل التقعير فاعلم انه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون قال

أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الثرثارون الذين يتكلمون في الكلام تكلفا وتجاوزا وخروجا
عن الحق من قولهم نهر ثرثار لكثرة مائه والمتفيهقون فأكثرهم مأخوذ من قولهم
يفهق الغدير يفهق إذا امتلأ وقال بشر المعتمر إياك والتقعير فإنه يسلمك الى
التقعير ويستهلك معانيك ويبعد من إصابته مرامك وقال بعض البلغاء إياكم
والتعمق في القول والتكلف وعليكم بمحاسن الألفاظ والمعاني المستخفة المستملحة
فإن المعنى المليح إذا كسي لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا كان في قلب
السامع أحلى وبصدره أملأ وقال بعض الخزاز إياك والتحوير في المعاني فإنه كالعي
من الفصاحة وقال خير الكلام ما لم يكن عاميا سوقيا ولا غريبا وحشيا وقال أبو
الأسود الدؤلي لولده يا بني اذا كنت في قوم فلا تتكلم بكلام لم يبلغه سنك
فيستثقلوك ولا بكلام هو دون سنك فيزدروك وتستحقرك وما أحسن قول ابن عمرو الجعالي
في هذا المعنى لعمرك ما التقعر من شيمتي ولا أنا عن نهجها المعوج
ولا كنت قد قسمت الكلام فأخلط كلا بما تجمع
ومن نوادر التقعير وشوارد نوادر المتفيهقين ما حكي عن علقمة النحوي انه هاج
به دم فأتى الحجام فقال يا هذا اشدد قصب الملازم وأرهف ظبة المشارط وأسرع
الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكررن آتيا ولا تردن آتيا
فقال له الحجام جعلت فداك أنا في الحجامة لا أحسنها وهذا حرب لا تشبه ناريها
ولا يشق غبارها الا عمرو بن معدي كرب ثم تركه وانصرف ولم يحجمه ومن الطرف ما ينسب
اليه ما يحكى انه هاج به يوما مرار فسقط على وجهه واقبل قوم يعضون ابهامه وقوم
يؤذنون في أذنه فلما منهم انه طرح وعجل أفاق من غمرات غشيه رآهم مجتمعين به فقال
ما لي أراكم تتكأكئون علي كتكأكئكم على ذي جنة افرنقعوا عني فقال بعضهم لبعض
دعوه فإن جنيته تتكلم بالفارسية ونزا مع رجل الى قاض فقال أحرمه علي
خصمي درهمان فقال خصمه والله انما ثلاثة ولكن لكثرة الاعراب ترك منها
درهما وأتى رجل بعض الولاة فقال أعز الله الأمير ان لي أبا شيخا كبيرا
من الصبوة الى كل سكين وخبز ممزوج بعسل فإن أعطاه معنى يقضيه فقد يكفي
حتى يعرفه فأجيب منه معونته حتى يغنيني عنه الله فأمر له بأمر ما كان
بل مثل بين يديه فقال له يا ابن أخي الى أكعص أكبب الطعام أم أسعك أعرب

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الشراب قال بلى يا عم قال ما لك والشعر اضجعوه وجيئوا عنقه فاتبعت الشاب
الى عمه وقال والله يا عم لو نفع النسيان على برئ أحب اني وقع كلامك في اذني
بمحط الاميرية واكلفه انشاد الحجاج واعرابي خاصم عند الوليد بن عبد الملك

أمسى الغواني ما لحماتهن مرددا ، ومن اراد للغانيات مصيرا

فقال الاعرابي للعباس بن الوليد تنح عنه قليلا تسقط عليك من فيه كلمة فتنشر عنك
وقال رجل لابي عبادة وهو جار له عشاء احسن الله ابلاءك فقال له ابو عبادة
عجل الله امتلاءك وسأل ابو الاسود بنتا من الاعراب فقال يا ابن اخي كيف
حال ابيك فقال له ازاحه قد اخذته الحمى فطبخته طبخا وفتخته فتخا وتركته فرخا قال فما
فعلت امرأته التي كانت تشاره وتهاره قال طلقها ونكحت غيره فحظيت وبظيت
فقال يا ابن اخي ما معنى بظيت قال حرف من اللغة لم يدرج في عشك فقال ابو الاسود
لا خير في عربية لم تدرج في عشي ومن اجل هذا الشأن استثقل التقعير اهل الدنيا فيه
في الانبساط والعلاقة وفاه والكيا عن الفصاحة والبلاغة فيما جوانبي كما
اللغة كما بانه بنفسه فتحير في جنسه وكان سليما من التقعير والتقعيب حبب الى
النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول ومست له عند سماع واتفاق ابيه
القلوب وخف على الالسنة روايته حمله وشاع في الاجلاد ذكره وعظم عند الناس خطره
وقدره ومن حواله ذلك التقعير فيما دواته كان لم يرض بالتكلف مركبا وبالتقعر التصنع
مركبا وقالوا فلان له الفاظ لا يشوبها كدر العي ولا يحبس بها ضعف التكلف
ولا يجوز الكلام الا التعبير اعذب من الماء وأبعد من السماء

الفصل الثالث من الباب الخامس في ان معرفة حرفة الادب مانعة من ترقي أعلى الرتب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد الرجل عزا في صنعته الا كان
ذلك نقصا من رزقه وقالوا التقدم في الحرفة مناخ في الرزق وقالوا حرفة
الادب أعز الصاحب من الجرب وقالوا الرزق عنزة ومن الادب اروغ من ثعلب
ومن امثال العامة ببغداد فلان يعرف غنة من علم اعوانه وقال الخليل
ابن احمد اذا كثر الادب قل خبزي واذا قل خبزي كثر خبزي وأنشد

ما ازددت من ادب حرفا اسر به ، الا تزيدت حرفا تحته شوم

ان التقدم في حرفة بصنعته ، اني توجه فيها فهو محروم

وقيل حرفة الادب لا يسلم منها الا اديبه وقالوا الاديب تائب وانما
نيب تعريبه وقال ابو بكر الخوارزمي في هذا المعنى

لا تترك حرماك به تصبح مغلبا ، فكن ذا الادب جزلا وكن مع ذاك غويا

وقال أبو علي بن رشيق

أشقى بجدك ان تكون اديبا ، او ان يرى فيك الورى تهذيبا
ان كنت مستويا فعقلك اعوج ، يوما وان اخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى نقشه ، حتى يكون بناؤه مقلوبا

الشريف ابن طباطبا

اليس عجيبا انني مع تشتتي ، وشعري ما اعقبت عقلا ولا اجرا
وانني اذا ما زرت قوما مسلما ، حجبت بقولوا انني ابتغي برا
ومن كمال املاكي واحسبه مثريا ، فاصبحت لا يرى عملا واستفتحوا واخي
فالوا الاديب ما ابن السال غلت لهم ، فهي بلا وزن وحمى بلا موت
ترى لا يكون له خبز يبيت به ، يكون زاده كالشيخ في البوب

ولما خلع المقتدر وبويع عبد الله بن المعتز بن المتوكل ولقب المرتضى بالله ادركته
حرفة الادب فلم يلبث في الخلافة غير يومين ثم اضطرب حبله وشكل عليه الخرمان
وقتله صبرا الى دار ابن الجصاص النخاس الجوهري فاختفى عنده ثم اخرج منها الى
العتقال والشهود الشهود فتوفي بعد ايام بسبع في ذلك يوم الخميس لليلتين
خلتا من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين فقال فيه ابن بسام ابياتا يرثيه بها

لله درك من ميت بمضيعة ، ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه ، وانما ادركته حرفة الادب

وقال ابو عبيدة معمر بن المثنى قال لي ابي اذا كتبت كتابا فالخرمية فان الصواب
حرفة والخطأ اخزى له بعض الشعراء فنظمه في قوله

ان كنت يوما كاتبا رقعة ، تبغي بها نجح وصول الطلب
اياك ان تعرب الفاظها ، فتكتسي حرفة اهل الادب

وقد أجاد أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي في قوله

فلو كنتُ أعجبُ من شيءٍ وكثرته ، وكيف تعجل عن حرفة الأدب
حتى ابتنيته ومتى كانت غضا تلاحظني ، شيء رابني بين ثنيّ من الشيب
واستيقنت أنما كانت ملاعبه ، واستدركته وأمضيته في الحجب
الضب والنون قد يرجى اجتماعهما ، وليس يرجى اجتماع العقل والذهب

والشيب في حرمان الأدباء ما ذكره بعض الشعراء في قوله إن الأدب يكون آل شيخا على دنياه فأما حاله فما جرى من قبل الزمان للشاة وجعلناه أبو محمد بن حزم نعلمه يقصر بهم عن إدراك منظومه وكذلك ما أدري أما الجهل فمرفوضه وأما في إدراكه يقلبه التشاغل عن لومه قيل للحسن البصري لم صارت الحرفة مقرونة بأهل العلم والأدب شعارا والثروة مقرونة بأهل الجهل والحمق دثارا فقال ليس القول كما قلتم والأمر كما زعمتم ولكنكم طلبتم قليلا في قليل فأعجزكم وأعوزكم طلبتم المال وهو قليل عند أهل الأدب والعلم وهم قليل ولو نظرتم إلى من يحارفه من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر افتقارا وأقل عنهم أشد نفارا وبعض العلماء رأى أن ذلك سبب لم يتم قبل التغني به ولا أجري عليه ما في كتبه فقال مجلسه ما ترى من إقبال النعمة على الجاهل على الرغبة في الجهل ولا بإدبار عن العالم عن الزهد في العلم فإنه ما أقبلت على الجاهل النعمة ولا أدبرت عن العالم بغير استحقاق قال أبو الحسن علي المعروف بابن أبي البغل مشيرا إلى الخمول

الدهر خزن والفضائل كلها ، حتى كأن عدوها من بعضهم
لو كنت أجهل ما علمتُ لسرّني ، جهلي كما قد ساءني ما أعلم
كالصعو يرتع في الرياض وإنما ، حبس الهزار لأنه يترنم — آخر
تقدم به نيل الفضل دون الورى ، مطالبه الدنيا وإما فهمنا
كالعين لا يبصر من يبصرها ، إلا اثنتي نظرت به أصواتنا — آخر
بلغني عناء عقلي وأدبي ، وخوضي في العلم من كل باب
أم تركتني وذاك من عظم دابي ، مستحسنات حرفة لكذب — آخر
من عقلنا والعقل شؤم وشقاء ، وحبذا والجهل أم الثراء
أن من كان فاضلا كان مثلي ، فاضلا لا يغر فيستمه الأرزاق

وربما اعترت حرفة الأدب أهل الوراقة فاكتسبوا منها بحجاب الحرمان والفاقة

مستحسنات

قال

قال أحمد بن عبد الله بن الحارث المعروف بابن حيان بنابلس وراقا يعني ناسخا فقال حاله عيشي أضيق من محبرة ، وجسمي أدق من مسطرة ، وجاهي أوهى من الزجاج وحظي أشدّ سوادا من العفص إذا خلط بالزجاج وسوء حالي ألزم لي من الصمغ وطعامي أمرّ من الصبر وشرابي أكدر من الحبر والهم والمال يجريان في علقة ملبى مجرى المداد في القلم فقلت بل آخ لعمر عبرت بسلاء عن بلاء فأنشد

الحال يشهد كل عيب في الغنى ، والمال ينشر كل وغر سامة
فعليك بالأموال فاقصد جمعها ، واضرب بكتب العلم عرض الحائط

آخر
إن الوراقة والتفقه ، والاشتغال بالعلوم
أصل المذلة والإضاعة ، والمهانة والهموم

آخر
إن المحابر والدفاتر ، والمعالم والسكاكين
آلات كل محارف ، يغدو به الحرمان فاتين

وأنشده لابن أبي الحسن كتاج غبط الناس بالكتابة قوما حرموا حظهم بجنس الكتابة
وإذا أخطأ الكتابة حظا ، شغلت ثاويا فصارت كآبة

وقال إسحاق بن إبراهيم بن محمد المعروف بالحمراوي
شيئان من أدوات العلم شتتا ، عنا حظوظ عمارة من شيع
وحبرة تحمل الأوراق مجتهدا ، تزيده في شؤم الحال والشبع
والعلم تعلم جبرة أخزله ، نعمته نامي حلوم العمر

وسمع بعض ظرفاء الأدباء رجلا يقول لا خير في علم لا خير في علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فقال نعم إلا أنه ليس يكرمه إلى أن يخرج به ولا يبقى حقا ولله در ابن حارثة الأندلسي حيث قال

أما الوراقة فهي أنكد حرفة ، أغصانها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بإبرة حائك ، تكسو العراة وجسمها عريان

وأنشد أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي في اليتيمة في ذم الوراقة
إن الوراقة حرفة مذمومة ، محرومة عيشي بها زمن
إن عشت عشت وليس لي مأكل ، أو مت مت وليس لي كفن

وقال الشريف أبو يعلى بن الهبارية في منظومته الخمسة التي أولها

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

حتى تحل غير المحل بربع الورانة • فيا رب البحر ما زلنا بما أدري
وعيشة ما الكرام ورزقه ما أفقه • أما لي نصير تبدل وأخلى شعر
أذنى أبكى عينى والشتاء • وكليت دائم وتد الخيزران •
ما أرى في الدهر من زمان • أزرى وقد أشقى من الوزراء •
إذا جرى العصر إلا خلا • يبرح بالخير وبالأوزار •
كبرهم الخير بالأوزار • وأخر
ترجب من الورا فيمن شئت بها فرقة • أتوا الصراقة
وترى المرء أمر أمره إذ • لم تبشر تزيد به حماقة
والصنف في عزماته ذو النباهة، فقراء أهل الفضل والوجاهة
يروى أن عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كانت يوما تمثل ببيت لبيد
ذهب الذين يعاش في أكنافهم • وبقيت في خلف كجلد الأجرب •
فقالت لبيد أبوك ما كان أشعره لو أدرك ما نحن فيه قالوا وكيف يا أم المومنين فقالت كان
أحدهم إذا علم من أخيه خلة سترها حيث لا يعلم ثم ذهب أولئك وجاء من بعدهم قوم
كان أحدهم إذا علم من أخيه خلة سترها حيث يعلم ثم جاء من بعدهم قوم إذا علم من
أخيه خلة أحب أن يسأله فإذا سأله أعطاه وسره ثم جاء من بعدهم قوم إذا علم
من أخيه خلة أحب أن يسأله فإذا سأله منعه ثم بقيت فيهم فيقول جاءني فلان يسألني
فلم أعطه ولله در القائل في أهل زمانه
قد بلغت اللباس ينسج الثوب فإنهم • وإن كانوا الثريا نبلا وخشاش •
كأنهم يرعون نبا • ووجه الحسنة راس • كم ترى تصلح للعلم تعزه وتباش •
أخر • علي غرك فانظر متاكين • وما نظرت في كلهم لكن •
أرى لك تعرفه الشاوه • على حين توجهي المجالس •
أخرى في حاجة ترانى تخيبت • لعنت في خير وجيل جليل
هباة محرمات ومتون الزي • لبسر التي اهياء مرتبيل •
دخل بعض الظرفاء على يحيى بن خالد بن برمك وعنده السمر بن يزيد بن حارثة
فقال له ما تشتهي فقال أنا أرى الناس قد أخذوا الأجل الحرمات وأراك وجهه
يشكي لكذا ثم أنشد ما أكثر الناس بل ما أقلهم الله يعلم أني لم أقل فندا

إني لأفتح عيني حين أفتحها • على كثير ولكن لا أرى أحدا •
وقيل لسعيد بن المسيب وكان في عينيه ماء ألا تقدح عينيك فقال حتى أفتحها إلى
من من هؤلاء نسبه إلى أبي العلاء الشعر ومثله أيضا ما قاله أبو العيناء
معتذرا عن عماه وما ضرني فقدي لعيني وقد أرى • بقلبي خلقا بعضهم لكم تدبرون •
والله ما بي فاتني خير ترى • تاسى على فقدي العيون •
يا أبا العلا يا ابن سليمان • إن العما ولى بك إحسانا •
لو نظرت عيناك هذا الورى • لم ير إنسانك إنسانا • وله
قد مضى الناس وانقضت مدة الجود • وكل الرجال مثل كلاب
غيران الوجوه في صور الناس • وأخراهم على الثياب
وروى عن عمر بن كلثوم فيما قال في السوق بباب الشام أحد أبواب بغداد فقيل له أما
تستحي من الناس فقال للمنكر عليه أرأيت لو كنت في دار فيها بقر أكنت تحتشم أن تأكل
ومن يراك فقال نعم قال فاحضر حتى أريك أنهم بقر فأقبل يحيى الناس على ذكره حاسر
فتوعظ وحضر ما اجتمع له الناس من كل أوب قلبه رأى الناس قد اجتمعوا قال روينا في
غير وجه أنه بلغ من حرص لسانه أرنبة أنفه من طال إنما هي أحرى من العوم حتى
أخرج لسانه وأوماه إلى أرنبة أنفه فيه كل من يبلغه أم لا ثم ذهب فلما تفرقوا
قال ألم أخبركم أنهم بقر وسأل رجل من رجل حمارا عارية فأخرج له ركابا وقال
أجعله على من شئت ومر رجل بحرفي له برأه واقفا على الطريق فقال له ما وقوفك
ههنا فقال انتظر إنسانا فقال له يجول وهو بله وكذلك أحرى وقيل لأبي العيناء
هل بقي من يلقى فقال نعم في البير ومر ببعض السكك بجبة إنسان من أبو العيناء به
فقال له أبو العيناء من أنت قال أنا إنسان فأقبل يسلم عليه سلام مستوحش
وقال عجيب والله ما كنت أدري هذا النسل قد انقطع وانقرض فنسبه إلى
قناعة تبيانه من أهل زمانه وقال ابن الرومي
أتاه حوف اليوم أهل زماننا • أولى من الصاحب بالحرمان •
ذهب الذين بهم تم غراعمهم • من الكرام فقد أتى الحرمان •
كانوا إذا مدحوا أرادوا ما حبيهم • فالآن رحيبة منهم بسكان •
يبشارني بره نفر عشت في زمن وأدركت أقواما كنوا أخلقهم إذا ما تجلت

اللهم صل وسلم على حبيبك محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الا بيه وانا الآن في قوم ما ارى فيهم عاقلا فصيحا ولا جاهلا كتابيا ولا ناسكا
فصيحا ولا جوادا اشتريها ولا خادما نصيحا ولا جليسا فصيحا ولا من فيه يعلى الخير
رغيبا وافشى مما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا اقرأ مما اقرأ والذين كنت اعرف

ابن الرومي ابيت من برية من اهله * فليس فيهم احد بن قصي
ان رمت ترحالي امر املة * اورمت مقامي اجزعرضا ؛ ولـه
فيا لي دمنت كل البرايا * وهجون الاناع مجوا فسيحا
قلت ما انه كرب عليهم * تاونه من يستحق الترتيلا ؛ ابعض
العرب ذهب الذين اذا اردت مقيلا * ... وعسوا بالتقبيل
وبعثت في خلف كان حديثهم * وقع الكلاب تعارشت في المنزل ؛ ابن المعتز
ادهم ابليس ما نوا بحرية الشعر فلتعرف * بابه الدواعي والبواعث مغلق
فسر الذي مازجلا كرم بي نجبي * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق ؛ ابن
العبارية هذي حقبة البلوى ودع تفصيلها * فالبرية كلها اتسان
واذا البلاد وفي الرسوت تغربت * فلها اذا ان تنتهي العزلان

الباب السادس في العي وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول من هذا الباب فيما ورد عن ذوي النباهة

في ذم العي والفهاهة: قال الله تعالى او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وقال تعالى حكاية عن فرعون على موسى بالبيان في قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ذكر اهل التفسير ان موسى عليه السلام لما سمع هذا القول من فرعون قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فاستجاب الله دعاءه وسمع نداءه فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى وحل الله تلك العقدة واطلق تلك الحبسة ثم ذم العي قالوا من معنى نحير مجربه لعطاء طويل وقال اكثم بن صيفي مقتل ان يتكلم فوق ما تقتضيه حاجته وقالوا العي الناطق اعيا من العيي الساكت لان العي بلا نية ما له من ويطلب فوق ما في قوله وقالوا العي بلاغة بعض كما ذكر ان ربيعة الراي خطب فاطال فاعجبته نفسه والى جانبه اعرابي فالتفت اليه وقال يا اعرابي

وما

وما تعدون البلاغة فيكم قال قلة الكلام مع الاصابة قال فما تعدون العي قال ما كنت فيه منذ اليوم وقال الشاعر واذا خطبت على الرجال فلا تكن خطل الكلام بقوله مختالا

واعلم بان من السكوت سلامة * ومن التكلم ما يكون خبالا

وقال كسرى عي الصمت خير من عي الكلام وقال الجاحظ يذم رجلا بالعي والجبن لو رهبنا نار جن رأينا منه ولا جربنا اجبن منه نظم بعض الشعراء معناه فقال

حصر مسهب جري جبان * خير عي الرجال عي السكوت

فما يستحسن في هذا الصور العي في البيان والخضر قالوا فضل الانسان على ما عداه من الحيوان بالبيان فاذا انطق ولم يفصح عاد بهيميا وقالوا ما للعي شرف ولا تنفعه البيان نفعا ولو حسنت وجوهه فما نرى الشمائل وقالوا العي داء دواؤه الخرس وتكلم رجل عند معاوية وكان ذا عي فقال عمرو بن العاص سكوت ... تكلم نغمه فقال معاوية وكلام الاحمق نعمة وقالوا البيان بحر والعي بحر والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج الجهل ويحكى ان رجلا جاء الى محمد بن عبد الملك الزيات فقال له انه مظلوم فقال له هذا كلام يحتاج الى شهود وبينة واشياء غير ذلك فقال الرجل اصلحك الله ثم الشهود هم البينة واشياء غير ذلك حشو وعي وزيادة ومن نفص في الفيام فجهد بمجلد منه وكشف كلامه وقيل لبعض الحمقى اي شيء احسن للعي فقال عقل قالوا فان لم يكن له عقل قال فمال قالوا فان لم يكن له مال قال فاخوان يعبرون عنه قالوا فان لم يكن له اخوان قال يكون شيئا صامتا كالحجر لا يحيى ولا يلحقه ضرر وقال الشاعر

وما حسن الرجال لهم بزين * اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا ان تراه * له وجه وليس له لسان ؛ اخر
الصمت زين للفتى ما * لم يكن عي يشينه
والقول ذو خطل اذا ما * لم يكن لب يعينه

من يكن فيه فساد ينسب العي اليه فاذا ما يقول عنه ... العقول تغلبه مسرا من يعرفه او يحج في تبر به وقال الجاحظ لا يعاب الاخرس ولا يلام من استرسل على بيانه العجز ويذم الحصر ويؤنب العيي ووصف اعرابي قوما بالعي فقال منهم من ينقطع كلامه قبل ان يصل الى لسانه ومنهم من لا يبلغ

السهم طرو شيم تقوين محمود الله

كلامه حليته اذن ومنهم من يلج كلامه الاذان بعجلها عبئا ثقيلا الى ان

وقال شاعر يذم لسانه ثمر العي

✽ وعابه من عيي وكدا الحنا ✽ اذا اجتمع ذو سواح في الخطب محفل ✽

✽ اخو وطنا بلا عمر وسننا بعاجية ✽ اذا ما اذن ونا الحرب بكان اشتعالها ✽

ومن علامات العي الراجحة وسمات النوكى الفاضحة الاستعانة
وسوا ابتدى المخاطب اذا كل لسانه يقول عند مقاطع كلامه للمخاطب استمع
الي واسمع مني ولست تفهم وافهم عني ومنهم من يقول في خلل كلامه اما ترى
كذا اما عنيت به كذا وذلك من التنفيس وانما يعبر كلامه بصيغة اخرى تكون
غير مراده الاول فيبانه ابدا يبحث عن ايضاح اشكاله واداته بانواع الكلام
واشكاله وذم بعض البلغاء عييا فقال خلبه ميت العجمة ولسانه جاهي
اللكنة ويعقد كلما يمل لحجته شر من التعواه بين الثنايا جفا اذا اعطته الناس
ولرغبته الساجلة والسفاوة تشابه للعصافير ونبا عن التناطر ونبا على
لبسه الحجة ومس الحجة وقرع السن وفتل الاصابع بمجلس كما في وعيبه
حاضر في مثل الذي يقول الشاعر

✽ ملي بهو وابتهات وسعلة ✽ ومسحة عثنون وفتل الاصابع ✽

وقالوا علامة العي التنحنح من غير داء والتثاوب من غير ريبة والاكباب
في الارض من غير علة ومثال ابن المعتز

✽ ومن الكلام يقول متتعتع ✽ جم التنحنح متعب مبهور ✽

ومن عيوب اللسان المذمومة للانسان المزرية بقدر الانسان التمتمة والفأ
فأة والعقلة والحبسة واللفف والرتة والغمغمة والطمطمة واللكنة والغنة
واللثغة فقال الاصمعي التمتمة والفأفأة اذا تعتع في التاء فهو تمتام واذا
في الفاء فهو فأفاء قال الراجز ليس بفأفاء ولا تمتام ولا كثير الهجر في الكلام
والعقلة التواء اللسان عند الكلام والحبسة تعذر النطق ولم يبلغ حد
الفأفاء وكذا التمتام وقال انما تعرض في اول الكلام فاذا مر فيه انقطعت
واللفف ادخال بعض الكلام في بعض قال الراجز

✽ كأن فيه لففا اذا نطق ✽ من طول تحبيس وهم وأرق ✽

والرتة ادخال بعض الكلام ببعض دون ابانة والغمغمة ان يسمع الصوت
ولا يبين لك تقطيع الحروف ولا يفهم معناه والطمطمة ان يكون الكلام شبيها
بكلام العجم ومنه طمطمانية وقالوا لمن يبدل الهاء بالثاء لانهما من مخرج واحد
فيقولون السلطاه والشيطاه اذا ارادوا ان يقولوا السلطان والشيطان
وكانت في لسان زياد بن سلمى الاعجم وكان خطيبا شاعرا كاتبا واللكنة ادخال
بعض الحروف في حروف العجم وتشترك فيها اللغة الزنكية والنبطية ومنه
ابدال الحاء من الهاء وقلب العين همزة وكانت في لسان عبيد الله بن زياد وفي
صهيب الرومي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
ان مولى لزياد قال له أيها الامير اهدوا الينا همار وهش يريد حمار
وحش فلم يفهم زياد قوله فقال ما تقول ويلك فقال اهدوا الينا ايرا
يريد عيرا فقال زياد ارجعوا الى الاول فهو خير وحكى الجاحظ ان ابا زنطار
الفارسي كان له كاتب جلف في لسانه لكنة فأملى عليه يوما في كتاب اما
اعتبر لنا الحاصل بلا نيا فوجدناه الذي كتبه الكاتب كما لفظ بها
وازد انقار رجلها اعاد عليه ما املاه فلم يحسن اعادتها عليه فقال انك
لا تحسن ان تكتب وانا لا احسن ان امل فاكتب الحاصل بالاجم ولا تعجم بالجيم
والغنة ان يشرب الصوت الخيشوم والخنة اشد منها والترخيم حذف بعض
الكلمة للعجز عن النطق بها واللثغة قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين
ان الحروف التي تدخلها اللثغة ستة وهي القاف والسين والراء واللام
والكاف والشين فاما التي تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاء فاذا
اراد ان يقول قلت قال طلت وقال كال ومنهم من يبدلها كافا فيقول كلت
وكال بعض قلت وقال وهي نبطية وكانت في لسان ابي مسلم بن عبد الله بن زياد
وبنو نمير يلحقون القاف بالكاف فيلفظون جرا فال شاعرهم

✽ ولا اكول لكدر الكوم كد نضجت ✽ ولا اكول لباب الدار مكفول ✽

يريد ✽ ولا اقول لقدر القوم قد نضجت ✽ ولا اقول لباب الدار مقفول ✽

وقال بعض الشعراء في جارية له وكانت تصحفها بلثغة

✽ اكثر ما اسمع منها في السحر ✽ تذكيرها الانثى وتانيث الذكر ✽

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

والشفة السفلى، لذا ذكر الفم؛ لأنها كانت إذا أرادت أن تقول الفم قالت الثم
والكم جمع كمة، وهي حشفة الذكر، والتي تعرض للسين فإنهم يبدلونها ثاء، فيقولون
بثم الله إذا أرادوا باسم الله، وبثرى الله بمعنى بسرى، وهي مستحسنة من
الجواري والغلمان، وأحسن ما سمع من الشعر فيمن يلثغ بها قول بعضهم

• وأهيف كالهلال شكوت وجدي • إليه بجفنيه والملت تيثي •

• وقلت له برئت النفس مني • تحرمني الثواب فقال ثيثي •

بين يديه بلا تيسير، ومثله قول أبي دباس وشاب يلثغ في سينه
بث اشتكي إليه بثة ترني محاسن شعبته وزدت حتى قال لي بثي. والتي
تعرض في الراء، فهي مستحسنة أيضا، فمنهم من يجعلها غينا معجمة فإذا أراد
أن يقول عمرو قال عمغ، وما أشبه ذلك إذا أراد أن يقول برابانه يقول بغابانه
وهي غالبة على لسان عامة أهل دمشق، والعجب منهم إذا اجتمع لهم راء مع
غين في كلمة مثل رغيف ورغد نطقوا بالراء غينا وبالغين راء صحيحة فيقولون
غريف وغرد، وما أشبه ذلك، ومنهم إذا قرأ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب
ومن أحسن ما وقع فيمن يلثغ بالراء ويجعلها غينا معجمة قول أبي إسحاق الصابي

• يا رب حسناء لها منطق • عذب على الراء بها لثغة •

• قلت لها ما اسم التي قد أتت • تعثر في نيطها مغفة • ويرى

• ومستهج دمعه عليه مرغه مسلسلة ودمعه دائم على ترغ •

• يقاد أمر النفس عن صدره • إلى الفعفة الفعاء من بعضه يغغ •

• يقول ومن قبلت واضح ثغره • وكان الذي أهوى وقلت الذي ابغ •

• ومن قبضت كاس الحيا والمنى • على خده من لونها أحسن الصبغ •

• تغير مغيث الحيغ من كمع غيغته • بن يدك عن الشغب سكغا إلى سكغ •

ومنهم من يجعلها عينا مهملة فيقولون في عمرو عمع وفي أزرق أزعق وفي اصبر
اصبع، وهي كثيرة في كلام عوام أهل مصر أيضا، وممن كانت في لسانه
محمد بن شبيب الخارجي، والثانية كانت في لسان واصل بن عطاء المعتزلي، وكان
له اقتدار على الكلام فيجتنب النطق بها حتى كأنها ليست من حروف المعجم.
ومن عجيب ما يحكى عنه أنه ذكر بشار بن برد بكلام أسهب فيه واجتنب فيه الراءات

بذكره

بكلمة فيها راء، وهذا الكلام له في حقه الكرا فقال: أما لهذا الأعمى المكنى
بأبي معاذ من يقتله، والله لولا أن القتل خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه من
يبعج بطنه على مضجعه، فقال الأعمى ولم يقل الضرير، وقال المكنى بأبي معاذ
ولم يقل بشارا ولا ابن برد، وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية، وقال لبعثت
ولم يقل أرسلت، وقال من يبعج بطنه ولم يقل من يبقر، وعلى مضجعه ولم يقل على
فراشه، وفيه يقول الشاعر

• ويجعل البر قمحا في تصرفه • وجانب الراء حتى احتال للشعر •

• ولم يطق مطرا والقول يعجله • فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر •

وبعضهم فيمن يلثغ بالراء أيضا أعز لثغته لو أن واصلها • يسمعها
أسقط الراء واصل. ومنهم من يجعلها ياء فيقول في عمرو عمي، ومنهم من يجعلها ذالا
معجمة فإذا أراد أن يقول عمرو قال عمذ، وهي لثغة خسيسة، ومنهم من يبدلها
بالظاء أخت الطاء، ومنهم من يبدلها همزة فإذا أراد أن يقول عمرو قال عمء وإذا
أراد أن يقول رأيت قال أيت، نعم تبير، وكذلك يقول في قرأت قأت، والتي تعرض
في اللام فإن من أهلها من يبدلها ياء فيقولون اعتبيت بمعنى اعتللت وبدل جمل جمي
وقوم يجعلون اللام كافا وهي أوضح من لزوم الرؤية، والتي تعرض للكاف أن منهم
من يجعلها همزة، والتي تعرض للميم فإن منهم من يبدلها عينا فإذا أراد أن يقول ابنه
قال عنبت، وهي قبيحة جدا ونحوها حذفا التي تكملة فإن من الحروف ومن قبيح
اللثغ إبدال الثاء المثلثة بالتاء المثناة، وكانت في لسان شعبة وذا الحاجة
في لسان أمثل معبر مصر، وما أقبح الرجل منهم إذا قال ثلاثة آلاف وثلاثمائة
وثلاثة وثلاثين وثلث، وفي الناس من تبدل الجيم كافا، وهم من أهل صعيد مصر أيضا
فإذا اجتمع له حرفان جيم وظاء في كلمة مثل نجح وضجر وتنجح يقول جنع
وبعض يجعل الجيم ذالا والذال صيا، ومن الناس من يبدل الخاء المعجمة حاء مهملة
فيقول في خرج حرج وفي خلخال حلحال، وهي مستحسنة من الغلمان والجواري.
قال الجاحظ: وليس اللجلاج والتمتام والألثغ والفأفاء وذو الحبسة وذو
اللكنة والرتة سبيل من صعد في خطبته وعيب في مناقلته وخصومته، وقد
يكون البليغ عييا عن سؤال مطلوبه كالعاشق المحب متى رام شكوى

فقال لمحبوبه سهل بن محمد أبو داود متى يكون البليغ عييا فقال إذا سأل شيئا
بثمناه ويشكو حبه إلى من يهواه ثم أنشد

بليغ إذا يشكو إلى غيره الهوى ۞ وإن هو لاقاها فعيٌّ بليغ

آخر: فكانت عيني من الشكوى مقلة لسانه ۞ حين الشكاية إذ أعيا من الكلم

آخر: وكم من حديث قد خبأناه للقا ۞ فلما التقينا صرت أخرس أبكما

آخر: هوى المحب ذو الحبيب بلاغة ۞ وإن قيل أفضل ذو البليغ لسانه

قال بعضهم من كان يملك الكلام نعي بيانه إذا اشتكوا إلى محبوبه عشقه وإذا
سألت حاجة تنفيس فإن السائل في مقام السؤال ويتبعه مع الهيبة ذل السؤال
سأل العقلاء رجلا في حاجة فأفلج في كلامه فقال له ملك بن طوق في ذلك فقال
كيف لا يفل كلامه ومعه دهشة الرجاء وهيبة الطالب وذل المسألة وخوف الرد وحكي
أن الفضل بن الربيع صار يعتذر بكتبه إلى أبي عبادة يحيى بن ثابت ليكلمه في حاجة
فارتج عليه فقال يا أبا العباس أين البيان فقال خرجت خليقتي فقال أنا نعوذ بالله
أن نسأل ولا نسأل فما يستعبر لكلامه وربما يحاله ومضى حاجته وقال علي بن الجهم

أن دون السؤال والاعتذار ۞ خطة صعبة على الأحرار

أرض للسائل الخضوع وللقا ۞ رف ذنبا مقاضة الاعتذار

وأما ما يعتري العاشق الشوق من دهش عند رؤية المعشوق فكما قال أبو بكر الصنوبري

آية من علامة العشاق ۞ اصفرار الوجوه عند التلاقي

وانقطاع يكون من غير عي ۞ ووقوع بالنعت والإطراق وقال عمر
بن أبي ربيعة وإذا جئتها لأشكو إليها ۞ بعض ما شفني وما قد عناني

ظل عني بشرة اللحظ عقلي ۞ وتعايا بذا ر نفسي لساني

ونسيت الذي نقمت من الصد ۞ لي قريبا وغاب عني بياني

آخر: فما هو إلا أن أراها فجاءة ۞ فأبهت لا عرف لدي ولا نكر

وأنسى الذي قد جئت فيها أقوله ۞ كما قد تنسى لب شارب الخمر

آخر: فما هو إلا أن أراها فجاءة ۞ فأبهت حتى لا أكاد أجيب

وأصرف عن رأيي الذي كنت رأيته ۞ وأنسى الذي أعددت حين تغيب

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

فقالت لمدنف بين الحب ساكنا ۞ فرحنا وقد بان العشى نبيانه

ولقد كان أراه لا تبين حاجة ۞ حتى يبينها له إخوانه

ولقد ما انصرفت بوقع نصلكم ۞ عين الحبيب وكل لسانه

آخر: فنبت من أهواه مجلا وجرته ۞ فبت مثل الحلية لسانا وقد كرها

وفركاته عند العتاب ضحابه ۞ فلما التقينا ما وجدته وقد حرها

أفكر ما أقول إذا التقينا ۞ وأحكم دائبا حجج المقال

فأنساها إذا نحن التقينا ۞ وأنطق حين أنطق بالمحال وقال بعض

العرب تنوي العتاب لدى قبل رؤيته ۞ فإن رآه ترامع الدمع مسكوب

لا يستطيع كلاما حين يبصره ۞ كل الشقاء وما الأحشاء تلهب

قال أبو العالية يشير إلى العبرة والشوق ولا رتياح والشوق والتمزن والتلعثم والبهوت والتناسي وأنواع تمثال النحو ويقع ذلك في المجز

الكسة العجمة. **ومما يشين البليغ في ألفاظه فيخل ببيانه من علل**
إعرابه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا النحو كما تتعلمون السنن
والفرائض وقال أيضا تعلموا العربية فإنها تزيد العقل وتزيد في المروءة وقال
سعيد بن مسلم دخلت على الرشيد فلما فلبي رهبته فلما لحن خف قلبي أمره وحكى
أنه لم يسمع من الحسن البصري لحن ومن أيوب بن الحربي ولا من عبد الملك بن مروان لحن
فطير في حرولة منزل وكان سيبويه واسمه عمرو بن قنبر يختلف إلى حماد بن زيد يقرأ
عليه الحديث وموشا في مكان بالحجر فرأ لحن فرد عليه فأبرمه يوما لحنه فقال
كم تلحن إما ليه في حرف فخجل ووجم فلما قام من مجلسه انقطع إلى الخليل بن أحمد
بقرأ عليه النحو فيه حتى وجاء ووسارذكره في الآفاق وكان أيوب السختياني
يقول تعلموا النحو فإنه جمال للوضيع وتركه هجنة للشريف وقال عبد الملك
ابن مروان اللحن في الكلام أقبح من التأثير في الوجه وسمع المأمون لحنا
من بعض ولده فقال ما على أحدكم لو يتعلم العربية يصلح بها لسانه ويفوق
أقرانه ويقيم أوده ويزين عشيرته ويقبل محجج خصمه بمسكتات حكمه ليس لأحدكم
أن يكون كعبده وأمته فلا يزال الدهر أسير كلمته وسمع رجل عمر ابن الخطاب يلحن
فقال من هذا الذي يتكلم وطلب منه قتاله وفي الحديث أن الله لا يسمع دعاء

لحونا قال الحسن البصري ربما دعوت فلحنت فأخاف أن لا يستجاب لي وقال العلماء لا يرون
الصلاة خلف اللحنة وكيف لا يكون كذلك وإن من حركة يتغير المعنى فيه التي
الكلم كما يحكى أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ أن الله بريء من المشركين ورسوله بكسر اللام
فقال برئت مما برئ الله منه فبلغ عمر قوله فحث على تعليم العربية

النحو يصلح من لسان الألكن ۞ والمرء تكرمه إذا لم يلحن
فإذا أردت من العلوم أجلها ۞ فأجلها منها مقيم الألسن
يحمي الشريف مخافة عن غيره ۞ وتراه يسقط من لحاظ الأعين
وترى الدني إذا تكلم معربا ۞ نال المهابة باللسان المعلن
ما ورث الآباء فيما ورثوا ۞ أبناءهم مثل العلوم فأتقن واخي
لو لم يكن في النحو إلا أنه ۞ يزري الطويل من الرجال مهيبا
يخشى التكلم حيث حل كأنما ۞ أعجمي باعوه له ناب رقيبا

ومما نزل مستحسنة في التعريب في اللحن وفي النحو

قال يوسف بن خالد لعمرو بن عبيد الله ما تقول في حاجة بعث فيها قال
أحسن قال فيما شئنا قال أصلح قال من قبل قال له عمرو ما عندك بهذا قال
فيما ما واستريح وكان يوسف يقول هذا أحمد من هذا أي أشرح منه وكان الوليد
ابن عبد الملك لحنة فخطب الناس يوم عيد فقال في خطبته يا ليتها كانت القاضية
وضم التاء فقال عمر بن عبد العزيز عليك وأراحنا منك ودخل عليه أعرابي وعنده
عمر بن عبد العزيز فقال له من ختنك وضم النون فظن الأعرابي أنه يقول له من ختنك
فقال له الختنة لله وكذا بي المؤمنين فقال عمر إن الأعرابي إن أمير المؤمنين يقول لك
من ختنك قال فلان بن فلان قال ما شأنك وضم الهمزة وفتح النون قال جرب في
جسمي فقال له عمر ويحك إن أمير المؤمنين يقول لك ما شأنك ونصب النون
وضم النون قال كلمني ختني فقال من ختنك وضم النون قال وما سؤالك عن ذلك
يا أمير المؤمنين فقال عمر إن أمير المؤمنين يقول لك من ختنك
وضم النون قال فلان قيل للوليد إن العرب لا تحب أن يتولى عليها من لا يحسن
كلامها فجمع أهل النحو وأدخلهم بيتا يتعلم منه النحو فأقام فيه ستة أشهر ثم خرج
منه أجهل منه يوم دخل وكان بشر المريسي من شيعة المعتزلة فقال فقال الله لكم

وفي نسخة زيادة

الحوائج على خير الوجوه وأحسنها وما بالك وأعلنه لحنه فقال قاسم التمار يجيء
هذا على قول الشاعر إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها
فكان احتجاج قاسم أكثر من لحن بشر وكان خالد بن عبد الله القسري لحنة وفيه يقول أبي
نوفل من أبيات والحوائج من كل الناس فاكهة وكان يرفع بالتشديد والخفض
خفوا سابق إلا عمي ولا تكلموا الشركين تعنتني يومئذ فقال بعض المجان وكان
المنوال رفع إلى زياد رجل وأخوه في ميراث فقال الرجل إن أبونا مات وإن
أخينا وثب على مال أبانا فأكله فقال له زياد الذي أضعت من نفسك أضر عليك
مما أضعت من مالك وأما القاضي فقال له رحم الله أباك ولا جبر عظم أخيك قم في
لعنة الله ومن سخطه وقال رجل للأعمش من أين أقبلت قال من الشوى قال
وما اشتريت قال سمك قال هلا زدت الياء فقال له الأعمش وهلا زدت في ملكه
إلا وعكس ما حكي أن رجلا قال لشعيب بن عبد الملك نام فلانا بشيئا قال نعم
بتقوى الله واستغنائك إلا لنا ومن حرية ما يحكى أن خالد بن صفوان دخل الحمام يوما
وفي الحمام رجل مع ابن له فأراد أن يعرف خالد ما عنده من البيان فقال لولده
يا بني اغسل يداك قبل رجلاك والتفت إلى خالد فقال يا أبا صفوان هذا كلام
قد ذهب أهله فقال خالد هذا كلام ما خلق الله فيه له أمثالا البعض التاني

من الباب السادس فيما مضى من الشعر والإعراب وترجمة ما في الكتاب

قيل للمفضل الضبي لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمي به يمنعني من قوله
وأنشد ۞ أبى الشعر إلا أن يفيء رديه ۞ علي ويأبى منه ما كان محكما
فيا ليتني إن لم أجد حوكه وشيه ۞ ولم أك من فرسانه كنت مفحما

وقيل لابن المقفع وكان مفحما لم لا تقول الشعر قال الذي أرضاه لا يجيء
والذي يجيء لا أرضاه وأنشد ۞ وفي مرة في الشعر أن من يحسنه ۞ بأن يستخير الناس فيه فيجود
وقال ابن عبد ربه الكاتب يحتاج إلى ... إلى جوانبه .. وذا القصد كليل لا يقوى في التي
ينموا ونحو عليه من خطباء المحافل وفرسان المنابر والمحافل
يزيد بن أبي سفيان كان أبو بكر رضي الله عنه ولاه ربعا من أرباع الشام فلما
رقي المنبر أرتج عليه فقطع الخطبة وقال سيجعل الله بعد العسر يسرا وبعد
عي بيانا وأنتم إلى أمير فعال أحوج منكم إلى أمير قوال ثم نزل وفروري

الحوائج

هذا الكلام لعثمان بن عفان وعليه أكثر الرواة وصعد عبد الله بن عامر منبر البصرة
في يوم عيد الأضحى فحصر فقال لا أجمع عليكم عيا وبخلا ادخلوا سوق الغنم من أخذ
شاة فهي له وعلي ثمنها ثم صعد مرة أخرى فحصر فما انبعث يمينا وشمالا من أعناب
ابن ورقاء وكان شيخا أصلع فقال أما بعد يا أصلع فوالله ما فعلها غيرك فلعن
الله من صلعة على بدن مثل تين برية أقرأ في عشرين سوكا ومنعه من دخول
المسجد الجامع بعدها وصعد عدي بن أرطاة المنبر فلما رأى اجتماع الناس وكثرتهم
أرتج عليه فقال الحمد لله الذي يطعم هؤلاء ويسقيهم ثم نزل وصعد روح بن حاتم
المنبر فلما رأى الناس قد أصغوا إليه بأسماعهم وصرفوا نحوه بأبصارهم قال نكسوا
رؤوسكم وغضوا أبصاركم فإن المنبر مركب صعب وإذا أراد الله تيسير فتح قفل
تعسر ثم نزل وخطب مصعب بن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح فحصر
فقال لقنوا موتاكم قول لا إله إلا الله فقالت أم الجارية عجل الله موتك
وأراح منك المرأة عونك وصعد وازع اليشكري المنبر يوم الجمعة فلما رأى الناس
فما تم فأرتج عليه وحصر وقال الوليد أن امرأتي حلفتني على أن لا آتي الجمعة فاجتمعت
وأنا أشهدكم أنها طالق ثلاثا ثم نزل وخطب ثابت مولى بني يزيد بن المهلب فأرتج
عليه فنزل وهو يقول

فإلا أكن فيكم خطيبا فإنني ... بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

فبلغ ذلك المهلب فقال لو قاله على المنبر لكان من أخطب الناس
وخطب خالد بن عبد الله القسري فأرتج عليه فقال إن هذا الكلام يجيء أحيانا
ويعزب أحيانا وربما كوبر فأبى وعولج فنأى والتأني لمجيئه خير من التعاطي
لأبيه وتركه عند تنكره أفضل من طلبه عند تعذره وقد يختلج من الجريء جنانه وينقطع
من الذرب لسانه وسأعود فأقول ثم نزل وأرتج على أبي العباس السفاح فنزل عن
المنبر وقال أيها الناس إن اللسان بضعة من الإنسان يكل بكلاله إذا كل
وينفسح بانفساحه إذا ارتجل ونحن أمراء الكلام فينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت
غصونه وإنا لا نتكلم هذرا ولا نسكت حصرا بل نسكت معتبرين وننطق
مرشدين وبعد مقامنا مقام ووراء أيامنا أيام وسأعود فأقول وذكر العتبي
أن المعتضد خرج يوم عيد الفطر وكان يوم الاثنين سنة تسع (تسعين) وسبعين ومائتين

إلى مصلى أعد له بالغرب من داره فصلى بالناس وكبر في الركعة الأولى ست تكبيرات
وفي الثانية تكبيرة واحدة فلما فرغ من الصلاة صعد المنبر فحصر ولم تسمع له خطبة
ففي ذلك يقول بعض الشعراء يعتذر عنه في هذا المقام

حصر الإمام ولم يبين خطبة ... للناس حين يكد إحرام
ما ذاك إلا من حياء إن يكن ... ما كان من عي ولا إفحام

وخطب داود بن علي فأرتج عليه فقال اتقوا الله واعملوا بما أمركم به وانتهوا
عما نهاكم عنه ثم نزل وقد جمع في هذه الكلمات من الحكمة وفصل الخطاب وأحسن
ثم في النصيحة وأطاب وصعد بعض الخطباء المنبر فحصر فجعل لحيته تسكي رعا
مرارا فقال بعض من حضر عليها لعنا منك فإنه بجد عمل الشكر وفي جنح ثم ولى
وهو ينشد ختم الإله على لسان عذافر ... ختما فليس على الكلام بقادر
وإذا أراد النطق خلت لسانه ... لحما تحركه لصقر ناقر
ابن ودكر في أخبار وكذا حكى أبو بكر أن الناس يصلون بجامع العتيق بعد
صلاة العيد حتى كانت سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فخطب العيد رجل يسمى أحمد
ابن عبد الملك الجهني المعروف بابن أبي شيخة صلاة عيد الفطر ويقال إنه خطب يومئذ في
دنيز نعرف الكتاب فما حفظ عنه إلا أن قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مشركون
فقال فيه بعض الشعراء وقام في العيد لنا خاطب ... يحرض الناس على الكفر
وممن أرتج عليه من الأئمة في محرابه وكان تركه للصلاة خوفا أنجل الخزي به
صلى رجل بقوم فقرأ إذا زلزلت الأرض فما استفتح بالله من الشيطان الرجيم
فأرتج عليه وجعل يكررها فقال له من يدري والله أخطأه بفسو العدا فما
ذنب الشيطان وصلى سيبويه النحاس بقوم فقرأ سورة الإخلاص فأرتج عليه
عند رأس الآية منها فما استفتح إلا من خلفه وقال من أراد أن يسمع بقية
السورة فليحضر مجلسنا مقبلا ثم خرج وتركهم وصلى أعرابي مع قوم فقدموه
الإمام والتحموا الأباعد منكم ثم أرتج عليه فجعل يردد ما وراء جنب الرأي
تعروا حتى تحققت بالحيتان وقالت يا الخناء لم يرد الإمام بأمه يبكي هنا
حتى خشيت أن يغمى عليه وخرج رجل من بيته مغلسا من مسجد يطلبه
الصبح فدخل فقرأ الإمام الفاتحة واقرأ سورة يوسف فلما انتهى إلى

فوده فعل ملك ابوه الا رضي حتى باناه الى ابي ادلج عليه فردده فما مر الا قليل الاجل
من خلعه جاء الى بابه لتأديبه الى الفهم يقول فما معه وتجوزت فيه حاجتي
ثم تركته وانصرفت لحاجته وارتج على الحجاج في هلاله فلم يحسن احراده بغير به الى ما طل
عنه فقيل فوده تعارة وعقد على طيلسانه فقال احسن ما اجاد بكرم حتى اده ركبه
العجم العارب ولم تبطل صلاته بكلامه بل كان من اشرف المواهب واحسن منها
ما حكى ان المهدي لما ولي الخلافة جلس للناس من التعزية في داره فارتج عليه
فبيت ان يبلغ ما نعى فلما طال عليه انتظار من يشير عليه فوده فعلى الحسن منكم
رجل يشير من ذا الى اشير الشارة على الناس وحدث ابو الحسن بن زامويه قال على
يحيى بن المعلى الكاتب فقرأ فلم ينوا له امر يفعله فيها فارتج عليه وكان في المجلس
ابو نواس والعباس بن الاحنف والخليع وصريع الغواني فقال ابو نواس
اكثر يحيى غلطا * في قل هو الله احد * فقال ابن الاحنف قام طويلا ساكتا
حتى اذا اعيا سجد * وقال الخليع * يزحر في محرابه * زحير حبلى بولد
فقال الصريع * كأنما لسانه * شد بحبل من مسد * ما تحلت منك الحكاية
بابيات غيابه ابن رشيق فقال * ونسي الحمد فما * مر له على خلد * هذا ما اورده ابن رشيق
في كتاب العمدة ثم انه عثرت عند مطالعتي لكتاب بدائع البداية على زيادة بيت وجب
ذكره وهو ما حكى ان العباس بن الخشينة تابع من الحكاية فقال
وراح مما يغيبه * بغداد فما وجد ومن عجيب ما يحكى ان الكسائي واليزيدي
اجتمعا عند الرشيد فحضرت صلاة المغرب فتقدم الكسائي فصلى فارتج عليه في سورة قل
يا ايها الكافرون فلما سلم قال اليزيدي قارئ الكوفة يرتج عليه في قل يا ايها الكافرون
فحضرت صلاة العشاء فتقدم اليزيدي فارتج عليه في سورة الفاتحة فلما سلم قال
له * احفظ لسانك لا تقول فتبتلى * ان البلاء موكل بالمنطق *
ومن الحكاية ما يليها مشيئة على ان لا يعبر احدا وقع منه تعجب ما لي مثله
على رغم انه يتعجب ورات هو ابدا الحال من الحكاية بهذا البطء وان لم تكن فيه
المعنى فانه تشبه ما اخرجه وهو ما حكاه ابو العباس الخزاعي قال خرجنا ونحن
في الى قرية تسمى كميانا وهي من قرى بغداد للتنزه فيها فاقمنا بها يوما فلما اردنا
الانصراف قلت لرجل فيها ليفعل كل منا في صفة يومنا شيئا فقال لا فانتبه فقلت

قلنا الذي نزل العيش في كميانا * فقال آخر لما خشينا الفوت احمانا * وارتج على
الآخر فقال وامرأته طالق ثلاثا يعني امرأته فقلنا له ويحك ما ذنب امرأتك
فقال والله ما لها ذنب الا انها تعرف عملي كمرو بن الفاتحة وهو اخف
العيوب ثقالا عليه * وكفى كلف التكلف في مقام كلمة
حكي ان بعضهم كتب الى بعض العمال على مرتبة حلب يخبر ان سلبر بن شوانه
السلطبين قطا ما شاء له اعلم ان به الامير اعزه الله ان شلبر بن ابي مركيبر قطعا
اي قطعا جملة مرتبة اي قطعوا فكتب اليه كاتب العامل كتابا على الحكاية
يستخف به ورد كتابك اي وصل وقطعنا اي فتحناه وفهمنا ما فيه اي علمناه
فاذا بكاتبك اي اصبعه واصبعه اي اخرته واستبدل به غيره اي غيره فانه
ما يبن اي احمق والسلام اي انقضى الكتاب وكتب بعض العمال كاتب
الحسبي اليه كتابا وفيه وقد وجهت الى الامير ثوب ديباج احمر احمر احمر فكتب
كاتبه اليه قد قرأت كتابك فعلمت منه ان احمق احمق احمق فاقرم اقرم
اقرم وكتب بعض الكتاب الى عامل فكتب من في عزله ومن في ضبط وتغليب
غيرك لا نكحنا نارية نسوة الاموال ونحن نسا ونارية نقطعهما وتجيبها ومن الا
تعال كلها بمعنى واحد وكتب آخر الى بعض الامراء ابقاك الله واكمل نعماك
وامتع عمرك قال علي بن سعاد كتب الى بعض اخوانه كتابا فكتب في عنوان الكتاب
الذي ارسل جوابا الى ذاك الذي كتب الي وعما على ابن الاثير من كلام
الذين سلبوا العزماء والذي على انه مقصور وهي في منا عندنا لا نساء وهو اشعر
في بالا قوى والا نكاد كلام الذين سلبوا تجعلناه ترله على معنى وامر كانت
احوالهم كامنة في الرد له عليه والا فهو من حشو الكلام الذي لا يحتاج اليه
وقد وجدت كثيرا من ذلك في كلام المتبلغين من اهل هذا الشان كالمتنبي
وابن العميد من ذلك قول الثعالبي في تفسير كتاب الجمل الذي لا نذكره العيون
بالماكنة وكل فرد الا تسويلها كلها ولا تخلقه العصور بمروره ولا يبليه
الدهور بكرورها ثم انتهى الى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم يتبرك
للكفر اثرا الا كمسه ومعالمه ولا رسما الا ازاله وعفاه فلا جرم بين سرور
وكرور وكذلك لا جرى بين مرادي في قضيته الرسم ومن كلامه انظر كتاب وقد

علت الدولة العباسية لم تزل تعلن بسابقة الايام وتعاقب الاعوام تعلن ظهورا
وتنمي اكوارا وتلتات مخ وتستقل مرارا من حيث اصلها واسمها لا يتزعزع و
وبنيانها ثابت لا يتضعضع معلوم انه لا اعتلال والاتحاد لتبيان بمعنى
والظهور والنمو بمعنى والرسوخ والثبوت بمعنى وله من كتاب وطئ كتاب مبنيهما
بالاعتزاء الى امير المؤمنين والتعليق بمودة المسلمين بما عراهما الزكية محوزة لم
يستنزله وارومته العلية مسوقة لم تستغرقه ومنه جابرهم انتجاعا انتشار كل فج
وأباهم وأعيانهم كل صقع وأمثاله يحتذي الا ان سجاع كلها متساوية الالفاظ
والمعاني فان امارة المؤمنين وتعلق امور المسلمين بمعنى وكذلك لم يعتراه و
لا ارومته بمعنى والتحول والتسويغ بمعنى والانتشار والانتحال بمعنى وكذلك
الاعيان والامثال والتحقيق السقع وهو كلام ابن العميد في كتابه وهو
لا يوجد مثله الا اعظم مرغوب الاطماع ولا ان لم يعتبر عن بنيانه الى مطلوب
الاذان واستكان ومن الا تعاكه مستوفية المعاني وجد ذكرناه من هذا
الجو كفاية ومقنع على ان الفاظه اذا انشرح انقاد واذا اكل قنع

الفصل الثالث من الباب السادس في آفات اللسان الاكثار لا بالمواقعة الزلل والعثار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله اذا قلت فاوجز واذا
بلغت حاجتك فلا تتكلف وقال بعض الحكماء الاكثار يزل اللسان ويزيل
الاحسان وقيل لعدي بن حاتم أي شيء أوضع للانسان قال كثرة الكلام
قال جعفر بن يحيى اذا كثر الكلام اختل واذا اختل اعتل وقال خير الكلام
ما قل ودل ولم يطل فيمل وقال معاوية لعمرو بن العاص من ابلغ الناس قال من ترك
الفضول واقتصر على الايجاز وقال خالد بن صفوان ليس البلاغة بخفة
اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها اصابة المعنى والقصد الى الحجة و
قالوا خير الكلام ما كان من الحمق بعيدا وللاسماع مجيدا ومنه ان لا يكون
مائلا الى الحمق فيضعف الحجة ولا الى الهذر فتتلف الحجة قال الشاعر

للعقول مستمع يزينه بصاحبه … منه الفضول ومن يزري به الحمق
وخير حال الفتى في القول اقصره … ان الطويل بغير الوعي وكم قد تردا

وقد روا

وقال ابو علي بن رعد خير من مرد باغ عليك وقال زهير

وحفظ من غيتي عن العسا … أزجه من عسر النطق

وقال عمرو بن العاص الكلام كالدواء ان اقللت منه نفع وان اكثرت منه
صرع وقال لوط بن عبد الله يا بني اذا قلت فاقتصر اذا اطلت واياك والا
كثار فانه يثير العاقل ويجنن الجاهل وقالوا العقل من الاكثار قال ابن جهم
من ملكه طول لسانه املكه طول بضاعته ويقال من طال لسانه زال احسانه
وقال الثعلبي منصور ولا تكثره يجني الكلام القليل الحروف الكثير المعاني
احتجاج من افصح عن الكلام من غير حصر وحاد الكلام فحاذره واحترس
قال الاحنف بن قيس اللسان قيمة الانسان من قومه زادت قيمته وقال الكندي
ابن ميسي ملك اللسان من طول اللسان وقال سعيد بن ثور لان ارمي
عدوه بسهمي خير من ارميه بلساني لان رمي اللسان لا يخطئ ورمي السهم
يخطئ ويصيب قال الشاعر وربما كلام جرى من مازح فساق اليه سهم
حتفه معجل وقال ابن مسعود لسانك سيف فاقطع به رقابك وكلامك سهم
فانظر ترجع عليك بما فتصرم الفعال وايلاك وما يوقع من زور القول وقال اعرابي
الكلمة اسيرة وثاق الرجل فاذا تكلم صار اسيرا وثاقه واجتمع اربعة
ملوك على اربع كلمات تواردوا فيها موارد النصائح واخرجوا معانيها في
مجار العرائج فقال كسرى انا على ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك
الصين عجبت لمن يتكلم بالكلمة اذا ذكرت عنه ضرته وان لم تذكر عنه لم تنفعه
وقال قيصر ملك الروم لان اندم على ما لم اقل احب الي من ان اندم على ما قلت
وقال ملك الهند كلمات صدرت عن صدور من كرر العقل وعمقه يتجنبها
العاقل من لوغ الكلام وضعته وقالوا من اطلق لسانه بكل ما يجب كان اكثر مقامه
حيث لا يجب وقال صلى الله عليه وسلم ما اعطي العبد شرا من طلاقة اللسان
وقال لقمان لابنه يا بني ان من الكلام ما هو اشد من الحجر وانفذ من وخز الابر
وأمر من الصبر واحر من الجمر وان من القلوب مزارع فازرع فيها الكلمة الطيبة
فان لم تنبت كلها نبت بعضها وقال زياد ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يبتغي
بها رضا عنه فتبلغ اعامه فتسفك دمه ويقال اللسان ملك الجاهل

ومملوك العاقل وقالوا كيفية نطقك تدل على كيفية عقلك ويقال لا شيء أعود على
الإنسان من حفظ اللسان ويقال حفظ اللسان راحة الإنسان وقال صعصعة بن
صوحان يكون اللسان ينقص الأجل وخطأ القول يجيب العقل يقال من خزن لسانه
حفظ ومن قلل كلامه أمن ندمه فاللسان سبع من عقله لم ينب أصره والكلام سهم
مرسل لا يمكن رده وقال بعض الحكماء الجاهل يستعجل بإظهار المعاني قبل إحكامها تأملا
وإخراجها وإن لم يجد أوان تمامها فإذا أسند ما تحكي غرض الصواب وقال الجزازي

إذا ما لسان المرء أكثر هذره ٭ فذاك لسان بالبلاء موكل
إذا شئت أن تحيا عزيزا مسلما ٭ فدبر وميز ما تقول وتفعل

ومما اخترناه من كلام الحكماء الأعلام في مدح الصمت وذم الكلام

قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ أنت سالم ما سكت وإذا تكلمت فلك
أو عليك وقال ابن مسعود إن كان الشؤم في شيء ففي اللسان وقال أبو نواس

خل جنبيك لرام ٭ وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير ٭ لك من داء الكلام
ربما استفتحت بالقو ٭ ل مغاليق الحمام
إنما السالم من ألـ ٭ ـجم فاه بلجام

وقالوا الصمت يعقب المرء مقة خير من يطلب السلامة وقالوا الصمت
زين العلم وعنوان الحلم ومحنة السلم ودرع من الوقار وأمن من العثار ومنع من
العيب وكنف من الريب يلزم مع السلامة ويحمد الكرامة ويكفيك مؤونة
الاعتذار ويكسيك ثوب الوقار فما قال منه في راحة مساءه وصباحه
وقال الشاعر الصمت زين والسكوت سلامة ٭ فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
فإذا ندمت على سكوتك مرة ٭ فلتندمن على الكلام مرارا
وقالوا لسانك كالسبع إن عقلته حرسك وإن أرسلته افترسك ويقال اخزن
لسانك كما تخزن مالك واعرفه كما تعرف ولدك وزنه كما تزن نفقتك وانفق منه على
قدر وكن منه على حذر فإن الإنسان المدرك في غير وجهها أضر من الهذيان كلمة في غير
حقها ويقال إذا طلبت صلاح شأنك فاستعن عليه بحفظ لسانك وقال الشاعر
احفظ لسانك واستعذ من شره ٭ إن اللسان مثير العدو الكاشح

وزن

وزن الكلام إذا نطقت بمجلس ٭ فيه يلوح لك الصواب اللائح
والصمت من سعد السعود بمطلع ٭ تحيى به والنطق سعد الذابح
وقال بعض الحكماء عليك بالصمت وإن أعجبك القول وبرزت في المنطق فإنه زين
العاقل وعلة الجاهل ٭ احفظ لسانك أن تقول فتبتلى ٭ إن البلاء موكل بالمنطق
وزن الكلام إذا نطقت فإنما ٭ يبدي الرجال من الستور العيب
وقالوا رب كلمة جلبت مغرورا وخربت دورا وعمرت قبورا شاعر
إذا المرء لم يخزن عليه لسانه ٭ فليس على شيء سواه بخزان
احفظ لسانك أيها الإنسان ٭ لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ٭ كانت تهاب لقاءه الأقران
وقالوا اللسان ترجمان يعبر عن مستودع الضمائر ويخبر بمكنونات
السرائر لا يمكن استرجاع بوادره ولا يقدر على رد شوارده فحق على العاقل
أن يحترز من زللـه بالإمساك عنه والإقلال منه شاعر
لا ترسلن مقالة مذمومة ٭ لا تستطيع إذا مضت إدراكها
وقالوا اعقل لسانك إلا عن حق توضحه أو باطل تدحضه أو حكمة تنشرها
أو نعمة تشكرها وقالوا كلام الرجل بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل
واقتصر منه على القليل وإياك ما يستهجن من كلامك ويوحش إخوانك فمن استهجن
كلامه تعرض للغيبة ومن أوحش إخوانه تبرأ من المحبة شاعر
يدل على حمق الفتى فضل نطقه ٭ ونطق أخي العقل اللبيب قليل
وإن لسان المرء ما لم يكن له ٭ حصاة على عوراته لدليل
وما أحسن قول من غض بالكلام على كثرة منفعته وقلة الكلام كما قال
الشاعر قالوا نراك كثير الصمت قلت لهم ٭ ما طول صمتي من عي ولا خرس
الصمت أحمد في الأشياء عاقبة ٭ وأزين لامرئ من منطق شكس
أأنشر البز فيمن ليس يعرفه ٭ وأنثر الدر للعمياء في الغلس
ومن الحكايات الموضوعة على لسان الحيوانات في مدح الصمت وذم الكلام
أنه اجتمع برغوث وبعوضة فقالت البعوضة للبرغوث إني لأعجب من حالي
وحالك أنا أفصح منك لسانا وأوضح بيانا وأرجح ميزانا وأكبر منك شأنا

وأطول كبيرا انا وفي في مجرى العود به سباحة وفي في سباحة سباحة ومع مرا
كله جفرا أحالك بين المطبوع واحرص الجوع الجوع وانت على علاتك في جميع
حالاتك تاكل وتشبع وفي نواعم الابراه ترتع فقال نعم أنت بين العالم مخطبة
وعلى وسم مرنزته وطول لسانك سبب حرمانك وأما انا فانتفع فإني
والصمت نجاعتي وانما توصلت الى قوتي بسكوتي وقالوا في مثل الوضع
من الشعوب من حشش موضع حفظه الله ثم أراه فقال عن الاخبار وذم تراب
قال الله تعلى حكاية عن قول يعقوب ليوسف عليه السلام حين قص عليه
رؤياه فجعل منه مبدا امره ومنتهاه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم
بالكتمان وكان عليه السلام اذا اراد غزاة ورى بغيرها وقالوا من لم صدرك
اوسع لسرك ومن لمع كل سر فشا وما لا يثير شاع وكل علم ليس في القرطاس ضاع
المراد بالاثنين هنا الشفتين فكل سر تحرك به اللسان انتشر في الكون والمكان
ويقال اذا انتهى السر من الجنان الى عزبة اللسان فالاذاعة مستولية عليه
وعيون العواقب تنظر شزرا اليه وقال عمرو بن العاص القلوب أوعية
الاسرار والاشفاه أقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح
سره وقالوا اذا ضاق صدرك عن نجواك فكيف تستكتمه سواك وقال
بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجريه في غير أوداجك فاذا تكلمت به
أرقته وكما انه لا خير في انية لا تمسك ما فيها كذلك لا خير في انسان
لا يملك سره وقالوا اذكر قلبي حفظه لسرك أحرص منه على حفظ دمك
وقالوا سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره وانشد ابن المعتز

مر السر عن كل مستخبر ۞ وحاذر فما الحزم الا الحذر
اسيرك سرك ان صنته ۞ وأنت أسير له إن ظهر

وكتمني سرك بل امته ۞ وصير من حشاك له حجابا
فما اودعت مثل القلب سرا ۞ ولا اغلقت مثل الصدر بابا

وقال عمرو بن العاص ما وضعت سري عند أحد فافشاه فلمته لاني كنت
أضيق صدرا منه حيث استودعته اياه وقال الشاعر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ۞ فصدر الذي يستودع السر أضيق
اذا المرء أفشى سره بلسانه ۞ ولام عليه غيره فهو أحمق
اذا ضاق صدر المرء عن كتم سره ۞ فصدر الذي يستودع السر أضيق
كتمت على الاسرار حتى كأنني ۞ فيا جامع الكتمان لا تتمزق

وقال معاوية العاجز من كتم سره عن صديقه مخافة أن تنقلب من الثقة
فيرجع سره قال الشاعر احفظ عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان اعلم بالمضرة وكان يقال الكاتم سره يتبين
احدى فضيلتين الظفر بحاجته او السلامة من شر اذاعته ويقال الصبر
الناس من صبر على كتمان سره فلم يبده لصديقه وقال اخر كتمانك سرك
يعقبك السلامة وافشاؤك سرك يعقبك الندامة والصبر على كتمان السر أيسر
من الندامة على افشائه وقال ابو اسحاق ابراهيم بن خفاجة الاندلسي

لا تودعن ولا الجماد سرائرا ۞ فمن الجماد من يبين وينطق
واذا الصدى اذاع سر لسانه ۞ ومن النسيم من به يتنشق

وكان يقال لا تطلع كوامن سرك فاذا علم سرك فكن منه حاسرك ويطيح عليك
معاقرك قال الشاعر اذا انت لم تحفظ لنفسك سرها ۞ فسرك عند الناس أفشى واضيع
وقال الاحنف ان من خلال الشريف كتمان السر والعلانية كتمان ما استودع
قال شاعر بني مخزوم بن الليث

ولست بمبد للرجال سريرتي ۞ ولا أنا عن أسرارهم بسؤول
ولا أنا يوما للحديث سمعته ۞ الى غير من حدثته بنقول
تروح بسر تخفيه ۞ وتحسب كل الخلق فيه يكتم
وكنا نكتم السر فيما بيننا ۞ ومن لا نفاضه آخر
اذا ذاع سرك من مخبر ۞ فانت اذا لمته أخرق

وقال كعب ابن زهير لا تفش سرك الا عند ذي ثقة ۞ اولا فافضل ما استودعت أسرارا
صدرا رحيبا وقلبا واسعا صمتا ۞ لم تخش منه لما أودعت اظهارا

وقيل لابي مسلم الخراساني باي شيء ادركت ما ادركت فقال ارتديت
بالحزم واتزرت بالكتمان وحالفت الصبر وساعدني القدر فادركت مرادي

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

وحرت ما في نفسه ثم انتشر .

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا .

ما زلت أسعى عليهم في ديارهم * والناس في غفلة بالشام اذ رقدوا .

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد .

ومن يرع غنما بأرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد .

واما المزاح وما ورد فيه من الاباحة والنهي تصريحا وتلويحا

فيروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من مزح استخف به وقال عليه السلام استدراج من الشيطان واختداع من الهوى وكتب عمر الى عماله امنعوا الناس من المزاح فانه يذهب المروءة ويوغر الصدور وقال بعضهم ما مزح امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة وقيل [illegible] كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزح تذهب المروءة ومن اكثر من شيء عرف به وقال حكيم خير المزاح لا ينال وشره لا يقال وقال آخر تجنب سوء المزاح ونكد المزاح فانهما بابان اذا فتحا لم يغلقا الا بعد عسر وفحلان اذا لقحا لم ينتجا غير ضر وقال آخر المزاح يضع قدر الشريف ويذهب هيبة الجليل وقالوا لا تمزحن فما يسرك عاجله ويضرك آجله وقالوا اياك وما يستقبح من الكلام فانه ينفر عنك الكرام ويجتري عليك اللئام وقال الراجز

شر مزاح المرء لا يقال * وخيره يا صاح لا ينال .

وقد يقال قلة المزاح * من الفتى تدعو الى الصلاح .

يجذ منه الرجل الشريف * ويجتري بجهله السخيف .

وقال حكيم قال لولده ابا لك والمزاح فانه يذهب بهاء الوجه ويحط المروءة ولله در من قال

اكفف لسانك ما استطعت تكرما * واجعل لنفسك مثل ما لم يسر .

واذا مع [illegible] أشباه الرجال * خوف الجواب فانه بك أشبه .

ودع الفكاهة بالمزاح فانه * يؤذي ويسقط قدر من يتفكه وقال

الشاعر انه رب قول قد جرى من مازح * فساقه البلاء الى حتف من الجل .

وان مزاح المرء في غير حينه * دليل على فرط الحماقة والجهل .

ابلغ ابدا المزاح فانه * يجمع فيك الفعل والرجل النزلا .

ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا .

وقال بعض الحكماء المزاح غرة والا فقط فيه كرم ولا مروءة منه نزاهة وقالوا من كثر مزاحه لم يسلم من استخفاف به او حقد عليه وقالوا نسعة اشياء فيها تتولد من المزاح يسقط المروءة ويثير الضغينة ويعشير العداوة ويكسب الخصومة ويقطع المودة ويمرض القلب ويهيج الفتنة ويظهر العيب ويذهب بهاء الوجه وقالوا وكذا اسباب الضغينة المزاح وان كانت لا غنى للنفس عنه عند الحاجة فليكن بقدر ما يحتاج من الملح الطعام كما قال ابو الفتح البستي

ابد بطبعك المكدود بالهم راحة * براح وعلله بشيء من المزح .

ولكن اذا اعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطي الطعام من الملح .

ومن هذا قول سعيد بن العاص لولده اقتصد في مزحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجرئ السفهاء وتركه يغيظ المؤانسين ويوحش المتخالطين وقيل ان المزاح اولد مزح واوسطه مرح واخره ترح قال ابو الفتح البستي

وترى الفتى يلقى اخاه وخدنه * في بعض منطقه بما لا يغفر .

ويقول كنت ممازحا وممازحا * هيهات نارك في الحشا تستعر .

اما علمت ومثل جهلك غالب * ان المزاح هو السباب الاصغر .

آخر : امزح بمقدار الطلاقة واجتنب * مزحا تضاف به الى سوء الادب .

لا تغضبن امرا اذا مازحته * ان المزاح على مقدمة الغضب .

وقال ابو جعفر المصري

في صاحب ليس يخلو لسانه من مزاح * يغير تزيين عرض * على تسبيل المزاح

وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليهما السلام فقال ما لي اراك لاهيا كانك آمن فقال عيسى ما لي اراك عابسا كانك آيس فقال يحيى لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فاوحى الله اليهما انما احبكما الي احسنكما ظنا بي وروي احبكما الي الطلق البسام وقال عطاء بن السائب كان سعيد بن جبير يقص علينا حتى يبكينا وربما لم يقم

حتى يضحكنا وكان نعيمان الصحابي من أولع الناس بالمزاح وكان يروى بالمثل الذي عنه
النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة المزح والضحك فقال يدخل الجنة وهو يضحك وروي ان
سيبويه كان ينشد بيتا انه فيا كنت أعجبها من خوفها مثل شعر الصوف في الطول
ثم يضحك حتى يميل لقفاه

الباب السابع في الذكاء وفيه ثلاثة

فصول الفصل الاول من هذا الباب في مدح العقل والذكاء قال ابن عبد
العقد ابن عبد ربه في كتابه الذي سماه بالعقد فقال فلان ذكي معناه كامل الفطنة
ثابتها من قول العرب ذكت النار تذكو اذا تمت وقودها فقال فلان ذكي اذا
كان كثير الذكاء قال جميل بن معمر

تقاتلت مقلتاه بعينيها ومبتسم ... كأنه حين أبدته تباشره
عذب كأن ذكي المسك خالطه ... والزنجبيل وفاء الورد والشهد

جميل انشغف كما بي مما نبه مما اكنته زمرات معانيه فيكتمعت ابيه قلب شانيه
بعد ما فهمت أن يرانيه سعد بن خيثمة فما لو كان كثيرا ما يعيب على بلاد النعمان
ابن المنذر ويبغض اكرامها حتى عيل صبره فتوقر عليه وكان سعد بن خيثمة نحيفا
نحيرا دميما وهو ملتف بعباءة ملبار فاه النعمان ازدراه وقال لان تسمع بالمعيدي
خير من أن تراه فقال سعد أبيت اللعن ان الرجال لا تكال بالقفزان ولا يوزن
يستغنى بها الغدران وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان
وان قاتل قاتل بجنان فأعجب النعمان ذلك منه وقال له أنت سعد بن خيثمة
ونظر عمر بن الخطاب الى الاحنف بن قيس وعنده الحمر وهو جنف ملتف بعباءة
فترك عمر النحوح واستنكفه فتكلم بكلام الجليل الفصيح فذهب به الاسد
الزبير العجيب فلم يزل عند عمر في الزيادة العليا الى أن يعقد له عرائبا فبانت على
نعيم ما كان له نبا الى ما دون اثر نيا قال عبد الله بن عجيبي قدم علينا الاحنف الكوفة
أصلع الرأس متراكب الاسنان اشدق مائل الذقن ناتئ الجبهة جاحظ العينين
خفيف العارضين أحنف ولكنه كان اذا تكلم جلا عن نفسه شأن العيوب فنزح
عثمان بن عفان رضي الله عنه مرداح من اعاصر بن عبد القيس فمثل بابه وفيه الفعي
رأسه تين كتفيه وكان عامر شيخا مبلقا فأنكره وانكر مكانه فقال يا اعرابي
أين ربك فقال بالمرصاد فيقال ان عثمان لم يفحمه أحد غيره ونظر معاوية الى

المختار

وبدا نظر فبعث اليه النعمان ان
انت العدلانة هو اءعلان تدخل
في كما عنت من ضرب

من مشاهير الفطناء

المختار بن أوس النجار الخطيب النسابة في عباءة في ناحية من مجلسه فأنكر مكانه
وازدراه فتبين المختار ذلك في وجهه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك
وانما يكلمك من فيها وكان الرجل اذا بدا به بذاذة وانشد

اذ وان كانت أثوابي ملفقة ... ليست بخز ولا من نسج كتان
فإن في المجد همتي وفي لغتي ... فصاحة ولساني غير لحان

اراد بعض الاعراب مخاطبة انسان فازدراه الرجل لرثاثة ثوبه وخشونة حاله
وابدائه بكلمه فقال ما لكم يا عبيد الثياب وأشباه الكلاب حقرتموني لكماري
ولم تسألوني عن مكنون اخباري

المرء يعجبني وما كلمته ... ويقال في عقل اللبيب الأكرم
فاذا أصبت زيادة ووزنته ... بالنقد ذاق كما يذوب المرهم

وقد دخل كثير بن عبد الرحمن وكان يلقب بابن أبي جمعة على عبد الملك بن مروان في
أول خلافته فاقتحمته عينه فعلم ذلك منه فقال كثير يا أمير المؤمنين كل عند نفسه
واسع الفناء شامخ البناء عالي السناء ثم انشد للعباس بن مرداس

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير
بغاث الطير أطولها رقابا ... ولم تطل البزاة ولا الصقور
خشاش الطير أكثرها فراخا ... وأم الباز مقلات نزور
ضعاف الأسد أكثرها زئيرا ... وأصرمها اللواتي لا تزير
وقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
ينوخ ثم يضرب بالهراوى ... ولا عرف لديه ولا نكير
يقوده الصبي بكل أرض ... ويحبسه على الخسف الجرير
فما عظم الرجال لهم بزين ... ولكن زينهم كرم وخير

فقال عبد الملك قاتله الله ما أطول لسانه وأمد عنانه وأجرأ جنانه
اني لأحسبه كما وصف نفسه وأمر له بصلة وقال أبو عبيد البكري في كتابه
ان كثيرا كان لا يبلغ طوله ذراعا بل أقصر وكان اذا دخل على
عبد الملك يقول له طأطئ رأسك لئلا يصيبه السقف يمازحه

وفيه يقول الحماني الشاعر قصير القميص فاحش عند بيته يعض القراد باسته وهو قائم

كان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ دميم الصورة قبيح الوجه ناتئ العينين يحكى عنه
أنه قال ما أخجلني أحد قط إلا امرأة أخذت بيدي وحملتني إلى نجار وقالت له مثل هذا
وتركتني ومضت فبقيت متعجبا من أمرها فسألت النجار فقال إن هذه
المرأة سألتني أن أصنع لها مثال الشيطان فشكلت به وقد ريما اد ابكي فعلت لها
لا أدري أن أشبهها له حتى أعمل على مثاله وطلبت منها مثاله فقالت أنا آتيك
به فجاءت بك وقرع شخص عليه بابه يوما فخرج إليه غلامه فسأله عنه فقال ما
هو ذا يكذب على ربه قيل له كيف ذاك قال نظر في المرآة وجهه فقال الحمد لله
الذي خلقني فأحسن صورتي إلا أنه كان إذا كتب وشى حلل الحبر وسحر بألفاظه وإذا
تكلم تعجب الدر من منثور كلامه ويكفيه علو منزلته في العلم شهادة عمرو البرنانة
ابن ... فإنه قال لو لم تفتخر ملة الإسلام على سائر الأمم إلا بثلاثة لكفاها
فخر عمر بن الخطاب في السياسة والحسن البصري في الزهد وعمرو الجاحظ في البلاغة

وفيه يقول أحمد بن سلام الكتبي يهجوه ويذكر قبحه

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا · ما كان إلا دون قبح الجاحظ
وإذا المرآة جلت عليه وجهه · لم تخل مقلته بها من واعظ

قال بعضهم كنت بفناء الكعبة إذ رأيت رجلا أصلع أربخ أفحج كأن أنفه بعرة
أسود أفطس أشل يتغير عليه ثوبان فكرهته ورأيت الناس يهرعون إليه
من كل جانب يطلبون السنن والسلام عليه فقلت من هذا قالوا هذا سيد فقهاء
الحجاز عطاء بن أبي رباح وفيه أخرى فقال كان أعور أفطس أشل أعرج ثم عمي
بعد ذلك قال عثمان بن عطاء الخراساني انطلقت مع أبي نريد هشام بن عبد
الملك فلما قربنا إذا بشيخ على حمار أسود عليه قميص دنس وجبة دنسة وقلنسوة
لاطئة دنسة وركابه من خشب فضحكت منه وقلت من هذا فقال
اسكت هذا سيد فقهاء الحجاز عطاء بن أبي رباح فلما قرب منا نزل أبي عن بغلته
ونزل هو عن حماره فاعتنقا وتساءلا ثم عادا فركبا حتى وقفا على باب هشام فلما
استقر بهما الجلوس حتى أذن لهما فلما خرج أبي قلت له حدثني ما كان منكما قال
لما قيل لهشام إن عطاء بن أبي رباح بالباب أذن له والله ما دخلت إلا بسببه

فلما

فلما رآه هشام قال مرحبا مرحبا هاهنا هاهنا ولم يزل يقول له هاهنا هاهنا
حتى أجلسه معه على سريره ومس بركبته ركبته وعنده أشراف الناس يتحدثون
فسكتوا فقال له ما حاجتك يا أبا محمد قال يا أمير المؤمنين أهل الحرمين أهل الله
وجيران رسوله تقسم عليهم أرزاقهم وأعطياتهم قال نعم يا غلام اكتب لأهل مكة
والمدينة بعطاياهم وأرزاقهم لسنة ثم قال فهل من حاجة غيرها يا أبا محمد
قال نعم يا أمير المؤمنين أهل الحجاز وأهل نجد أصل العرب وقادة الإسلام
ترد فيهم فضول صدقاتهم قال نعم يا غلام اكتب بأن ترد فيهم فضول صدقاتهم فهل
من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم يا أمير المؤمنين أهل الثغور يردون من
وراء بيضتكم ويقاتلون عدوكم تجري لهم أرزاقا تدر عليهم فإنهم إن هلكوا ضاعت الثغور
قال نعم يا غلام اكتب بحمل أرزاقهم إليهم فهل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال نعم
يا أمير المؤمنين أهل ذمتكم لا يجبى صغارهم ولا يتعتع كبارهم ولا يكلفون ما
لا يطيقون فإن ما تجبونه منهم معونة لكم على عدوكم قال نعم يا غلام اكتب لأهل
الذمة بأن لا يكلفوا ما لا يطيقون فهل من حاجة غيرها يا أبا محمد قال اتق الله
في نفسك فإنك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك
ولا والله ما معك ممن ترى أحد فأكب هشام ينكت في الأرض وهو يبكي فقام
عطاء فلما كنا عند الباب إذا رجل قد تبعه بكيس لا أدري ما فيه دراهم أم دنانير
فقال إن أمير المؤمنين أمر لك بهذا فقال لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا
على رب العالمين وعلى أثر قبح الصورة يقول بعض الشعراء في جحظة

فصل على كلام العلماء

من كان مشتاقا إلى منكر · فجحظة أنكر من منكر
لو عذب الله به ناره · لكفاها بردا ولم تزجر

وأنشد أعرابي

خبرونا أني محب لها · فأقبلت تضحك من منطقي
والتفتت نحو فتاة لها · كالرشأ الوسنان في قرطق
قالت لها قولي لهذا الفتى · انظر إلى وجهك ثم اعشق

أعرابي شيخ قبيح الصورة فتاة حسناء فعرض عليها نفسه فأعرضت عنه
وقالت أتخادع عاقلا أم ركيكا مائلا قال بل لبيبا عاقلا محبا مائلا قالت
فما أصنع بك قبيحا فقيرا شيخا كبيرا فقال استميلي بعض ملوكا مجزولا و

وأصبح شيبه حلوكا مجهول مقالات فجاء الى ما يقول فولى عنها وهو يقول

تزهو علي بحسنها وشبابها ... وتقول لي يا شيخ أنت مخادع
فيم وأي ملامتي شيب ناصع ... وكرهت فينا أخلقتك مطامع
فأجبتها دعه فليس بعيبه البقا ... والشيب يكتمه الخضاب البانع
فأنت تعجل بينه حيلة ... والفجع بينهم داء ناصع
يا حزنها ما كان أعظم جهلها ... لو كان يرجع فيه وجيبه راجع

وأكثر ما يوجد الذكاء المفرط عند العميان فإنهم عوضوا عن البصر بحدة الحفظ وذكاء الخاطر كما قتادة بن دعامة الأكمه وكان يقول دد لغابر سعيد بن أبي عروبة يختبر في الخلوات فيها الحكاية انه ما وطئ سمعي شيء جاء الا وعاه قلبي فنسبه ومن الأكمه بشار بن برد وكان رأس الطبقة الشعراء المولدين ومنهم أشجع السلمي ومسلم بن الوليد وأبو العتاهية وأبو نواس وغيرهم وقال الشعر وله من العمر احدى عشر سنة ومنهم أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ومن عجيب حكاياته أن أبا زكريا التبريزي كان يقرأ عليه فأتاه رسول من عند أهله من تبريز بحاجة حلقة أبي العلاء فسأل عنه فأخبر أنه غائب في بعض شأنه فقال له أبو العلاء ما تريد به قال جئته برسالة من عند أهله فقال له تتوصلها له فقال إنها مشافهة قال فاسمعناها فقال إنها بالفارسية قال لا عليك أن تسمعنا فلا تسقط منها حرفا فأورد فأعلمه فلما جاء التبريزي أخبر أن رجلا جاء من تبريز ومعه رسالة من أهله قال لعلكم أخذتموها منه فإنه مشتوق لما يرد من أخبارهم فقيل له إنه قال إنها مشافهة فنسي ذلك فقال أبو العلاء أنا شعر قال لا نظلمك إذ سمعناها منه وحفظناها ثم أملاها عليه فجعل التبريزي يضحك مرة ويبكي أخرى فسأله أبو العلاء عن ضحكه وبكائه فقال تارة يخبرني بما يسرني فأضحك وتارة يخبرني بما يحزنني فأبكي وعمي أبو العلاء وله من العمر ثلاث سنين من الجدري ثم قال الشعر وله إحدى عشر عاما وبشار وعنترة الأعمى والعيث فيهم وقيل بعد أن يقال ضرير

إذا أبصر المرء المروءة والتقى ... فإن عمى العينين ليس يضير
رأيت العمى أجرا وذخرا وعصمة ... وإني الى تلك الثلاث فقير

ولعبد

ولعبد الله بن عباس إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي جوادي وقلبي منهما نور

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

ولبعضهم يتوجع من ذلك أيا العين السكوب وصبرا إنما نوب تنوب وكنت كريني وجمال وجهي وكانت في بني الدنيا نصيب، وإن فرتكلتك في حياة: وعارفني على الدنيا السلام فما لشيخ، ضرير العين في الدنيا نصيب، من اخترع من الأوائل آلة حكمة بثاقب فكره فكانت سببا تنويه قدره وانبقاء ذكره والمخترعات أربعة اثنان في الجاهلية هما النرد والشطرنج واثنان إسلاميان وهما النحو والعروض فأما النرد فوضعها أزدشير بن بابك وهو أول الطبقة الرابعة من ملوك الفرس ولهذا قيل نردشير وأول من وضع النرد وجعلها مثلا للقضاء والقدر وأن الإنسان ليس له من في نفسه أن يبلغ شيئا نفعا ولا يدفع عنه ضرا ولا يقدر يجلب له موتا ولا حياة ولا سعرا ولا شفاء بل هو مصرف على حكم القضاء والقدر معرض لصور النفع وتارة للضرر وجعلها تمثيلا لحظ الدنيا لدى العالم فالحجر دبيب من الفلك والحجر الذي يستقلي به اللازم فالحجر به عليه الفلك وضعت على مثال الدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنا عشر بيتا بعدد شهور السنة والبروج وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر والدرج التي في كل شهر ثلاثين درجة ومعناه أن كل ثلاثين درجة على سبعة أيام ومعناها الكواكب السبعة السيارة ثم جعل لها تشبيها في وضع رقعة وشبهها بالنيرين وصيرها أربعة وعشرين بيتا بعدد ساعات الليل والنهار في كل ناحية منها اثني عشر بيتا وصير لها ثلاثين كلبا تشبيها بأيام الشهر ودرج الفلك ثم عمل فصين شبههما بالليل والنهار وتوصل الى ابطال ذلك للعقول بأن جعل اللعب بالفصين الذين هما منزلة الليل والنهار والله يجريهما بمنزلة القضاء والقدر وجعل لكل فص ستة أوجه كجهات الأرض فساه فوق وأسفل ووراء وأمام ويمين وشمال لأنه عدد له نصف وثلث وسدس وجعل في كل جهة من الفصين سبع نقط تحت الستة واحدة وتحت الخمسة ثنتين وتحت الأربعة ثلاثة تشبيها بعدد الأيام وعدد الكواكب السيارة وانزلها منزلة

عجيبة بين رجلين أنزلهما منزلة الليل والنهار ويشير إلى
القضاء والقدر ثم جعلها حجة بين رجلين وكذا الشيء مثلا إن دخل الإنسان قد يعلم مثلا
أن الإنسان لا يعلم من أين يأتيه الخير وكذا الشر مثلا إن دخل الإنسان قد يعلم منها
يكون عليه من خير أو شر أو نفع أو ضر مثلا كذلك قد يعلم ما يعكسه الصواب أو
يتبلبل نسل يكون غالبا أو مغلوبا وأشار فيها إلى التغلب إلى تغلب العدد
بالانتقال فتارة يكون مشرقا ثم يكون شرقيا وتارة ينعكس أو يكون غربيا أشبه
بغير غنيا ويد نعكس إلى ما لا نهاية له من تقلب الأحوال في تقلب الدهر وكان
على اختلاف الليل والنهار وقيل فيها كلام كثير أضربنا عن ذكره لطوله ومن الحكمة
وتعبر أحسن السيرة الرماح وقيل فيها من أبيات

ومكان مثل الشموس وديا ... لم يكن بينهن غير عماد
أخوان من وسن على متنيهما ... سنة تحت على البلبل عن أو ليلا
يلعبان الوزون سعرا كاملا ... ونبرأ من المحروم سعرا أجلا
جاد أما الحسينا على كل العشق ... من أن نفعا نفعا عاجلا

ولما الشطرنج فإن العرب لما افتخرت بوضع النرد وكان ملك الهند يومئذ يسمى
بلهيت فوضع له رجل من الحكماء يسمى صهصه الشطرنج وضرب به مثلا على
أنهم قرروا أن الإنسان قد يسعى واجتهد في تبليغ المراتب العلية
والمنازل السنية وإن موافقة الملك حازت به من الحضيض إلى الحضيض والخرجه
من روض العيش إلا رتبة وما جعله تلك على ذلك أن البيدق ينال بحركته
وسعيه منزلة الفرزان في الرياسة وجعلها مصورة تماثيل على صورة الناس
والحيوانات وجعلها درجات ومراتب ومثل الشاه بالرئيس الكبير والفيل والفرس
والرخ والفرزان وزيرا والبيادق رعايا مثلا أن الأولى من الرعية إذا
اعتلى إلى الأجناد مقدمه في تقريبه نفسه زاد فيه كان ذلك عونا له على أن
ينال رتبة الفرزان وكذلك الفرزان له أعلى همته وتمكنت فرزنته وحمت
نفسه إلى نيل رتبة الشاه وفناله وكذلك ما يليها من الفعلة وقالوا أن
أصل لغة الشطرنج شش رنك ومعناه ستة ألوان لأن شش عندهم في العدد الفارسي
ستة ورنك لون فكأنهم قالوا ستة ألوان لأن شش ما لشاه لون والفرزان لون
والفيل لون والرخ لون والفرس لون والبيدق لون وقيل في سبب وضعه

أن بعض ملوك الهند كانت له ولد يسمى شاه أخرجه في بعض الحروب فقتل فيها
فيما به الناس أن يعلموه بموته فوضع لهم بعض حكماء الشطرنج وبين لهم فيه
ما يخفى عليهم من مكايد الحروب وكيفية كعب الغالب وخذلان المغلوب وبين
فيها التدبير والحزم والاحتياط والكبرة والاحتراس والتعبية والنجدة
والقوة والجلد والشجاعة والبأس فمن عدم شيئا من ذلك فهو موضع تقصير
ومن أتى سبب التدبير له تمكنا فلا يستحال والعجز فيه مثله الجبن
والأشوال واعلم أن في ترك الحزم ذهاب الملك وضعف الرأي جالب للعطب
والعلة والتقصير سبب الهزيمة والتلاف وعدم المعرفة بالتعبية داع
إلى الانكشاف وأمرهم أن يلعبوا بين يدي الملك فلما لعب به قال
الغالب للمغلوب شاه مات فعرف الملك مراده وأمر أن يعزى بتوثيق
أمر الجواد وقيل أن صهصه لما وضع الشطرنج وعرضها على الملك والحكماء
لذهني أمرها ومكنوه منها قال له اقترح ما تشتهي فقال أن تضع حبة بر
في البيت الأول ولا تزال تضعفها حتى تنتهي إلى آخر البيوت فما بلغ
تضعيفه فاستخف الملك عقله واحتقر ما طلبه وقال كنت أظن بحاجة
عقلك وتوقد فكرك تطلب شيئا نفيسا فقال أنت أيها الملك إنما طلبت التي
التمني ثم نظر فيه بأن غير ذلك ولا سبيل إلى الرجوع عنه فأمر له الملك بالسؤال
وتقوم بأحضار الحساب وأمرهم بحساب ذلك فما عملوا في بلوغ قصري مكايد
الإمكان حتى لا خ لهم نجم صرفه معجم تعداد الأنكار فلم يجدوا في بلاد الدنيا
من البر ما يفي للحكيم بمراده ولو كانت الرجال من أعرابه وذلك أنهم وضعوا
حبة في البيت الأول وفي الثاني حبتين وفي الثالث أربعة وفي الرابع ثمانية
وفي الخامس ستة عشر وفي البيت السادس اثنين وثلاثين وفي السابع أربعا
وستين وفي الثامن مائة وثمانية وعشرين ثم انتقلوا إلى الصف الثاني فوضعوا
في البيت الأول ضعف ما في البيت الثامن وهكذا إلى آخر الرقعة ولسوكه
خشية التطويل لذكرنا تضعيف عددها ونهاية مددها ولم أجد ذلك فيما
وجدت بعض العرب حضرها بالأعداد العشرية ونظمها في بيت من الشعر
فتركت ذلك استحسانا لوجازته والبيت هو من الكامل

فعاوا اسكه وهي بعرى ، زجز وثر هج وملد ه زوذ د خسا

والعدد ١٠٤١٠٠٠٥ . ٧٠٣٠٧٠٠ ٤٤٧٠٦٤٤٠٨

والعدد ١٠٤١٠٠٠٥ . ٧٠٣٠٧٠٠ ٤٤٧٠٦٤٤٠٨١ 8.446744.073.99.55

وقال البسرى من ابيات انشأ نصرح فيها بحجة الذي يحيط الشطرنج وقد احسن فيه

وكتيبتين زحفن وزوج اخيا ٭ حربا تسيل بغير ادكاء منا ملا

مجمن اقتسم النزال بطاعة ٭ بين الكماة المعلمين منا زكة

تم بسجا بيه ه ما وكانما ٭ رشح الدماء اعاليا واسافلا

تبدي تعبئة كلما عاينتها ٭ فرنين جاله مغرما وتخاذلا

فكانه ذا ماج تيسير مغرما ٭ وكانه ذا انشوان يجعل مائلا

فاعجب لها حرب تنشي الكنت ٭ بنصل الرجال وما تنشي مثاكلا

النقط

واما ما اخترع في الاسلام من النحو والعروض فاما النحو فان على بن ابي
طالب رضي الله عنه من الذي ابتكره واخترعه وقيل انه نسب للنحو حتى
انتهى في نحو الذهب ليونى العماحة بالنحو قال الواجد لما سبب وضعه
له ان ابا الاسود الدؤلي كان ليلة على سطح بيته وعنده ابنته فرات
السماء ونجومها وحسن تلالؤ انوارها مع وجود الظلمة فقالت يا ابت
ما احسن السماء بضم النون فقال اي بنية نجومها وظن انها ارادت اي
شيء احسن منها فقالت يا ابت انما اردت التعجب من حسنها فقال كنت
اذا تقولين ما احسن السماء فلما اصبح غدا الى علي بن ابي طالب رضي الله
عنه وقال يا امير المؤمنين حدث في اولادنا ما لم نعرفه فاخبره بالقصة فقال
هذا لمخالطة العجم ثم امر فاشترى صحفا واملا عليه بعد ايام افتتاح
الكلام ثلاثة اسم وفعل وحرف جاء لمعنى وجملة من باب التعجب وقال
انح نحو هذا فكان ذلك اول ما الف من النحو وفي رواية فالاسم ما انبأ
عن المسمى والفعل ما انبأ عن حركة المسمى والحرف ما انبأ عن معنى ليس
باسم ولا فعل ثم قال تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا ابا الاسود
ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وليس بظاهر ولا مضمر قال فجمعت
اشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت فيها ان وان

ولبيت

وليت ولعل وكان ولم اذكر لكن فقال لي لم تركتها فقلت لم احسبها منها فقال بل
هي منها فزدها فيها ثم جاء بعد ابي الاسود ميمون الاقرن فزاد على ما اتقنه
ابو الاسود ثم تلاه عبد الله عنبسة بن معدان الذي يقال له عنبسة الفيل
فزاد فيه ثم جاء عبد الله بن اسحاق الحضرمي وابو عمرو بن العلاء فزادا فيه
ثم الخليل بن احمد وقد كان عيسى بن عمر من الكبار رسم فيه اشياء اخذها عنه
الكوفيون ثم اخذ عن الخليل عمرو بن بشر المعروف بسيبويه وكل من جاء بعد من
علماء هذا الشأن فهي كتابه يغترفون وتنقلوه عليهم يعتمدون وذلك
انه جامع كتاب الله وهو مفتقر اليه وليس هو مفتقر الى كتاب غيره
وقد روي ان ابا الاسود سمع من الناس لحنا فذكر ذلك لزياد واستاذنه
في ان يضع كلاما يعتصم به من اللحن فلم ياذن له فلما كان بعد ايام
دخل على زياد قوم فيهم اعرابي في ميراث فقال احدهم توفيت ابانا وترك
بنون فقال زياد مات ابانا وترك بنون فهكذا الذي ثم بعث الى ابي
الاسود وقال امض على ما كنت عزمت عليه فوضع الشكل والنقط
ووضع الكلام ثلاثة اقسام اسم وفعل وحرف ومن العرب من يقول ان
واما العروض فاول من اخترعه وابتدعه الخليل بن احمد وابوه اول
من سمي احمد في الاسلام وهو اول من وضع العروض واستخرج غرائبه
وجعله ميزانا للشعر يعرف به التام من الناقص وصاغ له من التفعيل
ثمانية اجزاء لا يخرج شعر موزون عنها وهي ما لذكا التفاعيل وهي
فعولن فاعلن مفاعيلن مستفعلن فاعلاتن مفاعلتن متفاعلن
مفعولات ومعنى التفاعيل مركبة من سبب ووتد فالسبب نوعان
خفيف وثقيل فالخفيف متحرك بعده ساكن نحو ما وهل وقد والثقيل
متحركان نحو لم وبم اذا ساكنت والوتد نوعان مجموع ومفروق
فالمجموع متحركان بعدهما ساكن نحو على وزمن وسعى والمفروق
متحركان بينهما ساكن نحو قال وباع وجعل البيت على مثال بيت الشعر
وانما احتاجوا لذلك لان البيت من الشعر لا يقوم الا بالاسباب
ومثل الاطناب والاوتاد التي تضرب في الارض ويقوم بها

فيه الا كلمات فيقوم البيت وانما مثل بذلك لان في البيت الشعري حروفا
مفروقة يبنى عليها الا زمام بمنزلة اسباب الاخبية فهي اسباب تشبيها باسباب
البيت الشعري وفيه حروف ثابتة لا يبنى عليها زمام بمنزلة اوتاد اثباتها
والى ما ذكر الخليل في هذا التمثيل اشار ابو العلاء المعري بقوله :

والحسن يظهر في شيئين رونقه ، بيت من الشعر او بيت من الشعر :

ومن الناس من قال البيت بان بيت الشعر يعتمد على العماد كما يعتمد بيت الشعر
على الكسور وسمى نصف البيت الاول صدرا والنصف الاخير عجزا والاخير
جزء في الصدر عروضا والاخير جزء في العجز ضربا وقد اقسامه على خمس دوائر
يستخرج منها خمسة عشر بحرا وهي المختلف والمؤتلف والمجتلب والمشتبه
والمتفق فالطويل من اول دائرة المختلف وهو مبني على فعولن مفاعيلن
فعولن ثمانية اجزاء وسمي طويلا لانه اكثر الشعر عدد حروف وعدد حروفه
سبعة واربعون حرفا وربما كان معه ما جاء على ثمانية واربعين حرفا والمديد
وهو مبني على فاعلاتن فاعلن ثمانية اجزاء وانما سمي مديدا لانه تمدد
سببه فصار سبب في اول جزء الثلاثية وسبب في اخره والبسيط وهو مبني
على مستفعلن فاعلن ثمانية اجزاء وانما سمي بسيطا لانبساط الاسباب
في اول اجزائه في الرابع وهو يفك من دائرة المختلف والوافر وهو اول
دائرة المؤتلف وهو مبني على مفاعلتن مفاعلتن ستة اجزاء وسمي بذلك
لانه استوفى عدة اجزائه في الدائرة فهو موفور الحركات تامة الحروف
والكامل وهو مبني على متفاعلن متفاعلن ستة اجزاء وانما سمي بذلك
لكمال اجزائه وحركاته وحروفه ولم ينقص منه شيء كما نقص من الوافر
ومنها انه جاء على اثنين واربعين حرفا منها ثلاثون متحركا فلما كثرت حركاته
وزاد على سائر الاجناس سمي كاملا وهما يفكان من دائرة المؤتلف
والهزج وهو اول دائرة المجتلب وهو مبني على مفاعيلن مفاعيلن ستة
اجزاء وهو مشتق من تهزج الصوت وهو التردد لانه يتوالى في اخر كل جزء
سببان فتوالى فيه التهزج والرجز وهو مبني على مستفعلن مستفعلن
ستة اجزاء سمي بذلك لانه في كل جزء منه يبتدئ فيه بسبب بعد ضعف ابدا والرجز

وهو

سواه تتحرك قوائم البعير في تكسر اخره والرمل وهو مبني على فاعلاتن
فاعلاتن ستة اجزاء وهو مشتق من الرمل في الشيء وهو يفك من
دائرة المجتلب والسريع وهو اول دائرة المشتبه وهو مبني على مستفعلن
فاعلاتن ستة اجزاء وسمي بذلك لسرعته على اللسان والمنسرح وهو
مبني على مستفعلن مفعولات مستفعلن ستة اجزاء سمي بذلك لانسراحه في سهولته
والخفيف كالرمل في السرعة وانما فرق بينهما في التسمية وهو مبني على
فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ستة اجزاء والمضارع وهو مبني على مفاعيلن
فاعلاتن مفاعيلن ستة اجزاء وسمي بذلك لمضارعته الهزج وقيل المجتث
وقيل المنسرح وقيل الخفيف ولكل قول من هذه الاقوال حجة مذكورة
في كتب العروض يضيق عنها نطاق الوقت ويفوت الغرض المقصود في هذا
الكتاب والمقتضب وهو مبني على مفعولات مستفعلن ستة اجزاء سمي بذلك
لانه اقتضب من المنسرح وقيل من السريع والمجتث وهو مبني على مستفعلن
فاعلاتن فاعلاتن ستة اجزاء وسمي بذلك لانه اجتث من الخفيف كما
اقتضب المقتضب من المنسرح وهي يفككن من دائرة المشتبه والمتقارب
وهو وحده في دائرة المتفق لا يشركه فيها غيره وهو مبني على فعولن
ثمانية اجزاء وسمي بذلك لتقارب اوتاده من اسبابه لانه سبب ووتد
ووتد وسبب فاسبابه كاوتاده واوتاده كاسبابه وزاد الاخفش بحرا
اخر سماه الخبب وهو مبني على فعلن فعلن ثمانية اجزاء وهو عند
الخليل غير مستعمل ويسمى المتدارك والمخترع وركض الخيل وهو والمتقارب
يفكان من دائرة المتفق فائدة حكي ان الخليل كان له ولد فدخل
عليه يوما فوجد اباه قد ادخل راسه في جبة وهو يقطع بيت شعر
فخرج فارا يقول ادركوا ابي فقد جن فدخل اليه اصحابه واعلموه
بالحال ولده فانشد مخاطبا له :

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني ، او كنت تجهل ما تقول عذلتكا ،
لكن جهلت مقالتي فعذلتني ، وعلمت انك جاهل فعذرتكا ،

وهذا من ابدع صنعة يذكر ما اتفق عند ابي الاسود والخليل من

الشعر والغنا وهو في ذكر بعض أسماء النوبة بالأفريقي من أصوات الغناء، فقال

ثلاثة أحرزوا فينا بفطنتهم ... ما ليس يدركه علم ولا أدب
أعرابه الزيل لتنا بهر آياته ... على إقامة ما فرضاه العرب
فالشعر صاغ لنا ميزان قيمته ... من الخليل فلا عيب ولا عتب
وللغنا بوزن الشعر تسوية ... كما يفعل في ميزانه الذهب
فعرفانه بوضع الوصل له ... إيقاع جزء به يستخرج الطرب

مختار من بديع فصاحة البلغا، وصنيع بلاغة الفصحاء، في وصف الزمن الوضاء، والصنيع الشليم النقاء

ومن بعض البلغاء في كاتب فقال فلان يعلم من مفتتح الأمر خاتمته، ومن بدئه عاقبته، فلان له تجربة حاضرة وروية مسامرة، كل شيء في سكناته، وكل دهاء في حركاته، فلان له رأي كالبيض، ونظر نافذ، متى حصل في عارض مشكل واحتمل معضل له فؤاد على الدراية، وأمنه من الجهالة والغواية، فلان عن مشكل الأمر مشكول، ومعضل الخطب محلول. آخر من قول حبيب أوس

ترى الحادث المستعجم الخطب معجما ... لديه ومشكولا إذا كان مشكلا

ومن جارية النابغة في جعفر بن يحيى

بديهته وفكرته سواء ... إذا اشتبهت على الناس الأمور
وصدر للهم فيه اتساع ... إذا ضاقت من الهم الصدور
وأحزم ما يكون الدهر رأيا ... إذا عجز المشاور والمشير

ومدح رجل بعض الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب ومن سلم فيها دون رجلا فقال ما رأيت أكثر فهما بقليل ولا أحسن تفهما لما فيه منه ومن الباخرزي أكثر وشايعهم ما يكتب على كفي الكف فقال إذا أخذ الدواة غرق بنانه على كفه كفه وقع منه على المداد ورضي بالبنان عن الأنبوب القطوس في المداد حتى كان لا يكل شعرة من يده واعيا محبا بأذنه وذاك لم كان على بسيطه الذي أو كالنقش على الهواء بالهباء ومن عجيب أمره أنه في الدهم جيد أموله في غيره

وأملج منفي سمعه ... هماح من الفهم الطيب

مبو

يطلبونه في القصور في غد ... لا يبلغ حياؤها ولم يغفو

ومن أعجز ما جاد ابن حزم الجمحي في وصفه بقوله

فكم من الذي أجالس معشرا ... يخوضون في فنون الحديث واحد
وما فاتني علم ولا من جمالة ... ولكنه ما في الصوت فسيد
فإن سمعني السمع فإنه غادر ... على مجد والله بالعقل لاحد

ومن اليوسفي علا ما بالزكا، فقال كان يعرف المراد باللحظ كما يعرف باللفظ ويعاين في الشاهد ما يجري في الخواطر أخفى، إلى أن داعبه من شعاعه من بدا الزمن فإذا صب العم يغلب عن الملالة ولا يحوجها إلى الاستزادة

وقال أبو نواس يصف نفسه في محبة مخدومه بالذكاء

ومستنكف رفع الحديث بطرفه ... إذا ما انثنى من لينه منحني الغضا
إذا جعل اللحظ الخفي كلامه ... جعلت له عيني لتفهمه أذنا

ومن الجاحظ رجلا بالزكا، فقال يعرف بالفراسة ما لم يعرف بالتجربة وبالقيافة ما يحجب عنه الغائبة ويبلغ بالخطر ما لا يبلغ صاحب الفكر، وقال الشريف الهبارية يمدح صاحبا له يمن اليقظة

في صاحب لا غاب عني شخصه ... أبدا وظلت مشتاقا ودادي
يشكو بأمر جئني إليه كأننا ... من فيض ماء حسن مكتوب فؤادي

وكان الناس يمثلون في الذكاء على زياد بن أبيه حكي عنه أنه كان يوما جالسا في مجلس عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأملى عمر على كاتبه كتابا فأسر إلى فكتب الكاتب خلافه فقال زياد يا أمير المؤمنين إنه كتب على خلاف ما أمليته عليه فتناول عمر الكتاب فوجده كما قال زياد فقال عمر لزياد من أين علمت هذا قال رأيت رجع فيه وحركة قلمه قبل أن يبينهما اتفاقا

الفصل الثاني من الباب السابع في ذكر براعة الأذكياء البديعة والأجوبة المفحمة السريعة

قالوا البديهة قوة روحانية في جبلة بشرية كما أن الروية صورة بشرية في جبلة روحانية ويقال بالقحة في البديهة تتفاضل العقول ويقال ميسور القول عند البديهة أحسن من الاكتنار بقول العكر

جمهور ادعى بريبته من الفضلاء من غير ما شعر الى كد انضلاء
أبو نواس وذلك أن ندماء الأمين اجتمعوا في مجلس أنس وخلاعة وفيهم أبو نواس
فخرج عليهم الأمين في زينته مخمورا والجواري يحملنه على أيدي بني قلان أن أبو نواس
قال الله إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل
موسى وآل هارون تحمله الملائكة فلله حسن انتزاع هذا الرجل ما أبدعه
وأبرعه وطبع بالبديهة ما أسرعه وأسعده لفرحها ورشفها وذا منتزع
في الانتزاع وتعدى الغاية وحير العقول مستحسنا ما أشار إليه
فيما ذكره إلا بقوله أبا هارون الرشيد ومحمد موسى الهادي وهو وارثهما
ولم أر فيما وقفت عليه من تواريخ المتقدمين وأخبارهم على أحسن مما حكي
عن الربيع بن يونس قال كنا وقوفا على رأس المنصور وقد طرحت للمهدي
وسادة إذ أقبل صالح ابنه فتكلم وأجاد فمد المنصور يده إليه فقال
إلي بني واعتنقه ونظر في وجوه أصحابه هل يذكر مقامه أو يصفه فيطله
فكلهم تهيب فقام شبة بن عقال التميمي فقال لله در خطيب
قام عندك يا أمير المؤمنين ما أفصح لسانه وأحسن بيانه وأمضى جنانه
وأبل ريقه وأسهل طريقه وكيف لا يكون كذلك وأبوه المنصور وأخوه
المهدي فأرضى أمير المؤمنين وسرح الغلام وتعجب من المهدي فأمر لشبة
المنصور بثلاثين ألف درهم انتهى يحيى بن خالد على الفضل بن سهل بحضرة
الرشيد فقال أوصله إلى مجلسه ووصل إليه أن يكلمه حيرة من الهيبة فسكت
فنظر الرشيد إلى يحيى نظرة منكرة لاختياره فقال الفضل يا أمير المؤمنين
إن من أعدل الشواهد على فراهة المملوك أن يملك قلبه هيبة سيده
فقال له الرشيد لئن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام فقد أحسنت وإن كان
بديهة فقد أحسن وأحسن ثم سأله بعد ذلك عن شيء إلا أجابه فأبهره
ثناء يحيى عليه و صعد سليمان بن عبد الملك يوم جمعة المنبر ويقال الوليد
وعليه أكثر المؤرخين فسمع صوت ناقوس فقال ما هذا قالوا البيعة
يا أمير المؤمنين فأمر بهدمها فهدمت فبلغ ذلك ملك الروم فكتب إليه
إن هذه البيعة أقر فيها من كان قبلك فإن كانوا أصابوا فقد أخطأت

وإن تكن أصبت فقد أخطأوا فسأل سليمان من خواصه ولية الجواب فأعياهم
فقال الفرزدق أنا أجيب يا مولانا أمير المؤمنين فقال قل فقال يكتب إليه
ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فعجب من ذلك وأمر له بعشرة
آلاف درهم و خطب قتيبة بن مسلم على منبر خراسان عند ما فتحها
وأتيا بسفط العقاقير فتعجب من ذلك فقام بعض الأعراب
فمسحه وناوله إياها وقال أيها الأمير تيسر كما كثر العرب ونساء
العرب ولا كنه كما قال الشاعر

فما لفت عمامتنا واستغنى بها الثوى كما في عنيانا لا باب الساجة

فسري عنه ما كان وجد من التعب وأمر له بخمسة آلاف درهم و خرج طاهر
بن الحسين لقتال علي بن عيسى بن ماهان وفي كمه دراهم يفرقها على الفقراء
وسهى أنها في كمه فأسبل كمه فتبددت فتطير من ذلك وتغير منه فأنشده شاعر
كان معه

هذا تفرق جمعهم لا غيره * وذهابه منه ذهاب الهم
شيء يكون الهم نصف حروفه * لا خير في إمساكه في الكم

وخرج موسى الهادي يوما للصيد ومعه جماعة من خواصه فرمى
فأصاب سبعة أكلاب ثم رمى الكلب الثاني فأصاب الصيد وانقطع
الوتر فأغتم لذلك وتطير فوقف كاتبه بين يديه ثم قبل يده وهو الصم
فقال له المهدي أي موقع حسن هذا فقال الحمد لله الذي إذ كانت
هذه العبر بالقوس ولم تكن بك فسري عنه ما كان يجد وأحسن إليه
وحسن موقعه عنده و دخل أبو الشمقمق واسمه مروان بن محمد على
خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني وهو والي الموصل وبها قد حل
الموصل في بعض الحروب فانكسر اللواء في بابه فتطير خالد من ذلك
فقال أبو الشمقمق يسليه عن الطيرة

ما كان مندق اللواء لطيرة * تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا الرمح أضعف متنه * صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسري عنه ما كان وجد من الطيرة وكتب صاحب البريد إلى المأمون بذلك
فزاده ديار ربيعة فأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم

وممن شبل من الحذق بها، لا يغاب ما يجاب، وانت من عقبة ترتيبه بالشيء العجاب
ويحكى ان المامون دخل يوما ديوانه فبصر بغلام جميل على اذنه قلم فاعجبه
حسنه فقال من الشاب فقال الناشئ في دولتك والمومل لخدمتك
والمتقلب في نعمتك الحسن بن رجاء فاستحسن كلامه وامر له بعشرة الاف
درهم ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المامون فسلم فقال من انت قال سليل
نعمتك وابن دولتك وغصن من اغصان دوحتك فاعجبه وساله عن حاجته
فقضاها له وقال ابو عبادة البحتري دخلت يوما دار الفتح بن خاقان
فوجدت الشعراء في دهليز داره وبينهم صبي مغني الحسن فصيح اللغة
فقلت ما انت يا غلام قال شاعر فتبسمت تعجبا منه ثم قلت اجز
ليت ما بيني وبين من احب وبيني، فقال من البعد من الغرب قلت من الغرب فقال
مثل ما بين حاجبي وعيني، فقلت فان اردنا من البعد فقال
مثل ما بين ملتقى الخافقين، فاخذت بيده واوصلته الى الفتح واخبرته
بما دار بيني وبينه فعجب منه واجازه ولما سخط السفاح خالد بن يزيد على
كثرة عتابه وملامه فقال له خالد لن اشكر جميعه نعم امير المومنين
فاستعنت بالسنة الناس عليها، ومثلها ما حكي ان الواثق قال
يوما لاحمد بن ابي دواد وقد ضجر من كثرة حوائجه يا احمد قد اخليت بيت
الاموال بطلباتك في الطلب للائذين بك فقال يا امير المومنين نتائج
شكرها متصلة بك وذخائر اجرها مكتوبة لك وما لي من ذلك الا عشق
اتصال الالسن بخلود المدح فيك فقال الواثق والله يا ابا عبد الله
ما منعناك ما يزيد عشقك ويقوي همتك وامر ان يجرى على عادته في
عرض حوائجه وكان الفضل بن يحيى يرسل الى القاسم بن اسماعيل البجلي
مع جواريه رقاعا مختومة فيرد الجواب برقاع منشورة فنقم عليه وكره
ذلك منه فكتب اليه القاسم رقاعك تشتمل على بر ورقاعي تشتمل على
شكر فانت تكتم برك وانا انشر شكرك فكان هذا مما وجب عليه وزيادته
ووقف حاجب بن زرارة على باب كسرى وكان قد منع تميم ارياف العراق فقال
لحاجبه قل للملك ان بالباب رجلا من العرب يريد الدخول عليه والمثول

بين

بين يديه فاعلم الحاجب كسرى فاذن له فلما وقف بين يديه قال له من
انت قال سيد العرب قال اليست القبائل للحاجب اخا رجل من العرب قال
نعم قلتها الا ان الملك قبلني وادناني وشرفني بين يديه فانا اولى من قومي
بخدمتك وحظيت بزيارتك فصرت سيد العرب فقال كسرى زه زه و
امر ان يحشى فمه جوهرا ودرا ثم وسادة تكرمة له فاخذها
ووضعها على راسه فتغامز عليه من حضر من المرازبة واستجهلوه فقال له
كسرى لم فعلت هذا وانما اتيناك بها للجلوس عليها فقال علمت ايها
الملك ذلك لكني لما رايت عليها صورتك اجللتها فوضعتها على اشرف
اعضائي تشريفا لها فقال كسرى زه زه وامر له ببدرة فسر بذلك ورئي
كسرى راكبا ومحمد بن علي الباقر يمشي معه فقيل له اتركب ومحمد يمشي فقال هو
امرني بذلك فطاعته في الركوب افضل من عصيانه لديه بالمشي ودخل
عدي بن ارطاة على شريح القاضي فقال انه رجل من اهل الشام فقال بعيد
سحيق قال واني قد خطبت اليكم قال خير مفروح قال اني تزوجت
قال بالرفاء والبنين قال وان امراتي ولدت غلاما قال ليهنيك الفارس
قال وقد كنت شرطت لها دارها قال الشرط املك قال وقد اردت
الخروج بها الى بلدي قال الرجل احق باهله قال فاقض بيننا قال قد فعلت
قال بشهادة من قال بشهادة ابن اخت خالتك ومما حكي ان عروة بني
الذي بستانا لعبد الملك بن مروان فتفتحت ازهاره واينعت ثماره
وتسقت اشجاره واطردت انهاره وتغنت اطياره فقال له عبد الملك
ما احسن هذا البستان قال انت احسن منه لانه يؤتي اكله كل عام
وانت تؤتي اكلك كل حين. ووقف المنذر على عجوز من العرب فقال
ممن انت قالت من كلب قال ما منع كلبا ان يكون فيهم مثل حاتم قالت الذي
منع الملوك ان يكون فيهم مثلك فعجب من سرعة جوابها وامر لها بصلة
وركب الرشيد وجعفر بن يحيى يتسايران فمر الرشيد بكرم فيه احمال
مقبلة فقال لمن هذه فقيل له هدايا خراسان بعث بها علي بن عيسى
ابن ماهان وكان الرشيد ولاه اياها بعد الفضل بن يحيى فقال الرشيد

بجعفر أبي كانت منى ابتاع أخيك خالد بمنازل أصحابنا يا أمير المؤمنين
تلاه وولى المنصور سليمان بن راشد الموصل وضم إليه ألفا من العجم وقال له
قد ضممت إليك ألف شيطان تذل بهم أهل الموصل فلما أتوا الموصل عاثوا في البلاد
وقطعوا السبل فاشتكوا ضرهم إلى المنصور فكتب إليه أكفرت النعمة
يا سليمان فأجابه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فضحك المنصور
عن ذلك وصرفهم عنه وقال المتوكل لأبي العيناء ما أشد ما مر عليك في ذهاب
بصرك قال فوت رؤيتك يا أمير المؤمنين وحكي أن الحجاج كان ليلة
فظفر بثلاثة رجال سكارى فقال من أنتم فابتدر أحدهم فقال

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره ... وإن نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا إلى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

وقال الثاني فقال

أنا ابن الذي دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالرغم وهي صاغرة ... يأخذ من مالها ومن دمها

وقال الآخر فقال

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزمه ... وقومها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه عنهما ... إذا الخيل في يوم الكريهة ولت

فسأل الحجاج عن آبائهم فإذا الأول ابن باقلاني والثاني ابن حجام
والثالث ابن حائك فقال الحجاج اكتبوهم لأدبهم لا لنسبهم ببراعتها
النسب فما أحسن الأدب وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال يرثيه
فما ما يعرض النسب ولا يغني

أبوك حليف المجد ما تقعد ... كم من كبي له أدب ومن نسل
يا أخو من ماله ومن دمه ... لم يبق من ذاك غير قحل

وزعم رشد من العلماء بسماع الفعال بن درما بعارضة أقرب من
الفضال عروة بن الزبير وذلك أنه دخل على عبد الملك بن مروان
يوما فلما استقر به المجلس تجاذب الجلساء أذيال المذاكرة وتساقطوا
أكواب المحاورة فذكر أخاه عبد الله فقال كان أبو بكر يفعل كذا

وكذا

وكذا وكان أبو بكر يقول كذا فقال له إنسان تكنيه عند أمير المؤمنين لا أم
لك فقال ألي يقال لا أم لك وأنا ابن عجائز الجنة يعني أن صفية بنت عبد
المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جدته وعائشة أم المؤمنين
خالته وأسماء ذات النطاقين أمه ودخل شاب على المنصور فسأله
عن وفاة والده فقال مرض والدي رحمه الله يوم كذا ومات رحمه الله
يوم كذا وترك رحمه الله من المال كذا وخلف رحمه الله من العيال
كذا فانتهره الربيع وقال بين يدي أمير المؤمنين توالي بالدعاء لأبيك
فقال الشاب لا ألومك يا ربيع لأنك لم تعرف حلاوة الآباء
فضحك المنصور وخجل الربيع وذلك أن الربيع كان مولى
للمنصور لم يعرف له أب قال البعض لا فيه إذ كان الربيع
يزعم أنه ابن يونس بن أبي فروة وبنو فروة يدفعون ذلك ويزعمون
أنه لقيط وجد منبوذا وكفله يونس فلما كبر وهبه يونس للمنصور
قبل الخلافة فلما ولي الخلافة جعله حاجبا ثم جعله وزيرا وقال
ابن حزم وسائر المحدثين هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة واسم أبي
فروة كيسان مولى الحارث الحفار مولى عثمان بن عفان وكان يونس
شاعرا بالمدينة فعلق أمة لقوم بالمدينة ووقع عليها فجاءت بالربيع
فاستعبدوه ولم يكن ليونس حال فيبتاعه فابتاعه زياد بن عبد الله
فقال أبو العباس السفاح فاشتراه أي منه فلم يزل في خدمته حتى مات
فخدم أبا جعفر بعده فخف عليه واستولى على أمره فحظي عنده ونبل شأنه
ونبل قدره وحكي أن رجلا سأل خالد بن صفوان بن الأهتم التميمي
عن اسمه ونسبه فانتسب له فقال القرشي إن اسمك لكذب ما لك
في الدنيا خالد ولا أباك بصفوان يعني الصخر ولا جدك بأهتم
والصحيح غير أنك من تميم قال له خالد لو سألتني فانتسبت لأنت
قال من بني هاشم قال من أي هاشم قال من بني عبد الدار قال لم أصنع
شيئا بأنك عبد الدار فقلت بيتك تميما يعني قبلا وشرفا وقفر
فيقطعها بأشم واحمد أمية وجعلت فلجم ورفعت رأسك جمص

وخرجت ابنة نحو ودلوت بالطوى وغلبته غاب ونعقه مناه وزمرت
عليك زمرتي وانعقد معي فجعلته عند واديها وسبني عارها فنغنغ
اذا اد خلوا وتعلوا اذا خرجوا فخر الرجل ميتا من شدة الغيظ فكانت
امراته تنادي في ازقة البصرة من حس خالد قتل بعلي بلسانه واذ عمي
اهله على خالد بن صفوان انه مات بسبب كلامه وامتنع من اخذ دية فقال
احدهما للاخر اما انت فكثير النفخ قليل النتيجة فقال له الاخر اما
انت فمنكمع الدار قليل الانجاز لما في الحوار بالاشارة وامتنع قوم من اليمن
عند هشام بن عبد الملك فقال لخالد بن صفوان اجبهم فقال ما عسى
ان اقول لقوم هم بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد ملكتهم
امراة ودل عليهم هدهد وغرقتهم فارة وقال معاوية لعقيل ما حال عمك
ابي لهب قال في النار يفترش عمتك حمالة الحطب ودخل عقيل بعدما
كف بصره على معاوية يوما فقال له ما بالكم تصابون في ابصاركم يا بني
هاشم يعرض به وبعبد الله بن عباس قال كما تصابون انتم في بصائركم يا
بني امية وحكي ان هند بنت عتبة بن ربيعة وقفت بالموسم وقالت
يا بني هاشم ابن امي وابن عمي واين الذين كانت وجوههم تضيء للسائل
في الليل الحالك ويعفو بهم نساء النازل فقال لها عقيل ان بني
هاشم اذا اد خلت النار تجدهم عن شمالك ودخل ابن ابي مسلم على سليمان
ابن عبد الملك [illegible] فقال لعنة الله على رجل اجرك رسنه
وسلطك خيله فقال يا امير المومنين رايتني والامر عني مدبر ولو رايتني
والامر علي مقبل لاستعظمت مني ما استصغرت فقال له سليمان اترى
الحجاج بلغ قعر جهنم فقال يا امير المومنين يجيء الحجاج يوم القيامة
بين ابيك واخيك قابضا على يمين ابيك وشمال اخيك فضعه حيث شئت
وقال هشام بن عبد الملك لزيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم
انت الذي تحدث نفسك بالخلافة وانت ابن امة فقال زيد ان الله عز وجل
لو علم بالانبياء الاماء تقصيرا عن ابلاغ الحوار ما جعل اسماعيل من
امة وقد ابتعثه نبيا واخرج منه محمدا صلى الله عليه وسلم وما اعلى

رجل

رجل جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كانت امه امة قال هشام فلم تزوجته
امك بعد ابيك قال طلبت ابنا مثلك فاعجب بذلك هشام وقال اليه ذكر ومال
المهدي لعمر بن يوسف في سفر وقد وقعت بينهما الحمل الذي تجر قال نعم اذا
كل حمله وعادة غلبه ايحمل عاما بعد عام وقال بعض الشعراء على العم بن
موجه فقال له ممن انت قال من تميم قال الذي يقول فيهم الشاعر

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ... ولو سلكت سبل المكارم ضلت

قال نعم بتلك الهداية جئتك فجعل يسأله كيتا كيتا ووطئه احدى امراة
في زنى فكتبه ما على جمل فقال لها بعض المجان كيف خلعته الحجاج فالت يعني
وكانت اشد في الجبل دخوله وقال رجل للجماز ومتى عمرك يا ابا قال مذ
ماتت عجوزك وقال عبد الله بن طاهر لرجل ما بال شرفك معوجا قال عقوبة
عاقبني الله بها لكثرة ثنائي عليك يا ابا كل واجتمع ابو حنيفة النعمان
ابن ثابت وشيطان الطاق ابن ابراهيم بن غالب عند المهدي فقال جعفر
ابن محمد الصادق رضي الله عنه وعن ابائه فقال ابو حنيفة لشيطان الطاق
[illegible] ما اماثلة فقال له ابشر فان امامك كان من المنظرين الى يوم
يبعثون الوقت المعلوم فقال المهدي لقد ذكر فقواضيه وامر له بعشرة الاف
درهم ومازح المتوكل ابا العيناء فقال قد اصبحت كاتبيا حسن الوجه
فقال يا امير المومنين وهل نيل العمى عن مثل هذا قال انا سالتك عما سلف
اذ كنت بصيرا قال نعم رايت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة متغيما رايت اجل
منه ولا الحظ شمائل قال المتوكل تجرك كان مولاي او بجودك كنت مولادا
عليه قال ابو العيناء ونعم عني لسيرا يا امير المومنين اني اذ كنت ادع سواري
وامود على الغرباء قال اسكت يا مابون فقوم منهم قال المتوكل اردت
ان اشتفي منهم به فاشتفى لهم مني وقال رجل لمغنية اشتهي ان اخلط ماذن
ولم قال لا نظر زانية فقالت فكل زانية تختل قال نعم قالت فابدا بي تعول
وجه منك ابعضول لغير خالد بن صفوان الجماز وكان كثير اما يراعيه
ويمازحه وكان الجماز دميما قبيح الوجه فقال له يا ابا [illegible] ما انت بالغ
لما رايته اكبر منه وفهم ابو بكر فقال الجماز وكذا انت يا ابا صفوان

بالنهر فاتت الجنابة له فيها في صفه يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي
الأمين ورأى أبو نواس غلاما جميلا يمشي في بعض السكك فقال له ما تصنع
الحور في الدور فقال الحسن ما تصنع الشفاه بين الحيطان وحضر عمرو بن العاص
عن جنود العدو فجاء إليه رجل حميري وقال أصلح الله الأمير إذا لم تعطنا شيئا
فما نغزو احبوا أم حجارة ندنيا كلوه ولا نبرينه فقال له عمرو اخسأ يا كلب فقال
الحميري إن الكلب كما ذكرت فأنت إذا أمير الكلاب. ومن تحكم في
حكايته: واغتمز المنزل في جوابه ما حكي أن خالد بن الوليد لما فرغ
اليمامة نزل عسكره في قصر منصور الحيرة فقال له قم نبني بقيلة فسألهم أن
يبعثوا إليه رجلا من عقلائهم وذوي أسنانهم فبعثوا إليه عبد المسيح بن بقيلة
فأقبل يدب في مشيته فقال خالد بعثوا إلينا شيخا لا يفهم شيئا فلما وصل
إليه قال أنعم صباحا فقال خالد إن الله أكرمنا بتحية خير من هذه ثم قال له
أين أقصى أثرك قال ظهر أبي قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال علام أنت
قال على الأرض قال فيم أنت قال في ثيابي فقال له تعقل قال نعم وأقيد
قال ابن كم أنت قال ابن رجل وامرأة قال كم أتى عليك قال لو أتى علي شيء لقتلني
قال كم سنك قال ستون وثلاثون قال ما رأيت كاليوم أسأل عن شيء و
تجيبني عن غيره قال ما أجبتك إلا عما سألت قال كم عمرك قال ثلاثمائة وخمسون
سنة فجعل لا يسأله عن شيء إلا أجابه. وقال الحجاج لرجل من الخوارج
أجمعت القرآن قال ما كان مفرقا فأجمعه قال أتحفظه قال ما خشيت
فراره فأحفظه قال ما تقول في أمير المؤمنين قال لعنه الله ولعنك
معه قال إنك مقتول فكيف تلقى الله قال ألقاه بعملي وتلقاه بدمي. وكان
المنصور قد ألزم الناس بلباس القلانس الطوال وأن يعلقوا حمائل سيوفهم
وأن يكتبوا عليها من خلفهم فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وذلك
في سنة خمس وخمسين ومائة وفي تلك السنة ولد الشافعي رضي الله
عنه فدخل عليه أبو دلامة وعليه زي القوم في هذا الزي فقال له كيف
أنت يا أبا دلامة قال كيف حال من وجهه في وسطه وقائم سيفه
في استه ونبذ كتاب الله وراء ظهره فضحك منه وأمر بتغيير ذلك الزي

وماتت

وماتت عبادة بنت عيسى عمة المنصور فخرج في جنازتها أبو دلامة واقفا على
شفير قبرها فقال ما أعددت لهذه الحفرة يا أبا دلامة قال عمة أمير المؤمنين
يؤتى بها الساعة فتدفن فيها فغلب المنصور الضحك حتى ستر وجهه
بكمه. ورآه حبابة من الناس قال فتنتني لا بد زوجني قال أو تحسن أن تقول
قال نعم أقيم أيري وأسره كعهني والحم عاتقي واشرهني فقالت أمه لأبيه
نعم استخر الله عنبط من ابنه قربته رجل فقال له أبو البغم وكان يكنيها
مطبوعا ما حبيا على موسى بن عبد الملك فقال والله ما أعرف هذا فقال والله
إنك لا تعرف به من الزنا بالبوع والغزاة بالردح والعرب بالشيخ والفيصوع
ولكنا فجرت فجر الحبة من العنب فقال أنت أبو البغم قال أنا أبو الغوم
الذي بين يديك فضحك منه وقضى حاجته وتعرض أبو العيناء للمتوكل
والمتوكل مشرف من قصر الجعفري وقد جعل في رجليه قلنسوتين وعلى رأسه خفا
وجعل سراويله قميصا وقميصه سراويلا فقال المتوكل على سبيل الشلنة
فلما مثل بين يديه قال له أنت شارب قال لا بل مقعقعة يا أمير المؤمنين
قال إذا ضع رجلك في الدهم وابعد الموماس قال ضع رجلي حتى
إلا شمه وانغض الذي رأى رجل قال أتراك في قلنسوة ما ثوم ظل بل ما يحل
يا أمير المؤمنين فضحك منه ووصله. ومن ترقى على قبيح بمقالته
فستره بشغل الكلام معالية ما حكي أن رجلا كان له أرض إلى جانب
أرض رجل آخر فكان الرجل يأخذ في كل سنة قطعة منها إلى أرضه فقال
له يوما ما هذا النقصان في أرضي والزيادة في أرضك قال إذا الله مطر الله
يوفيه من نبأ قال فر إلي وثبت العظل وأنا القعقع قال يا أيها
الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم. وسأل بعض الولاة
لم لم تنحر ما أشياء فلم يعهم ما قيل له فقال أسألك يا هذا أخيه بآثار
المشترين ولا تسل سؤال الكلمين أما سمعت قول من الوثني ومبيت
الأحبا يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء. ونظر زعيم يتجافى
امرأة عظيمة فسأنتبع الله إن الله كان غفورا رحيما. وقرأ قارئ في روضة
تحزون فصحفها فقال ما هي مشكاة أم جواري فقال ما أراد وأحبها

ما تشتهي الا بعسر وتلذ الاعين وقال يحيى بن اكثم لشيخ من اهل البصرة بمن
اقتديت في تحليل المتعة قال بعمر بن الخطاب قال يحيى كيف هذا وعمر كان اشد
الناس فيها قال لان الخبر الصحيح اتى عنه انه صعد المنبر فقال ان الله
ورسوله احلا لكم متعتين واني محرمهما عليكم ومعاقب من فعلهما فقبلنا شهادته
ولا نقبل تحريمه وقال ابو العيناء بن حجاج مرضنا جماعة ومعنا العتابي
بينما نحن نمشي اذ تعرض لحاجته فقلت له تجد الله فقال اما لنا ولكم
بالسجل حرمة ولا منه بد الا حشمة بل انكلمه حملا ما يشغل علي وحكى ان
الفضل بن الربيع قال كنت اقرأ كتابا ورد علي والى جانبي رجل فنظر فيه
فقلت له ما تصنع ويحك قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
نظر في كتاب اخيه المؤمن بغير اذنه فكانما تطلع في النار ودنا اشياخ تقرؤونا
فما ردت ان اعرفه اني مكانهم منها فشغلني الضحك منه عن الانكار عليه ولما
قتل الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فأمر الحجاج
الناس ان يجتمعوا الى المسجد ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا اهل
مكة بلغني بكاؤكم على ابن الزبير واستعظامكم قتله الا وان ابن الزبير كان من
اخيار هذه الامة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها اهلها فخلع طاعة الله
واستكن بحرم الله ولو كان شيئا مانعا للعصاة لمنعت ادم عليه السلام حرمة
الجنة لان الله خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته واباحه جنته فلما
اخطأ اخرجه من الجنة بخطيئته وادم اكرم على الله من ابن الزبير والجنة اكرم حرمة
من الكعبة ثم نزل وجلس نحوي الى جانب منبر واعظ فلحن الواعظ فقال
له النحوي اخطأت يا لحنة فقال الواعظ بن نباتة يا النحوي في اقواله
اللاحن في افعاله ما ادراك تاتينا منك اذ انك لا تدري رفعت ونصبت
وخفضت وجزمت فهلا رفعت يديك الى الله في جميع الحاجات ونصبت
بين عينيك ذكر الممات وخفضت نفسك عن الشهوات وجزمتها عن اتباع المحرمات
او ما علمت انه لا يقال يوم القيامة الا كنت فصيحا معربا وانما يقال لك
لم كنت عاصيا مذنبا فلو كان الامر كما زعمت واعظم كما حكيت لكان هارون
اخو بلاغ في رسالته من موسى اذ قال الله تعالى اخبارا عنه واخي هارون هو

رحم الله الحجاج ما اجرأه على الله
قتل خيار من اولياء الله واختتم
بتلك تحريم الله تعزز في كلامه
وقال كلمة الكفر او كاد وطاعه
بعناد رب العباد والغرا قطعه الله
بعد الغفلة واخذ الخزي والنوازل
فكلب امة الغلاجة واسي بعينه

ابيح

أفصح مني لسانا فجعل الرسالة في موسى لفصاحة نيته لا لفصاحة لسانه فالفصاحة
فصاحة الجنان لا فصاحة اللسان ثم انشد

مجازه في الفعال ذو زلل ۞ حتى اذا جاء قوله وزنه
قال ونرى عجبته لفطنته ۞ فيا عجبا للفصاحة باللحنة
فقلت اشغال الذين يغرون غرا ۞ ولا يرى في كتابه حسنه
ما قيل تاه على الشيب هيا عرابه ۞ ان ما حرزونه انه ملتحن
ان كان في اقواله معربا ۞ فانه في فعله يلحن

نظر رجل الى مخنث ينتف لحيته بمنقاشه فقال له اتحب ان يكون هذا
الشعر في استك قال لا فقال له شيء لم تحب ان يكون في استك كيف تحب
ان يكون في وجهك وقيل لمخنث لم تنتف لحيتك فقال الناس له وانت ابطالم له
تنتفها وقيل لمخنث من اي شيء مات الحمار قال الحمار اذا جاع اكل الكنيسة
وروي بعض الثقلاء كان مع غلام اسود فقيل له هذا ابنك فقال الاسود كيف
المشكلة ليس الا هذا ملتبس الحوم سريع الاجابة لا اعرف تربيه فشكه
فيظن انه يبيد وكان رجل عنين امرأته في امها يوما فنساها فقال لها
خرما على خرمه قالت نعم الى ان يجيء من يرفعه وسمع بعضهم يقرأ ودكر اد
اشركيرا ونجا فقال له وحيد انا يعني ودعوا به فقال كلهم يفتكمون
الطرفي عليهم لعنة الله ويحكيه ومن اكثر ما يحكى في هذا الباب انه لما
مات بشر المريسي لم يشهد جنازته من اهل العلم والسنة احد الا عبيد الشونيزي
فلما رجع من جنازته اقبل اليه جماعة من اهل السنة والجماعة يوبخونه
ويعنفونه وقالوا له يا عدو الله لم شهدت جنازة بشر وانت من علماء
من اهل السنة فقال اسمعوا اخبركم انه لما وضعت جنازته قمت في الصف
فقلت بعد التكبيرة الاولى اللهم ان عبدك هذا كان لا يؤمن
بيوم يبعث المؤمنون فيه وقلت بعد التكبيرة الثانية اللهم ان عبدك هذا
كان لا يؤمن بعذاب القبر اللهم عذبه في قبره عذابا لم تعذب به احدا من العالمين وقلت
بعد التكبيرة الثالثة اللهم ان عبدك هذا كان ينكر الميزان اللهم خفف ميزانه
يوم القيامة وقلت بعد التكبيرة الرابعة اللهم ان عبدك هذا كان ينكر

الشجاعة التي لا تشجع بها أقران من غليظ فيمسكوا عنه ويضحكوا منه

الفصل الثالث من الباب السابع فيمن سبق

بذكائه وفطنته الوجود حيلا من فتنته

ينبغي لنا أن نذكر مقدمة ينتج عنها حقيقة ما نحن فيه وتنافيها الغرض الذي
وهو أن الانسان اذا كان ذا ادراك ثاقب وفطنة وقادة ربما تشكل له فيها
خيالات وهمية وأمور حدسية توهم أنها افاضات الهامية خارقات للعوائد
الفعلية كما تعرفه اذا رأى شجاع فاهما عن حرابة عندما رأى ركبت
من المرئيات ما لا يمكن العبارة عنه فكأنه كان ينظر الى خلاله وكذا السمع ايضا
من شوق حيوة الحماقية ربما عرض له كثير يكون ما يحيى من السمعيات كما قلنا في ادراك
حركة النجوم المرئيات فيتغير كمن يسلم تلك الخيالات الفعلية اعتراضا لا قرار
وهو يعلم صاحبه أن انه اجرامها بلا ارادة ثم يكبر عنده عن شيء دون ما يصار
والنجاس من لم يجعل الله له نورا فما له من فتنة كتبعه الى القول بأنه غناء
وحسنت له أن يتحقق بغير صفات الغناء أو يقولون ان الصعادة كانت
متوكلة بأفعال الانسان من حركاته وسكناته متناعرة له في سائر حالاته
حتى انه اذا بلغ تقع تعيرا انتشى ومعنا ما أو شرب الاله وتناعرت
الاحوال تراخى الامال وربما سولت له خيالات شيطانية ان تلك الا
فعال انفعلت بقدرته لا بالقدرة الالاهية فتخرج النفس بذلك ومنها
ثم فعلا فعلا البشرية والحوار الغيبية كما فعل نمرود وفرعون ومن تبعهما
تخييلا نعم النسبة من أصحاب المقالات وأرباب المجادلات وكل منهم عن غير
هواه فاغلة وأغواه وقاده برعوانة الصعب من تفي عن ربه الى اسفل دركات
الشقاء فأما نمرود فانه لما ملك الارض بأسرها وقهر من فيها تحت يد
فهم كفرا بغناء على من يستحقوا بقتل الاحياء وقتل من لا يستحقوا الا بقاء عليه
اماتته فقال أنا أحيي وأميت فبعث الله اليه ابراهيم عليه السلام فحاجه
على دعواه فلما قال له ابراهيم عليه السلام ربي الذي يحيي ويميت اكمعته
نفسه في ملك السماء فجعل التابوت وعلقه على النسور وقصته مذكورة
في كتب التفسير وتمادى به هذا الى أن قال له ابراهيم ان الله يأتي

بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر فلا تبغي لوجهه ربما
فبعث له بقة فدخلت من كمه وتغير لسان التنازع فيها بالعمى والصمم اما
فرعون فانه حمله على ادعاء الالوهية وقال للقبط انا ربكم الاعلى
وقال ما علمت لكم من اله غيري وقال لوزيره هامان يا هامان ابن لي صرحا
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السماوات فاطلع الى اله موسى وانه
عمر اربعمائة سنة لم تصبه فيه حمى ولا صداع ولا وجع ولا جوع مع دعوى
هو انه لا يبلغ وكانت القبط له وانقادوا امر فيهم فاغتر بالامثال
ولا مثال ولا احتمال احتشم اخذ على غرة ولم تقل له عثرة ثم تبعهم فيها ادعياء
واجتراء عليه وساقهم عدم التوفيق اليه فرقة من فرقها لا سلام ادعت الحلول
وزعمت ان روح القدس في اجساد من يقوله نعوذ بالله من ضلالهم تعتقد
وانكار العقول بل الكون الى عالم الفساد بعينه وكيف
ذكر بعض من حمله الشقاء على ان تناسخ الله رداءه فاتسمت بصوته
فصد العبية واعراضه فمنهم المقنع الخراساني واسمه عطاء كان يتبرقع
القناع عن وجهه فلا يرى فيه وكان أعور قصيرا من اهل مرو قيل لهاموي
وكان [illegible] بأوراء النهر ونواحي الصغد وايلاق وقام ابان قيام بلاد الترك
في خلافة المهدي حميد بن قحطبة والي خراسان يومئذ واشتدت شوكته ودامت
فتنته أربعة عشر عاما وكان من أهل معتقد الحلول والتناسخ فادعى
الربوبية في قومه فتابعوه وقالوا بقوله واسقط عن تبعه الصلاة و
الزكاة والصوم والحج وأحل لهم المحرمات في قصة أبا طليبة انه زعم ان الله
تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا حل في ادم ثم من ادم في
نوح ثم الى صورة بعد صورة من صور الانبياء الى أن حل في محمد ثم منه في
علي ثم الى صورة بعد صورة من صور الائمة الحكماء حتى وصل الى صورة ابي
مسلم الخراساني فحل فيها ثم منه اليه وانه محل الربوبية فعبده قومه وقاتلوا
دونه مع عدم [illegible] تكلفه والتزام قومه اليه وجمعهم عليه وانه كان يعمل
ليس عند السحر والنيرنجيات والشعوذة والتزود عبلا من ذهب لئلا يرى
قبح وجهه فكلا يعبرو ولهذا اسمي المقنع فلما امر ابلا بحبه دعواه

الله رب العالمين مع قبح صورته ام اباه من اقربه وقاتله ونه لاعلاء كلمته
يحكى عنه انه كان يقول لمن تابعه انا كنت في صورة بشرية مدة زمن العباد ويكيفون
أن يرونه في صورة الآدمية وقرن انه فيما احتزى مقالوا الدهر بزالي نراى
ويعترون قبر عامهم يوما فلما كان ذالك اليوم وضع له منبرا ووضع
مرآة محرقة وعلقها على راسه وأرخى عليه وعليها سترا ثم اذن لبعض عند
غاب الظهيرة فلما دخلوا رفعوا الستر فوقع شعاع الشمس على المرآة
فاشتعلت نارا واحرقت كل من كان قريبا منها فاحترق بعض وهرب
بعض فقبلوا ان ذالك الشعاع من جهته فزاد فيهم هذا الفعل اعتقادا فيه فلما
تمادى امره رحل اليه المهدي بجيش من بغداد فكانت الحرب بينه وبين جموعه
سجالا فلما احس بالغلبة صنع اخدودا من نار فالقى بنفسه فيه وقيل
بل امر ان يغلى له سكر وقطران ثم القى بنفسه فيه فذاب ولم يبق له اثر فازداد
اصحابه بذالك ضلالا وقالوا انه رفع الى السماء وذالك في سنة ستين
ومائة من الهجرة. وممن كان يقول بالحلول وصرح معلنا باقوال الحلول
الحلاج على ما اثبته العلماء في كتبهم واسمه الحسين بن منصور ويكنى ابا
محمد وابا عبد الله وابا مسعود وابا مغيث قال ثابت بن سنان في تاريخه
الذي ذيل به تاريخ ابي جعفر الطبري كان الحلاج رجلا خبيثا يتنقل في البلاد
يتمخرق على الجهال وكان في اول امره يدعو الى الرضا من آل محمد
ويظهر انه سني لمن كان من اهل السنة وشيعي لمن كان من الشيعة
ومعتزلي لمن يعتقد الاعتزال وكان مع ذالك شعوذيا يستعمل التجارب
حتى استغوى به من لم تحصيل عنده ثم ادعى الربوبية وقال بالحلول وعظم
افتراؤه على الله وكان يزعم انه المغرق لقوم نوح والمهلك لعاد وثمود
وحرك يوما يده فنثر منها دراهم وفيهم ابو سهل بن نوبخت فقال له دع
عنك هذا واعطني درهما واحدا عليه اسمك واسم ابيك وانا اؤمن بك
فقال له كيف هذا وهذا لم يصنع فقال له من احضر ما ليس بحاضر يصنع
ان يصنع ما ليس بمصنوع وقال القوم في نعت الحلاج من ابنه رجلا
جاهلا يتعاقل وعييا يتبالغ وما جرأهم التسمية بتفسير من الغراه

شيئا وكذا من الفقه وله من الحديث وله من الشعر شيئا وكان ظهوره
في سنة احدى وثلاثمائة في خلافة المقتدر فاتصل بعلي بن عيسى
الوزير فناظره واحضر له الفقهاء فسالوه فلم يجدوه يعرف شيئا واسقطه في كلامه
وكشف من فحواه القول بالحلول فامر به فضرب وصلب حيا في الجانب الشرقي ثم في
الجانب الغربي ليراه الناس ثم حبس في دار الخلافة مدة ثم اطلق ثم ظهر في سنة
تسع وثلاثمائة بعد ان دخل الهند وما وراء النهر وبلاد تركستان وخراسان
وسجستان وكرمان وفارس وبلاد الجبل والعراق وكان كثير التلون له في كل
بلد اسم وكنية ولقب يلبس تارة المسوح وتارة المدارعة وتارة الثياب
المصبغة وتارة المركعة والمرقعة وتارة العباءة واشكل حاله على
الناس فقائل يقول ساحر وقائل مشعوذ ومنهم من يثبت له الكرامات لما كان
يظهر عليه من خوارق العادات فلما ظهر في المرة الثانية اخترع جماعة
من اصحاب المقتدر وكان وزيره يومئذ حامد بن العباس مجدا فيه فجاء
المقتدر فتتبعه فعرض خطه على الفقهاء فافتوا بقتله خمسة وثمانون رجلا
فبعثوا بفتواهم الى المقتدر وممن افتى بقتله القاضي ابو عمر محمد بن
يوسف المالكي وهو قاضي القضاة يومئذ وابو العباس احمد بن
شريح الشافعي شيخ الشافعية وابو بكر بن فورك وابو داوود الكلام
فامر به فضرب مائة سوط وقطعت اطرافه وصلب بقية جسده حيا لم يسمع
من فيه كلمة تاوه ثم ضرب عنقه من الغد وهو في بارية واحرق بالنفط
وذري رماده في دجلة فلما فعل به ذالك جعل اصحابه يعدون انفسهم
في رجوعه بعد اربعين يوما وادعى بعض اصحابه انه لم يقتل ولم يصلب
وانما القي شبهه حالة القتل والصلب كعيسى عليه السلام فمما
اورده المؤرخون الثقات من كلامه المستقر عليه قوله انا الحق
وقوله ما في الجبة الا الله وسمع منه وهو يقول يا اله الالهة
ورب الارباب ويا من هو لا تاخذه سنة ولا نوم رد الي نفسي
فلا تفتتن عبادك يا هو انا وانا هو ولا فرق بين انيتي
وانيتك الا الحدث والقدم. وقوله لبعض تلامذته ألم تر الى ربي

كيف صرت من قربه في قربه حتى استهلكني في قربه فلم يبق لي معنا الا معنى الغيوب
وقطعني تلك الصحبة والخلق كلهم احوال ينطقون عن حركتي وقوله انعم الروح
لا وجه معبته اذا انجلى للاحباب والالباب وقال بالحشمة لبيك انت انا يا من
محا وصفه اثبات ارضا في ومن قوله ايضا

سبحان من اظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا ... في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

ومن قوله فيما يعم من عذب نفسه بالطاعة وصبر على اللذة والشهوة وصفا
حتى لم يبق فيه شيء من البشرية حل فيه روح الاله كما حل في عيسى عليه
السلام ولم يكن يريد حينئذ شيئا الا كان كما اراد وكون فعله فعل
الله كان عنوان كتبه الى اصحابه من الهو هو رب الارباب المتصور بصورة كل شيء الى فلان
وكانوا يكتبون اليه يا ذات الذات يا منتهى غاية الغايات نشهد انك المتصور
بما شئت من الصور وانك متصور في صورة الحسين بن منصور الحلاج ونحن
نستجير بك ونرجوا رحمتك يا علام الغيوب سبحان الحليم الذي يمهل
وقد حمل الغزالي كلماته التي تنبو عنها مسامع العقلاء
وتمجها مسامع العلماء محملا حسنا وتاولها تاويلا مرضيا وقال هذا
من كلام المحبة وشدة الوجد ذكره في كتابه المسمى مشكاة الانوار
والله تعالى عالم الاعلان من امره والاسرار وكان مقتله يوم السبت
لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ٣٠٩ وممن جاء في ايام الراضي بالله محمد بن علي
الشلمغاني المعروف بابن ابي العزاقر بالغين المعجمة وكان غاليا
في التشيع يقول بالتناسخ والحلول ويزعم ان الله تعالى حل في كل انسان
على قدره وان كل من احتاج الناس اليه فهو الاه وبهذا المعنى يستوجب
كل احد ان يسمى ربا وكان الواحد من اصحابه يقول انا رب فلان وفلان رب
فلان حتى يقع ذلك انتهاء الى ابن ابي العزاقر فيسمى رب الارباب كان
مواظبا على مذاهب الغالية وخلع ربقة الاسلام وصلب معه ابراهيم
ابن ابي عون الكاتب وابن الفرات وابنه المحسن والحسين بن القاسم

وعبد الله

وعبد الله بن سليمان بن وهب فوشى بهم الى الراضي فاحضرهم وكان الحسين
بالرقة فسألهم عما رفعوا به فانكروا فامر ان يحمل ما في بيت ابن ابي العزاقر من
الاوراق فوجدوا خط الحسين وابن ابي عون يخاطبانه بالالاهية
فامر الراضي ابن ابي عون ان يصفع ابن ابي العزاقر فلما تقدم تزايدت الحمى
رعشة في يده وقبل لحيته وراسه فقبلها وقال استغفرك يا الهي وخالقي
ورازقي فقال الراضي لابن ابي العزاقر اليس قد انكرت ما نسب اليك من ادعاء
الربوبية فقال والله ما امرته بذلك فامر الراضي بهما فصلبا جميعا
ثم قتلا واحرقا وبعث الى الحسين من قتله بالرقة وذلك في ذي القعدة
سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة ومنهم من ادعى بالدعاوى النبوة من نفي
معنى ختمه للنبيين من غير للعوام تنبيا ولم يرتكب هذا المحظور
والمتكلم فيه صفوة الجهول بعد ما نسخ نور صبح الرسالة ظلام الشرك
وتقشع ليل الضلالة مسلمة بن حبيب وقيل مسيلمة بن ثمامة بن اثال بن
حبيب بن حنيفة بن لجيم وكان صاحب نيرنجات وهو اول من ادخل البيضة
في القارورة قاله ابن قتيبة وسجاح ابنة الحارث بن ابي يربوع تنبات
وزعمت ان الوحي ياتيها وتابعها كثير من العرب ورؤساء الجزيرة قال
ابن ابي الخصال في كتاب انواع ... كان من حديث سجاح التميمية
انها بنت سويد بن عقفان بن اسامة بن العنبر بن يربوع وانه لما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر رضي الله عنه تنبات
سجاح وخرجت من تغلب فتبعها منهم ومن النمر ابن قاسط واياد خلق
كثير فسارت بهم الى بلاد بني تميم فقالت ... منكم والملك ملككم
ومن بعثت نبية فقالوا لها مرينا بامرك فقالت ان رب السحاب والتراب
يامركم ان تجهزوا الركاب وتستعدوا للذهاب حتى تغيروا على الرباب
فليس دونهم حجاب فسارت بنو حنظلة الى بني ضبة وهم الرباب
وسارت سجاح ومعها بنو تغلب والنمر واياد الى حي تميم ولما بلغها
حديث مسيلمة قالت لهم عليكم باليمامة وزعموا ان صاحب اليمامة
فانها دار ثمامة تلقى مسيلمة بن ثمامة فان كان نبيا فهو النبي علامة

وإن كذابا يلقونه الكرامة فإنما نحن مراغمة ولم يلحقكم بعد منا ملامة
فخرجوا وتبعها عطارد بن حاجب وعمرو بن الأهتم وذكر فرعون بن حابس وشبيب
ابن ربعي وغيرهم من سادات العرب حتى نزلوا باليمامة فلما بلغ مسيلمة
مسيرها إليه بمن معها خافها وهابها وأمره لها ثم أرسل إليها يسألها
بيتا منها على نفسه فأذنت له في الدخول عليها واستنجها إليها
وأمر بأربعين من بني حنيفة وكانت راسخة في النصرانية فجاء مسيلمة
لأصحابه أمر بوالها قبة وجمر ومنا لعلها تذكر الباءة فجعلوا وأوردوا
حول القبة أناسا منهم المحراسة فلما دخلت عليه وحدثته وحادثها
قالت ما أوحي إليك قال أوحي إلي ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج
منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى قالت ثم ماذا قال أوحي إلي أن الله
خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن غرا إيلاجا
إيلاجا ثم نخرجها إذا شئنا إخراجا فينتجن لنا سخالا إنتاجا قالت
أشهد أنك نبي فقال هل لك أن أتزوجك فيقال أكلت بقومي وقومك العرب قالت
نعم فقال ألا قومي إلى النيك فقد هيي لك المضجع فإن شئت ففي البيت
وإن شئت في المخدع وإن شئت سلقناك وإن شئت على أربع وإن
شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع فقالت به أجمع فهو للشمل أجمع
صلى الله عليك قال كذلك أوحي إلي فأقامت عنده قليلا ثم انصرفت
إلى قومها فقالوا لها ما عندك قالت وجدته على حق فاتبعته وتزوجته
قالوا فهل أمهرك شيئا قالت لا قالوا ارجعي إليه فقبيح بمثلك أن ينكح
بغير مهر فرجعت إليه فلما رآها قال لها ما لك قالت أمهرني
مهرا قال من مؤذنك قالت شبث بن ربعي الرياحي فقال علي به فلما
جاء قال إني قد وضعت عنكم صلاة الغداة وصلاة العتمة وجعلت
ذلك مهرا لسجاح فنادى في أصحابه إن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد
وضع عنكم صلاتين مما أتاكم به محمد صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة
فكان عامة بني تميم لا يصلونهما وكان مما شرع لهم من أصاب ولدا ليس
امرأة لا يعود أن يأتيها إلا أن يموت الولد وحرم النساء على

وفي ذلك وفيه في سجاح يقول قيس بن عاصم المنقري

أضحت نبيتنا أنثى يطيف بها ... وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا
فلعنة الله والأقوام كلهم ... على سجاح ومن بالإفك أغوانا
أعني مسيلمة الكذاب لا سقيت ... أصداؤه ماء مزن حيثما كانا

وسجاح هذه أسلمت فيما بعد وحسن إسلامها ولما تبعته العرب وارتدت
بعث إليه أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد إلى اليمامة فقاتل بني
حنيفة واستشهد خلق كثير من المهاجرين والأنصار وانهزم مسيلمة
ومن بقي معه فأدركه وحشي بن حرب فقتله ووحشي هذا هو الذي قتل
حمزة بن عبد المطلب يوم أحد ووحشي يقول كان من قال بعد قتله لمسيلمة
يا معشر العرب إن كنت قتلت أحب الخلق إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقد قتلت في هذا اليوم أبغض الخلق إلى الله فمن ذا بتلك
وكان خروج مسيلمة لعنه الله في آخر سنة عشر من الهجرة قبل حجة
الوداع وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك أما بعد فإني
قد أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن
قريشا قوم يعتدون أي يجحدون فلما قدم كتابه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتب إليه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة
الكذاب لعنه الله السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وكان كاتب مسيلمة نجم
عمرو بن الجارود وكتاب النبي صلى الله عليه وسلم بخط أبي بن كعب ذكر ذلك
ابن عبدوس الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب ثم كان من ادعى ما ذكرناه
النبوة وتنبأ وزعم أن الوحي يأتيه الأسود العنسي واسمه
عبهلة بن كعب بن عوف وكان يلقب ذا الخمار بالخاء المعجمة لأنه كان يخمر
وجهه أبدا وقيل بالحاء المهملة لأنه كان له حمار يقول له اسجد فيسجد
وابرك فيبرك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من حجة الوداع
توعك فبلغ ذلك العنسي فادعى النبوة وكان يعرف شيئا من
الشعبذة والنيرنجيات ويريهم عجائب فتبعه مذحج وأهل نجران

فاخرج فأخرج منها عمرو بن حزم وملكها ثم قصد صنعاء فخرج اليه شهر بن باذام
فقاتله فحاربه فقتله وملك صنعاء وغلب على الكتائب من عدن الى التهائم في
فاستفحل أمره فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى من باليمن
من المسلمين ان اقتلوا الاسود العنسي اما مصادمة واما غيلة وكان باليمن
قوم من الفرس يسمون الابناء اسلموا مع باذان وكان عاملا للفرس على اليمن
فلما اسلم ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وأقره عليها فلما
مات ولى النبي صلى الله عليه وسلم بلاد اليمن على جماعة من اصحابه وكان الاسود
لما قتل شهر بن باذام وملك صنعاء استنكح زوجته فاتفق الابناء معها على
قتله اغتيالا فدبرتهم على الكيد وواعدتهم على ليلة ودلتهم على مكان ينقبونه
فدخلوا منه الى مضجعه فوجدوه قد سكر ونام فوثبوا عليه فسمع الحرس خوارا
فقالوا الى زوجته ما هذا فقالت ينزل عليه الوحي فلما قتلوه خرجوا فصاحوا بـ
شعار الاسلام فوثب المسلمون من كل جانب فقتلوا خلقا كثيرا ممن كان معه
ورجع العمال الى اعمالهم وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافى
الرسول المدينة فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات قال عبد الله بن
عمر اتانا الخبر من السماء او وحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليلة التي
قتل فيها فقال قتل العنسي فقيل من قتله قال رجل مبارك من اهل بيت مبارك
قيل من هو قال فيروز فاز فيروز وفي صبيحة تلك الليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت مدة العنسي من اوله الى آخره ثلاثة اشهر وهو اول متنبي كان في الاسلا
م ومنهم من ثقيف بالشي المختار بن ابي عبيد الثقفي وكان ممن يطلب
ثار الحسين عليه السلام وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار
رافضيا في كلامه ثم تنبأ وزعم ان جبريل يأتيه بالوحي فلما بويع عبد الله بن
الزبير بالخلافة بعث أخاه مصعبا الى العراق فقاتل المختار فقتله وقتل معه
خلق كثير ممن تابعه وذلك في سنة سبع وستين ومن غلاة الرافضة البيانية
أصحاب بيان بن سمعان زعم بيان هذا انه اسري به الى السماء وان الله تعالى ناداه
وأجلسه معه على العرش ومسح رأسه وقال له انطلق فبلغ عني وكان يزعم
انه البيان الذي ذكر الله في كتابه العزيز بقوله هذا بيان للناس وهدى ورحمة

بلغ

وادعى

وادعى انه يدعو الى الذي يحييه وينزل اليه من السماء وانه روح الله وكلمته وكان
عبد الله بن خالد القسري حين كان عاملا لهشام على العراق فأخذه وصلبه ومن غلاة
الرافضة المغيرية بن سعيد العجلي كان في الابتداء يقول بامامة محمد بن عبد
الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب فلما استتب أمره في الروافض ادعى
النبوة وزعم انه يعلم اسم الله الاعظم الذي يحيي به الموتى ويهزم به الجيوش
فأخذه خالد بن عبد الله القسري وصلبه وعارض القرآن فاتى به خالد فقال له
ما تقول قال عارضت القرآن قال فبماذا قال يقول الله تعالى انا اعطيناك
الكوثر وتلا السورة الى آخرها وقلت انا اعطيناك الجماهر فصل لربك وهاجر
ولا تطع كل ساحر فضرب رقبته وصلبه فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده
على الخشبة وقال انا اعطيناك العمود فصل لربك من عود وانا ضامن لك ان لا
تعود ومنهم في ايام ابي مسلم بهافريد المجوسي وكان من قرية من اعمال نيسابور
في الصين فاتى من كم قميصا فلبسه فنهض الى جبل فاختفى فمكث فيها سنة ثم
نزل لابسه وادعى انه كان قد صعد الى السماء وانه نبي فتبعه خلق كثير وشرع سبع
صلوات وحرم الميتة وتزويج الام والاخت وبنات الاخت وبنات الاخ وشرائع
تخالف دين المجوسية وفرض عليهم السبع في الاموال وحظر ان يتجاوز بالمهر
اربعمائة درهم فاجتمع موابذة المجوس الى ابي مسلم وقالوا هذا قد افسد علينا
ديننا ودينكم فانفذ اليه ابو مسلم من اخذه وقتله وصلبه ومنهم ابو الطيب احمد
ابن الحسين الشاعر المعروف بالمتنبي في بادية السماوة ونواحيها فتبعه قوم من بني كلب
وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيد فقاتله واسره وشرد من
كان اجتمع عليه وحبسه مدة طويلة فاعتل وكاد ان يتلف فسئل في امره فا
ستتابه وكتب عليه وثيقة اشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى
الاسلام وانه تائب منه ولا يعاود مثله ومنهم حائك بالكوفة واحل الخمر فقال
رجل لابن عباس ذلك فقال لا يقبل منه حتى يبرئ الاكمه وكان من جاء به
الى الكوفة فاستتابه فأبى ان يتوب او يرجع فأتته امه تبكي فقال لها اسكتي
ربط على قلبك كما ربط على قلب ام موسى واتاه ابوه فسأله ان يرجع فقال له
تنح يا آزر فأمر الوالي بقتله فقتل وصلب ومنهم من زعم ان القرآن انزل عليه

ومن فرقة تسمى الروافض من ادعى النبوة في زمن خالد بن عبد الله
وعمل زمن

جزى الله قوله والنجم السيار والفلك الدوار والليل والنهار إن الكلام فيه أخطار
فامض على السبيل المستبين وقف أثر من قبلك من المرسلين فإن الله قامع بك من
ألحد في دينه وأضل عن سبيله ومن الله قوله إنا أرسلناك رحمة للعالمين تسعى
وفضلناك على النبيين جميعا وآتيناك من الآيات خمسا وتسعا وإنا لنعلم أنهم
يقولون وما ماحية رب العالمين إنه رسوله من الآن مبين فلينظر العاقل
إلى هذا الكلام الغث كيف هو خال من جميع أنحائه إلى التنزيل وما ذاك
يكفي معجز القرآن وأن الإنسان لا يقدر أن يأتي بآية منه ولو استفرغ كل
لسانه ومن نظر إلى شعر المتنبي الذي أعجز الناس أن يأتوا بمثله وكلامه الذي
أراد فيه مثل كلام الله تعالى وفضله علم أنه من التعجيز وأنقص من عرف الكلب العقور
ومنهم من ادعى أنه الإمام المنتظر فظهر منهم بين أنقع في العراق فيما ظهر
ثم في شوال سنة خمس وخمسين ومائتين ظهر في البصرة رجل ادعى أنه علي بن
محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن حسين بن علي بن أبي طالب واستمال الزنج الذين
يعملون في السباخ في نواحي البصرة والعجم في مواليهم ووعدهم أنه يملكهم ما
في أيديهم فاجتمع له منهم خلق كثير ومن غيرهم وعبر دجلة ونزل قرية تسمى الديانية
وزعم أن سحابة أظلته ونودي منها اقصد البصرة فتملكها وأنه يطلع على ما
في ضمائر أصحابه وما يفعل كل واحد منهم فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة
صلى بهم وخطب لهم وذكر لهم ما كانوا فيه من الشقاء وسوء الحال وأن الله أنقذهم
من ذلك وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال وشن بهم الغارات
على الكور وبلاد العراق فأجلى أهل الضياع منها واستعمل الأمر وحصر البصرة
فملكها سنة تسع وخمسين وقتل فيها من الرجال والنساء والصبيان وأحرق
المسجد الجامع وبنى مدينة على شط دجلة وحصنها بالأسوار والخنادق
فانتدب إليه العساكر من بغداد برا وبحرا فكانت الحرب بينه وبينهم سجالا إلى
أن كانت الدائرة عليه في صفر سنة سبعين ومائتين وكانت مدته خمسة عشر سنة
ونسبه الذي ادعاه لم يكن صحيحا والصحيح أن اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه
في عبد القيس وكان ظهوره في أيام المهتدي وقتل في أيام المعتمد على يد أخيه الموفق
ثم في أيام خلافة المعتضد سنة ثمان وسبعين ومائتين بقرية من سواد الكوفة

رجل أحمر العينين يسمى كرمية فاستثقلوا اسمه للخفة فخففوه قرمطا وقالوا في مكانه
يظهر الزهد والتقشف وكثرة الصلاح فاجتمع إليه أهل القرية وعظموه فلما تمكن
منهم أعلمهم أنه الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم في قوله سيخرج لكم من أهل
بيتي رجل اسمه كاسمي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا فلما آن لهم أمرهم أن
الصلاة التي فرضت عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة فشكوا إليه كثرتها
وأنها تعطلهم عن أشغالهم فسوفهم أياما ثم أتاهم بكتاب يقول فيه يقول الفرج
ابن عثمان أنه المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو محمد بن الحنفية وهو
جبريل وذكر أن المسيح تصور له في صورة إنسان وقال له إنك الداعية
وإنك الحجة وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك روح القدس وإنك يحيى بن
زكرياء وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل الفجر وركعتان بعد الغروب
وأن الأذان في كل صلاة أربع تكبيرات ويتشهد مرتين ثم يقول أشهد أن آدم
رسول الله وأشهد أن نوحا رسول الله أشهد أن إبراهيم رسول الله أشهد أن موسى
رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله
ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة يوم المهرجان ويوم النوروز وأن النبيذ
والخمر غير حرام ولا غسل من جنابة ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو مخلب وأن القبلة إلى
بيت المقدس ويوم الجمعة يوم الاثنين ويشترك في الحرابة جماعة من الرجال أجابه
زهاء من عشرة آلاف رجل واتخذ منهم اثني عشر نقيبا وقال لهم أنتم كحواريي عيسى
ثم إن هذا المشرع النكد اختفى وأقام رجلا يعرف بابن الفوارس واسمه خلف بن
عثمان داعيا لمذهبه فتعطل على المعتضد الخراج من سواد الكوفة ونقضوا
أيديهم من الطاعة وشقوا العصا فجهز المعتضد إليهم عسكرا فيه أحمد بن محمد الطائي
في عشرة آلاف فارس فظفر بهم وقتل أكثرهم وأخذ ابن الفوارس أسيرا
وحمله إلى المعتضد فأمر به فقطعت أضراسه وخلعت أعضاده ثم قطعت يداه
ورجلاه وضربت عنقه وصلب بالجانب الشرقي سنة سبع وثمانين ومائتين وفي ثاني
ربيع الآخر من هذه السنة مات المعتضد وله من العمر سبع وأربعون سنة وكانت
مدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر وأياما ثم قام فيهم آخر يسمى علي بن عبد الله
يعرف بالمعزول فعاث في بلاد الشام فسادا وربعا وأخرب مدنا وقرى كثيرة

وكان بينه وبين طغج بن جف الفرغاني المعروف بالاخشيد صاحب مصر حروب فقتل
في بعض الحروب قرب دمشق سنة تسعين ومائتين وكان يسمى صاحب الجمل فقام بعده اخوه
وتسمى احمد ويلقب بذي الشامة لشامة كانت في وجهه واقام لدعوته ابن عمه يسمى المدثر
المدثر وزعم انه المذكور في القرآن وكان ابن عمه ويسمى المطوق وكان غلاما
له فاشتهرت في الجهاد شوكته وسلطته على العباد فتكته وسار الى دمشق
فصولح عليه بمال ثم رجع عنها في سنة تسعين وكانت عادته اذا فتح بلدا عنوة
قتل من فيها من الرجال والنساء والصبيان والبهائم فضاق السلطان به ذرعا فبعث
فاستغاثوا بالمكتفي فجهز لهم جيشا عظيما وقدم عليه الحسين بن حمدان والقاسم بن
عبيد الله الكاتب وامر الجيش بالسمع والطاعة له فتوافقوا في شهر المحرم سنة
احدى وتسعين فانهزم واسلم من كان معه وقتل اكثرهم وهرب معه المدثر والمطوق
والجاتم الى الرحبة والكوفة القريبة من اعمال الفرات تسمى الدالية فلما كان بعد
اهلها واستعجلوا اخذهم عن امرهم فحبسهم في كلامه معروف حتى اخذوا فاخذوهم
متوليهم وحملهم الى المكتفي وكان بالرقة فدخل بهم الى بغداد ثم دخلها وهم معه
من الاسرى في شهر ربيع الاول وامر ببناء دكة عالية بالمصلى العتيق ارتفاعها عشرة
اذرع ثم اصعدوا اليها فقطعت ايديهم وارجلهم من خلاف ثم حزت رقابهم ثم
ابراهيم بن يزيد ثم امر بالقرمطي فضرب مائتي سوط وكويت خواصره ثم قتل
وصلب على الجسر ثم اعقبهم ثم قام فيهم رجل يسمى زكرويه في سنة ثلاث وتسعين
ونعت نفسه بالمهدي فقطع الطريق على الحاج ونهب القوافل وقتل اهلها وفي
سبا من فيهم فبعث اليه من بغداد جيشا فحاربه بذي قار وهو موضع بين الكوفة
والبصرة فانهزم واخذ اسيرا جريحا في شهر ربيع الاول سنة اربع وتسعين
فحمل الى بغداد فمات في الطريق في شهر ربيع الآخر فدخلوا به ميتا فصلب
على الجسر الاعظم ثم قام فيهم رجل يسمى علي بن شبيب ويعرف بالمبرقع فجمع وبه
فانهزم واخذ اسيرا وادخل بغداد على جمل وضربت عنقه ثم قام فيهم ابو سعيد
الحسن بن يوسف بن كورة وكان القيام بالبحرين فقتله خادم له صقلبي في سنة
عشر وثلاثمائة فقام بعده سليمان بن الحسن الجنابي فعاث في البلاد واسر وقصد
مكة شرفها الله تعالى فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة

المعتزين فقتل من وجد من الحاج في المسجد الحرام ورمى بالقتلى في بئر زمزم وعرى
الكعبة وقلع بابها واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم اثنين وعشرين سنة ثم رد
مكسورا على يد سنان بن الحسن بن سنان في خلافة المطيع سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة
ونصب في مكانه يوم النحر من السنة المذكورة وكان بجكم الرائقي بذل لهم فيه خمسين
الف دينار فابوا وكان موت سليمان بالجدري في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة
ثم لما دخل المعز لدين الله مصر بعد اخذ جوهر لها وذلك في سنة اثنين
وستين وثلاثمائة في ايام المطيع قصد القائم فيهم يومئذ رجل يعرف بابن غزوان
فخرج اليه جعفر بن فلاح فاستخف بالرملة فقاتله فهزم عسكره وقتله في
سنة تسع وستين وثلاثمائة ثم قام فيهم رجل يسمى حسن ويعرف بالاعصم فملك
الشام واخرج منه عمال المعز فانتهى الى مواليه بني بويه وتبعهم الى مصر وملك الصعيد
الادنى واسفل الارض ووصل الى مصر ونزل بعسكره عليها يوما وليلة
فخرج اليهم القائد جوهر فاقتتلوا اقتتالا شديدا وقتل من العسكر خلق كثير
وذلك في يوم الجمعة غرة ربيع الاول سنة احدى وستين وثلاثمائة ثم اجتمعوا
وتركوا الحرب يوم السبت ورجعوا يوم الاحد وهم واعتدوا بالخيل فلما التقى
الجمعان اعطى الله النصر لعساكر القائد جوهر وانكشف القرامطة بالانهزام
وساروا الى الاحساء على نية العود اليها والى الشام فوجه جوهر ابن حمدان فرحلوا
شعابه واوديته ورجعوا ابن هؤلاء عن الرمي والموت ولم يجمع الله للاعصم على شيء
عمال السلطان شملا ولم يبق له بعد ذلك ما يذكر وكان معلنا ونفى الصحابة
في البلاد ايضا سبا واستخرج منه الرومي ما كان نهب وسبا وكانت مدة دولتهم
ستا وثمانين سنة ومن الذي ذكرناه يشترك في القول به اصحاب الاراء والمقالات
انما هو في عشر الجملة لان كاصحاب النحل والملل المتمسكين بارائهم مع ما
فيها من الفساد والعلل كالمعتزلة والحشوية وغلاة الرافضة الذين يدعون
في علي الالوهية فشابه النجوم الاسلامية كل منهم قد الحط الله على علم غيبي
الفرقة الناجية التي هي نحو النصف نصف لانه باتباعهم الحق راجية
فنعوذ بالله من الغواية بعد الهداية ومن الحور بعد الكور ومن
الانكار بعد الاستبصار انه سميع قريب ثواب مجيب والمين والمين

الباب الثامن في التطفل وفيه ثلاثة فصول الفصل الأول
هذا الباب في ذم البلادة والتغفل منه والتغالي والتثقل

ومعنى التطفل أنه التسلك في الوسيلة والتقرب إلى المطلوب مع صحة النفس بالتغفل
منصوص صحيح وقد كثر سلوكه التقرب بأسر ورغبته في الوصول إلى الغرض غير مهجة كما
قال بعض الحكماء إذا تغير تعالى الزمن قل على الإنسان مراده احتجاجه وكثر إليهم احتياجه
وتساورته ألسنة الشكوك واشتبهت عليه مناهج السلوك وقالوا التطفل
تحب الشيء من موضعه مع التيقظ إلى أنه صواب كما ذكر أن أحمد بن أبي خالد عرض
القصص يوما بين يدي المأمون من رقعة مكتوب عليها فلان اليزيدي فصحفه فقال
الثريدي فصحفه فقال يا غلام ثريدة ضخمة لأبي العباس فإنه أصبح جائعا فخجل
أحمد وقال ما أنا جائع يا أمير المؤمنين ولكن صاحب هذه الرقعة أحمق وضع
على يائه ثلاث نقط كأثافي القدر فقال المأمون دع عن هذا فإن الضعف
تشوه الزور والجوع اضطرك وحملك على ذكر الثريد حتى بلغت بأن احتشم أحمد
من أكله فقال له المأمون بحقي عليك إلا ما أكلت منه فترك القصص ومال إلى
الصحفة وأكل منها قليلا ثم دعا بالماء وغسل يديه ورجع إلى القصص فمرت
رقعة عليها مكتوب فلان الحمصي فقرأ الخبيصي فضحك المأمون وقال يا
غلام جام خبيص فإن غذاء أبي العباس كان أبتر فخجل وقال يا أمير المؤمنين
صاحب هذه الرقعة أحمق من الأول فتح الميم فصارت كأنها سنان فأدخل
عنده هذا فلولا حمق هذا وطيبة الأول مت أنت جوعا فأتى غلام
خبيص فأتي إليه فأكل منه حتى استحيا فقال له المأمون بحقي عليك إلا ملت
نحوه والكلت فانحرف إليه وأكل منه ثم غسل يديه وانصرف إلى القصص وأمر
في قراءتها وتثبت في حروفها فجاء من حرفها منها حتى أتى على آخرها
ومما غربت من مزاح المتغفلين فما أحسن وراءه ذرا ضمنتها أمراقه
منزلة الأكل وزاد وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى كيسان مستمليه ومن أملى
عليه شيئا فعجز عن إدراكه فقال والله ما فهم ولو فهم لوهم وقال الجاحظ
كان كيسان مستملي أبي عبيدة يكتب غير ما يسمع ويستملي غير ما يكتب
ويقرأ غير ما يستملي أمليت عليه يوما عجبت لعشق عروة بعفراء أبا عمرو مكتب

أبا بشر واستملاه أبا عمرو وقرأ أبا حفص وسأله أبو عبيدة عن رجل من شعراء العرب
ما اسمه فقال هو خراش أو حراش أو خماش أو رياش أو شيء آخر واكتبه من شيبا
فقال له أبو عبيدة من أين علمت أن نسبه في قريش فقال رأيت الكتاب
الثنيات عليه من كل جانب ونقل الجاحظ عنه أنه شهد على رجل عند بعض
الولاة فقال سمعت بأذني وأشار إلى عينيه ورأيت بعيني وأشار إلى
أذنيه أنه أمسك بتلابيبه هذا وأشار إلى كمه وما زال يضربه خاطرته
وأشار إلى ركبته فضحك الوالي وقال العتبي قرأت كتابا خلوا كأنه
تملى الأمعي فقال نعم من تيسر ومن بعض البلغاء يوما فقال كم يفهم وكم
يفهم وينتفع شائبهم وكم يعلم وكم يتعلم وينتفع من يتعلم وسأل أبو
عون رجلا عن مسألة فقال له على الخبير بها سقطت سألت عنها أبي فقال سألت
عنها جدك فقال لا أدري وقالوا فلان يسمع غير ما يقال ويحفظ غير ما يسمع
ويكتب غير ما يحفظ ويقرأ غير ما يكتب وقالوا فلان ذو وجه يحكي عجيبا
عن تأمل العواقب وتجربة حمقاء عن تشابه الأمور وقال الشاعر يهجو رجلا
جاهلا

جهول غاص في جهل وشحم ... ولم ينسب إلى عقل وفهم
إذا أبصر البياض يقول قطن ... وإن أبصر السواد يقول فحم

قال ابن شبرمة لرجل حاكم غرناطة عنده مثل الجن بجنته أنت والله محبة خلطه
وسلام عروك وضريبة فرنكه ونقطة في عوده أملته وما أظهر من شال

تم له ما تم من حشمته ... حتى إذا ما بلغ العقل
أدركه الحرمان من ربه ... سبحانه من حاكم عدل

وممن تغافل فيه عن إدراك الصواب الباقي فتكلم ولم يزد فسأله القاضي
والباقي أحمد بن الخصيب وزير المستنصر ووزر أيضا للمستعين بالله أبو
العيناء كنا بأبي جذمه حكى فيه أن جماعة من الفضلاء اجتمعوا في مجلس
وكل منهم يكثر في ابن الخصيب لما كان فيه من الغرامة والجهالة والتغفل
والتغفل فيتجاذبون الكلام السلج في ذمه فقال علي بن بسام كان في جملة
فطام الغفلة وسعة ما ضل الحلمة وقال فيه الرابض لو كان ذا ابة
لتغاضى في عنانه وجرى في ميدانه وقال جعفر بن عبد الواحد أحسن

حسناته سيئة وأصغر سيئاته كبيرة وقال سهل بن ابراهيم لو تأمل رجل أعماله فيما
يجتنب لا ستغنى عن الاعتذار بطلبه وقال ابن أبي الشوارب يحب المحسنين
ويجتنب أفعالهم ويجزع السيئين ويرتكب أعمالهم وقال علي بن عبيدة لكل أول
يرجع إليه وكل آخر يعول عليه وكل عقل يحض على عمل يعترضه بريبه وقال يحيى
ابن خالد أزحف في الشباب وعقل في الشراب وقال آخر لو غابت عنه العافية
لنسيت وقال آخر كنت إذا وقع نعيه في سمعي أحسنت الفطنة في عقلي
وقال بعض كتابه كنت أرى ملء ابن الخصيب يكتب بلا يعجب وقوله لا هو يتوك
عجيب وقال ابراهيم بن العباس كنت يوما عنده فقدم الطعام وفيه ميلون
ما كنت عليه فقلت له ادراك راعنا في الميلوه فقال بلغني أنه يزيد في الباه يعني
الباذنجان وسئل عنه أبو العيناء فقيل هذا التصحيف فقال أنا دون منه
غيرك وإن بعوث عند ضرك فضيلته لا تنفع ومؤونته لا تفي وكان ابن الخصيب
إذا أنا كتب شغب وجلب وربما رجع من ناظره إذا أحجم عن الجواب وضاع عنه
الصواب واستولت عليه البلادة وعري كلامه من الإجادة وفيه يقول محمد
الفضل: قل للخليفة يا ابن عم محمد … اشكل وزيرك إنه ركال
فراجم المتكلمين مخافة … منه وقالوا ما نروم محال
ما دام مطلقة علينا رجله … أو دام للنزق الجهول مقال
فرنال من أعراضنا بلسانه … ولرجله عند الصدور مجال
أشغله عن ركل الرجال فإن ترد … مالا بعنق وزيرك الأموال
وحكي عنه أنه رأى جرادا كثيرا يطير فقال لجلسائه لا تغتنموا أن أحسبه كله
ميتا وفيه يقول بعض الشعراء يصف قوله من أبيات
حمار في الكتابة يدعيها … كدعوى آل حرب في زياد
فخل عن الكتابة لست منها … ولو لطخت ثوبك بالمداد
وقد هجاه أبو العيناء أشد من هجو الزيات فغلب هذا المعنى فقال
تعيش أن ما تعز أثر بحاجب … وتمحو رسوم الخط والآداب
وأتي بكتاب لو انبسطت يدي … فيهم رددتهم إلى الكتاب
جبل من الأنعام إلا أنهم … من بينهم خلقوا بلا أذناب

لا يعرفون

إلا يعرفون إذا الجريدة جردت … ما بين عيابه إلى عتاب
أو ما ترى أشبر جوهر قهرقل … متشبها بالاجلة الكتاب
لا ذكر يجزى السلام كقولهم إذا … ما احتيج منه إلى جواب كتاب
فإذا اتاه سائل في حاجة … رد الجواب له بغير جواب
وسمعته من رث الكلام وغثه … وقبيحه بالفحش والإغراب
تكليفه أهل منطق من بغي العلا … ما كنت تعلقه من بقوات
وقال بعضهم يهجو كاتب خراج وسلك فيه الطريق والزم منهاج
لو قيل كم خمس وخمس لا رتئا … يوما وليلته يعد ويحسب
ثم يقطلنه السماء مفكرا … ويخط برسم في التراب ويكتب
ويقول معضلة عظيم أمرها … ولئن خبت إني لفي أعجب
حتى إذا أخرت أنا مل كفه … عدا وكادت عينه تتصوب
أوفى على نشز وقال الا اسمعوا … من كان من كتابها أجروا سلب
خمس وخمس ستة أو سبعة … قولان في قال الخليل وثعلب
فيه حكاية كاتبين ومن أصب … لا كن منتسبا أصح وأصوب
ونحو ذلك الحساب فيها كثيرة … وأكثر ما فيه لا يكتب
من كان صوابه من غير اعتماده وخطأه بعد ترو واجتهاده شجاع بن القاسم
كاتب أوتامش التركي وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يفهم وإنما علم علامات
كان يكتبها في التوقيعات قال الحسن بن مخلد كنت يوما عند المستعين ومعنا
أوتامش إذ دخل شجاع بن القاسم ومعه أوتبلة فمرح من فرحته حتى وقع
على فرمه وهو يستحبه ويدرسه فقال له المستعين ويحك يا شجاع ما هذه
الحالة فقال الشافعة يا سيدي أسيء كلب فجرقت سراويله وثيابه
فضحك المستعين وقال لا وتامش لو اتخذته من الكتاب أجود فهم مما مثل
هذا ينبغي أن يستعمل في الكتاب ومن كتب كهي نعم ما يخبر عنه أن أعرابيا
قال عمل شعرا مختلف القوافي ولا معنى له ملا يليق بعمه وعمله
شعرا ذلك فضحك من إخوانه ووقفت ابنه وقال ابنه لي الوزير ليس
الشعر صناعتي ولا كان لحقت أن ليس أهلا فلا وجب على شكرك

فعملت ابياتا امدحه بها فيتفضل بما فيها فقال له اغناك شيء عن التكسب
بالشعر والانشاد فقال لا بد أن تتفضل وتأذن لي فأذن له فأنشد .

شجاع جواد كاتب لوذعي معا ، كجلمود صخر حطه السيل من عل
حبيس بصير مستمر مقوم ، كثير اثيرة وشمال مجرب
بليغ فصيح كل ما شئت قلته ، وان كنت مسكانا عن القول اسكت
فقير فقير امرئ لك راجي ، خفيف لطيف كل ذلك بعلم
اديب لبيب فيه فهم وعفة ، عليم بشعر جيد الشعر يشهد
كريم حليم ماجد متباسط ، اذا جئته يوما اتى البذل باسم

فسر بذلك وشكره على انشاده ووصله بعشرة آلاف درهم واجرى له
الف درهم في كل شهر وكان محمود الوراق عنى بهذا المذكور بقوله من ابيات

فيا ناظرا يرنو بعيني راقد ، ومشاهد للامر غير مشاهد

او ابو تمام بقوله ولو نشر الخليل له لعفت ، بلادته على فهم الخليل
او بقول هذا القائل فلان لا ينتبه ولو دخل في الكور ونفخ عليه الى ان ينفخ
في الصور وحكى الجاحظ في كتاب البيان أن المأمون كان يستثقل سهل بن هارون
فدخل عليه يوما وهو يتكلم والناس جلوس وقد اسبلوا براقع الغفلة على وجوه
الفطن والفهم فنهم فورخ والفلم مبهم فرخ فلما فرغ المأمون من كلامه اقبل
سهل على الناس فقال ما لكم تسمعون ولا تعون وتفهمون ولا تفهمون وتشاهدون
ولا تعجبون والله انه ليقول ويفعل في اليوم القصير مثل ما يفعل بنو مروان
في الدهر الطويل عربكم كعجمكم وعجمكم كعبيدكم ولكن كيف يعرف الدواء من
لا يعرف الداء فاستحسن المأمون منه ذلك وأزال له منزلته ولا وسى
وكلام سهل يحتمل مصالحة المأمون وذم البلادة التي انزلت جلساءه
المنزل الدون واثباته في حقهم بالذم أوجب علينا والزم

الفصل الثاني من الباب الثامن فيمن تاخرت منه المعرفة ونوادر اخبارهم المستظرفة

ونوادر باخبار من اساء في التعبير والعبارات ولم يحسن خطابه في
السؤال والعبارة قال عامر بن شراحيل الشعبي عبادة الذكي أشر

على

على المريض فما نم حتى الروح وكليته ملك الموت ودخل حمصي على عروة بن الزبير
يعوده لما انقطعت رجله فلم أوجب عليه فعل ذلك من الاكلة اصابتها فقال
انقطعت رجلك قال نعم قال خيرا قال أو جعلت شبرا قال نعم قال خيرا ثم قال
لا تغتم فانك لو رأيت ثوابه لتمنيت ان الله قطع رجليك ويديك واعمى
بصرك ودق صلبك فكان مصاب عروة بعائده الذي جاء يسليه اكثر من
مصابه بما قطع من جسده وأين هذا العلم من عيسى بن طلحة بن عبيد الله
فانه دخل على عروة هذا يعوده لما قطعت رجله فقال والله ما كنا نعدك
للصراع ولا للسباق ولكن نعدك للخير ونوال الله اللسان ويد اعز منا الله
افلله لقد ابقى لنا اكثرك سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك
واحدى رجليك فقال له يا عيسى ما عزاني احد بمثل ما عزيتني به ودخل
آخر على رجل مريض يشكو من رأسه فقال لا عليك في اذا دامت الريح
المريض فما كذا فاغسلوا ايديكم منه وعاد آخر مريضا فقال له ما بك
قال وجع الركبة قال ان جريرا ذكر بيتا ذهب عني صدره وبقي عجزه وهو
وليس لداء الركبتين دواء فقال المريض ليت عجزك ذهب كما ذهب صدره
وعاد آخر مريضا فقال لا عليك اجركم الله وذهب قبلكم فقالوا والله انه
لم يمت بعد فقال يموت ان شاء الله وعاد آخر مريضا فلما خرج قال لاهله
أجركم وأحسن عزاءكم فقالوا والله لم يمت قال فهو يموت وكذلك شيخ كبير
فلا استطيع المنوق في كل وقت واكثر ما يموت فلا تعجزوا عن المجيء فيما
عزيكم به وعاد رجل الشعبي فأبرمه ثم قال له ما تشتهي قال اشتهي
ان لا اراك وعاد آخر مريضا فقال له ما تشتكي قال وجع الفؤاد
قال والله كانت علة ابي فمات منها فعليك بالوصية فانها تخف من عليه
المريض ودعى وقال فاجبنا او وصيه هذا الاثر عند تدخل على بعض مرضى
وعاد آخر مريضا فلما رآه انشد متمثلا فاملى قلبه الغيظ على لسانه
المعنى يموت الفتى حقيقة وأنت حي ، تخطاك المنايا لا تموتا
وذكر المسعودي أن عمرو بن العاص لما مرض مرضه على معاوية أنشده
هذا البيت فاجابه عمرو أتهجو أخاك وأنت حي ، ولست بميت حتى تموتا

ودخل عبد الله بن أبي عتيق محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه على عائشة
رضي الله عنها يعوده أيام مرضها فقال كيف تجدك يا أمه جعلني الله فداك فقالت
في الموت فقال إذن لا جعلني الله فداك فقالت أكنت أكثرت أنه في الموت فضحك

ذكر من عرف بالتغفل واشتهر وفاق فيه أهل زمانه ومن قصر

كان أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الجصاص الجوهري يعيش للتجار ويبايع
الخلفاء وجد الجوهر فبذ جيرانه وثيابه وعموم الغفلة والبله جيبان عنه
اليمين واليسار وكان عند المقتدر من خواص صحبته وعمل له الدكاكين للساعة
في دولته ثم نقم عليه فصادره بأخذ عنه ستة آلاف ألف دينار وغير ذلك
من الأثاث والمواشي والعقار ومن نفائس الأعلاق والذخائر ما لا يوجد عند
العقلاء إلا نادر ومما يدل على كثرة ماله وتحقيق ما ذكرناه أن المعتضد
لما عقد نكاحه على قطر الندى ابنة خمارويه بن أحمد بن طولون بعث أحمد
ليشتري جهازها فابتاع ثم خرج منه ودخل على ابن طولون ليودعه فلم يزل به
وكان مبلغه أربعمائة ألف دينار فقال ابن طولون عنه من أمره فأبو ذلك
فقال له ابن الجصاص فقال له راجع كم ما ترك نعطك نسبته فأبا أجمعه
فإذا فيه ألف تكة قيمتها عشرون ألف دينار لم يدخلها في حسابه فما كان
لذا الجميع فانظر إلى مال ينفق من عنده أربعمائة ألف دينار وعشرون
ألف دينار كم يكون أصله ممن يكون أخباره وما جاء آثاره ومما حكي أنه إنسانا
سيل من صفته فقال رأيته نفعا طويلا طويل اللحية خفيف العارضين
صغير الرأس تشمير صورته عليه بلا شك وحكي عنه أنه دخل على ابن الفرات
بأخذ ابن الفرات يخبره ويوقفا من عنده تارة بنعم وتارة يغضب
فقال له كم ذا الشعر والنعاس فقال يا سيدي عندنا في المحلة كلاب ما تدعنا
ننام عند أن قام من كثرة نباحهم وصراخهم فقال له ابن الفرات إذا كان عندنا
غيرك بخير فإنه أصبحوا جرى فقال ما تقول لك أيها الوزير
فإن كل كلب منهم مثلي ومثلك فنوع منها لغيرك تغري أبو الحسن بل
عن سليمان بن عبد الملك وهو بومئذ ولي عهد أبيه فقرئ أمامه جزءا من حديث
كل من كلبته فانصات يرجع الدماغ فقال لو كان كما يقول لكان رأسه

مثل

مثل رأس البغل وأمر ابن الجصاص أبي العباس بن الحسن الخراج بن يبغا وكتبه
معه تعجيلة فإن تبغى فأمر به أن البيغا يكتب إليه الوزير تما
تعجيلة وكره تبغيت وسمع يوما يقول في سجوده سجد لك سوادي
وما مضى أما أنا أسأل الله عنك وابن عندك
الذي أنه برأ في الجنة حتى لا يبقى في وما يشبه هذا الحول أن شعيا العكلي
كان لا يصوم ولا يصلي ويقول من أنا حتى أصوم وأصلي إنما يفعل التكبر وهو
الذي له يرى منهم التواضع ويصوم الشباع حتى يعرف الجياع
وكان أشد في منزله بل حكي أن الذي يسمى كان عنده خوخ من أنجاز محقق
الصلاة فنسخ يصلي فنسخوا معه فقال ما لكم وهذا وما في منه
الصلاة ركوع وسجود وقيام وقعود وأنا برئ الله هذا على التجبر
والتكبر من الملوك الأعاجم مثل ومثل الأوتاد ونمرود وشداد
وليس أنتم من هذا وكذا فما لكم ولي ذا لأكثر الغفر المفتري به في العقول
دون العقل وهذا أوزار الجهل وقبيح والله ما حمل وقال بعضهم
دخلت على ابن الجصاص يوما والمصحف في حجره وهو يبكي كان مرة يقرأ موجعه
وأذاه نفسه يتضرع وخشوعه فما للسد ما الذي دهاك وأزال سرك
فقال أكلت أسرع الجواري الخبيص فنغص ثم أمي العلة وظالعته وكنت
لا أعرف ما يفعل الله عنه وحضرت فعلت وما الذي أوهى الحديث وبي
عنه وحزنه فقال أكل الخبيص مع الجواري قلت وكيف قال الله في
ذلك قال ألم تسمع قوله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا
النساء في المحيض وكذا نعى بومه وضرب بالنعال ثم قال يا أخي قتل
نعمة في ثوبي اغسل ما عندي الجوهرية قلت الشيخ يا أبي إنه بلا أمانة
والله فقال الله بصروق السفال فقال وكشف عن رأسه وحسن عمّي
دراعيه ورفع يديه وقال اللهم إنك تقرأ ثم جد سواي وكذا أجر
من يعرفني سواك فشركته وانصرفت متعجبا من هذه الحال هو ثان الجو
لا يكون يسعر المحتال ذكي قد أخذ في سؤال أو جواب وكثر
أن كلامه تمييز القول حكي أنه إنسانا كان يكثر الجلوس في

حلقة الشافعي وكان إذا رأوا وجهه وزنه مسرورا وكان أبو حنيفة يجله ويكرمه
فسأله يوما أي وقت يحرم على الصائم الأكل فقال أبو حنيفة إذا طلع
الفجر قال فإن لم يطلع الفجر إلا بعد طلوع الشمس قال الآن يمد أبو
حنيفة رجله متربعا ولم يحتشم منه قال الجاحظ دخل رجل على الشعبي
وبين يديه الفقهاء وطلبة العلم فقال أيهم ما أكمل جلوسه إليها الشيخ
إذا خرج فعلى حكة أمتريان احتجم فقال الشعبي الحمد لله الذي رفع منزلتنا
فحولنا من الفقه إلى الحجامة رفع إلى المأمون سعاية فقيه في بشر المريسي
ما فيه وأمره ألا يتكلم على كبره وأباحث دمه فأمر يوما بإحضار جماعة
من رؤساء الدواعين قال اجتمعوا قال لهم المأمون ما الذي يحكى لكم من كفره
قالوا قوله وما أجابه من شيئة من نفسك قال المأمون من شعر الله
يبرأ والزلزلات على نبيه فقال شيخ منهم من الآية منسوخة نسخها
بقوله وحاج إبراهيم موسى فقال على من قرأت القرآن قال على أبي وكان
أبي قرأ القرآن على شيعة البصرة فقال المأمون فما تقولون أنتم قالوا
فونقنا قوله فإنه شيخنا وكبيرنا فأمر بطردهم وأن لا يجتمع اثنان في جوار
وأكثر ما تقع من الفقهاء من الفقهاء إذا أشكل عليهم وجه الكلام
سئل بعضهم عن الجبيرة ما شأنه نصفها ظاء ونصفها معز كيف تخرج
زكاته قال يخرج عنها رأس نصفها ضأن ونصفها معز وقيل لبعضهم
أن نحوا بنا قال لا إله إلا الله لا نغني ما يجب له وعليه قال بعضهم
نصف الجزية ويوم ما دل نصف ما على المسلمين من الجزية والسنة
وإن مات ذمي فيغني مقابر اليهود والنصارى كما قال الله تعالى لا إلى هؤلاء
ولا إلى هؤلاء وكذا صح من الزنديق وأتى بعض الفقهاء بنصراني يريد أن
يسلم فقال قم غن أنت بريء أن تؤمنوا بي وبين عيسى بن مريم يوم القيامة
وسئل بعض الفقهاء عن لوط عليه السلام فقال كان رجلا لوطيا
نعوذ بالله منه ومن فعله فأنكر عليه الناس وكلمه بعض أصحابه فقر
أنكر أمره ولعله أن لوطا نبيا من سلالة نبي إلى قوم كان ذلك الفقيه
فعلهم وأن لوطا نهاهم عنه فتبرأ على ما قاله واستغفر الله عز وجل

فرع
ابو حنيفة

جملا

فلما كان في المجلس الآخر سئل عن فرعون فقال هو فاجر من ثبت الأنبياء و
أسلوا الله السلامة فروي أنه رأوا فاروايه وإنما هو كيف تتكلم في أعراضهم و
سئل بعضهم ما تقول في خلق القرآن فقال هو فاجر من القرآن من يخلقون غيبي
مخلوق وسئل آخر وكان ناصبيا عن معاوية فقال إن معاوية فيهم مخلوق ه
لأنه كاتب الوحي والوحي ليس بمخلوق وكاتب الوحي من الوحي
وقال الفضل بن إسحاق الهاشمي سمعت قاضيا ومقرئا في مجلسه يتجعه
ولا بكاء يبيسعه فقال اللهم اجعلنا ممن يتجعه ويبيسعه وقرأ قارئ في
مجلس سيعرية آل فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فقال الرجل
ارجعوا إلى ربكم وقولوا اللهم اجعلنا منهم وكان يسيجونه من ثيابا وكثيبا
مرفيض على الناس إذا أقبل جماعة صبيان حسان كأنهم أتيا خوت والرجال
فقال يا أصحابنا اقبل الحور وارجعوا إلى ربكم وقولوا اللهم وقنا الدار
وكفهم على وجوههم وأرنا شرهم ومكرهم وما جنا من كفورهم إنك على كل
شيء قدير وسيعرية بفتح السين وفتح الباء ومتبح الياء ماكرا ضحكهم ديعي
أبو نصر بن ماكولا في كتاب الإكليل وحكى سعيد بن خالد الحيانه قال كان
عندنا قاض ببتي أباخالد فقال في جماعته يوما يا سادة عورة الكبش
أعلى من فضله وحلالة وعقد عورة التيس أعلى من فرده وبجوده
استر علينا وارحمنا واعتقد ستر أعرابيا فقيل له وما فضيلة الكبش
قال لأنه كبش إبراهيم الذي فدى به ابنه ولم يزل في الصحيفة عبر فقيل له
فما ذنب التيس قال لأنه يشرب بوله ويبني وأعلى الشاة التي لم تستحي
الذي وأوقف الناس بنتن ريحه ويعلم الناس الذي تهو به قال صاحب
الصحيح فقال حياء ملامة في لحية التيس وممن تأخرت معرفته
من الحكام وتقدم جهله في القضايا والله أعلم حكي
أن عاملا للمنصور بن النعمان كتب إليه من البصرة إذا أصيب سارقا في
نطا فأرسل إليها أصنع به فكتب منصور إليه أن اقطع رجله ودعه يكتب
يبقى على عياله فأجابه العامل إن الناس ينكرون هذا لقول الله تعالى
في القرآن والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا

اللهم صل وسلم على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم

انه نزل من السماء. ونحو الله رضي
من الله والله عزيز حكيم فكتب اليه ان القرآن
والشاهد من يرى ما لا يرى الغائب وتقدم رجل الى بعض القضاة فقال
منزلا فاشتريت ثوبا وجدت فيه عيبا وسألته أن يقيلني فأبى فلا تنعقد اليه الانفاع
وقال أعلم بما قال الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أقيلوا اما ن
اشياء هي لا تقيل فقيل للقاضي حمد كيف تحكم على الملوك قال نسمع حكومة
الزانة فقيل له ولم قال لان الحمار لا يحمل الا نسمع ما يحمل الثقل وهذا حكم
مجموع وادعت زوجة على زوجها عند بعض القضاة فانكر فقام الشاهد الرجل
من جهتي فقيل له ولم حكمت بهذا قال لانه زنيا ان لم يكن بينهما حجج فقيل فهلا
يجب على المرأة قال بلى لان الفعلة الا بالحمل راسها اجرت اهلها تقدم
جماعة الى قراقوش وكان عاملا لصلاح الدين على مصر ومعهم قتيل
وثور ورجل مكتوف فقالوا اليه أيها الامير ان هذا الثور قال على هذا الرجل
فقتله وهذا مالكه ونحوا الفاعلة فعكر ساعة ثم أمر بالثور ان يشنق
ويطلق صاحبه فقيل له ما هذا الحكم الشنيع فقال الوجهين هذا في زمن فرعون ما
يعمل غير هذا فانه الفاعل ولا يحل ان اقتل غير الفاعل ومن الحكايات
ذكر هذا الخليع الاسعد بن مماتي في كتابه الذي وضعه وسماه الفاشوش في احكام
قراقوش ذكر فيه من هذه الاحكام شيئا كثيرا واعترته غفلة في ذلك فيما حكى
والله أعلم ان كل ما فيه مختلق لان صلاح الدين لم يثق به مع تيقظه ودينه
لم يول اقليم مصر من يكون بهذا الغفلة وكان نصر بن مقبل عاملا للرشيد
على الرقة فأتي برجل من الغرباء وجد يذبح شاة فقال اليه ايها الامير انها
وانه ملك يميني وقد قال الله تعالى أو ما ملكت أيمانكم فأطلقه وأمر
ان تضرب الشاة الحد فانها ماتت فطلب ثم قالوا اليه ايها الامير انها بهيمة
قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي
انا فانتهى خبره الى الرشيد ولم يكن ولاه قبل فدعا به فلما مثل بين يديه
قال من انت قال مولى لكلب فضحك منه ثم قال كيف حكمك فقال
يا أمير المؤمنين انا من الضعفاء فيه عند سواء ولو وجب حد على بهيمة
وكانت امه او اخته فجلدتها ولم تاخذني في الله لومة لائم فعزله الرشيد

داقران

وأمر أن يستعان به في عمل فلما نزل مقبلا الى أن مات وكان الربيع بن عبد الله العامري
والياً على اليمامة فبلغه أن كلبا قتل كلبا فأمر ان يقتل به فقال فيه بعض الشعراء

شهدت بأن الله حق لقاؤه ... وأن الربيع العامري رقيع
أقاد لنا كلبا بكلب ولم يدع ... دماء كلاب المسلمين تضيع

وكان أبو الفضل المجبور مرو لبني العقلاء يمضي كور الأهواز فأتي برجل
فزهد فيحكم بين فقال فيه محمد بن النباد

فرد همت العلم والشيا عنه ... ألا أبا الفضل مغبونا
يمكن كمال الذين البعيد ... ويطر اللحم قياقينا

ذكر ما يتفق الوقوع من الشعراء في مديح السادات والكبراء

قال الحاتمي في كتاب حلية المحاضرة ينبغي للشاعر أن يتنكب في شعره والتشبيه ان يمدح
بعيد عن المديح بالالفاظ المستعملة في الذم ولا في الرزح بل الالفاظ المستعملة
في المدح بل يستعمل في جميع الاغراض الالفاظ اللائقة بها في مواضع الجد الالفاظ
وفي موضع الهزل الهزلية الا ترى ان الانسان اذا مدح ذكر الراس والهامة
والكاهل واذا هجا ذكر الاخادع والقفا والقذال وان كانت معانيها لجميع متقاربة
فيقبح بالشاعر وغيره ان يقول للملك وهو في مكان المدح يا راسه الاستعمال
الاستعمال مختلفة في الالفاظ وان كانت في المعنى غير مختلفة فمن السقطات
المعروفة في الشمول ابي نواس قد فالالامو الامين حتى حسبوه هجاء وكقول ابي تمام

ما زال يهذي بالمكارم دائبا ... حتى ظننا انه محموم وكقوله
فيا ابا جعفر جعلت فداكا ... فاق كل الوجوه حسن قفاكا

الى غير ذلك من شعر المولدين والمحدثين والعصريين ما هو بسيط ومجموع وذكر الفقهاء
من الالفاظ اللائقة بالهجاء ومن سقطات المتنبي في افتتاحه قصيدة مدح
فيها كافورا الاخشيدي اذ قال كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا
ان يكن امانيا فاجتنب من جهة ما يفتح الرثاء قلت ومن ذلك ما حكي
ان زبيدة ابنة جعفر نزلت في جعفر المنصور انشرها شاعر من الاعراب فقال
أزبيدة ابنة جعفر طوبى لزائرك الثواب تعطين من رجليك ما تعطي الاكف من الرغاب
فوثب اليه خدمها وهموا به فمنعتهم من ذلك وقالت أراد خيرا فاخطأ ومن

وسواء أحب الناس الشام من أولاده شرابا هاء سمع نولهم شمالتا انوى من بين غير زد
فخرا انه اذا قال شيئا كذا كان ابلغ ما قال وعمر ما جبل وعاب الفضل
يحيى على أبي نواس قوله في قصيدة مدحه بها

فما شكروا الا الفضل بن يحيى بن خالد * فتواكم فعل الفضل يجمع بيننا

فقال له الفضل ما زدت على ان جعلتني مولاه افقال انه جمع الفضل الاجمع فوطن وقد
تابعه أبو الطيب المتنبي في قوله من قصيدة يمدح بها سعيد بن كلاب

على الأمير يرى ذلي فيشفع لي * إلى التي تركتني في الهوى مثلا

وعيب عليه أيضا قوله من قصيدة يمدح بها سيف الدولة بن حمدان

ليت أنا اذا ارتحلت لك الخيل وأنا اذا نزلت الخيام

فانه انزل الممدوح منزلة الاماء وعيب عليه بانه جعلها من كونه وحي بكعبه دلا
حتى البس الممدوح شعاره والبسه عاره فجعله الكبا تارة ومن كونه الاخرى واتصف
بصفات المرء التي هي به احرى باسماء الادب واخطأ الغرض وعدم الى شرفه في
الذم منه ذكر انه دخل بعض المغفلين على بعض الرؤساء أيام الغنائم فانشده قصيدة
جاء منها اتذكر اذ قميصك جلد شاة واذ نعلاك من جلد البعير وتمامه

فسبحان الذي أعطاك ملكك * وعلمك الجلوس على السرير

فقال له رجل من الجلساء اتقول مثل هذا لمن يعطيك فقال والله ما كنت الا خلفت
حبيا غير انه قد مرضت الا من بلا مرضت به فضحك منه ووصله ومثل ذلك البيتان ذكرهما
الجاحظ في كتاب البيان والتبيين في عيسى بن مروان وأنشد قبلهما

فلست مسلما ما دمت حيا * على زيد بتسليم الأمير

أمير يأكل الفالوذ سرا * ويطعم ضيفه خبز الشعير

حدث أحمد بن إسماعيل بن الخطيب قال دخلت على سليمان بن وهب فروعه بأبيات اعزيه فيها عن أمه
فأخرت في انشاده بما قال انا اعزي الله في مطايبه من انشادك على من كل جانب فلقت
وما هو قال انه يقال كذا فقالت ماتت امي وغيرها امي ورثى فيها هذا الشعر
ورمى في رقعة مكتوب فيها بل لاح سليمان عليها مصيبة فجللنا مثل الحمام البوالي

وكنت سراج البيت يا ام سالم * فاضحى سراج البيت بين المقابر

فاشتغلت بالضحك عن البكاء ولم تتسل عن العزاء وكان الشعر له بدار ... طاح

ابن شهريار وزارة الوزير وقد مدح بعضهم امير المؤمنين فقال انت الملح الا يجيء
الواسع ابن الواسعة فقبل الامراء من حسبه هذا قال سمعت الناس يثنون عليه بذلك
مليح من شواهد هذا النوع وافراده فما يعرض المنامل ومراده
حكي ان عبد الله بن رواحة ابتاع جارية وكتم ذلك عن امرأته فقالت انه بلغني
انك ابتعت جارية واني كنت عن هذا النوع واني احسبك جنبا قال لها ما يعلمه
فقالت ان كنت صادقا فاقرأ آية من القرآن اي فقال

شهدت بأن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة شداد * ملائكة الإله مسومينا

وفي الرواية انه انشد هذا البيت الاول فقالت زدني آية اخرى فانشد
البيت الثاني فقالت زدني آية اخرى فانشد البيت الثالث فقالت
اما اذا اقرأت القرآن فقد عرفت انه مكذوب عليك فسأل واعتمرته ذات
ليلة فلم تجده على فراشه فلم تزل تطلبه حتى وجدته في ناحية من الدار على بطن
جارية فخرجت وشحذت شفرة ثم دخلت البيت من فضله فوجدته قد خرج من
عندها فقال لها مهيم فقالت قد عرفت ما بلغني عنك اما اذ لو وجدتك حيث كنت
لوجأت بين كتفيك بها فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا
ان يقرأ احدنا القرآن جنبا فقالت فاقرأ آيات من القرآن ان كنت صادقا فقال

أتانا رسول الله يتلو كتابه * كما لاح مشهور من الصبح ساطع

أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه * إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فلما سمعت مقالته قالت آمنت بالله وكذبت بصري فجاء من ذلك عبد الله بن
رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه قال أبو
عوانة وأسن عتاب بن ورقاء جماعة من الخوارج فوجد فيهم امرأة فقال
وانت يا عدوة الله من خرج من الرجال وخرج على المسلمين اما سمعت قول الشاعر

كتب القتل والقتال علينا * وعلى الغانيات جر الذيول

فقالت حسبي منك بكتاب الله تعالى الى الخروج عليك يا عدو الله

فأين تبيعنها أو تتوب فلما برزت للقتل قيل لها تتوبين فأنشأت تقول

أأترك دين آبائي وقومي ... واتبع ملة المتخلفين

وأسمع أنهم كانوا غواة ... أتوب فليس يقبل آن توبي

وقوم عيينة بن الحصين البجلي فسأل أعرابياً بأخبار أهل ربيعة فقيل فيهم وقوم عيينة بن الحصين البجلي

أعيان وإليها فقال للغائب فهيا فقال في أثناء خطبته العجب إليه في كتابه

تيسر على النفوس بأن ... غنى وجه العسر التخلص

فجاء إليه رجل فقال له يبشر منزله في كتاب الله أنا مؤمن قال عمر بن زيد قال يبع والله ما قال عمرو قبل نزل على النبي جلس للناس ومثل ذلك ما حكاه عامر بن زياد الذي قال في بعض خطبه أقول لكم كما قال العبد الصالح ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد فجاء إليه أعرابي وقال ما هذا أقول عبد صالح أنا مؤمن آل فرعون فقال من قال هذا فقيل أحسن وخطب عمرو بن الزبير بالمدينة وكان والياً عليها من قبل أخيه فقال أما بلغكم ما صنع الله بقوم في ناقة قيمتها خمسمائة درهم يعني ناقة صالح فسمي مقوم الناقة فبلغ ذلك عبد الله فبعث له وأم رجل من الخوارج بقوم أياماً وكان من الذين يحيلون ... فكانوا يغيرون الخبز والكتاب الذي يرونه عليهم شيئاً فطلع يوماً الصبح فقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا أبنيكم كاهماً ما فل فجاءت فجروا الخيل فتعجبوا منه ثم تجبروا أشهر فبسط من نحو يفعله إذ مر على الصلاة وخمسة تاهقوا وقرأ في الركعة الثانية فإن تجروا ... والهجر وتجباً فإن تجروا أسماكاً ولا تحضروا تخبيطاً ومرة يفعله إذ قرأ فتنة اثنا عشر فلما فرغ من صلاته جاءوا وأعتذروا إليه من التقصير في حقه وأنهم لم يكن عندهم علم بأن الله أنزل في الوحي بالإبتداء والنا وسألوه في أي سورة نزل الأمر فقال لهم في سورة النساء وكان بعض الحمقاء يتعشق جارية فجاء ... لا يقدر على الوصول إليها فزارته يوماً فنام ونزلها معلنة له ولقيا عادة إلى النوم وقد كتبت بنعواه فقال يا سيدتي إني نائم لعلي أراك أيضاً في المنام كما قال الشاعر وإني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالاً منك يلقى خيالياً وكتب أخ إلى محبوبته أن رأيت أن تزورينا فعلنا الخ

واياها فافعلي فكتبت إليه يا أحمق متى علمنا أن يجتمع أبدا ووقع بين سليمان ابن مروان الأعمش وبين زوجته وحشة كلام وخصام فسأل بعض أصحابه الإصلاح بينهما فدخل إليها وقال إن أبا محمد شيخنا وفقيهنا فلا يزهدنك فيه عمومته عينيه ونونة الحفيه ونجس شرعه وجمود كفيه وحموشة ساقيه وذلك بمرأى من الأعمش ويسمع منه فقال الأعمش كلا لا أحسنك الله قد عرفت لها عيوبي ما لم تكن تعرفه وذكر أن عبد الله بن مطلوب وكان عاملاً في وفيش وفيشدبرا فيقوم القيامة يوم لا ... ولا الله إلا الله والله الحميد وإياه الحميد والقرب فقال له بعض من حضر أضحكت أنا من يوم الجماعة فقال اعذروني فإنه أعرف النحو وباع بعض المتطلبين بستانه واشترى بثمنه حماراً فقال لهم لم بعت ما كان تتعلم أسماء فيعوضه الشعير واشتريت ما تتعلمه الشعير فعوضه الماء ومن هذا الباب تعلم أن عيشاء وكان ساداً للكعبة فإنه باع مفتاح الكعبة بزق خمر حتى ضرب به المثل في التخلف فقيل أخسر من صفقة أبي غبشان وتعلم سعيد الخاسر فإنه باع مصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً فضرب به المثل فقيل أخسر من سعيد دخل دعا عمر على المهدي بقصيدة يمدح بها فيها موت أبيه إذ دخل بن بشار بن منصور خال المهدي وكانت فيه غفلة فلما فرغ بشار من إنشاده قال له ما هذا عندك يا شيخ فقال أتعبت اللولو بمحمد المهدي وقال انخفض فجاءه فقال يا أمير المؤمنين وكيف لا أحسن وهو يرى شيئاً أحسن يستفز الخليفة شعراً فيسأله مرضاً عنه

الفصل الثالث من الباب الثامن في أنواع التغفل والبله نشور على الأولياء فستسلمه

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن وقال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبر قسمه وقال عيسى عليه السلام كونوا بلهاً كالحمام حلماً كالحيات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها البله قال العلماء هم البله في طلب الدنيا إذ كانوا في طلب الآخرة ... جعلهم عقلاء الذين شأنهم مع الخلق وقلبه مستغرق فيه أنوار الحق يحكى عنه أن رجلاً قال

له يا عليان فقال له يا أخي وُلد لي مولود فقل سميه محمدا تبركا برسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ولدت بنتا فسماه عليا تبركا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجر فغرة
تقر صغر وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له رجل فيم يعرف به تم العاقل
قال من حاسب نفسه وراقب ربه قال جعفر بن عتاب فاني الكوفة مررت بعليان
وهو جالس في الشمس بل حائط فقال من أراد أن يتعجل سرور الدنيا والآخرة لا غنى
فليتمتع بما هو فيه فقال ابن عتاب والله لقد تمنيت لما سمعت كلامه أن أراه
في تلك وانخنث فقال أن ابن القضاة وقال في الوجاء وقرم به رانياك
استفقت د انيك وأمرت د نيا اتنا والعدا ان املا نفقه كشود ند يموزسا
الى التمعقون وعن ابن أبي فديك قال رأيت عليان وقد دلى رجليه في قبر وهو
يلعب بالتراب فقلت له ما تصنع هاهنا قال أجالس أقواما لا يؤذوني
ان حضرت ولا يغتابوني ان غبت فقلت قد غلا السعر فقال لا تدعوا الله يكفـ
ما الكم فقال والله ما أبالي ولو حبة بدينار ان الله أخذ علينا العهد أن نعبده
كما أمر وان عليه رزقنا كما وعدنا ثم صفق بيديه وقال متمثلا

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ، ولم تنم عن اللذات عيناه
شغلت نفسك فيما لست تدركه ، تقول لله ماذا حين تلقاه

وتروى هذه الحكاية والأبيات عن بهلول الآتي ذكره وقال الحسن بن سهل بن
منصور رأيت الصبيان يرمون عليان بالحجارة فأدماه حجر منهم فقال

حسبي الله توكلت عليه ، من نواصي الخلق طرا في يديه
ليس للهارب في مهربه ، أبدا من راحة إلا إليه
رب رام بالحجارة لي ، لم أجد بدا من العطف عليه

فقال رجل تعطف عليهم وهم يرمونك بالحجارة فقال اسكت لعل الله يطلع
على غمي ووجعي وشدة فرحهم ما أملوه فيهب بعضنا لبعض ومن شعره

أبلغ الزاهدين إذا تعابرونا ، انا لو كان هم أطاعوا المهونا
افرحوا الآن ما النعيم شغونا ، فغدا بيننا وبينهم تساحرونا
حين تم مخافة الله حتى ، زعم الناس أن فيهم جنونا

ومن كانت نفسه عن الشهوات مكفوفة بهلول ويعد من مجانين الكوفة

قال عبد الرحمن بن المتكلم رأيت بهلولا يوما باكيا فقلت يا بهلول كيف أصبحت
قال بخير انظر لما في يدي وجب الاخر وحظ الوزير ويسرالي زوجتي قال لي يا عبد
الرحمن أحسن مجاورة النعم بالشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ولما قدم
الرشيد الكوفة خرج الناس ينظرون إليه فناداه بهلول جاهدا وناداه ثلاثا
فقال الرشيد من المجترئ علينا في هذا الموضع فقيل له بهلول من قطع
كم السجف وقال ادنه فقال يا أمير المؤمنين روينا بالإسناد عن
قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى
جمرة العقبة لا ضرب ولا طرد ولا قيل إليك إليك وتواضعك
في سفرك هذا خير لك من تجبرك وتكبرك قال فبكى الرشيد حتى جرت دموعه
على الأرض وقال أحسنت يا بهلول زدنا من هذا يرحمك الله قال روينا عنه
صلى الله عليه وسلم أنه قال أيما رجل آتاه الله مالا وجمالا وسلطانا
فواسى من ماله وعف في جماله وعدل في سلطانه كتب في ديوان الله من
الأبرار فقال الرشيد أحسنت يا بهلول وأمر له بجائزة فقال اردد ها على
من أخذتها منه فلا حاجة لي بها قال يا بهلول ان كان عليك دين قضيناه
عنك قال يا أمير المؤمنين ان هؤلاء أهل العلم بالكوفة أجمعوا على أن
قضاء الدين بالدين لا يجوز فقال فنجعل لك ان أجري عليك رزقا يقوم بك
ويكفيك فرفع طرفه إلى السماء وقال يا أمير المؤمنين أنا وأنت عيال الله
ثم تركه ومضى ومن الحكاية لذوي العقول كافية وللقلوب في أدواء
الذنوب شافية ومن شعره رحمه الله

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهدا ، أتعبت نفسك حتى شفك التعب
تسعى لرزق كفاك الله بغيته ، اقعد فرزقك مقدور يأتي به السبب
كم من قوي ضعيف العقل تعرفه ، له الولاية ومد زال والرتب
ومن حصيف له عقل يميز به ، بلا الحظ منه لم يدر له سبب
فلسترزق الله مما في خزائنه ، فالله يرزق لا عقل ولا حسب

ومن مشاهير مجانين الحالية سعدون الطالب للعلو والراغب عن الدون قال
ابن حبيب روى خالد بن عبد الله القسري قال لما حج هارون الرشيد حتى له

القرشي من جوف العراق الى مكة ليبرد من غرنية بمشي عليها لقضاء نذر وجب عليه فاستقر
يوما الى نخل قيل من تعب ناله واذا بسعدون في عارضه وهو يقول
حب الدنيا تواتيكا ، اليس الموت يأتيكا ، فما تصنع بالدنيا ، وظل الميل يكفيكا
الا يا طالب الدنيا دع الدنيا لشانيكا ، كما اضحك الزمن كذاك الدهر يبكيكا
فبكى ثم ادبر وقال الرجل فقال لم يعد الله عنا وقال عيسى بن عطا رأيت سعدون
والصبيان يرمونه بالحجارة فطردتهم عنه فقال في بعض الصبيان انه يزعم انه يرى
ربه فقلت له او ما تسمع مقالة الصبيان فقال يا اخي من عرف الله ما يضره ثم قال

زعم الناس انني مجنون ، كيف اسلو وفي فؤادي شجون
جملوا القلب بالبكا في الدياجي ، وهو بالله مغرم محزون

وعن عطاء بن سعيد قال كتب سعدون الى ابي ما جرى ان لم تستحيي من
الخلق فاستحيي من الخالق واخذ سمعك من سماع ما لا يحل وكذلك ما لا يحل عنه
بانه ان عاقبة اسلكه ومسلكه ثم كتب عنوانه ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك كان عنه مسؤولا وقال ابو اسماعيل بن عطا مررت بسعدون فلم اسلم عليه فنظر
الي وقال يا ذا الذي ترك السلام تعمدا ، ليس السلام بضائر من سمعه
ان السلام تحية مبرورة ، ليست تحمل على الاتعب

ورأى سعدون يكتب بفحم على جدار
ما حال من سكن الثرى ما حاله ، أمسى وقد رثت هناك حباله
أمسى وكان روح الحياة نصيبه ، أبدا وكان الحمد الحبيب قباله
أمسى وقد درست محاسن وجهه ، ونعى هناك قبره اوصاله
واستبدلت منه المجالس غيره ، وتقسمت من بعده أمواله
ما زالت الدنيا تلعب بالفتى ، والآل يرتب صحوه وملاله

وقال بعض السلف رأيت سعدون المجنون وهو متعلق بأستار الكعبة وهو
يقول الى اوين بالتقصير مني وقد خلقتني ضعيفا وقد اوتي باللعبة
وانت مولاي ما انا بمن تمنه ... ثم على كتفه
الا يا مكتوب ، أنعم مولاي يا سعدون ما حكم الاتجعل الحسن
من راقب الله واختفى فيه ، يا حسن سعدون عز الاحين

وعلى

وعلى كتفه ديه مكتوب يا من يرى باطن اعتقادي ، ومنتهى السر من فؤادي
الطف بعبادك اهل المودة فيني ، وامن في مسلك الرشاد
فقلت يا سعدون انت من اهل الحكمة والناس يزعمون انك مجنون فولى وهو يقول
زعم الناس انني مجنون ، كيف اصحو وفي فؤادي شجون
الف الحزن والبكا في الدياجي ، فهو بالله مغرم محزون
وكان اذا اشتد به الجوع رمى بطرفه الى السماء وقال
التسركني ومن اليك طلبا ، فلا تكله الى ضيع من خلقتنا
وانك ضامن للرزق حتى ، توفي ما ضمنت وما قسمتا
فاني وانوبه بالذي هي ، ولكن القلوب كما علمتا

ومن محاسن اخبارهم واحاسن اثارهم التي هي للقلوب المحلة ربيع
وللصدور الصادية غيث مريع ما حكي ان سعدون قال لرجل بعبكه اجعل فيك
خزانتك واحشها من كل عمل صالح فاذا وردت على ربك سرك ما فيها ومن
كلامه اذا بسط الجليل امال العبود فلت ذنوب الاولين والاخرين تحت
حواشيه واذا ابرت ذرة من عين الجود الحقت المسيء بالمحسن ومن شعره
ليس اعتبت في ثوبي غريبا ، تعرضها على حر كريم
فلا يحزنك ان ابصرت حالا ، مغيرة عن الحال القديم

وقيل لسعدون مرة الحكيم قال الذي لا يتعرض للعذاب الاليم قيل وما
العذاب الاليم قال الصغر الى الرب الكريم وقال بعضهم رأيت بهلول
والصبيان حوله يؤذونه ويرمونه بالحجارة وهو يقول ولم يصبر وفعل ان
ذلك لمن عزم الامور وقيل لمجنون فيما يبغي هذا الخلق قال في طلب ما
لا يكون من الدنيا قيل فما يطلبون قال الراحة وذلك مما لا يجدون قال
ابو محمد اسحاق بن محمد الثقفي رأيت سابقا المعتوه وهو يكتب على حائط بالفحم
هذه الابيات ، نظرت الى الدنيا بعين مريضة ، وفكرة مغرور وتأميل جاهل
فقلت هي الدنيا التي ليس مثلها ، ونافست فيها في غرور وباطل
وضيعت أياما كثيرة ، فلا زالت أيام غنم قلائل

الفصل التاسع في الشعراء ، وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول من الباب

في التبرع بالنائل من أشرف الخلال والشمائل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله فجودوا يجد الله عليكم. ألا إن السخاء شجرة في الجنة أغصانها متدلية إلى الأرض فمن تعلق بغصن منها أدخلته الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة رواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب بإسناد منقطع في كتاب البخلاء له. قال صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فإن الله آخذ بيده إذا عثر إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار وجاهل سخي أحب إلى الله من عالم بخيل. وقال صلى الله عليه وسلم الخلق كلهم عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بأسرى من بني العنبر فأمر بقتلهم وأفرد منهم رجلا فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب واحد فما بال هذا من بينهم فقال عليه السلام نزل جبريل عليه السلام فقال اقتل هؤلاء ودع هذا فإن الله شكر له سخاءه. وقال صلى الله عليه وسلم أحب العباد إلى الله من حبب إليه المعروف. وإنما سمي المعروف معروفا لأن الذكر في عرفه فالعفة والسخاء. فالسخاء الرجل بما في يده يجود به عرضه عن دنس اللئام وتركه ما في أيدي الناس يغني عنه باب السلام فمن جمعهما فقد وجب أشرف أخلاق الكرام وحواهما على من هو أنا قدره والعلاء ويقال في مثال هذا من هنا: فلان متبرع بماله وعن مال غيره متورع. ويقال مراتب العطاء ثلاث سخاء وجود وإيثار فالسخاء إعطاء الأقل وإمساك الأكثر والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك شيء. ومنزلة أشرف الرتب وأعلاها وأحقها بالمدح وأولاها فإن إيثار المرء غيره على نفسه أفضل من إيثار نفسه على غيره وكفى بمنزلة الإيثار شرفا مدح الله تعالى الأنصار به بقوله ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. وقالوا الجواد من لم يكن جوده لرجاء العوض ولا لطلب الجزاء كما قال عبد الله بن جعفر المعروف فإن أصاب الكرام كانوا له أهلا وإن أصاب اللئام كنت له أنا أهلا وقيل

فبعض الكرماء من أصحاب الناصر الخليفة قال من كثرت أياديه عظم قبل من لم يكثر فقال من كثرت أيادي عنده عظمت وزاد عزه وفي الأفضال في الحث على العطاء والنوال. ما ذكر عن عبد الملك بن مروان أنه كان يقول يا بني أمية ابذلوا اليوم الكرم ينفع عرضه بماله فلا تبخلوا إذا سئلتم فإن خير المال ما أفاد حمدا ونفع ذما ولا يقولن أحدكم أبدأ بمن تعول فإن الناس عيال الله تكفل الله بأرزاقهم فمن وسع أخلف عليه ومن ضيق ضيق عليه ثم تلى قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين. وأوصى بعض الحكماء بنيه فقال عليكم بالمعروف فإنه يبقى أجره وذكره ويرفع صاحبه عنده وفي المروءة وذكر صاحبه فإنهم أهون لذلك واشكر لمن [illegible] اليوم لله أعجب ما أشرت به في قول هذا الخليفة بخله وخادم سخاؤه بخله ومن فيه خلائقه [illegible] والسلب وحقق لسانه بالمدح وقلبه بالشكر. وقال [illegible] بن [illegible] عليكم باصطناع المعروف واكتسابه وتلذذوا بطيب نسيمه وروائحه وادخروا مودات الرجال فإنه رب رجل منع من ماله معاشه ومعه في الذكر الجميل. وقال الشاعر في مثل هذا وإن كنت ذا حظ من المال فاكتسب بالأجر والمدح ذكرا مثل الغائب. العقيلة منصور بن [illegible]

سألت رسوم الغيث [illegible] هل علم ما [illegible] جوانبه.

اتسل [illegible] عاش [illegible] ومنابته. [illegible] ومن أخوانه وأقاربه.

وقال أبو نصر الميكالي

فلا تعدل العلا والمجد والإحسان ، والفضل والمعروف وأكرم بالبني ،

الجود ذات مسرة ومشوق ، والبذل فعل مثوبة ومعاب ،

والبر أكرم ما وعته حقيبة ، والشكر أفضل ما حوته تراب ،

وإذا الكريم مضى وولى عمره ، كفل الثناء له بعمر ثاني ،

وقال بعض الأعراب الرواسم فيما سمع شيخا من ماله حسن كان له ومن أنفقه كانت له أخرى فأخبر هذا المعنى فقال

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه ، تملكه المال الذي هو مالكه ،

ألا إنما مالي الذي أنا منفق ، وليس لي المال الذي أنا تاركه ،

وقال الاحنف بن قيس لرجل رأى في يده درهما فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال
لا لا حتى يكون لك حتى تخرجه من يدك فانه قيل مالك لك أو تعطيه أو
للورثة فلا تكن اعجز الثلاثة وقال الشاعر

جمعت مالا ففكر هل جمعت له ... يا جامع المال أياما تفرقه
جمعت مالا ولن تجمع له عمرا ... ما المال مالك الا حين تنفقه

وأوصى قيس بن عاصم بنيه فقال يا بني عليكم بهذا المال فاطلبوه
أجمل الطلب ثم اخرجوه في أجمل مذهب فصلوا به الارحام واصطنعوا به
الكرام واجعلوه جنة لاعراضكم ووسيلة تطولون بها الى اغراضكم فسرج
الناس منا لكم فانه يزيد في الشرف وثبات المروءة وانه يسود غير السيد
ويقوي غير الايد حتى يكون عند الناس نبيلا وفي القلوب مهيبا جليلا
وقال الجاحظ فيما يشبه الزهد ... وكم انعم من عزيز ... والنفس ومن الطمع
بلا عراء ومن تغلو عقود الذي اعناق الرجال الا ... عند ... من
نصيب الروح وحظ الزمن وصحة النفس ويقال ان أحببت ان يزداد الله
حسانه اليك وان يثبت لديك ما انعم الله به عليك فاقض حاجة من قصدك
وابسط له بالبشر وجهك وبالمعروف يدك وقال الجاحظ فكفيت ... كذ
بلا احرك المعروف فان طالبه بعوض جهدا منه اما شكر في الدنيا واما ثوابا
في الاخرة المعروف ... فانه كله اثار وثوب ... وقال الاحنف بن
قيس ما ادخر الآباء للابناء ولا ابقت الاموات للاحياء أفضل من المعروف
عنده في الاحسان ... وقال بشار بن برد من قصيدة مدح بها خالد بن برمك

أخالد ان المال يفني لاهله ... فما انت لا تبقى الكنوز لاهل الحمد
فانك كلما ... مستترد ... ولا تبقي الا الحوادث للشدة
اخو الناس في الدنيا أحاديث ... تبقى وما تبقى النوائب
برحمة الله على ... لهابت له ... احاديث

ليس واصرفي في الورى وجه محسن ... وأين لهم ... كف منع
واشهم من كان اشر ... واعظم اقداما على كل معظم
لمن يطلب الدنيا اذا لم ترد بها ... سرور محب أو اساءة مجرم

ومن أحسن ما قيل من الابيات في انتهاز الفرصة بالمعروف واغتنام المكروب
والملهوف قول شاعر الاخبار

تمتع من الدنيا فما ... كنعمت بها مالي تعقد الحوائج
فلا امسك الله عليك نجابة ... ولا يوما ... انت والقى
اذا المال لم ينفع صديقا ولم يصب ... قريبا ولم يجبر به حال معدم
فعقباه ان يحتاز كف وارثه ... وللباخل المذموم عقبى الندم محمود

الوراثة: تمتع بالمال قبل الممات ... والا فلا مال ان انت مت
شقيت به ثم خلفته ... لغيرك سحقا وبعدا ومقتا
يجود عليك بزور البكا ... وجدت له بالذي قد جمعتا
وأوصيته كل ما في يديك ... وخلاك رهنا بما قد كسبتا

وينشد في سلك هذه الابيات ما يروى من أن عظة الحكماء بان يحكى أن
هشام بن عبد الملك لما احتضر والاهله يبكون عليه فقال لهم جاد لكم
هشام بالدنيا وجدتم له بالبكا وترك لكم ما كسب وتركتم عليه ما اكتسب
بالسوء هشام ان لم يغفر الله له قال بعضهم

لهم نجيمو بالرد وجه مؤمل ... فالحيز وغيث الزمن منسوكد
واعلم بانك عن قليل صائر ... خبرا فكن خبرا يروق جميلا

ومن مليح ما احتج به من بعض المسمى وغيره وعمم العطاء بين حقيقة خال
يحيى بن خالد البرمكي ان الرجل فيما ينبني ويبرع من العلم والادب ما اعلم
انه كان فيه ما عاب الجاهل بين غيب الخلق ولعلم ... العرب

ابلا ابنة عبد الله وابنة مالك ... وبا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما عملت الزاد فالتمسي له ... اكولا فاني لست آكله وحدي
وكيف يسيغ المرء زادا وجاره ... خفيف المعا بادي الخصاصة والجهد
كن بالغصيا او قريبا فلا نبتنى ... أخاف مذمات الاحاديث من بعدي
وللموت خير من زيارة باخل ... يلاحظ اطراف الاكيل على عمد

الغنى فيا عاذلي في الفراه نعرض ... ابلي سنان الغنى في كاعنة الكرم
من الغني غيم ما جادت يداه به ... فما البخل يشكوا ... العدم

الغرس

وما اشتفى نعمى أخلوا بحجتها ... ما لم يكن نعمى ترحيب نسع
جرى التوحيث نجر الريح تيره ... وخيمت موم أكياد العلا سمع
تاتيك ادوع كعث غيث جامرة ... يغنيك تمارضا عارض الربيع وأعراء
تدويني واتلاته لسلاله جاثية ... احب من الاخلاق ما منوا أفضل
مباكرهم نارة التي تجلب الغرى ... وأعمر دار الغريب المجتل واخر
فامت تلوم على بذل النوال في به ... ولوع فجلت الكرم بالبالغ
لا تجزعن ان ترى في فاقة ابدا ... فمرضا من رب العرش انصابغ
تبغ المحامد ما تنبى بي كرما ... فما الغنى في اعتقاد ذي الاطلاق محمد
بشر تراجير اثرى باخوانه ... بغلل ثم سيل الكرم
وحزم الحزم رحب الزمن ... قباد ربالحرص قبل الترخ الشربه
ارج اصر كانت اثنعال سابقة ... عليه مواسبغ انعامل الكرم
واجود الناس ان تعنو الطباع له ... من ليس في رقاب الناس بانتعم
الحضر في اغتنام فرصة الامكان في اسراء البر جوهر الاحسان لمن كان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح عليه باب من الخير فليغتنمه فانه
لا يدرى متى يغلق عنه وقال حكيم الدنيا غرار فان يغتنم لم تترك وقال الشاعر
فاذا اراك كنت في حال تشربه ... لكشف معضلة او بذل معروف
واستغنم الخير تاتيه وتفعله ... ولا تشم برق تعليل وتسويف
واسمع من الدهر واسمع مواعظه ... وكيف يلازمك بتثبيت وتقليب
وما الحى من قول ابن مخلاع
خذ الوقت اخو الليل بالغنم واغتنم ... مواهبه بالحب او بالتقليب
ولا تتعلل بالليالي فانما ... هي كاليا احاديث النفوس الكواذب
واخر فانما الدنيا التي نعتز ... لعمرك شفلا وعشوبا
امنح بنتم جميعها ... ما دام عز الدهر مكتسبا
واعلم بان جبلا فيده ... فما يعبر الا من معتبا
وقال عبد الله بن سواد لا بد فالابني لاتزمن يخرج في المعروف فان الدهر
ذو صروف والايام ذوات نوائب تنقضي على الشاهد والغائب كم
من

من رغبة كان مرغوبا وكم من طالب صار مطلوبا وقال التميمي البعرة قبل
تجرع الغصة وقالوا البعرة سريعة الزوال بحسبه الا بابعثتهم فما
العاقل ويزيل عنها الغافل قال الشاعر احسن وانت معان بالايب الانسان
ان الزمان قريض كما ترى تراه واخر
تبين في كل ساعة واوان ... تتقيا صنايع الاحسان
فلذ المكث فباد الفنا ... حذرا من تعذر الامكان
واغتنمها اذا قدرت عليها ... حذرا من تغير الازمان
احزم الناس من اذا احسن الدهر ... تلقى الالاحسان بالاحسان
اجود النقيب الكنافس
الحر اليبخ ما اجتناه المجتنى ... والحر اربع ما ابتنا البنتي
فاذا اوليت وكان امرك نافذا ... فاذخر صنيعا في الوديعة واقتني
من قبل ان بيسعى لما تبعونه ... ويقول عنه من القنا يا ليتني لو اني
منيء ولا تغفل عن الاحسان فيها ... فلا تدري السكون متى يكون
اخر لا تقطع عادة الاحسان عن امر ... ما دامت تقدر والايام تارات
واذكر فضيلة صنع الله اذ جعلت ... اليك لا لك عند الناس حاجات
نبذة فيما يلزم الكريم الماجد من بشر الوجه للسائل والوافد
قالوا البشر اول البر فالوا البشر دال على السخاء كما يدل النور على الثمر
والنور على الثمر ابو العتاهية موز مربحت الامور الطالعات على بريه
للخير اهل لا تزال وجوههم تدعوا اليه واخر
لا تبتئس من وجه العلويلغي ... لا كميل بالنجح منه تبتيني
انما البشر روضة فاذا كان ... فعلا فروضة وسرور
اخر تراه اذا ما جئته متهللا ... كانك تعطيه الذي انت سائله
ولو لم تكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله
ومن منصوح المفاخر التي لا نزاع فيها ولا خلاف بسط الوجه بالبشر
وبذل القرى للاضياف اول من شرع سنة الاضياف وقرى الضيف
سيدنا ابراهيم عليه السلام كان اذا لم يحضر بالكل معه يخرج الشي

القرى فيأتون من يأكل معه ثم تبعته العرب على سنته وأول من وضع الموائد على الطرق سيدنا عبد الله بن عباس فقال شاعر يمدح من نزل عنده

أبلج بين حاجبيه نوره ... إذا تغدى رفعت ستوره

يزينه حياؤه وخيره ... ومسكه يشوبه كافوره

وفي مثله يقول الشاعر في خالد بن برمك

وإذا أصغى الباب عن غرابه ... إذا انغلق لنا من غير الحاجبه

وفي ذلك قول بعضهم أبيت خميص البطن غرثان طاويا وأوثر بالزاد الرفيق على نفسي

وأمنحه فرشي وأفترش الثرى ... وأجعل في الليل من دونه لبسي

حذار مجاراة الأحاديث في غد ... إذا أمسى يوما إلى صدره رمسي وقال

آخر أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والزمان جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ... ولكنما وجه الكريم خصيب

آخر أوقد فإن الليل ليل قر ... والريح يا واقد ريح صر

عسى يرى نارك من يمر ... إن جلبت ضيفا فأنت حر وآخر

يسر بالضيف أنسا في منازلنا ... فليس يجمع خلوا بنا الضيف

والضيف إن جئته يوما بأسبقها ... لم تردد عن مقام جود لسيف آخر

قالت سليمى مالك الله من رجل ... ما يجمع العمر والأشياء والزمنا

وحرمة الضيف ما أفشيه عمدا كم ... ولو قطعت يمينا بقسمه

لو يعلم الضيف عندي قدر منزلته ... لنال حتى يرى كفي رجع الأكلا

أقول للأهل والأغنى ومن حضروا ... فجودوا قليلا فإن الضيف قد قدموا آخر

حيى الله من يسعى بحينا وجارنا ... لعمرك الهوى مني الطلوع خميص

لعمرك ما ضيفي عندي بغيضه ... وإني على ما بي لحمو خميص ابن

قوم يبيتون في المشتى خماصا وعندهم ... من الزاد فضلات تعد لمن يقرا

إذا نزل ضيفهم ضيفهم يقولون له ... من القنا في الفلا الألوية حمرا

وتبعه ابن المعتز فقال

وليل يود المصطلون بناره ... ولو أنه حتى الصباح وقودها

رفعت به ناري لمن يبتغي القرى ... على شرف حتى أتاه وفودها

آخر

آخر ومستنبح يعوي الصدى فوق ومنه ... بشقراء مثل الفجر باد وضوءها

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا ... بوارد دار تحمى من يرده شما

فإن شئت أو نيلا في الحمى مكرما ... وإن شئت بلغناك أرضك بربها آخر

كم يعرفون مزجي وإخوانه ... فليعلم تأوي الضيف والجيران

الضيف فيهم للحوائج رحله ... وأنجاد رجفونة من الجدوى ثلاثة آخر

الضيف أكرم ما استكثفت عليه ... وتلقه بتودد وتهلل

واعلم بأن الضيف يوما مخبر ... بحبيب ليلته وإن لم يسأل

احتجاج الشيخ بالمعروف على السائل المجهول والمعروف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس إليه فإن لم يحمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال وقيل لعبد الله بن جعفر وكان جواد الفتيان في العطاء فإن من ذهب ماله ذلا فقال إن الله عودني بأن يفضل علي وعودته بأن أفضل على عباده فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني المادة ثم تلا قوله تعالى إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقال أحسن الناس عيشا من حسن عيشه عيش غيره وقيل لعبد الله بن عباس وكان جواد العرب وأسمح بعض الأيام مساك فقال سحر الكيس ونيل الذكر لا يجتمعان إلا أن كثر بعض الشعراء فقال

ما اجتمع المال وحسن الثناء ... من كانت الدنيا له نشأة

والنار ما ينفي نجيبا تسد ... فنا به فإنه غير الشأن

آخر صون العتيق عرضه مما يشينه ... وصونه ماله ليس يجتمع

المال يبليه ذمي وبريعه ... إليه والعرض لا يبقى مبني نجح أبو تمام

رأيت ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ... وكذا المجد في كف امرئ والدراهم

ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه ... مغارم في الأقوام وهي مغانم

وقال ابن عباس كفى بمن نزلت في المعروف كفيه من كفه فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه شاعر

أنا إذا أمكنتني بلغة من سعة ... زينتي بالبذل والإعطاء وأموال

ولم أرد وإن أصبحت ذا غنى ... من الحظ منه في إملاق سؤال

برنسه

اما شكور من يرى في الفاقة ، او الكثير مع فرحة بالنوال ، الخ
بر المعروف نعم حيث كانت ، تحمله كفورا او شكورا
ففي شكر الشكور له جزاء ، وعند الله ما كفر الكفور
وأفضل ما أتى عن الليالي ، صنائع عند مصطنع شكور
وخير الروح مرتع حين يروى ، يمر بالمسافر وبالفقير
وصية كريم ، بالسودد عليم قال بعض البلغاء سودد بلا جود
كملك بلا جنود وقالوا الجود الجل يحببه الى أضداده ، والبخل يبغضه
الى أولاده ، وما أحسن قول من قال
اذا لم يكن للمرء فضل ولم يكن ، يجاد على اخوانه لم يسود
وكيف يسود المرء من دون شلهم ، بلا منة منه عليهم ولا يد
وقال بعض الحكماء ثواب الجود خلف ومكافاة ومحبة وثواب البخل
حرمان واتلاف ومذمة وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان للنعمة
اجنحة فإن امسكت بالاحسان طرت وان تركت وقال محمد بن الحنفية
رضي الله عنه ان افضل المال ما افاد شكرا واورث ذكرا واوجب اجرا
ولو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا وقال المامون لا اعلم
معطيا احب الي من ان اجيب مانعا وقال الشاعر
الجود زينة ذي المروءة خيمة ، فليعط جودا من عطاه بكل مكان
ما ضاع معروف اتيت الى امرئ ، مغترا وراح يزيد بلسان

ذكر الأجواد المعروفين ببذل الأموال والموصوفين بالاصطناع في سائر الأحوال

اعلم واجودهم سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي الحديث الصحيح انه ما سئل شيئا قط فقال لا فإن لم يكن
عنده اعطى وان لم يكن عنده استقرض واعطى عيينة بن حصن مائة من
الابل واعطى الاقرع بن حابس مثلها واعطى اعرابيا غنما بين جبلين
فانقلب الاعرابي وقال لقومه اسلموا فإن محمدا صلى الله عليه وسلم
يعطي عطاء من لا يخاف الفقر وقال انس بن مالك أتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين لم يؤت قبله بمثله فوضع في المسجد

ثم

ثم خرج فصلى فلما فرغ من صلاته جلس ثم دعى بالمال فما جاءه احد الا اعطاه
منه فجاءه عمه العباس فقال يا رسول الله اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فحثى في ثوبه حتى ذهب يقوم فلم يستطع فقال
يا رسول الله مر بعضهم يرفعه علي فقال لا قال فارفعه انت قال لا فنثر منه ثم احتمله
على كاهله وذهب فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي
علينا تعجبا من حرصه وما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغ المال
وممن عرف بالجود ان جاد به وشهر بالجود من اهله واجاد به اجواد
العرب في الجاهلية الذين ضرب بهم المثل في الجود ثلاثة لا رابع لهم وهم كعب
ابن مامة الايادي وهرم بن سنان المزني وحاتم الطائي ومن جمعهم شاعر في
بيت واحد فقال في هذا من ابيات
لو ادرك العصر من كعب وهرم بن سنان ، وحاتم جود كفيه لما ذكروا
ومن أجواد العرب عمرو بن عبد مناف فانه اول من هشم الثريد وجمع عليه قومه
فسمي بذلك هاشما وفيه يقول الشاعر
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ، ورجال مكة مسنتون عجاف
وقيل فيه ايضا ما احد كهاشم وان هشم ولكم كحاتم وان ختم ومن اجواد العرب
في الاسلام عبد الله بن عباس واخوه عبيد الله حكى الثوري عن عبد الله
ان رجلا اراد مضارته فاتى وجوه قريش وهم جلوس في فناء الكعبة وقال
يقول لكم عبد الله تغدوا عندي اليوم فاتوه وقت الغداء حتى ملأوا البيت
فسألهم عن مجيئهم فأخبروه الخبر فأمر بشراء فواكه وأمر قوما
فاخبزوا وطبخوا وقدمت الفاكهة اليهم فلم يفرغوا منها
حتى قدمت الموائد فأكلوا حتى شبعوا وانصرفوا ثم قال عبد الله لوكيله
أيوجد مثل هذا كل يوم اذا اردنا قال نعم قال فليتغدوا عندنا كل يوم
واما عبيد الله فانه كان من حيث جوده يسمى معلم الجود وهو اول من وضع
الموائد على الطرق وكانت نفقته في كل يوم خمسمائة درهم وكان اذا خرج
من داره طعام الى رحابه ومجالسه لا يأخذ ابنه منها شيئا فان لم يوجد من
يأكله ترك مكانه حتى تأكله السباع او الكلاب وكان هو واخوه

فإنه سواء من سأله أعطاه ومن لم يسأله ابتداء فلا يرى أنه يمتنع فيغتص وكم يرى
أنه محتاج فيبتدئ وكان يقال من أراد الجمال والعفة والسخاء فليأت دار العباس
فالجمال للفضل والعفة لعبد الله والسخاء لعبيد الله. ومن الأجواد عبد الله
ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الأعمش كنت عنده فجاءه نحو من عشرين
ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به
وكان كثيرا ما يتصدق بالسكر فقيل له في ذلك فقال إني أحبه وقد قال الله
تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واعتق ألف عبد وكان إذا رأى عبدا
من عبيده ملازما للصلاة أعتقه فقيل له إنهم يخدعونك فقال من خدعنا
بالله انخدعنا له. ومن الأجواد الحسن بن علي بن أبي طالب سمع رجلا يقول
اللهم أعطني عشرة آلاف درهم فأخذ بيده وانطلق به إلى منزله فأعطاه
عشرة آلاف درهم وخرج من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى
أنه أعطى نعلا وأمسك نعلا. ومن أجواد الصحابة العشرة رضي الله عنهم عثمان
ابن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن العاص وقيس بن عبادة
كانوا رضي الله تعالى عنهم إذا رأوا أموالهم كثرت وزادت تصدقوا بها ليلا
الى واسراء الفعو خوفا من أن تحملهم نفوسهم على البطر والطغيان
وأن تلهيهم بكثرتها عن الاشتغال بعبادة الرحمن. ومن المأثور عن عثمان بن
عفان أنه اشترى بئر رومة بأربعين ألف درهم وأوقفها على المسلمين وأنفق
في جيش العسرة عشرة آلاف دينار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها
بين كفيه ويقول غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلنت ولا يبالي ما عمل بعد اليوم. وأصاب الناس
مجاعة في خلافة أبي بكر الصديق فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر وقالوا
يا خليفة رسول الله إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس
الهلاك فما تصنع فقال لهم انصرفوا واصبروا فإني أرجو الله أن
لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان من آخر النهار ورد الخبر بأن
عير عثمان بن عفان جاءت من الشام وتصبح المدينة فلما جاءت
خرج الناس يتلقونها فإذا هي ألف بعير موسوقة برا وزيتا وزبيبا

فأناخت

فأناخت بباب عثمان فلما جعلها في داره جاء التجار فقال لهم ما تريدون قالوا إنك لتعلم
ما نريد بعنا من هذا الذي وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس إليه قال حبا وكرامة كم
تربحوني على شرائي قالوا الدرهم درهمين قال أعطيت زيادة على هذا قالوا أربعة
قال أعطيت زيادة على هذا قالوا خمسة قال أعطيت أكثر من هذا قالوا يا أبا عمرو
ما بقي في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا أحد إليك فمن الذي أعطاك قال إن الله
أعطاني بكل درهم عشرة أعندكم زيادة قالوا لا قال فإني أشهد الله أني جعلت
ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين. ومن المأثور عن الزبير
ابن العوام رضي الله عنه أنه كان له ألف عبد يؤدون إليه الخراج كل يوم فما
يدخل بيته منه درهم واحد بل يتصدق بذلك كله. ومن المأثور عن عبد الرحمن بن عوف
أنه باع أرضا من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار وقسم ذلك في بني زهرة وفقراء
المسلمين وأمهات المؤمنين وبعث إلى عائشة رضي الله عنها من هذا المال بأربعين ألف
درهم فقالت سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة. وحمل مرة أخرى على ألف وخمسمائة
راحلة في سبيل الله وشاطر الله ماله ثلاث مرات وأمر أن يتصدق بعد موته
بثلث ماله موصى فتصدق به بعضهم. وجلس ليلة في بيته على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكتب جريدة بتفريق جميع ماله على فقراء المهاجرين والأنصار
حتى كتب قميصه الذي على بدنه غير العباء ومئزر العباء ولم يترك شيئا من ماله
إلا كتبه فلما صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح نزل جبريل
عليه السلام فقال يا محمد أقرئ السلام على عبد الرحمن وقل له أن يمزق جريدته
وقل له إن الله قد قبل صدقته وهو وكيل الله ووكيله فيها فليصنع في ماله
ما شاء وليتصرف فيه كما كان يتصرف فيه من قبل ولا حساب عليه ويروى أنه أعتق
ثلاثين عبدا. ومن المأثور عن سعيد بن العاص رضي الله عنه أن رجلا سأله فقال
لغلامه أعطه خمسمائة فمضى الغلام ثم رجع إليه مستفهما أدينارا أم درهما
فقال ما كنت أردت إلا الدراهم أما إذا رجعت فصيرها دنانير فجعل الرجل يبكي
فقال له ما يبكيك قال أبكي على أن الأرض تأكل مثلك ويروى عنه أنه عزل عن
المدينة فانصرف ليلة من المسجد إلى منزله وحده فتبعه رجل فقال له ألك
حاجة قال لا ولكني رأيتك وحدك فوصلت جناحك فقال وصلك الله يا ابن أخي

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الطلب في جلوا واذهب في مولاي وقلنا ما جاءنا به يكتب له فكان بعشرة آلاف درهم واشتر
موكل عليه وقال إن احتجت فلتأت فقعدنا إليه فإذا أتى بان سعيد في تلك السنة فجاء الرجل
بأحد الجودين عمر فأمضاه وأعطاه عشرة آلاف درهم ولما افتقر سعيد قال لبنيه لا تقعدوا
أعلية بعد موتي عني وجميع أجر وأعليهم ما كنت أفعل واشتغل إليهم ما كنت أصنع بهم واكفوهم
مؤونة الطلب فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة
أن يرد عنها والله لرجل بات يتململ على فراشه يراكم موضعا لحاجته أعظم منة عليكم
منكم بما تعطونه وتبرون أيضا أنه لما احتضر قال لبنيه أيكم يتكفل بثلاث قال ابنه
عمر أنا قال اقض عني دَيني وهو ثمانون ألف دينار والله ما استدنتها إلا لكريم سترته
فيما خلته أو لئيم وقيت بها عرضي منه قال علي دينك يا أبت قال بقيت ثنتان قال وما
هما قال بناتي لا تزوجهن إلا أكفاء ولا تقطع خير الشيعي قال أفعل إن شاء الله
قال وبقيت واحدة قال أشهد على ما قلت وما هو قال إن فقدت أصحابي وجوههم فلا يفقدون
معروفي يا بني ثلاث خصال فيهن دروع الرجل الجبن والبخل والحدة للتسليم على رجل
كان في مجلسه متر حزم في رجل نزل به مهم من الأمور رجعت منه ملكا على فراشه يتقلب
من الهم كثير الفكر بلا أصبح رائحا أملا لحاجته فلم أكافئه ولو خرجت من جميع مالي
ومن المأثور عن قيس بن سعد بن عبادة ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
بعثا عليهم قيس بن سعد فجهدوا واستحر لهم قيس تسع ركائب فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعله فقال إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت ومن أخباره أنه مرض فاستبطأ
إخوانه في العيادة فسأل عنهم فقيل له إنهم تخلفوا عنك حياء لما لك عليهم من الدين
فقال أخزى الله مالا يمنع الإخوان من العيادة ثم أمر مناديا ينادي من كان لقيس عليه
دين فهو منه في حل فما تولى من كان في منزله حتى تهدمت درجة منزله في عشية ذلك
اليوم ومن جود سعد بن عبادة أنه كان مناديه ينادي على أطمه من كان يريد اللحم
فليأت فيأخذ وشحما طيبا وسعد ومن الأجواد معاوية بن أبي
سفيان قال عبد الله بن عمر ما رأيت أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود من
معاوية وهو أول من أعطى ألف ألف درهم في صلة وكان يعطيها للحسن والحسين
وعبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهم ومن غريب حكاياته في العطاء أنه جيء بحلل
ابتاعه من اليمن قال الحسن بن علي للأمير الحسين كم تلفه وكيف نسلم عليه فقال إن علي

دينارا أخرج من الخزانة فركب إليه حتى فتحه وسلم عليه وأخبره بذلك جميعا فقال دو
تيجان ثناه أن أقتني من أعيان أهله ومنع نفسه عنه لحظة لهم الحلول فقال معاوية
ما شاء الله عندنا يشعر بذلك وأن أعيانا ما عليه من المال قال وكم عليه قالوا ثمانون
ألف دينار فقال احملوها إليه فلما مات معاوية وولي ابنه يزيد دخل عليه عبد
الله بن جعفر على يزيد فقال له يا أمير المؤمنين إن أباك كان يصل رحمي في كل
عام بألف ألف درهم فقال يزيد نعم وكرامة أعطوه ألف ألف وألف ألف فقال
له عبد الله بأبي وأمي أنت يا أمير المؤمنين وما قلتها لأحد غيرك فقال يزيد
بل جزاه أخا أعجبك لك فلك عليها ألف ألف وألف ألف أخرى فخرج عبد الله
بأربعة آلاف ألف درهم فقال للسكي عليه إنا أعطيناها لأهل المدينة وما من بيت
من إلا عارية ولم تزل أعطيات الخلفاء إلى يومنا إلا يوم وكان آخر من فعلها
من الخلفاء المنتصر على بغلة ومن الوزراء الحسن بن سهل ومن مشاهير الأجواد
الطلحات وهم ستة طلحة بن عبيد الله التيمي وهو طلحة الفياض وطلحة بن عبد الله
ابن معمر التيمي أيضا وهو طلحة الجود وطلحة بن عبد الله بن عوف الزهري أخي عبد
الرحمن بن عوف وهو طلحة الندى وطلحة بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو
طلحة الخير وطلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ويسمى طلحة الدراهم و
طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي وهو طلحة الطلحات وسمي بذلك لأنه كان
أجودهم وقيل سمي بذلك لأنه وهب في عام واحد ألف جارية فكانت كل جارية
منهن إذا ولدت غلاما تسميه طلحة على اسم سيدها وعن الحسن قال باع طلحة
أرضا بسبعمائة ألف درهم فبات ذلك المال عنده ليلة فبات أرقا مخافة
ذلك المال حتى أصبح ففرقه وحكى ابن الجوزي في كتاب صفوة الصفوة
أن النبي صلى الله عليه وسلم سمى طلحة بن عبيد الله يوم أحد طلحة الخير ويوم غزوة
العسرة بجيش العسرة طلحة الفياض ويوم حنين طلحة الجود وهذا فيه مخالفة
لما تقدم والله تعالى أعلم ومن الأجواد عبد الله بن جعفر الطيار
وكان يسمى بحر الجود لجوده ويقال إنه لم يكن في عصره أجود منه ومن المأثور
عنه أنه وقف على بابه يوما وكان أرباب الحاجات ينتظرونه ويخرجون ويمضوا إليه
فما طلب أحد حاجة إلا قضاها له وكان ممن حظ نصيب الشاعر فلما نظر

اتى ما يصنع تعرّض اليه وقبل يديه وانشد

العبت نعم حتى كأنك لم تكن ... عرفت هنالك شيا سوى نعم
وعاديت لا حتى كأنك لم تكن ... سمعت بلا في سائر الدهر والامم

فقال له عبد الله ما حاجتك قال عشر رواحل تحمل عليها قال اتخذ اوسقها له برا وتمرا وامر له بعشرة الاف درهم وثيابا فلما انصرف قال قائل لعبد الله يا ابن الهاشمي تعطي هذا العطا كله لمثل هذا العبد الاسود فقال ان كان اسود فان شعره لابيض وان كان عبدا فان ثناه لحر وهل اعطيناه الا رواحل تنضى وطعاما يفنى وثيابا تبلى وكان يعتق في غرة كل سنة مائة ومن حكاياته انه ابتاع حائطا نخلا من رجل انصاري بمائة الف درهم فرأى ابنا للرجل يبكي فقال له ما يبكيك قال كنت اظن اني اموت قبل خروج هذا الحائط من ايدينا ولقد غرست بعض نخله بيدي فرده عليه الحائط وسوغه المال ومر عبد الله الشام بن يزيد المهلب أتى على قوم من العرب قد قتلوا رجلا وقتلت بينهم قتلى فاعطاهم ثلاثمائة الف درهم واصلح بينهم وصنع لهم طعاما نحر فيه عشرة جزر وانفق عليه مالا فقال فيه شاعرهم

ما البحر أجود من كفيه حين غدا ... ولا السحاب اذا ما راح محتفلا
أغاثنا الله بالمحمود شيمته ... شبه الغيث اذ جادنا الرسلا
اعطى مجازا ثناها واطعمنا ... ولم يكن فيه منانا ولا بخلا

ومن الاجواد عرابة الاوسي يحكى عنه انه اجتمع جماعة بفناء الكعبة يتذاكرون الاجواد وتلاحوا فقال احدهم أجود الناس عبد الله بن جعفر وقال اخر اجود الناس قيس بن سعد بن عبادة وقال اخر اجود الناس عرابة الاوسي وكثر كلامهم فقال رجل من الجماعة ليمض كل واحد منكم لصاحبه يسأله حتى ننظر ما يعطيه ونحكم على العيان فقام صاحب عبد الله فصادفه قد وضع رجله في الركاب يريد سفرا فقال له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل ومنقطع به فقام ثنى رجله وقال خذ الناقة بما عليها ولا تخدع عن السيف فانه من سيوف علي بن أبي طالب فقوم على بالف دينار فجاء بالناقة بما عليها من مطارف خز واربعة الاف دينار

واعطى

واعطى السيف ومضى الاخر الى قيس بن سعد فوجده نائما فقال له غلامه هو نائم فما حاجتك قال ابن سبيل ومنقطع به قال حاجتك ايسر من أن اوقظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار والله ما في دار قيس اليوم غيره خذه وامض الى معاطن الابل بعلامة كذا الى من فيها فخذ راحلة وعبدا وامض لشانك فقيل ان قيسا لما انتبه اعلمه غلامه بما صنع فاعتقه وقال له هلا ايقظتني كنت أزيده ومضى صاحب عرابة فلقيه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو متوكئ على عبدين وقد كف بصره فقال يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به فتخلى عن الغلامين وصفق بيديه وقال أواه أواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا خذ العبدين فقال الرجل ما كنت بالذي أقص جناحيك فقال ان لم تاخذهما فهما حران فان شئت فاعتق وان شئت فخذ ورفع يده عنهما وتركهما واقبل يلتمس الحائط بيده فاخذ الرجل الغلامين وجاء بهما الى اصحابه فاجمع الناس على أن عرابة أجود الثلاثة لانه اعطى جهد المقل وان البقية اعطى من سعة وفضل وفي عرابة يقول الشماخ

رأيت عرابة الاوسي يسمو ... الى العلياء منقطع القرين
اذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

ومن الاجواد عبد الله بن أبي بكرة واسمه نفيع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حكاياته انه اوسع له رجل في مجلس فلما قام قال للرجل الحقني الى منزلي فلحقه فامر له بعشرة الاف درهم وابتنى دارا بالبصرة انفق عليها عشرة الاف دينار فدخل عليه فيها بعض اصحابه واستحسنها فقال هي لك بما فيها من الفراش والاثاث والرقيق فقال الرجل بارك الله لك فيها وقد تعطيها فقال والله لتقبلنها فقبلها وولاه عبيد الله بن زياد سجستان وامر بحمل ما فيها من بيوت الاموال فاخذ ما فيها من الاموال العظيمة للنفقة على سجستان وكانت اربعة الاف الف درهم فما اتى عليه الحول حتى استدان ومن الاجواد اسماء بن خارجة مما يحكى عنه انه رجع يوما الى داره فوجد فتى بالباب جالسا فقال ما اجلسك هاهنا قال خير قال والله لتخبرني قال جئت سائلا املي قوت الدار ما اكل فخرج الى منتهى

جارية اختلعت قلبي وسلبت عقلي فانا جالس لعلها تخرج ثانية فانظر اليها فقال
اتعرفها اذا رأيتها قال نعم فمرّ على جواري الدار من الجواري وجعل يعرض عليه
واحدة بعد واحدة حتى مرت الجارية فقال هي هذه قال قف مكانك حتى اخرج اليك
ثم دخل الدار وخرج والجارية معه وقال للفتى انا ما جئت عليك الا لانك تكون
في دارنا كانت تبعث ببناته ولم ازل بها حتى اتبعتها منه فخذ بيدها بغير
وهبتها لك ومنه الله اصلح به شانه ومن الاجواد يزيد بن المهلب
وله حكايات شهيرة بكرمه فيها وكتب عن غلامه فيها كل شيء تعلم حيارة فيها انه
دخل عليه الكوثر بن زفر الكلابي وقد حبس سليمان بن عبد الملك العراق فقال له
انت والله اكبر قدرا من ان يستعان عليك الا بك ولست تصنع من المعروف
شيئا الا وانت اكبر منه وليس العجب منك ان تفعل ولكن العجب منك ان
لا تفعل قال ما حاجتك قال تحملت عشر ديات وقد ضاقت يدي عنها فقال قد امرت
لك بها وشفعتها بمثلها فقال الكوثر اما ما سالتك لوجهي فاقبله منك واما
الذي ابتدأتني به فلا حاجة لي به وقد كفيتني ذل السؤال قال رايت الذي منّته
ببذل مسألتك اياي وبذل وجهك اكثر من معروفي وقد كفيتني مكرمة الفضل لك على
فقال يزيد ما انا اشرف كما استشرفت بفضلك على ما اعطيتك له من ان له
الحاجة في الا قبلتها بفضل ومن الاجواد معن بن زائدة الشيباني
ويكفيه ان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وعن معن ولا حرج وسنورد شيئا
من اخباره في الفصل الثاني من هذا الباب وقال اول من حمل اليه راس فا
واجرى الصدقات على الزمنى والعجزة والعميان والمساكين واستخرج
له الخراج الوليد بن عبد الملك وهو اول من تكبر من الخلفاء وانف ان يدعى
باسمه كما كان يدعى من كان قبله من الخلفاء ويكفيه منقبة بناؤه
جامع دمشق الذي هو من اعاجيب الدنيا فانه يقال انه انفق عليه
خراج الشام تسع سنين ومن الاجواد عبد الله بن جعفر بن ابي طالب ثم انه
الكريم طلحة بن عبيد الله وهو ستة خالد ولكن يحيى ولا يدعى اربعة وهم الفضل
وجعفر وموسى ومحمد اما خالد فلم يزل يرتفع في الخلافة حتى اذا
بلغ من الكبر عتيا من جوده انه لم يكن لاحد من اصحابه ودار الا من جارية

فرح بها له ولا دار الا من دوابها على قدر منها ماله وكان الغطاريف
قبل ايامه السؤال يكرهون التسمية ويرون انها تنقص بهم وقال انه يبيع
من له بيته بشرف وعلم وادب بتسميتهم بالزوار وكانوا يعتمرونه في المواسم
للعطاء بما يكتبون اسماءهم وتعرض عليه فيخص كل واحد منهم على قدره
وسيله فاتيت اليه حتى بعطية بقدر ما تشتهيه ومثلها وتقدم اليه رجل
فقال له فاذا انت فقال والله ما جئت من حاجة ولا حرمة ولا وسيلة ولكن
رغبت اليك بعمر ابن حميد والتقبه نكى مدد وما بلغني من جودك فقال تمل
ما منعنا احدا ولسنا منك بالعطية فاجزل عطيته ثم سال اخر فقال حرمتي
بالا ميراثه جمعني واياه مسجد جامع في يوم كذا في شهر كذا فصلينا
فيه فقال حرمة لا تدفع وامر له بصلة وفيه يقول الخطار بن يزيد
نعم لخير اجرى عليك ابن مسلمة وما كان كان العناء عني بجلة
حلفت بشعر راحتيه فسرنا على كل الصعاب على ابي عمرو
اخا للراة الحمد يبغي له مثله حمى الا لا تبغي الكنوز مع الكبر
فكل واكثر من عداه مستترة ولا تبغيها ان العواري المرة
ثم كان ابنه يحيى فكان في سنينة اخذا في الجود بعد ابيه وسنه
فيه يقول سلم الخاسر بابن الملك اضحى ومنه العالي
انت المسمى باسمه عند الملمات الثقال ثم الذي اصبحوا الندى
عند السما من خيرها قال لقد ذكرك من قصتي ما جئته من لهيم الغلال
يحيى بن خالد بن برمك فجاءوا جبرا ولا تجاوز على قبل سؤاله
وكفاه ملكي في السؤال ملك غلاما ماله وهو الكبرون خبير حال
واذا رماك بوعد كان التواء مع الفال وا وكد ساد واعتلا
ما التسر قباد وابن ادوالي بلغ من قبلهم كلا من السماء ونلتي وكمل
الثناء ونسي كل واحد منهم فرقهم بفضيلة فالعقل في جوده ونزاهته
وجعفر في بلاغته وفصاحته وموسى في نجدته وشجاعته ومحمد في مروءته
وبعد همته وكلهم سمح جواد وفيهم يقول الشاعر
اولاد يحيى اربع كالاربع الطبائع فهم اذا اختبرتهم كطابع الصانع

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

ذكر الفضل الشلغوي العباءة أيسكم وأمضاهم بالحملة عربية والمشطهم والمولع بالحمد عكاء باعلاء امر هم بالي نعاج براله سيما اما من شاعر برحد او شرا ويقال له حاتم الا سلاح وحاتم الاجواد من مراتبه وله مرح وعمر العقل وله مرج وفيه يقول العباله المرني

لست بكفي كفه ابتغي الغنى … ولم ادر ان الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى … أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وفيه يقول سلم الخاسر

سار سارينا من سمت جبينه … فضلا كرما والبيوت الشوارد

أقام الضرا والجود في كل بلدة … أقام بها الفضل بن يحيى بن خالد

وفيه يقول أبو الغول مروان بن أبي حفصة وجمعهم على النسق

لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد … وما كل من يدعى بفضل له الفضل

رأى الله فضلا منه في الناس سابقا … ففضله والله يفعل ما يبتغي الاسم والفعل

وزاده لم فضلا أن أضلت في الورى … كرام اذا أزرى بها الشح والبخل

ولم يرض بعد الجود للبخل موضعا … فأصبح يستعفي على جوده البخل

اذا كنت أسماء من علينه … فلا سمح حيث لا تشابه عادل

روى الفضل عن يحيى سماحة خالد … فقام به الشعور وقام به الجبل

وقام به المعروف شرقا ومغربا … ولم يك للمعروف بعده قبل

وفيه يقول الحسين بن مطير

زاد الله للفضل بن يحيى فضيلة … تفضله والله بالناس أعلم

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس … ويوم نعيم فيه للناس أنعم

فيمطر يوم الجود من كفه الندى … ويمطر يوم البؤس من كفه الدم

ولو أن يوم الجود خلى يمينه … على الناس لم يصبح على الأرض معدم

ولو أن يوم البؤس خلى شماله … على الناس لم يصبح على الأرض مجرم

ومن قال بتربيع مرجعه اللسان عن ذوي الانعام وذي الاعتبار

وعد اعرابي رجلا فقال أن الله رجل اشترى عرضه من الاذى فمن والاعطى الدنيا باسرها رأيته عز الله اذ علينه صفو فلا منها ومرح اعراب فوما

بالجود فقال هم الذين جعلوا اموالهم مناديل اعراضهم فالخير فيهم زاد والجود لهم شاهد يعطون أموالهم بطيب أنفس اذا طلبت اليهم ويباشرون الملكوت بالبشر في الوجوه اذا بغي عليهم ومرح الآخر رجلا فقال ما رأيت الذي ابغض اهل البخل وقالوا البلاء دواء البغي ان سيل العطي وان لم يكن ابترا وقالوا البلاء ينزل ما حل ويحيي ما اعتل ويكثر ما قل ومن كلام الثعالبي فلان يحيي القلوب بلقائه ويبيت الفرح بعطائه فلان يحيي الصلات وهو بالصلاة فيلا ولو ان البحر مده والسحاب يده والجبال ذهب لضعفت همته بعمه وقالوا فلان لا يعشر فيها الا انضبوا بالعزل وان همها الا التعبني بالعزل واما المنظوم في هذا فكثير من ذلك قول المطلب بن أبي صعز

قوم اذا نزل الغريب بأرضهم … ردوه رب صوامت وقيان

لم ينكثوا الأرض عند سؤالهم … لتطلب الحاجات بالعيدان

بل يبسطون وجوههم فترى لها … عند السؤال كأحسن الألوان

آخر نزلت على آل المهلب شاتيا … بعيدا عن الأوطان في زمن محل

وما زال بي اكرامهم وافتقادهم … والطافهم حتى حسبتهم أهلي آخر

لولا السماح في زيادة أصبحت … رهن العباءة قليلة الزوار

وتعطلت رحل المكارم واغتدت … ام السماح كثيرة العوار

وكم وحشت سبل المكارم والتوت … بالطالبين مطالب الأرحام آخر

اما السماح ففي تبسم ثغره … بعد التزين والتجاود نوره بابه

أطلعت من أغلاله وتشعبت من … أغلاله ومنحت من أفعاله آخر

لو قيل للعباس يا ابن محمد … قل لا وأنت مخلد ما قالها

ان المكارم لم تزل معقولة … حتى حللت براحتيك عقالها

وإذا الكرام تسابقوا في بلدة … كانوا كواكبها وكنت هلالها

ما ان أعوزه المكارم خصلة … الا وجدت عميدها أو خالها آخر

يعطي على الغضب الشديد والرضى … وعلى التلال والعبوس الأزبد

كالغيث يسقي العالمين بأسرهم … من غمه ويراحم وبأشوده

وقال مسلم بن الوليد في هذا أبيات

فتى أنامله بلمس أناملا ، لأكنّ مفاتيح الأرزاق
وإذا كفى ضيفا بقيه بلمس ضيافيا ، لأكنّ فيلا برا الأعناق
يلقاك منه تبارك وعطاؤه ، بزكاء راحته وطيب مذاق
كالشمس في كبد السماء محلها ، وشعاعها من شاسع في الآفاق

وقال مروان بن أبي حفصة

لمن سحائب جود في أنامله ، أمطارها الفضة البيضاء والذهب
يقول في العسر إن أيسرت ثانية ، أقصرت عن بعض ما أعطي وما أهب
حتى إذا عاد أيام اليسار له ، رأيت أمواله في الناس تنتهب

وقال العمى قول الكميت بن عنبر الفقعسي

ما أنت في الجود إن عزت فضائله ، ولا ابن ما منه إلا اليم والوشل
إن شئتما في الندى أمثال أولنا ، فإن للجود فينا معدنا مثلا ءاخ
فتح الغمام نواله أو مازن ، فمحت البروق على الغمام الهاطل الحصية
يزور امرأ يعطي على الحمد ماله ، ويعلم أن الشح غير مخلد
كسوب ومتلاف إذا ما لقيته ، تهلل واهتز اهتزاز المهند
متى تأته تعشو إلى ضوء ناره ، تجد خير نار عندها خير موقد
وإنا إذا ما أزن كنا السؤال فلم نبخل بما يبتغى بنا
وإن نحن لم نبخ معروفه ، فمعروفنا أبدا مبتغينا

وقال عامر بن الحي العدوانية فلا دخا لعوصه

أناس إذا ما الدهر أظلم وجهه ، فأيديهم بيض ووجوههم زهر
أولئك قوم شيد الله فخرهم ، فما فوقه فخر وإن عظم الفخر
يصونون أحسابا ومجدا مؤثلا ، ببذل أكف دونها المزن والبحر
سموا في المعالي رتبة فوق رتبة ، أحلتهم حيث النعائم والنسر
أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت ، لنورهم الشمس المنيرة والبدر
فلو مس الصخر الأصم أكفهم ، لفاضت ينابيع الندى ذلك الصخر
شكرت لهم آلاءهم وبلاءهم ، وما ضاع معروف يكافئه شكر
ولو كان في الأرض البسيطة منهم ، لمختبط عاف لما عرف الفقر

ءاخ

ءاخو سبل السحاب إذا أهلت جنابه ، هطول البرية مودب الغرام
وإذا رأيت شغيفه وضريبه ، لم تدر أيهما أخو الأرجاح

وقال محمد بن هانئ الأندلسي

أعطى وأكثر واستقل هباته ، فاستحيت الأنواء وهي هوامل
فاسم الغمام لديه وهو كنهور ، آل وأمواه البحار جداول
لم تخل أرض من ثراه ولو خلت ، من شكر ما يوليه حسان قائل ءاخ
يا أيها الملك الذي لنواله ، كل تعم بره وندا الأماله
أنعمت حتى ليس يبصر فاقر ، وبذلت حتى ملت السؤال
وجمعت أشتات المكارم والعلا ، فأيقنا بأنك الواهب المفضال ءاخ
له راحة لو أن معشار جودها ، على البر كان البر أندى من البحر
إذا ما أتاه السائلون توقدت ، عليه مصابيح الطلاقة والبشر
له في ذوي المعروف نعمى كأنها ، مواقع ماء المزن في البلد القفر
أصبح أهل الأرض زواره ، فماله نسب سوى زواره ءاخ
كأنه مورد الورى ، فمازال الزوار يزدادها بكثر النكاع
أقول لمرتاد الندى عند مالك ، تشد بجدوى تامك وصلاته
متى يجعل الدنيا وما فيه ضده ، وأسرابه المعروف عن غرافه
ولو ضربت أمواله جود كفه ، لعاش من يرجوه شهر حياته
ولو لم يجد في العمر قسم لطالب ، وجاز له الإعطاء من حسناته
لجاد بها من غير كفر بربه ، وأشركه في صومه وصلاته

علي بن الجهم في المتوكل

بيتم من أمامه عزل ، تغرق في بحره البحار
مؤمل يرتجى ويخشى ، كأنه جنة ونار
الملك فيه وفي بنيه ، ما دار بالأنجم المدار
لا زال في الملك ذا اقتدار ، ما كر الليل والنهار ءاخ
يداه بالجود ضرتان ، عليه كلتاهما تغار
لم تأت منه اليمين شيئا ، إلا أتت مثله اليسار

المتنبي: لولا المشقة ساد الناس كلهم ، الجود يفقر والإقدام قتال

، فلا الحمد مكسوبا ما لم تبقيه في الجوهاد ولا بيع ولا ده آل

وممّا ينبغي أن يكون لا خفا بالذكر أن من تمام النعم أن لا يراه ذا نوعان

لما في هذا الموضع لمن تأمله أحسن موقع النوع الأول أن لا يذم من أتبع

الإحسان بالتعيير وبالامتنان قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا

تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وقال النبي صلى الله عليه وسلم إياكم والامتنان

بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر وقالوا المنة تهدم الصنيعة ويقال المنة

المنة من ضعف المنة ومنه قول عمر رضي الله عنه في ذم منان شر أخوك حتى إذا

أنعم رفق وقال شاعر في ذم منان

، أفسدت بالمن ما أسديت من حسن ، ليس الكريم إذا أسدى بمنان

، الورد يوم ما شين من كل ج ، ما زلت تفسد الحرفة بتنبان ،

وقالوا لا خير في المعروف إذا أحصي وقالوا ما يقر لا يعتبر ويقال أحسن العطاء

موقعا ما لم يشب بمن ينشر فيه مثله

أحسن من كل حسن في كل وقت وزمن ، صنيعة مشكورة ، خالية من المنن

وينشد للشافعي لا تحملن لمن يمن من الأنام عليك منة

واختر لنفسك حظها واصبر فإن الصبر جنة منن الرجال على القلوب أشد من وقع الأسنة

شاعر يمدح من من وما أحسن الحكاية التي ذكرها بعض الأدباء في ذكر

أخ إذا ما نالني من فاضل منعم ، فأهلا بما قال تذكر بسواك

، فأما إذا ما كان من في بينا ، فجودنا بما كان نبغضه ولا في ،

، ومن ذا الذي يلتذ شيئا بعلقم ، أبت لمواقة الحر والشيطان

وقال بعضهم لا عار في أن يعلم أنه كمثلك فقال إن المعروف إذا من كدر

وقرعا عليه أشبع لسانه وقال تغافل عن عدد نعمه تحوكهم وقالوا إذا اصطنعت

امرأ معروفا فلا تجعل إليه به حظ لسانك فيبطل المحمود نظامه

وبغير بركات بغير قيامه وقالوا خير المعروف ما لم يتقدمه مطل ولم يتبعه من

ولهذا أحسن قائل من البيتين إذا زرعت حميا باسقة فزرعها ما الكارم لا يتبع له الشيء

، ولا تتبعه برقابة نفلوا ، من عادة الحر أن يجود به الثمر ،

ويقال عليك حق لمن أجريت عليه المعروف أن تسرّه ولا تنظر وتنفر منه ولا تتوقع

وتستقله ولا تستكثر ولا تتبعه منا ولا تبطله بأذى وقال موسى شهوان

يمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بن حاتم

، حمزة المبتاع بالمال الثنا ، ويرى في بيعه أن قد غبن ،

، وإن أعطى عطاء مبخلا ، ذا خالي ليكره لمن ،

وقال ابراهيم بن العباس الصولي معتذرا بين الأنداد من ،

، أجري بين معروف ومن ، واجمع بين ثناء والعقوق ،

كان يقال الأيادي ثلاثة يد بيضاء ويد خضراء ويد سوداء فاليد البيضاء

الابتداء بالمعروف والخضراء المكافأة عليه والسوداء المن قال شاعر

، أراد كوم حسن الثنا ، ولم يرد الله ذاك البخيلا ،

، وكيف يسود أخو بطنة ، يمن كثيرا ويعطي قليلا ،

ومن ألطف الحكايات وأطرف المكافآت ما يحكى أن الأشعث بن قيس قال

لرجل أسدى إليه معروفا ما بلغ شكرك عليه ما شكرت والله معروف عندك فقال الرجل

أرمع معروف كان غير محتسب موقع عند غير شاكر وليم بعضهم على منة بمعروف

أسداه فقال إذا كفرت النعمة وجبت المنة وليم آخر فقال إذا جحد الإحسان

وجب الامتنان وقال الشاعر رأيتك تكويني بميسم منة كأنك كنت الأصل في تكويني

، وتلويني الحوائج أنا أمله ، وتخرج في جفوا الي كل تلويني ،

، أرجع ولا تمتن علي ببلغة ، من العيش تكفيني إلى حين تكفيني ،

النوع الثاني في أن من تمام المعروف ترك المطل وإغاثة المستجير

على حصول مطلبه قال جعفر بن الصادق لا يتم المعروف من جرثمه

لا يتم إلا بثلاث تعجيله وستره وتصغيره فإنك إذا عجلته هنأته وإذا سترته تممته

وإذا صغرته عظمته مرع بعضهم من من خلته فقال ،

، زاد معروفك عندي عظما ، أنه عندك مستور حقير ،

، تتناساه كأن لم تأته ، وهو عند الناس مشهور كثير ، آخر

، أنت ذكي معروف من برهانه ، ما حياة هذا مما أنت ذكرته ،

، ومنه في بعض في النفوس محله ، فتصغيره في الناس تعظيم قدره ،

وقال يحيى بن خالد ما استكفاني صاحب حاجة فكذلك لا أعز شيئا منه حتى أعزله
فجازا ولذا أمنع شيئا حتى أعزله عذرا وقال البلاد والتقلل بالمعروف فإنه مغتبر
للمروءة محرمة للصنيعة محقة للشكر داعية للذم فقال شاعر

يا مانع المعروف كن تاركا ، تزهد في الحاجة في حاجته
فتلك معروف مطوله ، وخير ما كان في ساعته
لكل خير يرتجى آفة ، ومطل المعروف من آفته

وسأل رجل رجلا حاجة فاعتذر إليه وجعل يعده فقال العتبي في الشكر من حبس
أخطأك في الذي لا تأخذ شيئا وفي الذي تعطيه وفي التعسير منها وفي الوعد بغية

ما الحياء شافع جود الكرام إذا ما كان عن عرفه ، ومن تلاخر لم يسلم من الكدر
إن السحاب لتعطي نوالها رغما ، نفعا إذا نمى لم تعط عن كدر
وما الكرام بمزهوم وإن سمحت ، جراه من تعذر مطول بالكدر

اخر
الحر أعيته ما كان أعجله ، وأغلب دم ومطول المطل تكدير

اخر
كم من يد من السؤال أنالني ، فعرفتها وكان تميز جزيل
أي من فيض التي إذا استكملت ، معروفه ويري التعجيل

اخر
رأيت المطل منكرا أنه ويلا ، يروض كساعة منه التعجيل
يراوده عرجو راية نفتر شوه ، ترى أن النجح أجمل التعجيل

اخر
تعجيل جود المرء الكرومة ، تنشر عنه الطيب الزكي
والحر لا يبطل معروفه ، ولا يطيل المطل بالعشير

وقالوا النجح بالعذر الجميل خير من المطل الطويل وقالوا المطل من العدم
والإنجاز برك والنجح تلعبه قالوا السخي من حيي بعرو ومستره بالوعد حتى
ينجز ما لوام من حق المطلوب إليه أن لا يلجئ السائل إلى الإلحاح عليه قالوا
بالرد خير من الإبطاء قال أبو تمام

وخير عدات المرء مختصراتها ، كما أن خيرات الليالي قصارها
وأن الأيادي إنما يجانيا كبارها ، إذا وضعت تحت المطال صغارها
وما المعروف بالتسويف إلا كنخلة ، تسلف عنها حين شك مزارها

اخر
أي فضل لصاحب الجود فيه ، مع تقاضيه بانتظار الرجاء

إنما الفضل والسماح لمن يعـ ، ـطيك عفوا وما وجدك جيده

اخر
إذا قلت في شيء نعم فأتمه ، فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا واسترح وأرح بها ، لئلا يقول الناس إنك كاذب

وقالوا الإنجاز لوعد فضيلة معروفة في أكثر الناس ولو لم يكن ذلك لما مدح الله
سبحانه وتعالى نبيه إسماعيل بصدق الوعد فقال عز من قائل وكان صادق الوعد
شاعر

إن الحوائج وقتا أن يرى بها ، عند الذي تقضى له محصولها
وإذا قضيت لطالب لك حاجة ، فاعلم بأن تمامها تعجيلها

الفصل الثاني من الباب التاسع في
الأداء من الأجواد ، وطلب الحوائج من الفضلاء

مما يجب أن يقدم فيما يسأله تلطف الراغب في نيل ما يتمناه فقال التلطف
في السؤال سبب لتحصيل النوال وقالت الحكماء اللطف في الاستخدام سبب النجاح
قال العتابي إذا طلبت حاجة إلى ذي سلطان فأجمل في الطلب إليه وإياك
والإلحاح عليه فإن الإلحاح يكلم عرضه ويكلم ماء وجهك فلا تأخذ
منه عوضا بالأخذ منه ونصال بلا إلحاح يجمع عليك إخلاق الوجه وحرمان النجاح
ونعم ما حسن في الأدب القائل وإذا طلبت إلى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم

فإذا رآك مسيلا عرف الذي ، حملته فكأنه ملتزم

نقض بعضهم هذا بقوله

حث الجواد على السؤال تقاضيه ، بالوعد واحمله على الإنجاز
ودع الوثوق بطبعه فلربما ، نشط الجواد بشوكة المهماز

وقال آخر معتبا عذر من منع

وإذا طلبت إلى كريم حاجة ، فأبى فلا تقعد عليه بحاجب
فلربما منع الجواد وماله ، بخل ولا كرس حظ الطالب

اخر
أمر بتسليم عليك وأغتدي ، ويكفيك بالتسليم مني تقاضيا

ومن المحاسن في بديع ما تلطف به من استنجاح من الكلام المخادع لزوال السماح
ما حكي أن زياد بن أبيه نظر إلى أعرابي يأكل فقال ما بينه أكلا ذريعا وسوء من أقبح
الناس وجها فقال يا أعرابي كم عيالك قال سبع بنات أنا أجمل منهن ومني

أو كلّ شيء بعهد زياد، وقال لله درّك ما ألطف سؤالك أمرضوا لكل واحد منهم مائة دينار وحملوا الشعر إليه وقد روي أن معن بن زائدة الحكاية وذكر أن تاجرت سعيد بن الحسن مع زياد وأنه لما وصله ووصل أولاده خرج وهو ينشد

إذا كنت مرتاداً السماحة والندى ** فناد زياداً أو أخاً لزياد

يجبك امرؤ يعطي على الحمد ماله ** إذا ضنّ بالمعروف كلّ جواد

وما لي لا أثني عليه وإنّما ** طريفي من معروفه وتلادي

وحكي أن أعرابياً قال لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين إنّ لي بنات تعضّ عليهن من شوائب فضحك منه وأمر له بصلة وقال المأمون للعتابي سلني تزوّجا بالسؤال أنكم من نسائه بالسؤال إلى المأمون محمد بن حازم أن تحمل بيتين فقال

أنت سماء ويدي أرضها ** والأرض ترجو مطر السماء

ما زرع برّ عندي محمود ** فحصد منه حسن الثناء

فاستحسنه المأمون وأعطاه عشرة آلاف درهم سأل أعرابي عبد الملك بن مروان فقال له سل الله تعالى فقال قد سألته فأحالني عليك فضحك منه وأعطاه قدم على مخلد بن يزيد بن المهلب رجل مستجديا كان قد زاره فأجازه ثم رحل عنه وعاد إليه فقال له ألم نكن قد أتيتنا مستجديا فأجزناك قال بلى قال فما ردّك قال قول الكميت فيك

سألناه الجزيل فما تلكّا ** وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ** فأحسن ثم أحسن ثم عادا

مراراً لا أعود إليه إلا ** تبسّم ضاحكاً وثنى الوسادا

فأعطاه ما كان أعطاه وقد نسب ابن عبدون هذه الحكاية والأبيات لزياد بن عمرو العتكي قال إنه في عبد الرحمن بن زياد في كتاب الوزراء له والله أعلم ودخل أعرابي على خالد بن عبد الرحمن القسري فقال

أخالد إني لم أزرك لحاجة ** سوى أنني عاف وأنت جواد

أخالد بين الحمد والأجر حاجتي ** فأيهما تأتي فأنت عماد

فقال له سل حاجتك فقال مائة ألف درهم قال خالد أسرفت فاحطط منها فقال حططتك أنصافا قال خالد ما أعجب ما سألت وما حططت فقال لأنه يجب أن مسألتك على قدرك وحطّيته على قدري فضحك منه وأمر له بالطلب ومثل

ومثل بين

ومثل بين يدي خالد أعرابي فأنشد

أخذ غلامي لم أزل مغيبا ** أكمل أماً وأباً كبيرا

وقد أتيت ماجداً كبيرا ** أطلب شيئاً هيناً يسيرا

إما أن تعطيني بعيرا ** أو صلة كنت بها جديرا

تشري لأهل واحد كثيرا ** وقد عدوا إليه ذا الفقيرا

إن لم تزل البحر أميرا فاستحسنه خالد وأمر له بتعجيل ما طلبه فقام بين يديه

هل لك أن تولي كريما ** يحيي به الشيخ والغلاما

وصبية من أهلنا قياما فقال له خالد ما أنصفناك ولا أعطيناك ما تستحق ثم أمر له بخمسين بعيرا من سوقه محملا وقال له أقسم الطعام على من ذكرت وخذ الإبل لنفسك وأنشد أعرابي سيف الدولة علي بن حمدان

أنت علي وهذي حلب ** قد نفد الزاد وانتهى الطلب

وعبدك الدهر قد أضرّ بنا ** إليك من جور عبدك الهرب

فأمر له بألف دينار فردّت إليه الصلة وسلم الدنانير من يمينها خرج عبد الله بن جعفر من منزله وكان وحده فجاءه غلام من ثقيف فمشى إلى جانبه فقال له عبد الله ألك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رأيتك تمشي وحدك فقلت أقيك بنفسي فأخذ عبد الله بيده وأتى به إلى منزله ثم دعا بألف دينار فدفعها إليه وقال له أنفق هذه منيعا ما أدبك به أهلك وأنفق مثل هذه الحكاية تنسب لعمرو بن العاص وقد تقدم خبر وسأل رجل الحسن بن عبد الله فقال إني أسألك من حاجة ولكني رأيتك تحب من أعطيتك ما حبيبه أن تخبرني فأعطاه عشرة آلاف درهم ونظر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي عبد الله بن طاهر يعرضون إليه فاستنشده فأنشده

حياك رب الناس حياكا ** إذ بجمال الوجه رواكا

فزت بما أعطيت يا ذا الحجا ** والناس والأنعام عيناكا

بغداد من نورك قد أشرقت ** وأورق العود بجدواكا

فاستضعف الجماعة شعره وقالوا يا بعد ما بينه وبين أبيه فقال عبد الله بن طاهر لعبد الله بن إسحاق قل بعض شعر أبيه فأشار إلى رجل في المجلس

أراك الذي أملت أخطاكا

فقام وأقبل على قائم وقال هيا الحرب الناس حياكا

أتيت خيرا منصبا قائلا ، ولو دا الطائف لواساكا

أتيت شخصا فضلا كيسه ، ولو حوى شيئا لأغناكا

فما كان رشيت فيا ممرضة ، مثل الذي أعطيت أعطاكا

فقال قائم أعز الله الأمير ان يبيع الشعر بالشعر ربوا فاجعل بينهما شيئا من المال حتى يحل لي فضحك منه وقال إن لم يكن شعر أبيك كما ذكرت فيه وقد وصله بثلاثة آلاف درهم ووقف رجل لعبد الله بن طاهر في كمه رقعة فناشره أن يدفع له حتى يشتري بثلاثة أبيات فوقف وقال له قل ما تشتهي

إذا قيل أي فتى تعلمون ، أشار إلى الناس السائل

وأهيب للسلام يوم الوغى ، وأطعم في الزمن الماحل

أشارت إليك جميع الأنام ، إشارة غرقى إلى الساحل

فأمر له بخمسمائة درهم كتب أحمد بن إبراهيم الكاتب إلى إسماعيل بن بلبل رقعة يذكر فيها اختلال حاله وجعل آخر الرقعة فاستتر أن لم تزل عينا لكل مؤمليه

إن كنت أملك درهما ، فكفرت بالشغوف فيه

فبعث إليه بثلاثة آلاف دينار من لطائف التعريض بالسؤال ما يحكى أن أعرابيا وفد على معن بن زائدة فلما مثل بين يديه قال أمن الرجال قال رجل من العرب وقد أملتك وقصدتك فلا تشغلني بالسؤال عما جئت فيه من سوء الحال قال فما حاجتك قال بلغ وكبر ووهن وضعف جلدي وقلة ذات يدي فانقذني يا مغيث الملهوف وجابر الضعيف فأمر له بحروك راحلة وزاد قال فعل من غير أن تنت بها أو يد تقوس بشكيها قال أنت أعظم من أن يشتري مثلي بمثلك أو يتوسل إليك بغير فضلك أو يتحمل الجميل تمام نزلك وقرت في ذلك شعرا قال ما أنت ما تشاء

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي ، فما لي إلى معن سواك رسول

قال إذا شفعته فيه فقال الأعرابي ما أنت بالبخيل فأوصه الدوام البذل ولا أوتيت ما يحيى لنا ، عليك ثم انصرف وهو يقول

بأني لحملت عليك أنني ، ملأت عن منضر بي مسؤول

أبا حسن وليس لما خباء ، على من يصرف ما أقول

أم الأخرى تكون بقلك عار ، على من دانه الفعل الجميل

فرق له وأجزل صلته ومن عال أحد بن قاسم بن عيسى العجلي شاعر مستجديا فأقام ببابه مرة لا يصل إليه فكتب في رقعة عشرة أبيات

ماذا أقول إذا أتيت معاشرا ، صفرا يدي من عند أروع مفضل

أم ما أقول إذا سئلت وقيل لي ، ماذا أفدت من الجواد المجزل

إن قلت أعطاني كذبت وإن أقل ، ضن الجواد بماله لم يجمل

ولأنت أعلم بالمكارم والعلا ، من أن أقول فعلت ما لم تفعل

فاختر لنفسك ما أقول فإنني ، لا بد أعلمهم وإن لم أسأل

فدفعها لحاجبه فلما وقف عليها أبو دلف أمر له عن كل بيت ألف درهم وكتب خلف الرقعة

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ، نزرا ولو أمهلتنا لم نقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تقل ، ونكون نحن كأننا لم نفعل

وقام منشد النحوي بين يديه فقال في كتب الحسن شعر

فماذا أقول إذا الرواة تنولوا ، بقصيد شعري في الإمام العادل

واستعظم الجهلاء شأن قصيدتي ، بأجل ممدوح وأفصح قائل

ثم انقضى عجب النشيد وتعجبوا ، يتساءلون عن النوال والنائل

هب يا أمير المؤمنين فإنني ، فسر البيان فما جواب السائل

ومن أحسن ما خرج به في كشف عن التشريع بالنائل وصرف وجهه عن الاتقان للسائل يحكى أن رجلا وقف لعلي بن عيسى الوزير في كمه فقبلها قال له يا فتى أسبغ عليك النعمة من غير شفيع تبل تعطيلا منه وامتنانا إلا ما أنصفتني من خصمي وأخذت لي الحق منه فإنه ظلوم غشوم لا يستحيي من كبير ولا يلتفت إلى صغير فقال علي بن عيسى أعلمني من هو فإني لم ينصفك أخذت الزمته عناية قال الفتى ما كان مليا ثم رفع رأسه وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما أخذها وانصرف قال ردوه فلما وقف بين يديه قال له يا فتى

بأنه عليها مشوا ثلاثة خمسة متقيصا بأن إليها متكلما وحكى أن أبا دلامة
الشاعر دخل على المنصور فأنشده

بانت تعاتبني من بعد ما قدمت ، أم الدلامة لما هاجها الجزع
وقالت ابغ لنا فضلا ومزرعة ، كما لجيراننا فضل ومزدرع
خادع خليفتنا عنها بمسألة ، إن الخليفة للسؤال ينخدع

فأمر أن يقطع له ألف جريب عامرة وألف جريب غامرة فقال أبو دلامة
أما العامرة فقد عرفتها فما الغامرة قال ما لا يدركه الماء ولا يشغل إلا
بالكلفة والمؤونة فقال أبو دلامة فإني أشهدك يا أمير المؤمنين ومن حضر
أني قد أقطعت عبد الملك وكان كاتبا للمنصور بادية بني أسد فضحك المنصور
وقال يا عبد الملك اكتب عامرة فقال أبو دلامة للمنصور ائذن لي في تقبيل
يدك فقال ما منعتني شيئا هو أهون على عيالي منه وكان الفضل
بن الربيع في أيام بني أمية يجلس في حلقة أزهر السمان
المحدث فلما أفضت الخلافة إليه قدم عليه أزهر الكوفة فرحب به وقربه
منزله وقال له ما الذي أقدمك علينا قال جئتك كانبا مهنئا فأمر له بعشرة آلاف
درهم وقال له قد قضيت حاجتك فاخرج وانصرف ثم عاد إليه من قابل فلما
رآه قال له ما حاجتك قال جئت مسلما فأعطاه عشرة آلاف درهم وقال
لا تأتنا كانبا ولا مسلما فأخذها وانصرف ثم رجع إليه بعد تمام العام
فقال له ما الذي أقدمك قال عائدا أعودك فأمر بعشرة آلاف درهم وقال له
لا تأتنا كانبا ولا مسلما ولا عائدا فأخذها وانصرف ثم عاد بعد سنة فلما
رآه قال ما الذي أتاك به قال دعاء كنت سمعته من أمير المؤمنين حين كنت
بمجلس المنصور قال إنه غير مستجاب إني دعوت الله به أن لا يريني وجهك
فلم يستجب لي وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم وتعال متى أردت فقد أعيتنا
فيك الحيلة وكان المنصور بخيلا جدا وسنذكر شيئا من أخباره في باب البخلاء إن
شاء الله دخلت امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبي بكرة من موقعه بين السماطين
وجعلت تلحظه وجهه مرة وتنشر أخرى فلما أبصر ما علم أن لها حاجة
فقال لجلسائه ما عليكم أن تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها بحضرتي

فقالت

فقالت أصلح الله الأمير إني أقبلت من أرض شاسعة ترفعني رافعة وتخفضني خافضة
لملمات من الدهر أكلن لحمي وبرين عظمي وتركنني أمشي بالجريض قد ضاق بي البلد
العريض وقد جئتك بلدا لا أعرف فيه أحدا ولا قرابة تكفلني وقد عشت تعرفني
بعد أن سألت أحياء العرب من المرجو نائله فأرشدت إليك ودللت عليك وأنا
أهلكت السنة امرأة قد هلك عنها الوالد والولد فصنع الخادم والخادمان ومثلك
يسد الخلة ويفرج الكربة فإما أن تحسن صفدي وتقيم أودي وإما أن تردني
إلى بلدي فقال بل أجمع لك كل ما ذكرت وأمر لها بعشرة آلاف درهم
وزاد وكسوة وراحلة ونظر الحكم بن عبدل الشاعر إلى أسماء بن خارجة فأنشده

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد ، في ساعة ما كنت قبل أنامها
فرأيت أنك رعتني بوليدة ، مغنوجة حسن لدي قيامها
وببدرة حملت إلي وبغلة ، شهباء ناجية يصل لجامها
فدعوت ربي أن يثيبك جنة ، عوضا يصيبك بردها وسلامها

فقال له أصبت كل شيء رأيته عندنا إلا البغلة فإنها دهماء فقال اذكرني
أيها الأمير فإني ما رأيتها إلا دهماء فضحك منه أسماء وأمر له بكل ما
سأل وحكى أبو الفرج الأصبهاني أن هذه الحكاية جرت لابن عبدل
مع بشر بن مروان أخي عبد الملك والله أعلم بالصحيح من ذلك أصاب الناس
مجاعة على عهد هشام بن عبد الملك فدخل إليه درواس بن حبيب العجلي مع
جماعة من قومه فقال يا أمير المؤمنين تتابعت علينا وعلى الناس سنون ثلاثة
أما الأولى فأكلت اللحم وأما الثانية فأذابت الشحم وأما الثالثة
فمصت العظم وفي أيديكم فضول أموال فإن تكن لله فاقسموها على
عباد الله المؤمنين فبمن خبأتموه والله ما يبعد كبيرا أنها يصبرون لكم أم تطلع
تحبسونها عنهم وتمنعونها أهلها وبرارا والله لا يحب المسرفين وإن تكن
لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين
فقال هشام لله أبوك ما تركت لنا في واحدة عذرا من الثلاث وأمر بمائة
ألف فقسمت في الناس وأمر لدرواس بمائة ألف درهم فقال يا أمير المؤمنين
ألكل واحد من المسلمين مثلها قال لا ولا يقوم بذلك بيت المال قال فلا

حاجة في يابس عثر على خدمة جاريه بها فلما جاءه أتى منزله فسمع تسعير البناء أحياء
العرب وحبس عشرة آلاف له وتقدم فبلغ مشاماه أنك فقال قد قد ردك الى
الصنيعة عند مثله تبعث على مكارم الأخلاق ومثله يحكى أن عبد الملك بن
مروان جلس على الناس ليدخلوا عليه فدخل عليه أعرابي فقال يا أمير المؤمنين بلغني
أن عندك مالا فإن كان لله فاقسمه على عباد الله ثم بكى ربع جاد مع ابنه أموالهم
وإن كان بينك وبينهم فخذ أسنانك شركتهم ثم ولى فقال عبد الملك اطلبوا الرجل
فطلبوه فلم يقدر عليه فأمر للناس بأعطياتهم ومثل أبدع من الفصاحة
في المدح وأجاد فاستحق به الصلة ممن سمع وأجاد فما حكى أن النابغة
دخل على النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن امرئ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي
فحياه تحية الملوك ثم قال أيفاخرك ذو فائش وأنت سائس العرب وغرة
الحسب واللات لأمسك أيمن من يومه ولعبدك أكرم من قومه ولقفاك أحسن
من وجهه وليسارك أجود من يمينه ولخدمك أصدق من يقينه ولوعدك أبلغ
من رفده ولخالك أشرف من جده ولنفسك أمنع من جنده وليومك أزهى من
دهره ولفترك أبسط من شبره ثم أنشد

أخلاق مجدك جلت ما لها خطر ... في الباس والجود والحلم والنعم
متوج بالمعالي فوق مفرقه ... وفي الوغى ضيغم في صورة العلم
إذا دجا الخطب جلاه بصارمه ... كما يجلي زمان المحل بالديم

فتهلل وجه النعمان سرورا ثم أمر أن يحشى فوه درا وتكسى أثواب الرضى
ومن جباب أطواقها الذهب في قصب الزمرد ثم قال النعمان هكذا
فلتمدح الملوك وذو فائش المذكور هو سلامة بن يزيد بن سلامة من يحصب
ابن مالك وكان النابغة متصلا به قبل اتصاله بالنعمان وله فيه مدائح
كثيرة مذكورة في ديوانه وفائش مشتق من الفايشة وهي المفاخرة قاله
الأصمعي في اشتقاقه ودخل اسماعيل بن القاسم بن سويد بن العنز العنبي
وهو أبو العتاهية على عمرو بن العلاء مولى عمرو بن حريث الذي يقول فيه
بشار بن برد من أبيات: إذا أيقظتك جسام الأمور ... فنبه لها عمرا ثم نم
فتى لا يبيت على دمنة ... ولا يشرب الماء إلا بدم

فأنشده أبياتا يقول منها إذا أمنت من الزمان وريبه لما علقت من الأمير حباله
لو يستطيع الناس من إجلاله ... لحذوا له حر الوجوه نعالا
إن المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليك سباسبا ورمالا
فإذا أتين بنا أتين مخفة ... وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

فأمر عمرو من حضر مجلسه من جلسائه أن يخلعوا عليه فخلعوا عليه حتى لم يقدر على
النهوض لما عليه من الثياب فلما خرج حسده من كان ببابه من الشعراء فبلغ ذلك
عمرا فقال علي بهم فلما دخلوا عليه ومثلوا بين يديه قال لهم ما أحسن بعضكم
ببعض يا معشر الشعراء إن أحدكم يأتينا فيتسبب في قصيدته بخمسين
بيتا فما يبلغ غرضنا حتى يذهب حلاوة شعره ويعري كلامه من رونقه وهذا
بما ادكرنا وختم بغرضنا ثم أرسل عمرو الى أبي العتاهية أن أقم حتى أنظر في أمرك
فأقام أياما فلم ير شيئا وكان عمرو ينتظر مالا يأتيه من بعض أعماله فأبطأ
عليه فكتب إليه أبو العتاهية بهذه الأبيات

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس ... إني امتدحتك في صحبي وجلاسي
أثني عليك ولي حال تكذبني ... فيما أقول فأستحيي من الناس
حتى إذا قيل ما أعطاك من صفد ... طأطأت من سوء حالي عندها راسي

فقال عمرو لحاجبه اكففه عني أياما فجعل فلما كان على أبي العتاهية
ذلك انتظار كتب إليه يستحثه

أصابت علينا العين جودك يا عمرو ... فنحن لها نبغي التمائم والنشر
أصابتك عين في سماحك صلبة ... ويا رب عين صلبة تفلق الحجر
سنرقيك بالأشعار حتى تملها ... وإن لم تفق منها رقيناك بالسور

فضحك عمرو وقال لصاحب بيت ماله كم عندك فقال سبعون ألفا قال ادفعها إليه
واعتذر لي عنده ولا تدخله علي فإني أستحيي منه ولقد أحسن ابن الرومي في
مدح من وإنه لمحي في عتابه فما عتذر منه

يعطي عطاء المحسن الخضل الندى ... عفوا ويعتذر اعتذار المذنب

وما وقعت فيه كلماتي من كتب الأدب على أحسن من قول القائل معتذرا من
تقصيره عن معروف أسداه لو انبسطت فيما توهله يجزنه عفوا ولو انه الدنيا

وقد كنت والله والدهر والسنين ، الينا الجميع يقطعون الجلا سغبا ،
نعوت عموما للواهب بعضها ، ترى الدرهم ما اشتكلت لديه ملكا ،
فرا لعبو واعزرها ضا ربيغنه ، يبي وبالدنيا علا تدلة ستحيا والم
فلاذا جئته يوما لتسئله ، اعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا
يخفي صنايعه والله يظهرها ، ان الجميل اذا اخفيته ظهرا ،
وحكى جحظة البرمكي قال انشد معرس الحلوانه كلام ابن الحسين بن مصعب
ابن زريق مولى طلحة الطلحات الخزاعي يرثيه قبل قتله وتغافل عنه مصعب
حتى ركب في حراقته مجاوزته وقال له يحيى يا امير المومنين الا سمعت منه ثلاثة
ابيات فامر بانفاذ الحراقة وقال هات الابيات فانشد له ،
عجبت لحراقة ابن الحسين ، كيف تسير ولا تغرق ،
وبحران من فوقها واحد ، واخر من تحتها مطبق ،
واعجب من ذا عيدانها ، اذا مسها كيف لا تورق ،
فامر له عن كل بيت بالف دينار وكان طاهر بن الحسين من الاجواد ذكر انه جلس
في مجلسه يوما فنظر في مصحف وقاع فوقع عليه بحملات احسنت
مكافاة الف درهم وركب الى الشبرج في بعض اسفاره ناقة فطلع عليه اعرابي
فانشد اغيثا تحمل الناقة ، ام تحمل هارونا ، ام الشمس ام البدر ، ام الدنيا ام الدين
الا كل الذي قلت ، فمن اصبح مامونا ، فامر له بعشرة الاف درهم
قام رجل اعرابي بين يدي خالد بن عبد الله القسري فقال اصلح الله الامير
قد قلت فيك بيتين ولست انشدهما حتى تعطيني قيمتهما قال وكم
قيمتهما قال عشرون الفا قال انشدهما فانشد ،
فمن كان آدم قبل حين وفاته ، اوصاك وهو يجود بالحوباء ،
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم ، وكفيت آدم عيلة الابناء ،
فامر له بعشرين الفا وامر ان يحمل خمسين سوكا وينادى عليه من اراد
ترك نخيسر فيه الشعر ووفد اعرابي على معن بن زائدة في طريقه فانشد
يا واحد العرب الذي ، اضحى وليس له نظير ، لو كان مثلك في الورى ، ما كان في
الدنيا فقير ، فامر له بالفي دينار فعجلت له ومن كان يا ابن آدم

فقال

فقال له انه جعلت فضلك سببي اليك وكرمك وسيلتي عندك قال سل فقال
الف درهم قال معروفا رجعتني اربعة الاف درهم وانه قد رضيت نفسي
ان اعطيك خمسة الاف فقال انت اكبر من ان تزيد على من ولك ما اعطاك
خمسة الاف درهم وانشد الاعرابي
كفيت نغم بساتك حين ترعوا ، الميت الناس مسبع النعاب ،
وقلت للا عليك بناب غيري ، فانك لن ترى ابدا بابي ،
فاعطاه الف دينار وحدث بعضهم قال كنا مع يزيد بن مزيد فاذا بصائح
في الليل يا يزيد بن مزيد فقال علي بهذا الصائح فلما جيء به قال له ما حملك
على ان ناديت بهذا الاسم فقال نفقت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت
قول الشاعر فتيمنت به فقال له وما قال الشاعر فانشد
اذا قيل من للمجد والجود والندى ، فنادِ بصوتٍ يا يزيد بن مزيد ،
فامر له بفرس اجلى كان معجبا به ومائة دينار وخلع اعرابي بين يدي داود
ابن المهلب وقال اني مدحتك فاسمع قال على رسلك ثم دخل بيته فتقلد
سيفه وخرج ثم قال قل فان احسنت حملناك وان اسات قتلناك فانشد
امنت بداود وجود يمينه ، من الحادث المخشي والبوس والفقر ،
فاصبحت لا اخشى بداود نكبة ، من الدهر لما ان شددت به ازري ،
له حكم داود وصورة يوسف ، وملك سليمان وعدل ابي بكر ،
فتى تفرق الاموال من جود كفه ، كما يفرق الشيطان من ليلة القدر ،
فقال له قد حملناك فان شئت على قدرنا وان شئت على قدرك فقال بل على
قدري فاعطاه خمسين الفا فقال له جلساؤه هلا احتكمت على قدر الامير
قال لم يكن في ماله ما يفي بقدري فقال له داود انت في هذا اشعر منك في
شعرك وامر له بمثل ما اعطاه ووفد رجل على بعض الامراء فسأله حاجة
فقضاها ثم سأله اخرى فقضاها حتى قضى له سبع حاجات فلما خرج من
عنده قيل له ما فعل بك فقال ما ادري ثم قال ،
لم ار اضيع من عنده بشادرة ، لم ياتها قبله عرب ولا عجم ،
فرد علينا كتابا منه كاتبه ، الي اني وجبت منه له نعم ،

حتى اذا ما مضت لا في رسالته ... قال استمع ثم لا يبغي بها العجم

لا تكتبن فلا مني اتى أحد ... شواذ كتاب ومن يلبس انفلم

ووفد اعرابي على ملك بن مروان وكان ذوي الجمال في الهيئة فمنع من الدخول اليه فاقام بالرحبة اياما فخرج ملك ذات يوم من باب الرحبة يتنزه حول الرحبة فعارضه الاعرابي فبعد الشر كثيرا زجرا به فلم ينثن عنه حتى اخذ بعنان فرسه ثم قال ايها الامير انا عائذ بك من شر كلابك فمنعهم عنه وانتهرهم ثم قال هل من حاجة قال نعم اصلح الله الامير قال وما هي قال ان تصغي الي بسمعك وتنظر الي بطرفك وتقبل علي بوجهك قال نعم فانشد له

ببابك دون الناس انزلت حاجتي ... واقبلت اسعى نحوه واطوف

ويمنعني الحجاب والستر مسبل ... وانت بعيد والرجال صفوف

يدورون حولي بالجلوس كانهم ... ذئاب جياع بينهن خروف

فاما وقد ابصرت وجهك مقبلا ... واصرف عنه انني لضعيف

وما لي من الدنيا سواك وما لمن ... تركت وراءي مربع ومصيف

ومن علم الجبار غيث وحكمة ... ومن سوسها نازل وحليف

تكنفك اعيان الملوك وحليتي ... اليك ومن اخشى عليه صروف

فجئتك ابغي الخير منك فانني ... بباب من ضرب العبير ضيوف

فلا تجعلني نحو بابك عودة ... فتقلبني من ضرب العبير مخوف

فاستضحك ملك حتى كاد يسقط عن فرسه وقال لمن حوله من يعطيه درهما بدرهم وثوبا بثوب فنثرت الدراهم ووقعت الثياب عليه من كل جانب حتى تحير الاعرابي واختلط عقله ولم يدر ما يعطى فقال هل بقيت لك حاجة يا اعرابي قال اما اليد فلا قال فما هي قال اتى الله ان يبقيك للعرب فما لها لا تزال بخير ما بقيت لها وحكى ابو بكر البارداني قال كنت اساير الامير ابا الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وكان قد خرج الى الصيد من دمشق اذ تلقاه اعرابي فاخذ بعنان فرسه وقال

ان السماء وجدي السيل لو نطقا ... لاخبرا عنك في الهيجاء بالعجب

اذ منه ما لك تعطيه وتنهبه ... فيا اخا الفضة البيضاء والذهب

فقال

فقال يا غلام اعطه ما معك فاعطاه خمسمائة الف دينار فقال الاعرابي ايها الامير زدني فقال لمن معه من غلمانه اكسوه ما معكم من الثياب فكسوه فحمل له منهم ما عجز عن حمله قال علقمة بن عبد الرزاق الحلبي حضرت بين يدي ابن الجابي في جماعة من اشراف الناس وكبرائهم وشعرائهم ثم قال هم فقاموا على بابه ولم يؤذن لاحد منهم فبينما هم جلوس اذ خرج من الدار صبي فاحمت حتى رجع من صيره فلما قارب دخول الباب خرجت اليه ووقعت على نفسي قال من دار واومأت اليه برقعة فوقف فانشدته

نحن اضياف من قد اعلمت ... ووجوه يفيد الجتاع

فلو منتها بسمعك انشا ... مين جرم يختار كل سماع

كسرت علينا بالشام وكلما ... كسر المتاع تعطل الجتاع

فانك تحملها اليك نجا ربنا ... ومكبتها الا مال والاطماع

حتى اناخوا نحو بابك والرجا ... من دونه السمسار والبياع

فبرزت مالي بعهد في مرج ... منج ولا كعب له انتفاع

وسبقت منزل فلوج كطلب العلا ... والناس بعدك كلهم اتباع

فلما فرغ من انشاده سار قليلا ووقف فاستعاد ما منيت ثم لما دخل داره واستغنى به الجلوس استرعاه ما عرفنا فقال لمن كان عنده من خواصه وغلمانه وانها عبد من احبني فليخلع عليه فخلع علي ما بين خلعة ووطء بعشرة الاف درهم وحضر الحجاج بن يوسف بن يزيد بن المهلب لما في عليه كان بخراسان واقسم ليستجادنه كل ليلة مائة الف درهم فبينما هو في عذابه ذات يوم اذ دخل عليه الاخطل فانشد

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم ... وقال ذوو الحاجات اين يزيد

وما قطرت بالشرق بعدك قطرة ... ولا اخضر بالمروين بعدك عود

وما لسرير الملك بعدك بهجة ... وما لجواد بعد جودك جود

فقال يا غلام اعطه المائة الف درهم فانا لا نصبر على عذاب الحجاج ولا نخيب الاخطل فبلغت الحجاج فقال لله در يزيد لو كان تاركا للسخاء يوما لتركه اليوم وهو يتوقع الموت ومن اخبار البرامكة العجيبة

دخل عليه وهو محبوس فلما رآه متغيرا قال له

أصبح في غير الصناعة والجود … لا يحمل الربات والحسب
لا ما كان أن تراه في نعم … وطاب في البلاء محتسب

فقال له يزيد وجدت ما أردت بي وأنا على ما ترى من الحالة فقال الفرزدق لا و
وجدتك رخيصا فأحببت أن أسلفك بضاعة من قبل أن تجارى كارم
أصبع فيه الف دينار وسوء حبه أمسكه إلى أن يا قبلك رأس المال
ودخل جعيفران واسمه جعفر بن علي بن السري على أبي دلف فأنشده

يا أكرم الناس موجودا … ويا أعز الناس مفقودا
لما سألت الناس عن سيد … أصبح في العالمين محمودا
قالوا جميعا انه قاسم … أشبه آباءه الصيدا
لو عبد الناس سوى ربهم … لكنت في العالم معبودا

فقال له أحسنت يا غلام أعطه الف درهم فقال ابن دلف يا أبي وما أصنع
بها أيأخذ الغلام بأخذها وبعطيني منها كل يوم عشرة دراهم إلى أن نعود
فقال ابو دلف اعطوه اياها وحدثنا كم اعطوه ما سأل فأكب
جعيفران على يده يقبلها وقال

يموت هذا الذي أراه … وكل شيء له انتهاء
لو كان ملوك خلود … عمر ذا المفضل الجواد

ودخل كلثوم بن عمرو العتابي على عبد الله بن طاهر فأنشده يطلب منه
كسوة فقال بهجة الثياب يخلقها الدهر وثوب الثناء غض جديد
فاكسني ما يبيد أصلحك الله فإني أكسوك ما لا يبيد
فأمر له بثياب فاخرة وصلات وافرة قال الشافعي لا أزال أحب حماد بن
سليمان لشيء بلغني عنه أنه كان يوما راكبا حمارا فحركه فانقطع
زره فمر بخياط فأراد أن ينزل ليصلح زره فقال الخياط والله
لا نزلت وقام الخياط وأصلح زره فأخرج صرة فيها عشرة دنانير
فأعطاها له واعتذر إليه من قلتها وعن عمر بن محمد موهوب
الكلام في استجماع ما تكلم من ملة الكرام يحيى رضي الله عنه

ابن

ابن قيس قدم على معاوية فأقام شهرا لا يأذن له فما جاء فقال يا أمير المؤمنين
انك تزعجني من عيني وقبلا وتوردني كما تورد نيلا احيا سرورا واح حبس
وقام فقضى حاجته ووقف أعرابي على رجل يستجير به فقال إذا أمكنتني
الرجاء وحثت على الأمل ودعوت بالشكر وتوسلت بحسن الظن
فحقق الأمل وأحسن المثوبة وأقم الود وعجل السراح كتب بعضهم
يستجير بأبي الفرج في حاجة ودعه على علتنا مرة فانظر في ذلك بالتي
تحمله الأمل وكتب آخر يستجير بعض المراء يرى أن يبيع سحاب رمى
وعلمي أن من يقول أن بتم بفعل والسلام نصر أحمد بن الخليل سليمان
ابن حبيب بن المهلب مستجيرا فأخرعنه مرة فكتب إليه مستنجزا

ورد الحاجات المعضلات فأصدرها … رباب وكاب لم تدركه الكرع
وإذا الخط حاجا فأعرض جانب … ومنا أرفع من سحابك بلفع
أتنجعر من تلك التي فاجئت … أغ تنسبر عنرك في بمطمع ابن الروع
فيا من ترى ببغ الدنيا بطلعته … واضحت منه في حلو في حلل
أوارد بحر كم ملئ ومنتصف … في الموارد بريلا على وينهل
وأنت تعلم أن الفقر من صب … فما رجعت بالنجح إن النجح من عمل أبو تمام
لك سحاب بعطاء جود وموهب … وبحر عرانه سيله وهو مفعم
ويبرز أوطاد إذا رعشنا وبعرنا … تحوم ضع رحلى فيه أسود مظلم
أخي فاني كميت وبحر جودك زاخر … فمثل شارعه على الورد
لو كنت زمانا أرضيت ما في لدى … نوب تراوح تارك وتعادي
ولم براغ صاحي في أوكار رقيا … ولا تلبث النيات كثيرة الأولاد واخي
فيا جاهل العلم إذا العلم أذكيه … وناعشر الجار إذا الجر تمتع
أنت ربيعي والربيع ينتظر … وخير أنواع الربيع ما بكر واخي
على بعضها فادعوك فاهنئ … فاقنت مسلمي بعيب ثنائي
فأمر على نجح ما أملته … فياتبني ومعوبه ورجاه ابن الروم
كم نعمة موت منعم جاوزته … فجللت رقبا منك بيسر بنعم
جود كجود السيل إلا أن ذا … كدر وأن نداك غير مكدر

العبد والحر في انسلخا وفي ، أملت بالأمير لم ينفعني
عاق ولم ينتج بزالها وانما ، تتوقع الحبلى لتسعة أشهر
حتى ترى بحر والوا عن طلبي ، تحرى اليسر بتسعة أشهر ؛ اخر
يا من يجود ويحسن الجزلا ، للناصرين وبعض الفضلا
لا تنس حاجة من يراك لها ، من دون من وكفى الحر أملا ؛ اخر
كفاك مذكرا وجهي بأمري ، وحسبي أن أراك وأن تراني
وكيف أحث من يعنى بشاني ، ويعرف حاجتي ويرى مكاني ؛ معود
ولست استبطيك وقد كفتني ، منافع الغيث ما نستسقي ؛ اخر
قل لجاهي واشرد عن املي ، ولا تتركهما بمنزلة الضياع
فان ارضعتها بلبان اخرى ، اضر بها مشاركة الرضاع ؛ اخر
ما انت بالسبب الضعيف وانما ، نجح الامور بقوة الاسباب
فاليوم حاجتنا اليك وانما ، يدعى الطبيب لكثرة الاوصاب ؛ اخر
باكر يا جواد بالجود لكن ، يعرضنه سيل منه العيون
كم امني كانني ذو محال ، وامني كانني كثرون

كاتب مستنجزا وعدا ومقتضيا رجلا كتب بعضهم الى عن غرسه الجود وثمرها الرجاء وعز اسما الشكر ونجتني مما الشكر وكتب اخر
اخر الوعد ابعد مفارع الجود واخذ محمول على عاتق الكرام المجود والمتمنع به من اسلف المطل امالة واوسع بمكره انقدا مجاله وارتوى بماء الحزن قبل المطل واكتفى بورود الغصص دون الثمر فان عز للسماح اذا هزم كتابه وحرعنه جانبه وفي وصل السبيل الى المطلوب سهلا والطالب بما يتعلق به الوعد اهلا ابن الرومي

لا اقتضيك على السماح لانه ، لك عادة لكنما انا مذكر
وكذا السحاب اذا استسقى باخيا ، رعدا اليه بان دعا بمعهر

رجل على ابن الجهم فسلم عليه وقال له وعدتني وعدا ان رايت ان تنجزه فافعل فقال ما اذكر هذا الوعد فقال لانه لم يكن انت لانك لم تزك عدة من تعدها مثلي كثير وانا لا انساه لانه من اسديه مثلك قليل

فاعجبه

فاعجبه كلامه وقضى حاجته فانشد

فلعمر قصرتك راجيا بحاجتي ، فان تجبه الطالب الملهوف
مسرتي قد سررتني بنجاحها ، وكذا يكون الجود والمعروف

كتب العتابي الى من وعده بحاجة فمطله ثم قضاها ومطله بها فيها مكتب اليه

بسطت لساني ثم امسكت نفعه ، فنفع لساني باستر امك مطلقا

ومر بشار بن برد على يحيى بن خالد فانشده فوعده ومطله فتصرى لا يكرمه وسوء بن الجامع واخر بعض ما يعلله وانشد

اظلت علينا منك يوما سحابة ، اضاءت لنا برق وابطا رشاشها
فلا غيثها يجلي فيأس طامع ، ولا غيثها يأتي فتروى عطاشها

فقال لن تنقطع السحابة حتى تسلك يا ابا معاذ وامر له بعشرة الاف درهم ولبشار

من زنك لا اذا وجدته ناسيا ، كله وكله اذا ارده التقاضيا
ولكن رايت السيف من بعد سله ، الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وله ايضا

فيدك للمجد شيمة لعتني ، منك عن العفاك با التقاضي

المعبد البسمي يستنجز

ايا القضا بل عشر في غمضة ، ما تقضي كان الى يد العرد
في وعد منك لي ينسكر ، فانقضى الخمر ما وعد
انت احببت فنزول الندى ، سنو الجود وكان قد عمر
فاذا طال زمان او سخا ، فعلى مثلك مثلي يعتمر

ابو الحسن ابن ابي البغل

وعدت فلم تجزه ولا تسألني ، نكر التقاضي وذل السؤال
وصير وجه من بداء الزمان ، فانيا به مثل بدر الهلال
فان فات مالك عن وجهه ، فجاهك اوسع من كل مال ؛ اخر
اعزت بان اتبع على انتظار ، فرايت انتظاري ذا كاحيل
وواعدت الرسول وقلت انا ، سيأتيني مع الرسول
فليس يليق في مطل ، وكم عشر اذن له رحيل
ومن اوصعت عن وعد الكرام ، فقل شيئا لا تفعل ما تقول

الغزل يستنجي وعدا من ابيات

عليك من الدر اعتمادي ... فقد تحجب الكوكب الامعادة

تنادي الشكل بالآمال دعني ... وكول الاعتذار من الحراد

ومن ازرق الخيل وانت كميه ... ومن جروا الحار الحلق تزايد

رعيت الياء ابكار المعاني ... من الياء ابكار الاحيا في النسبي

لعمرك ما تنت حتى حار من تعلي ... وذا الوداع فكم اطلالها شيئا ... اخر

اجرها ما اعرشد من كلامه ... ودع عنه من عرد وكر واعتلالته

لعمرك شرت عن انه لم يكمل ... فبل وعن يكون لنا مزيته ... اخر

ما بال وعدك مثل مجنى نايا ... بين سباتا كلما ابعثته

مكانه الفعل الصغير يجد ... يزداد نوما كلما حركته ... اخر

تماتلة حاجة موعدت منها ... جميلا ثم عدت تزايد الجميل

كانك لم تكن من قبل منا ... تنام وكنت ذا سهر طويل

كرالتها حين كلبت نائما ... وكانت من قلة عن الغيل ... اخر

بدأتك تسهيل وثنيت بالرضى ... وثلثت بالتمنع وربعت بالكرم

وحفظت في كفي والخرت موعدي ... وانقرت لا عني ومن يتبع نعم ... اخر

يا من سميت القبائح ابرالها ... حتى انتهى اليه الشايع على الكرم

انظر الى تعبير لون عنهما ... انوالعبا في تحت من خشية الطلع

حتى اقول الحرة الرمي كبيرة ... فعاد السادة دار من بالخروج ... اخر

اذا انت لم تعرف الى تبرا ... حتى اموت فشكي ما تشاجا

لم احظ تنالا منك اتبرا ... وزجعت بالحرمان فضيا

وقال ابو تمام حبيب بن اوس الطائي

ان ابتداء العرف مجد باسق ... والمجد كل المجد في استتمامه

من الهلال يروق ابصار الورى ... حسنا وليس كحسنه لتمامه

وقال المتنبي جعلت مراك قروحب الزمام ... ومن كان النلب والفلام

ومن ازمة الخيل التي بلاها ... من ايبت لا عرضته والسلاح

ومن اكرم ما استجدى به الاجواد وبلغ به غاية الامل والمراد ما كتب

به بعضهم الى من يرجى له ومن اللائح عليه الرضاء بكل كلمة وحال بينه وبين بلوغ امله

مستنزل كتاب مثلي له بمسم ... الكتب الذي رجاء يمنه

على الزمان تبري عن ثبتته ... وكيف عن اعرابه عن رمته

وتشاكي ته ووقت رايته ... وهذه برهان فرمه

امضي اليك بشرع قلمك ... لولا تعلله يكتب ظلمه

فلما قرا الرقعة بعث اليه بما قرر عليه وكتب خلف الرقعة

انما اذا اختار في حاجته ... مثلك اعنيته عن التعب

اردد وجه العشق بحرمته ... لم تنزله من اعقد القلب

من اهل مكنته عنيفة وابى ... فلا نلا بالا مناع والنسب

لو شاعرت عزم مني حرمة ... حيث لا ضحكت اليه العرب

وكتب كلثوم بن عمرو العتابي الى من يرجى له بشفيعه اما بعد اطال الله بقاءك وجعله يتزيد الى رضوانه وجنته فانك كنت عندنا روضة من رياض الكرم تبتهج النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نعفيها من النجعة استتماما لزهرتها وشفقة على خضرتها وادخارا لثمرتها حتى اصابتنا سنة كانت عندي قطعة من سني يوسف كزتنا غيومها واخلفتنا بروقها فانتجعناك واذا بانتجاعي اياك شديد الغضب بك عظيم الشفقة عليك مع علمي بانك غاية العفاة واعزب منا مل الرواد واقول ما قال الشاعر مجود

كل البيان على العباس مقصور ... ومعقد الابل اسعر معقود

ان الكريم يجفى عنك عسرته ... حتى تراه غنيا وهو مجهود

وللبخيل على امواله علل ... زرق العيون عليها اوجه سود

اذا تكرمت عن بذل القليل ولم ... تقدر على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا تمنعك قلته ... فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاكره ماله حتى اعطى نعليه ونعت فيه ما قاله ومما ذكرناه من سمح اللفظ كفاية اذ الحاصل لا يقتضي الاباحة عنها الى غاية ولو استقصينا ذكر ما انطوت عليه خواطر الفضلاء في استنجاز العدات وابتغاء الكرماء من الهبات والصلات واكف الاجواد من سحائب الجود لخرجنا بها عن المقصود

وربما أدى ثبات الشيء إلى أصل الشيء فيكون مع الانقطاع موجودا ومما يحسن
إلحاقه بهذا الفصل الكلام في اللسان بشكر أهل الإحسان والفضل
قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم قال بعض المفسرين أراد شكر اصطناع العرف
وفي الحديث الشريف والنبأ المأثور من ذكر معروفه فقد شكره ومن ستره فقد كفره وقال
عليه السلام من كانت له عنده نعمة فليكافئ عليها فإن لم يقدر فليشكر فإن لم
يفعل فقد كفر النعمة وقال لقمان لابنه يا بني المعروف غل لا يفكه إلا شكر
أو مكافأة قالوا المعروف رق والمكافأة عتق وقال الشاعر

كلما قلت أعتق الشكر رقي … حين تولت المكارم عبدا
أين عمر الزمان حتى أؤدي … شكر إحسانك الذي لا يؤدى

ويقال الشكر وإن قل ثمن لكل نوال وإن جل قالوا الشكر قيد النعمة الموجودة
وصيد النعمة المفقودة وقالوا من كفر نعمة المفضل استوجب حرمان المزيد
ويقال الشكر تتمة ... تمام النعمة قال أبو بكر الخوارزمي إذا قصرت
يدك بالمكافأة فليطل لسانك بالشكر قالوا موقع الشكر من النعمة
موقع القرى من الضيف إن وجده لم يرم وإن فقده لم يقم ما أحسن قول من قال
الشكر غرس الودع إذا الكفر ... بلاء وحقق العادة والسعيد إذا
أهملته نعمة لم يلبث يشكر ما قد شكر قال المغيرة بن شعبة اشكر من أنعم عليك
وأنعم على من شكرك فإنه لا بقاء للنعمة إذا كفرت ولا زوال لها إذا شكرت وقال الشاعر

اشكر لمن أحسن يوما البيت … فالشكر للمنعم فرض عليك

وقال أبو الفضل الميكالي النعمة عروس مهرها الشكر وثوب صونه النشر
لم أسمع دعاء أحسن من قول بعض البلغاء لمن أسبغ عليه ملابس النعماء
لا أوحشك الله إلى اقتضاء من معروف أسديته ولا أخلاك الله من قبض عوض
عن جميل أوليته ولا جعل يدك الشغل بيد كانت عليها يدك العليا وقال
أبو بكر الخوارزمي فلان أراحني الشيخ بره لا كرأن يقنعني بشكره وجعله كم
من ثقل المحوجة بل أثقله بأعباء المنن وأحمله بتحقيق الرجاء لا بل أماته
بعد الحياة فإنه عتيق بل رقيق وأسير بل طليق ومن كلامه اللهم ارزقني
زمانا أوسع من زمانه ولسانا أفصح من لسانه وقلبا أجرى من جنانه حتى

افضى

أفضي بالشكر حقوق إحسانه فلا يزال لا يجود ولا جود إلا من موجود ويمكن
الوفاء غاية من قضاء إمكانه ولم نسيا عن زمانه وكيف يكافئ من قلت بسطته
وعجزت مقدرته وقطعت عن مساعفة منته جدته

ذم من أسدي إليه عارفة فلم يشكرها بلسانه ولا قولا بذكرها

بيانه: فلان تعقب النعم عنده ترسا تجاورها ويستخف بها استخفاف
من ثقل عليه حملها واطرح الشكر عليه اطراح من لا يعلم أن الشكر يرتبطها
فلان النعمة عنده تكتسي من لؤمه أكدارا وتشتكي غربة وإسارا
بلغ الصاحب إسماعيل بن عباد موت أبي بكر الخوارزمي فقال

سألت من برّا من خراسان مقبلا … أمات خوارزميكم قيل لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره … ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

وإنما أوجب قول الصاحب لهذين البيتين ما بلغه أن أبا بكر الخوارزمي
قال فيه هذين البيتين لا تمدحن ابن عباد وإن هطلت … كفاه بالجود حتى جاوز الديما

فإنها خطرات من وساوسه … يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

فلا كفى ما أسدى إليه الصاحب بن عباد من المعروف جعل تلك البيتين المذكورة
ثمن موته فسقوط ... من يتبجح بذكر المعروف الذي أسدي إليه وأقر
بعجز لسانه عن شكر المنعم والثناء عليه الثعالبي شكر لا يفي
نعم الثقات ... موقع النعمة من ... لا شكر له مثل القلب واللسان
شكر حسان آل غسان لا شكر له شكر الأعشى بني أمية والملوك ...
لا شكر له شكر ... للسيد وزهير لهرم قال آخر لو استعرت الرسم
لسانا وإلى جيد حملانا لا تشبع إحسانه حوالي شاعه لقصرت ... استطاعة
حسن الشكر الغالب على ما ... لم يحتمله منه ولا أحضر له غنية
جنانا في الحسن ... فيه ... كلفه فوق الطاقة
ابن بكر ما زلت في غمرات الموت مطرحا … قد ضاق عني فسيح الأرض من حيلي
فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لي … حتى اختلست حياتي من يدي أجلي
قال الأمير أبو الفتيان بن حيوس وأحسن كل الإحسان

فما شكري ما دام اللسان يطيعني … فقو ما أنت موجود في الصنائع

توالت علي من لا يزال بغرة ، علي ولا يرضى الحسد بشافع

وقال ابراهيم بن المهدي مخاطبا للحسن بن سهل وقد شفع له عند المأمون حين
سخط عليه وعفا عنه من أبيات

رددت الي قوتي تقضي علي به ، وقبل ذلك ما في قد حقنت دمي
لئن جزيت بما أوليت من منن ، إني لعبد اللؤم أحكم منك في الكرم ، ا خ
مواهب لو أني تكلفت نشرها ، لا بلغت في إملائها ومرادها ، ا خ
ولو أن لي في كل منبت شعرة ، لسانا يبث الشكر كنت مقصرا ، ا خ
فمن أنا من كنت في جوده ، ومن فطنت في الشكر
وشكر عند إحسانه ، ندا كالغطى في البحر ، ا خ
أتكفوني نسيا بإدبار التي ، أمرت الى نوح إلى ما رأيتنا
لا والذي جعل الجنة مخنة ، ومثوى الشعوب منزله ومولانا ، ا خ
سأشكر عمرا إن تراخت منيتي ، أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محجوب الغنى عن صديقه ، ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفي مكانها ، فكانت قذى عينيه حتى تجلت ، ا خ
أوليتني نعما أبوح بشكرها ، وكفيتني كل الأمور بأسرها
فلأشكرنك ما حييت وإن أمت ، فلتشكرنك أعظمي في قبرها ، فكيف
أبوح أنت امرؤ شكره واجب ، وإن أكن قصرت في واجبه
وكيف كذا أشكر مولى أرى ، في منزلي الذي جاء به ، ا خ
رمتني يد بالشكر عن شكر ربي ، وما جود شكر للشكور مزين
فلو كان شيئا يستطاع استطعته ، ولا كن ما لا يستطاع شديد ابو نواس
فخذ منك للعباس معتذرا ، من ضعف شكري ومعترفا
إنا امرؤ أجللتني نعما ، أوهت قوى شكري فقد ضعفا
لا تسدين إلي عارفة ، حتى أقوم بشكر ما سلفا ، ا خ
يا زينة الدين والدنيا وما جمعت ، في الأمر والنهي والأخبار والعلم
بالله أقسم لو ملكت السنة ، ثبت شكر لم من فرقي الى قدم
لما وفيت بالأولى من نعم ، ولا قضيت بما أسديت من نعم

ابن عمرو ، كفوفتني منه الجميل فلا ابرا ، وبرزتني مني حسبتها وادرا
والله لو حل السجود لمنعم ، ما كنت إلا راكعا لك ساجدا ، ا خ
لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة ، أعلى من الشكر عند الله في النعم
إذا منحتكما مني مهذبة ، حذوا على حذو ما أوليت من نعم ، ا خ
لو كان للشكر شخص يرى ، إذا ما تأمله الناظرون
لصورته لك حتى تراه ، فتعلم أني امرؤ شاكر

الفصل الثالث من الباب التاسع
في السرف والتبذير إذ فعلهما من سوء التدبير

قال الله تعالى ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وقال صلى
الله عليه وسلم من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت وقال صلى الله عليه وسلم آفة
الجود السرف وقالوا السرف اسم لما جاوز الجود كما أن البخل اسم لما جاوز
الاقتصاد وقالوا السرف أن يكون الإنسان لا يبالي فيما يشتري ويبيع
أو يغبن أو يُغبن فيبيع بوكس ويشتري بغلاء ومن كان قبل الحر يتغافى في اتباع
الحر ولا يتغابن في الشراء والبيع وقيل لعبد الله بن جعفر إنك تعطي
الكثير إذا سئلت وتضيق في القليل إذا عوملت فقال الجود بلا ذي وأضن
بعقلي وقالوا السخاء خلق مستحسن ما لم ينته الى سرف وتبذير فإن
من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقه لم يسم سخيا وإنما يسمى مبذرا مضيعا
وقال معاوية ما رأيت سرفا قط إلا والى جانبه حق مضيع وقالوا
يوشك من أنفق سرفا أن يموت أسفا ورأى أبو ذر الغفاري معاوية يوما
وقد جمع مالا كثيرا فقال له إن كان هذا من فيئ مال الله فأنت خائن
والله لا يحب الخائنين وإن كان من مالك فأنت مسرف والله لا يحب
المسرفين وقالوا ما وقع تبذير في كثير إلا محقه ودمره ولا دخل تدبير
في قليل إلا كثره ونمره وقال معاوية لعمرو بن العاص إن أعطيت مالك
في غير الحق يوشك أن يجيء الحق وليس معك ما تعطي منه وقالوا لا تطول
ولا تغاول وقال أبو بكر رضي الله عنه إني لأبغض أهل بيت ينفقون

وزعم الأعراب أن الكيّس في اليوم الواحد وقالوا الشرف في ألا تبالي بحسن من النفس
بقدر ما يصلح من العيش وجرت محاورة بين ابن عباس وعبد الله بن الزبير فقال
ابن الزبير إن السرف من كيسة السخاء ولكنه جاوز الحد وماذا بعد الحق إلا
الضلال وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لابنه إذا بسط الله لك فابسط
وإذا أمسك عنك فأمسك ولا تجاوده فإنه أكرم منك وأجود واسم أبي
الأسود ظالم بن عمرو يعد في التابعين والمحدثين والشعراء والنحويين والبخلاء
والعرج والمفاليج والبخل وقالوا الشرف في بني تيم وبني الكيس والبخل في بجو وبني
الكيس يتم بهشام بن عبد الملك على أن مساكه في العطاء فقال له خالد نعطي
تبذيرا ولا نمسك تقتيرا إنما نحن خزان الله في بلاده وأمناؤه على عباده فإذا شاء
أعطينا وإذا كره أبينا ولو كان كل قائل يصدق وكل سائل يستحق ما جبهنا قائلا
ولا رددنا سائلا وربما عوتب المبذر أن فلا بأس وضرب بالعقم مثله تبين
الناس بالدنيا فمر رجل من أهل الشام منزل ابن إبراهيم بن هرمة فإذا ابنة له
صغيرة تلعب بالحجر فقال لها ما فعل أبوك قالت وفد إلى بعض الأجواد فما لنا
به من عهد فقال لها قولي له منك تنحر لنا ناقة فإنا ضيفك وأصحابي أضيافك قالت
والله ما فعل قال فشاة قالت والله ما عندنا قال فدجاجة قالت والله
ما هي لنا قال فبيضة قالت والله ما عندنا بيضة قالت من أين البيضة إذا لم تكن
الدجاجة قال فباطل ما قال أبوك حيث قال

كم ناقة قد وجأت منحرها ۞ بمستهل الشؤبوب أو جمل
لا أمتع العوذ بالفصال ولا ۞ أبتاع إلا قريبة الأجل
لا غنمي في الحياة منتقيا ۞ إلا إذا راك العلو كذا يبلى

قالت فذاك الفعل من أبي أصارنا إلى أن ليس عندنا شيء. فبينما هما وفي
نزل رجل بأعرابي فقال الأعرابي هل عندك من قرى قال لا والله قال
فما عندك قالت لا والله قال فكسرة قالت لا والله فانتفض في كسائه
وخرج إلى الضيف وهو يقول

إني لأشكو ما كان من شجيني ۞ ومن قلبي مثل الزمان البرح

وكان عبد الله بن جعفر المذكور فيما تقدم من الأجواد الذين يعدون بجودهم

هو أبو الصباح وانتهى به الأمر إلى الإفلاس وظلمت ذات يده إلى أن سأله رجل فقال له
إن حالي متغيرة بجفوة من السلطان وحوادث الزمان ولكن أعطيك ما
أمكنني فأعطاه رداء كان عليه ثم دخل منزله وقال اللهم استرني بالموت
فما لبث بعد ذلك إلا أياما قلائل حتى مرض ومات ولهج هذا الأمر
بكلام أكثر الناس كلامهم في التحرز من عواقب الجين وعن أبي الشعفي
نيسابوري محمد بن عبد السلام قال هارون منزلة فأخبرته في دار
الخراج مكتابا منصرفا ودخلت عليه وهو قائم في الشمس وعلى عنقه
صخرة عظيمة فتعجبت له ولما رأيته تغير قال

وتعرف وقت على رجاله كما ۞ فدع الرجال عليهم متقولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنهم ۞ كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشعفي

الجود قلبهم وعيش حالهم ۞ فإليهم أن يسألوا النوال تخلوا

دخل قاض بردينا على أبي عون في الحبس وكان من قبله بلال بن أبي بردة فأصابه
وإذا في الحبس جماعة من عمال السلطان في الحر يرمقون بلبث إنجاء غرمائهم
بجعل الخرج يفعلون ألوانا الأكعك فقيل له فأما يجيء على قفا إلا الرجل
أن أكل مثل هذا وأشار إلى الأكعك وكان يوضع مثل هذا وأشار إلى
الخبز وكان الأعمش صديق منصور في عمل السلطان فانكسر وبقي عليه
مال فحبس فيه فزاره الأعمش فتعجب له مما دخل عليه رأى بين يديه سلة فيها
فالوذج وهو يتغدى منها فقال والله ما أرى منزلك إلا وقد أنفذ الله
بأمرك في النعماء وما وقفت نفسك وعقبت بركتك مضى البعض
مفعوك وما احتسب قول العقبة منصور

ثوب وكسرة خبز وكوز بيت وأمر الأمر كل ملك ۞ عقبانه مرب وسيجيء

ومما يعتبر من الأشراف في البذل إذا تكلف الضعيف إلى اللئيم البذل
قالوا من الجود أن يبذل الرجل ماله حيث يجب البذل ويحفظه حيث يمكن
الحفظ ومن بذل مكان الإمساك فهو مبذر ومن أمسك مكان البذل فهو بخيل
وقالوا من الحزم أن تعلم أن مالك لا يسع الناس كلهم فخص به أهل الحق

عليك وإن كنت لا تسع الخلق فاخصص به أهل العقل والمروءة، ومن تسعه
الحاجة إليك والإعطاء بعد المنع أجمل من المنع بعد الانجاح، وقال لقمان
المعروف كنز فانظر عند من تودعه، وقال عبد الله بن المقفع ابذل لعدوك
الناس فاخصص به ذا الكرم من أهلك وخاصتك ودع الأجانب جانبا
وقال صالح بن عبد القدوس

لا تجد بالعطاء في غير حق ... ليس في منع غير ذي الحق بخل
إنما الجود أن تجود على من ... هو للبذل منك والجود أهل

آخر

لا تضع المعروف في سافل ... فإنه عند ساقط ضائع
وضعه في حر كريم يبق ... عرفك مسكا ثم قد ضائع

وقالت الحكماء أهل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام، قالوا
الإحسان إلى اللئيم أضيع من الرسم على بساط الماء، والخط على
بسيط الهواء، وقالوا زوال الدول باصطناع السفل، قالوا كن جوادا
في موضع الجود فإن أجود الجود ألا تضيع وجه البر، وقال بعضهم لا
حمدك أعظم من نعمة أمر بها إلى غير ذي حسب ولا مروءة، وقال آخر لا
تصطنعوا إلى ثلاثة معروفا اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبخة
فلا تنبت فيها البذر، والذي لا يحفظ فيه المعروف، والفاحش
فإنه يرى أن الذي صنعت معه إنما هو مخافة فحشه، والأحمق فإنه
لا يدري قدر ما أسديت إليه ولا يشكرك عليه، وقال الشاعر

لعمرك ما المعروف في غير أهله ... وفي أهله إلا كبعض الودائع
فمستودع ضاع الذي كان عنده ... ومستودع ما عنده غير ضائع
وما الناس في شكر الأيادي وكفرها ... إلى أهلها إلا كبعض المزارع
فمزرعة أجرت فأضعف زرعها ... ومزرعة أكدت على كل زارع

آخر

عليك بأهل الفضل فاكسب ثناءهم ... فما لك في غير الأكارم طائع
وما مال من أعطى الكرام بناقص ... ولكنه عند الكرام ودائع

آخر

إذا ما بدا لك امرؤ آملا ... فبر تقضي عن عمله
ولم تلقه قائلا للجميل ... ولا عرف العز ثم ذله

فيسمو

فيسمو العلاة فما العلاة ... وإن نبا الجمال من جهله

وقالوا هذا نبع المعروف في غير أهله كالسراج في الشمس والزارع في
السبخ، قال الشاعر

ومن يصنع المعروف مع غير أهله ... يلاق الذي لاقى مجير أم عامر
أعد لها لما استجارت ببيته ... أحاليب ألبان اللقاح الدرائر
وأسمنها حتى إذا ما تمكنت ... فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من ... يجود بمعروف على غير شاكر

وقالوا لا تعامل يتخير لمعروفه كما يتخير الباذر ما زكى من الأرض لبذره
وقالوا أشر الأشياء إبدال اصطناع الأراذل، قال الشاعر

ومتى تسد معروفا إلى غير أهله ... زرعت ولم تطلع بحرثك أجر

ومما احتج به سراة الأمراء في تفسير الشعر والأمراء

كنا قدمنا في أول فصل من هذا الباب جملة مما ورد عن الحكماء في الحض
على الاختصار العطاء فلا يجاوز ثقة فالتحلي من الملك الدين ما فيه
كفاية فلم يقنعنا ذلك حتى ذكرنا في هذا الموضع ما استدركناه ليتم لنا
الغرض المقصود فيه نحو ذلك من كل معنى مستحسن بديع نص البراعة
بلسان البراعة بديع، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين
وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين، وقال النبي صلى الله عليه
وسلم ينادي مناد كل ليلة اللهم أعط لكل منفق خلفا وأعط لكل ممسك
تلفا، وقال صلى الله عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا
ونظر أحمد بن علي بن ذكوان في قوله

أنفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت ... بين العباد مع الآجال أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية ... ولا يضر مع الإقبال إنفاق

وحكي أن علي بن موسى الرضى رضي الله عنه وجه إليه الكرام جرما في
يوم عرفة وكان يجود بساعة قاله كله فقال له الفضل بن سهل ما هذا
المغرم فقال بل هو المغنم لا تعدن ما ابتغيت به أجرا وكرما مغرما
وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد ويعطي عطاء

من لا يخاف الفقر وقال بعض الحكماء انفق في الحقوق ولا تكن خازنا لغيرك فان اغتممت
على ما تنفق من مالك فابك على ما ينقص من عمرك فانه من لم يعمل في ماله وهو
موجود عمل في ماله وهو مفقود وقال ابن رجب اذا اقبلت عليك الدنيا
فانفق منها فانها لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى

وقال الفقيه ابن الحسين ناظما لهذا المعنى

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ° فليس ينقصها التبذير والسرف
فان تولت فاحرى ان تجود بها ° فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف

ويقال انفقوا اسرف فانه لا شرف في السرف وقيل للحسن بن سهل وكان
معطاء لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وهذا من بديع
الكلام وذلك انه عكس على المتكلم كلامه فكان جوابا له وردا عليه
من غير ان يزيد فيه ولا ينقص منه وقال الراضي بالله يخاطب لائما له على السرف

لا تعذلني في كرمي ولا اسراف ° في الحامد منجز الا شواهد
اجرى كما باري الخلائق سابقا ° واشير ما قد اسنت اسلافي
اني من القوم الذين اكفهم ° معتادة الاخلاف والاتلاف
فاذا تلوح على بني الاموال ° به وقوع مقلة اللوم في الاباق
لا تجري اموال في جامة ابدا ° فمن غدا بي في ابكي عسر انصافي
الا لا تلمني على بذل ما بي ° فعونه نعمتي بالعفاف
وعوني لمالي بعد فقد مساه ° نعمتي ودنيتي وجاهي ومالي الصوى
لا تلومني فان محمد ان ° امرء وصمه مكارم الاخلاق
تزين سكية معه ما ملكت ° كفاه من ذاق حزة الاملاق

وقال المامون لمحمد بن عباد بلغني ان فيك سرفا فقال يا امير المؤمنين
منع الموجود سوء الظن بالمعبود فقال المامون لا تحسن الظن الا باهل الشرف
وقال عباد في الحسن بن رجا معطاء اسبل عليه الدهر غطاه

كرم ان عنك به الغنا فلمسرف ° ملاقيك في المكرمات لمشرف

وفاءه اخر بعض على الاسراف في اسراف التضايع

ذهب المال في حمد واجر ° ذهاب لا يقال له ذهاب

الباب العاشر في البخل وفيه ثلاثة فصول الفصل الاول من
هذا الباب في ذم الامساك والشح وما فيهما من الشين والقبح

في الفرق بين الشح والبخل فقال قوم الشح ان تكون النفس كزة حريصة على المنع كما قال
الشاعر: يمارس نفسا بين جنبيه كزة ° اذا هم بالمعروف قالت له مهلا
وهو اللؤم واما البخل فهو المنع نفسه فمما جاء في الشح قوله تعالى
اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله اعمالهم وكان ذلك على
الله يسيرا وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا
وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ومما
جاء في البخل قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله
من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
وقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم
وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال بعض
اهل اللغة انما خص هذه الاعضاء دون غيرها لان
السائل اذا سال البخيل زوى عنه وجهه فان الح عليه ازور عنه بشق
جنبه فان الح ولاه ظهره وروى الخطيب ابو بكر احمد بن علي
ابن ثابت باسناده عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما خلق الله جنة عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري
انهارك فاظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم وعين
نهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ثم قال لها اظهري حورك وحليك
وحللك وسررك وحجالك ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني
فقال الله عز وجل انت حرام على كل بخيل اورده في كتاب البخلاء وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوم من الانصار من سيدكم قالوا الجد
ابن قيس على بخل فيه فقال عليه السلام واي داء ادوى من البخل وقال
عليه السلام اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم امرهم بالقطيعة فقطعوا
ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا ارحامهم وعنه صلى الله عليه

الدبور

السلام قال أقسم الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وقال
علي ابن أبي طالب البخيل يعجل الفقر لنفسه يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب
في الآخرة حساب الأغنياء وقال حكيم لو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر
بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الا سوء الظن بربهم في الخلف
لكان عظيما فانه تعالى يقول وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وكفى بالبخيل
معرة أن يمنع نفسه اكتساب الحسنات مع افتقاره اليها ويحرمها فلاح الشهو
ات مع اقتداره عليها ويلزمه ذل افتقاره وان احتجب به الفطنة وأعمل ذهنه
الفكر عن نفسه وقد نبهت به الزلة لكثرة الاشفاق وعلى الانجال وقيد
لا يبقى في الدنيا شكورا ولا يبلغ في الآخرة أجرا مذخورا وقالوا البخل
من سوء الظن وخمول الهمة وضعف الروية وسوء الاختيار والزهد في الخيرات
وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما البخل جامع للمساوي والعيوب وقاطع
المودات من القلوب وقال سقراط الأغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمير
تحمل الذهب والفضة وتعتلف التبن والشعير وعنه قالوا موضع
الستر من موضع العورة على من وكان أبو حنيفة لا يرى قبول شهادة
البخيل ويقول يحمله بخله على أن يأخذ فوق حقه مخافة أن يغبن فمن كان
هكذا لا يكون مأمونا وقال بشر بن الحارث الحافي لا غيبة لبخيل ولترك
سخي أحب الى الله من عابد بخيل قالوا صحبة البخيل أحمد وبعده
ومن يذكره فلا وعداه وقيل النظر الى البخيل يقسي القلب قالوا البخل
يهدم مباني الشرف ويسوق النعم الى التلف وقالوا اتقوا البخل فانه
اضر شعار وأوحش دثار وقالوا البخيل يبتلى بحفظه والجار حال بخ
وجميع ماله والعرض ضائع قال الشاعر

ومن الجهالة بالكريم أن ترى ۔ جارا أجوع وجاره شبعان

فذاك من جعل عرضه دون ماله فقد استهدف للذم وقال الراجز

من يمنع العلم ولم يجد به ۔ ويجمع المال لعام جدبه
يهن على الناس هوان كلبه وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى ۔ بخيلا له في العالمين خليل

وان

وان رأيت البخل يزري بأهله ۔ فأكرمت نفسي أن يقال بخيل

قالوا البخيل لا يستحق اسم الحرية فانه يملكه ماله قالوا انما البخيل كمن
مال له انما هو لماله وقال قيس بن معدي كرب لبنيه يا بني اياكم والبخل
فانه من اكتسب مالا ولم يجد به عرضا نعته الناس بما فيه فان كان مرضوعا
في قومه وان لم يكن مرضوعا الى قومه ذنبا رموه به ومقتوه واجتنبوا عن ما
يحبونه حتى يمقتوه والبخل داء ونعم الدواء السخاء وقال الحسن البصري
لم أر أشقى بماله من البخيل لأنه في الدنيا مهتم بجمعه وفي الآخرة محاسب على منعه
غير آمن في الدنيا من همه ولا ناج في الآخرة من إثمه عيشه في الدنيا عيش
الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء أخذه من كلام أمير المؤمنين علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه ودخل رضي الله عنه على عبد الله بن الأهتم يعوده
في مرضه فرآه يصعد بصره ويصوبه الى صندوق في زاوية البيت ثم التفت
اليه وقال يا أبا سعيد ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤد منها
زكاة ولم أصل منها رحما قال ثكلتك أمك ولمن كنت تجمعها قال لروعة الزمان
وجفوة السلطان ومكاثرة العشيرة ثم مات فشهد الحسن جنازته فلما
فرغ من دفنه ضرب بيده على القبر ثم قال انظروا الى هذا أتاه شيطانه
فخوفه روعة زمانه وجفوة سلطانه فيما استودعه الله اياه وعمره فيه انظروا
كيف خرج منها مذموما مدحورا ثم التفت الى الوارث وقال أيها الوارث
لا تخدعن كما خدع صويحبك بالأمس أتاك هذا المال حلالا فلا يكونن
عليك وبالا أتاك عفوا صفوا ممن كان له جموعا منوعا من باطل جمعه ومن
حق منعه قطع فيه لجج البحار ومفاوز القفار لم تكدح فيه بيمين ولم يعرق
لك فيه جبين ان يوم القيامة ذو حسرات وان أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك في ميزان غيرك
فيا لها عثرة لا تقال وتوبة لا تنال وقال محمد بن حازم الباهلي

ما سرني ملك بلا بذل وجود ۔ فعل وعز لمن رقى مرتقاه
ما الذنب للبخل بالجبلة وما ۔ المروءة للانسان الا الشرف

ومما اخترت من محاسن كلام الفصحاء وتانقهم في ذم اللئام الأشحاء

كتب بعض الأدباء الى صديق له يستشفع في قضاء بعض الأوطار ناميكا

فنأيت عنه وكان معروفا بالبخل فأجابه كتبت إلي تسألني قربانا وذكرت أنك سمعت
بزيارته وحرمت نفسك بالقدوم عليه فلا تفعل أمتع الله بك فإنه حسن
الظن بك يمنع الآن تجربته من الله وإنه أطمع فيما عندي لم تجد على القلب
الآن من سوء التوكل على الله والرجاء لما في يديه ما ينبغي الآن من قطع الرجاء من
من روح الله لأنه وجد بحر التغلبي الذي رضي الله عنه يقول للنبي بن أبي المعافي
عليه وآله إلا فتعالى الذي أخرى الله به من الآن سرك وأنت تنبئ إسرائيل بالسيع
يستبدلوا المن بالعدس والسلوى بالبصل الآن بفضل طعومهم وفرتهم على
قوادتهم عن أبدانهم وإنما أخذنا منه موضعه والمتبذل منه والصرفة
مسوخة وإن التوسع خلالة والجودة فسوق حمدا لله والسخاء من عمل
الشياطين كأنه لم يسمع بالمعروف إلا في الجاهلية الأولى أن الشيخ الصه
جمل أخبارهما ونهى عن اتباع آثارهما وكان الذي جعله لنا جزاء مثل من جد
الذي سخط نسب النعيم ولا أهلكت الذي جعل التعظيم عنده إلا الآن لا فضائل كان
فيهم ولم يخش العقاب إلا على الأفعال وهجوا التعدي بالآن مثال
ويعز نفسه بالعفو وبالمشابه البخل فيعذبه أن يرتزيهم قوادع الغداء
وبعينيه ما أطيب الآن ولبن طازج رحمة الله تكلانه وأصبح على عطف زمانه
وأمضى على عمره بمعشر أن يبرئه الله من صيرا منه زكاته وأقرب رحما
وكان محمد بن يحيى بن خالد بخيلا بالنسبة إلى أبيه وأخويه جعفر والفضل
يسيل الحمار واسمه محمد بن علي فاطماد قربه فقال قبح في منى وصاحبه منفورة
من غيث الحشيشة وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة وبين اللون واللون
فترة نبي فيل من حضر ثم ما الخير على الله وشر هم قبل ثم ينهم قال
الملائكة والزبلاء قيل أنت فما هي وثوبه مخرق فقال والله لو ملك
بيتا من بغداد إلى النوبة مملوءا إبرا ثم جاء يعقوب النبي ومعه الأنبياء
شفعاء والملائكة ضمنا بسلمه إبرة يخيط بها قميص يوسف الذي قد
من دبر ما فعل أخذ الشاعر ونظمه في قوله

لو أن دورك بلا أبراغ كلها ... إبرا يضيق بها رحب المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ... ليخيط قد قميصه لم تفعل

وقال آخر يهجو بخيلا

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت ... إبرا يضيق بها رحيب المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك إبرة ... ليخيط قد قميصه لم تفعل

وقيل لأبي الحارث جمين صف لنا نحريقا عند جعلان فقال لا وكم كنت من زنا بابه
وهو يتغزى فقيل له وكيف عرفت ذلك قال رأيت خلالة بالرتيم فسوى
الذين يرمون بأبي الحصير في الهواء. ووقعت عين أهل الكتابة على نسخة
بالحرجات مما حكيت. أنها قال ابنه أبو الحارث جمين مع أصحاب يوما
إذا تعلق به غلام فقال له بعضهم من هذا يا أبا الحارث قال هذا
غلام محمد بن يحيى بن خالد كنت عند مولى هذا أمس فقدم إلينا مائدة عليها
رغيفان محكمان وكيل نصف خشخاشة وشربة في سكرجة وخبيصة في
مسقط بتعصب الشعراء ثم خلا الحواة وما فيه إلا غبي محمد كان
بالنبي بالنهيه فقال له الرجل أتعجب الله مما تقول فلما وفى الغلام
كان معه وقال هذا هو وعلى المشي إلى بيت الله الحرام لو أن موسى
هذا كلمه في أن يرشد بلاد ان بعصى على سلم من زبرجد يلحقه
بنات نعش كوكبا كوكبا كان ذا أسهل عليه من أن تشم رائحة تلك الذي بل
أو تذاق تلك الخبيصة. وقيل لأعرابي يوما فقال أتيت نزلنا
حسوا البقي غير نار وكم وسايرهم أطلس برد الشمال جعل الأكل
من الشاطئ. وذم أعرابي قوما فقال ما كانت النعمة فيهم إلا كطيبا
حلها الشعوب ثم بليت عنهم شاع كانه الذي يبتز العقبى قوله
أبيات يهجو قوما بخلا فنادى بها مولى المكرمات، فإن يغنهم فقد لا تنم

فيا قبحهم في الذي خيبوني ... ويا حسنهم في زوال النعم

ونزل أعرابي برجل فقال له بعض من قصد لقد نزلت بواد غير ممطور
ورجل نحو من خير مسر ورجل ذم ينوم وارتحل بعدم. وقال المتوكل لأبي
العيناء من أبخل من رأيت فقال موسى بن عبد الملك بن طاهر قال ما
رأيت من بخله قال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من
الإحسان كما يعتذر من الإساءة. وقال بشار من استطاع فلا نسأ

استغنى عن الكنيف وأمن التخمة. وذم أعرابي بخيلا فقال ضن بفلسه وجاد بنفسه
وذم آخر بخيلا فقال هو أشح من حجر البناء شحيح الكف مغلول اليد يبيعه من كعبه
الخردل ولو استوى على ما بعد الجنزل فقال شاعر
تعلق بأسماء الشهور فكفه * جمادى وما ضمت عليه المحرم
وقالوا فلان لا من ركب فيعطي وكذا يأبى فيكسر مانع للموجود في
الطريق لعذره فلان منعوت على الجمع والمنع لا يجد اعتذارا له
ما جمعه ولا الحزم إلا منعه فلان ابن نبوة كدر منجلب وكذا كم
مركب. وذم أعرابي رجلا بالبخل فقال نعم صفو فلان في عيني كبر الدنيا
في عينه وكأنما يرى السائل إذا رآه ملك الموت إذا أتاه. وقال بشار بن
برد: إذا سلم المسكين طار فؤاده * مخافة سول واعتراه جنون
ومن منظوم نعت أن الممرور البخيل في ذم من سلبه الحياء
وتبعه: قول منصور بن ربيعة يهجو البخلاء
قوم غروا الطعام عندهم * وزنه بحبر ووزنه بالموت
إن كان في قوة اليقين وعبهم * تربيت منهم وضنك بالموت
ما زال ينار بالخيل تغلبه * زجر كليب رباط الخزي والعار
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لأمهم بولي على النار
ولقد أحسن أبو الشمقمق في قوله
ما كنت أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور
الحابس الروث في أعفاج بغلته * خوفا على الحب من لقط العصافير
وقال أبو نواس يهجو سعيد بن سلم بن قتيبة
رغيف سعيد عنده عدل نفسه * يقلبه طورا وطورا يلاعبه
ويأخذه في حضنه ويشمه * ويلثمه حينا وحينا يعاتبه
وإن قام مسكين على باب داره * إذا ثكلته أمه وأقاربه
يجيء عليه الويل من كل جانب * وتحجب ساعاته وينتقم ثاربه
آخر: عرا رغيفه شيء وفرحه * وأكلناه من خزق تدبر
إذا كسر الرغيف بكى عليه * كما بكى الرباب لفقد عمه

آخر ودون رغيفه دون الثريا * وحرب مثل وقعة يوم بدر
وصاحب رزقه مقترف لبسي * كسر خبز وعينه عبرا
آخر وقال ما تشتهي فقلت له * خليل ملح وكسرتي اختوا
رأيت الفضل مكتئبا * يناغي الخبز والسمكا
فقطب حين أبصرني * ونكس رأسه وبكى
آخر فلما أن حلفت له * بأني صائم ضحكا
أرى ضيفا في الموت * وكف الجوع تمشي
آخر على خبزك مكتوب * فسيكفيكهم الله
يا خارجا من بيته باكيا * وما رأى من شدة الخوف
آخر فقلت من جاء بزاد له * فارجع وكن ضيفا على الضيف
تجنى إذا جئته زائرا * وأكثر في غضبة أو دخلت
آخر فقلت له لا تخف إن الرغيف * فوالله ما جئت حتى أكلت
يفرح بالضيف يوم فخره * مرطا ما يجري في الجود
ما يزكي الشيء يقرى * أعوذ بالله من الضيف [illegible]
أجاع بطني حتى شممت ريح الضيف وجاءني برغيف فأدرك الجاهلية
يقضي بالدماء حشواه ومنه شكيه. تتلى الجماهير وإنما عن مثل سيم الرغيف
فتبع رأسه ثلاثا وذكر فيه الشيب. آخر
رب وزنته نفرا لجوع أشبعني * ورزق رب في إن غير مرفوع
ولو عليك اتكالي في الطعام إذا * الكنى أولى موقا من الجوع
آخر وقائلة ما دمت تأكل يجي * فقلت لها من به فرط بيت
أكلت دجاجة بعض ملوك * فما زلت أمعن حتى عميت
آخر نوالك دونه خرط القتاد * وخبزك كالثريا في البعاد
ترى لا فلاح من مكان لا أجد * وكثرة للرغيف من العتاد
ولو أبصرت ضيفا في منام * لحرمت المنام إلى التلاد
وما أهجوك إنك كنت شيعا * ولكني أهجوك للفساد
آخر ودعوتني فأكلت عندك لقمة * وشربت شربة ما استتم خروفا

وبالشوق إن زاد الله حاجة . أودت بلادي نائلا وكرما .
فجعلت أملي ميتا بأن تبليني . ما كنت تسأل أوائلك ربيعا .
أتيت ابن يحيى وسرنا كل ما نشتهي . إني مخول بالأذى أن يهما .
وقال لنا إذا جئت فلن مسبلا . فقال لمن سلمت فاجمع نيلا ما . وقال آخر في
الخلفاء . لا تكون مالا وعسر فيها . فلن تهدم وخل عند الرضا .
أكرم الخير بالصيانة حتى . جعل الكعط للعبات شوقبا . وقال آخر فيها
فيكا . لن تعشر إذا أخر فيها الجوع فلا حينها شيم الرغيف .
من يكن عيشه كعيشة مرا . فلتكون داره تغير كنيف . وآخر
زائد عن حضور الخوان . قليل النشاط كثير الصياح .
تلاحظ عيناك لا الأكيل . وتومه من جميع النواح .
فقال أمر في تجلت نفسه . شيء يقول إلى المستراح . وآخر هجوا
فيكا . أصبح لا يعدم البخيل ولا يعدم في القبيح والحسن .
إذا الزبرقي ذرا له . يحلب تيما من عزة اللبن . وآخر
يزداد بخلا وشحا كلما كثرت أمواله ثم لا ترجى مواهبه .
كالبحر كل مياه الأرض مالحة تأوي إليه ويبقى ماؤه راكده .

ومما يكون منه المأكول الخلف الشحيح نسأله يا فتاه

قالوا أخلف الوعد من خلق الوغد والنذل اللئيم من قولهم أخلف من عرقوب
وأخلف من شرب الكمون فإن الكمون يمنى بالسقي وأنشد قال الشاعر
فسقيتموني كؤوس المطل مترعة . حتى ثملت والسكر أعرفه .
لا تكوني ككمون بمزرعة . إن فاته السقي أغنته المواعيد .
وقال بعض الحكماء لأعرابي لأن أموت عطشا أحب إلي من أن أخلف
موعدا وقال بعض البلغاء يوم بخيلا فلان ملا سمحي روحا وجه رجلا
وآخر فلان يفتح مواعيده بالأطماع ويختمها بالخيبة والامتناع
وآخر فلان يسخي قوله ويبخل فعله وسريع وعدا ويبطئ منه . وآخر
فلان أول وعده كمع وآخره يأس وما يعرفه كالسراب يغر من دا
ويخلف من رجاه وقال الشاعر لسانك أحلى من جنى البخيل موعدا

وكعط

وكعط بالموعد أخيب من فعل . تمني أن ما نيل حتى إذا التمس
إلى أمل فاتت وتنتهك مع الحبل . وآخر
لسانك معسول وقلبك علقم . ودون الثريا من صديقك مالكا .
وعد . بأجواد اللسان في غير فعل . فيت من أحب جواد اللسان .
وقالوا أن من أوعد وأخلف فيه ثلاث من مات خروج اللؤم ومع الخلف
ومع الكذب وقال الشاعر
ألا إنما لا تنار نجوى تغلبه . ولا خير في عمرو إذا لم يكن نصل .
ولا خير في وعد إذا كان كاذبا . ولا خير في قول إذا لم يكن فعل .
فإن تجمع الآفات فالبخل شرها . وشر من البخل المواعيد والمطل .
وقال الثعالبي أول من أخلف المواعيد وكذب ولم يف بشيء منها إسماعيل
ابن صبيح كاتب الرشيد وما كانت البرامكة قبل يعرفون المواعيد الكاذبة و
قال فيه بعض الشعراء فيا عجبا من أخلف عرقوب وعد ما أتى من أبيات
ووعدتني عدة كنت طامعا . فجعلت من طمعي أجيء وأذهب .
وإذا حضرت أنا وأنت بمجلس قالوا مسيلمة وهذا أشعب .
وقال بعض البلغاء يوم محلف وعده ملان وعده بالخلاف كثير الخلاف
يريد نفاد النفع ثم لا يجد شيئا من التي نقضها ابن الرومي فقال
تبسمت بالمطل حتى ظننت أن به من سماحة ووفاء .
بذل الوعد للأخلاء سمحا وأبى بعد ذلك بذل العطاء .
فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الإثمار كل الإباء . وآخر
وما بركاب في فرو صعتها فباطل طاعت به الأصحاب .
وإذا أتاك السراة الوعد ان قال تأمل كذابا . وآخر
أبعين مفتقر إليك رأيتني ما ضرتني ورميتني من حالق .
لست الملام أنا الملوم لأنني أنزلت حاجاتي بغير العالي . وآخر
علق الرجاء وما حمت السلام إذا ملكت خزائن الليالي .
وعيت من الأمور بكل شيء . فصلى الله وانقطع الكلام .

الفصل الثاني من الباب العاشر في ذكر

فصل في كون أهل التجمل من الأحرار أولي التجمل

يجب عليك أن تذكر أن مما هو من أجل العقلاء التحرز من سؤال الأجواد
والبخلاء ثقة بما عند الله من رزقه الدار على جميع خلقه قالوا مكتوب في التوراة
ابن آدم لا تسأل الناس فإن كنت فاعلا فسل معاد الخير ترجع مغبوطا محمودا
وفي كتاب كليلة ودمنة ينبغي للعاقل أن يرى أن احتمال الدين في جمع التنمية وإقناعه
شيء أهون عليه من سؤال الناس وقال الربيع بن صعصعة لابنه يا بني من شكوى
عن لا يستحقه واطلب المعروف من غير من طلبت إليه واستر ما وجدت نفاعا
قناعة وتسل عن الدنيا بتجافيها عن الكرام والشدة

فبي القناعة ملاذ من تكن ملكه ، لو لم تنل منه إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ، هل راح منها بغير القطن والكفن

وقال لقمان لابنه يا بني ثق تعلو وجهك بطلب الحوائج التي من سعودونك
فإنه أراد ذلك تبارك الله محنة وإن قضى حاجتك أعز ما عليك منه وسل الله
فإن الله يحب من يسأله ولا يحب من يسأله وقد روي عن سفيان الثوري دعاء
كل كلام يعلى كان يدعو به إذا العلاج يقول اللهم إني أحب أن تسل في
بعضه على من لا يسأل وأحب عباد الله من تسأله فإليك سؤاله وتستر أمر
كذا الله يغيرك فإنك بي أعطني كذا وتسأل حاجته وقال محمد بن الحنفية رضي
الله عنه من كرمت عليه نفسه إلا هانت عليه الدنيا قال شاعر

الحر عن الغنى حيث ثوى ، كالشمس في كل برج ذات أنوار وقال
ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ، عوضا ولو نال الغنى بسؤال آخر
وإذا السؤال مع النوال وزنته ، رجح السؤال وخف كل نوال آخر
لا تضعن بالسؤال على الزمن ، وكان من حسن الصبر بالمحسن
إن كنت إذا استعطيت ذا نعمة ، برح عن كتفه من كان ليعطني
ذل السؤال ونقل الشكر ما اجتمعا ، إلا اجتلبا الوجه والبدن
لا أشتري بسؤال في إخاء أبدا ، لو شاء فضل سؤال في منه الكرم
لا الشراء ولا يعرض أو يسرى ، عنه ويحفظني قوت فيلغني
آخر استرزق الرب الكريم بفانه ، أدنى وأقرب لي بلا من عسى

ومع الكريم ولا نزد في حاجة ، بالموت دون خروج هام عندي آخر
دع الناس فيما قال ما تعبوك ، وزد إلى الله وجه الأمل
ولا تطلب الرزق من طالبيه ، واطلبه ممن به قد كفل آخر
أرى الرزق مقسوما من الله للورى ، فكلا بأيديهم عليها الخواتم
ورب امرئ يأتيه في بيته الغنى ، ويرزق عليه رزقه وهو نائم آخر
فمنى متى أناجي حارق زمان ، وطول سعي وإدبار وإقبال
ونازح الدار لا أنفك مغتربا ، عن الأحبة لا يدرون ما حالي
ولو قنعت أتاني الرزق في دعة ، إن القنوع الغنى لا كثرة المال وقال
آخر لا تنس ما بي ذو البنا ، الموثل والرياش
فيقل من طول العناء ، وتجنبن حلو المعاش
وانظر لمن تركا ، فتنا وتطلبه في المعاش محمود الوراق
اخضع إلى الله ما تخضع إلى الناس ، واقنع بيأس فإن الغنى في الياس
قال رزق عن غير يجيء إلى أجل ، فكم عاجل غني ولا ناس
فكيف أتباع منه ما قد أتغنى ، وكيف أطلب حاجاتي من الناس آخر
فصرت بها ما تحقق تخبيئه ، ذليلا وما كان السؤال بزينب
فيا ليت أني لم تطلقني وليتها ، بعتبتها بما فيما طلعت إليه آخر
تجنب لئام الناس واستغن عنهم ، ولا تغتنم ما عشت فضل كريم
فإن نزل الكريم منزلة ، فكيف إذا كانت بزل لئيم آخر
إن الغنى عن لئام الناس مكرمة ، وعن كرام إلى الكرم
فراحتنا واستيحشنا ، من غدو ورواح
واتصال بلئيم ، أو كريم في تماح
وجعلنا الصبر معتا ، حاملا به باب النجاح آخر
من يلج الحر في طلب الرزق ، فيبكر ويدرك المستنجح
ويرى أن الحريص فيها فيبرى ، من مقام وقربونه النجيح آخر
الحرص عون للزمان على الفتى ، والصبر نعم العون للإنسان
لا تخش عجلان دهرك إنه ، فمتى الخضوع إليك بهوان

، وإذا دار المرء صون لعرضه ، بالعطى يوفي العطي بالادعان :: عبد الحميد الكاتب
، اسمح بلقمة لتريح النوى ، وتشرب ماء القلب الساهمه ،
، أعز للإنسان من حرمه ، ومن سؤال الأوجه الكالحه ،
، فاستغن بالله تكن ذا غنى ، مغتبطا بالصفقة الرابحه ،
، من نكر الدنيا به بسرة ، فإنما يوما له دائحة ،
ونظر أحمد السوزي بن عامر بن شمير كل الإحسان في قوله تجفى رجاله وخبره عن
عن السؤال بقناع قناعته وكف وصبر على مضض الاحتياج بقدر استكفا عنه معف
، إن الكريم إذا نالته مخمصة ، أبدى إلى الناس ريا وهو ظمآن ،
، يحني الضلوع على مثل اللظى حرقا ، والوجه غمر بماء البشر ريان ، أخر
، وكم فتى بات متحمل يروح ويغدو ليس يملك درهما ،
، يبيت يراعي النجم من سوء حاله ، ويصبح يلقى ضاحكا متبسما ،

فيمن تزيى بالشح من الملوك :: وانتهى بما لا يحسن بالعبيد المملوك

كان عبد الله بن الزبير وكان أبا خبيب مسيكا يرى البذر في الدنيا وكذلك م
نفسه أن يعطي أحدا منه للرجال وإنه لم يعد من البخلاء بخلا الله رثنته وإطالة
أبوته محا يحكى عنه أنه نظر إلى رجل من أصحابه تردد في هرور أصحاب الحجاج
في قتاله له على مكة ثلاثة رماح فقال له يا هذا اعتزل عن علي فما بال بيت المال
لا يقوم بهذا وفي هذا الحرب فقال يعتب حسن بك كلكم تأكل تمري وتعصي أمري سلاحكم
وكلامكم غث عيال في الحرب أعراب في الخصب وقال له رجل كان بيننا وبينك اتجارة سا
ناعتك ناقة في الحرب فقال ما أشرك فأمر لك على القعر وأطعمه الإبل قال
بلاد أقال بيضا عتيك اللعونة التي من ظاهر بعرق وسونه خمس واتاه عبد الله بن
فضالة مستحمر بما قد ثبت يشكو إليه ما قته وجعا نافقته وعود من قبه وبعد
مسافته فقال له أخصفها بجلد وارقعها بسبت وأنجد بها بيرد خفيها فقال ابن
فضالة إنما جئتك مستوصلا لا مستوصفا فلا يقيت ناقة حملتني إليك قال إن
وصاحبها يقول داود إن بعض نعم قال أبو عبيد معمر بن المثنى لو تكلف الحارث بن كلدة
طبيب العرب من وصف علاج ناقته هذا ما تكلفه هذا الخليفة لعشي عليه ونقاله
انه كان ياكل في كل سبعة أيام أكلة واحدة ويقول إنما بطني شبر في شبر وفيما

وجر يكفيني ومن بخلاء الخلفاء عبد الملك بن مروان وكان يسمى رشح الحجر ولبن الطير
لبخله وهشام وكان يتضجر في الطلب من السائل ويمنع السائل وانه لعب في الشوال
ويبيع ما يعري إليه ويجعل السيف طلق من يقرضه ويبني عليه ومن حكايته أنه
دخل عليه محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال ما لك عندي شيء ثم قال إياك
أن يغرك أحد فيقول لم يعرف أمير المؤمنين أنت فلان بن فلان فلا تغيم فتمنع
ما معك فليس لك عندي عطية فإياك والتعرض بالغلط ومن بخلاء الخلفاء معاوية
ابن أبي سفيان كان يبخل في طعامه فقط مع كثرة جوده بالمال يحكى عنه أنه خلا
رجل وأكله أرموس بين يديه فقال له الرجل وإنك لغضبان كم مرة وقال صعصعة
ابن صوحان أكلت عند معاوية لقمة فقام بها خطيبا قبل أن كفيه ذلك قال كنت
أن أكل معه فخشيت اللقمة قبل أكلها يا عبد الله ثم أخرجتها وأكلتها بسمعته يعود إليها
يقول على المنبر أيها الناس أجملوا في الطلب فرب رافع لقمة إلى فيه
يسبقه إليها غيره وبلغه أن الناس يقولون فقام على المنبر وقال إنه قد بلغني
يقولون أن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم فلأي شيء
تلومونني فقام إليه الأحنف بن قيس وقال نحن لا نلومك على ما في خزائنه وإنا
نلومك على ما في خزائنك وأغلقت دونه بابك ومن الخلفاء البخلاء أبو جعفر
المنصور وكان يلقب أبا الدوانيق والجوب ويلقب بزاد الشهر يحتمها بني بغداد
وكان ينظر في العمارة بنفسه ويحاسب الصانع والأجراء فيقول لهذا أنت نمت
القائلة ولهذا أنت لم تبكر إلى عملك ولهذا أنت انصرفت من قبل أن يكمل اليوم فيعطي كل
واحد منهم بحسب ما عمل في يومه فلا يكاد يعطي أجرة يوم كامل وقال الناس
بن حمويه إني بخيل ولكن رأيت الناس عبيد المال فحقرته عليهم فكونوا عبيدا لمن
ويحكى عنه أنه قال لقرابته لكم ثلاث وعليكم اثنان لكم الرؤوس والأكارع و
الجلود وعليكم الحطب والتوابل ومن حكايته أنه اتى ابنه على شرى نخله الى الربيع
ابن يونس حاجبه فقال له يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وهم كثيرون وقد كانت
أيام أكل معهم وبعدت نفقاتهم فقال أخرج إليهم واقرأ عليهم السلام وقل لهم
من مدحني منكم فلا يصفنا بالأسد فإنما هو كلب من الكلاب ولا بالحية فإنما هي
دويبة منتنة تأكل التراب ولا بالجبل فإنما هو حجر أصم ولا بالبحر فإنه ذو

عقابه من يسير في شعره شيء، من هذا فليس خلق وشر كان في شعره شيء، من هذا فلينصرف فانصرف أبو الكلم إلا ابن الربيع فإنه قال إنه خلفني فما دخل فلما مثل بين يديه قال يا ربيع من علمت أنه لم يجد أحد غيري فقال يا ابن الربيع ما أنشدني القصيدة اللامية قال فأنشده سرى نومه عن ناحل الجسم ناحل، وأذنى فأبكى الحبيب المنازل متى السؤال

قوله له لحظات من خفايا سريره ، إذا كرها فيها عقاب ونائل

فأم الذي أمنت آمنة الردى ، وأم الذي أوعدت بالثكل ثاكل

فرمى له الحجاب وأقبل عليه مصغيا إليه حتى فرغ من إنشاده ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وقال له يا ابن الربيع هذه تستقلها فحاجة في نيل مثلها فما كان ومثلها تصل إلينا وتنال مثلها منا، ودخل المؤمل على المهدي بالري وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه المنصور فامتدحه بأبيات يقول فيها

هو المهدي إلا أن فيه ، تشابه صورة القمر المنير

تشابه ذا وذا فهما إذا ما ، أنارا يشكلان على البصير

فهذا في الضياء سراج عدل ، وهذا في الظلام سراج نور

ولكن فضل الرحمن هذا ، على ذا بالمنابر والسرير

وبعض الشهر ينقص ذا وهذا ، منير عند نقصان الشهور

فإن سبق الكبير فأهل سبق ، له فضل الكبير على الصغير

وإن بلغ الصغير مدى كبير ، فقد خلق الصغير من الكبير

فأعطاه عشرين ألف درهم فكتب بذلك صاحب البريد إلى المنصور وهو بمدينة السلام ببغداد فكتب إليه يلومه على تبذير العطاء ويقول له إنما كان ينبغي لك أن تعطي الشاعر إذا قام ببابك سنة أربعة آلاف درهم وأمر كاتبه أن يوجه إليه بالشاعر فطلب فلم يوجد وذكر أنه توجه إلى بغداد فكتب الكاتب إلى المنصور بذلك فأمر بعض القواد بارصاد المؤمل على باب بغداد فجعل القائد يتصفح وجوه الناس القادمين عليها ويسألهم عن أسمائهم وأنسابهم، وكان مع القائد فيها صحبة المؤمل وعليه حتى وقع على المؤمل فسأله عن اسمه فأخبره فلما وافى قال أنت بغية أمير المؤمنين وطلبته فكاد والله ينصدع قلبي خوفا ومن قائم أخذ بيدي فطار به

إلى الربيع فأدخلني على المنصور فقال يا أمير المؤمنين هذا المؤمل فأقبل عليّ كالمغضب فسلمت بتسليم الخلافة فسكن جأشي وزال عني ذلك استيحاشي والخفقان قلبي وزال روعي ثم قال في ويلك أتيت غلاما غرا فخدعته فانخدع فقلت يا أمير المؤمنين أتيت ملكا كريما جوادا فخدعته فحمله كرم أعراقه ومكارم شيمه على طلبتي وتم فأعجبه كلامي ثم قال أنشدني ما قلت فيه فأنشدته القصيدة فقال والله لقد أحسنت ولكنها لا تساوي عشرين ألفا خذ منه يا ربيع المال وأعطه منه أربعة آلاف درهم فيعجل بها ولي العهد الخلافة فرد عليه المؤمل فأخبرني بأداء رسيته وبر المنصور فضحك وأمر له برد ما أخذ منه مردة عليه

ويحكى عن المنصور أنه أشرف يوما على العراق فرأى رجلا من الصيادين قد صاد سمكة عظيمة فقال لبعض مواليه أخرج إلى المسيب وأمره أن يتوكل بالصياد من بعيد حيث لا يشعر فإذا باع السمكة فخذ على مشتريها وطارده إلينا فجعل المسيب ما أمر به فلحق الصياد رجلا نصرانيا فابتاع منه السمكة بثلثي درهم فلما صارت السمكة في يد النصراني وذهب بها قبض عليه الأعوان وأتى به إلى المسيب وأدخله على المنصور فقال له من أنت قال رجل نصراني من أهل الذمة قال بكم ابتعت هذه السمكة قال بثلثي درهم قال كم عيالك قال ليس لي عيال قال وأنت يمكنك أن تشتري مثل هذه السمكة بكل هذا الثمن كم عندك من المال قال ما عندي شيء فقال للمسيب خذ إليك فإن أقر بجميع ما عنده وإلا فمثل به فأقر بعشرة آلاف درهم قال كلا إنما أكثر فأقر بثلاثين ألف درهم واحد دها وحلف له على أكثر منها فقال له من أين جمعت هذا المال قال وإنا أمين يا أمير المؤمنين قال له وأنت أمين على نفسك أن صرفت فأكتب ما كنت جارا لأبي أيوب مولاك في جسور بعض نواحي الأهواز فجبيت هذا المال فقال المنصور الله أكبر هذا مالنا اختلسته وأمر المسيب بحمل المال والجلد الرجل ومن حكى ابن حمدون في تذكرته أن المنصور حج في بعض السنين فجرى به ملح الحادي في طريقه يوما فقول الشاعر

أبلج بين حاجبيه نوره ، إذا تغدى رفعت ستوره

يزينه حياؤه وخيره ، ومسكه يشوبه كافوره

فضرب المنصور حتى ضرط ثم جلد الحمال فقال يا ربيع اعطه عشرة آلاف درهم
وفي رواية نصف درهم فقال سلم لي عمي يا أمير المؤمنين والله لقد حرمت بسماع بني
عبد الله جائزة في بلا ألف درهم فقال المنصور ما كان لذا ان يعطيكم من بيت مال
المسلمين ما ذكرت يا ربيع وكل به من يستخلص منه من المال ما الذي بيع فما زالت
سعيرا بينهما حتى شركه عليه ان يجوز به في خروجه ومجيئه بغير مؤنته وكان مال
من المذكور تردد له الا بل بعد ان تهيأ السبعة أيام والثمار والتسع فجروا له
فيلعب بعد كعر وردا لها، ومن كتب ما يحكى عنه ان عبد الله بن زياد بن الحارث
كتب اليه رقعة بليغة يستمنحه فيها فوقع على ظهرها ان الغنا والبلاغة اذا اجتمعا
في رجل ابطراه، وأمير المؤمنين مشفق عليك فاكتف بالبلاغة وكان لسوار
القاضي بالبصرة من قبل المنصور كاتبان رزق احدهما عشرون درهما ورزق الآخر
أربعون درهما فكتب اليه سوار يسأله التسوية بينهما فنقص الأربعين عشرة
وزادها صاحب العشرين وانما أراد سوار أن يلحق صاحب العشرين بصاحب الأربعين

ذكر من كان في زمنه ممن تنبسط به الفكاهة بكشف عنه اللؤم ما اسبله الكرم من الغطا

خرج مروان بن ابي حفصة من المهدي فنزل في كري بقية بامراة من اهله فقالت
له ما لي عليك ان رجعت بالجائزة السنية قال ان اعطيت مائة الف درهم اعطيتك
درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها أربع دوانيق وسأل رجل خالد بن صفوان
فقال لما في ديناريا فقال ما لم تحضرك عطية صغيرة انه الدينار عشرة العشرة
والعشرة عشرة الثلاثين والثلاثين عشرة الالف والالف ديناري وكان بعض البخلا
اذا طار الدرهم في يده خاطبه وناجاه وقبله وفداه وقال له بأبي انت وأمي
كم من ارض قطعت وكيس خرقت وكم من خامل رفعت ومن رفيع وضعت لا عزلك
لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في الكيس ويقول اسكن على بركة الله في مكان
لا تتحول عنه ولا تخرج منه وكان مروان بن ابي مروان اذا جاءته جائزة
يقول للدراهم كم من خامل رفعت وكم من رفيع وضعت فقال ما تفرغت في البكاء
والتعب في طلب تحصيلك العبا تبوا لك لا كيلا يضيعك ولا ديرتم عند
ثم يضعها في الصندوق ويختم عليها وكان ابو العنبس اذا وقع الدرهم
في يده نقره باصبعه وقال يحدثه كم من بلد قطعت فيها وكم تلبث جلت في

نواحيها فلعله انت وأبي أسكن ومن عينا من ذل الغربة والتمكن واستغن بالقرار
والكمال في المنزل ثم يضعه في كيس ويختم عليه فيكون آخر العهد به وكان بعض
البخلاء اذا وقع الدرهم في كفه قال يخاطبه انت عقلي وديني وصلاتي وصيامي
وجميع شملي وقوتي وعمادي وعزتي ثم يقول يا حبيب قلبي وثمرة فؤادي من جئت
الي بصونك ويحرسه حفظ وبعفيه عن كل قد عمر غربتك ويشفق عليك ويبكي من
شوقك وكيف لا تكون كذلك وبك تجلب المسار وتدفع المضار وتفتح الاضرار
وتعم الديار وتقضي الأوطار فكان من جمع الذكر ونطق العذر ثم يضعه في الكيس وينشد

فنفسي محجوبة عن العين شخصه * ونفسي فدا من سنانه ولا فلبي
ومن كره حكي من الناس بكلهم * ولكن حكي منه في العز والغنى

وممن كان في زمنه وما سمح به فكان ذلك سبب الرقة وقلبه

ما يحكى ان اعرابيا شرب عند بخيل نبيذا فلما سكر البخيل وانتشى خلع على
الاعرابي قميصا فلما صحى اتى بعد يومين ثم شرب معه صبوحا فلما سكر واقبل

كسانه قميصا من نبيذ النشا * وينزعه مني اذا كان صاحيا
فلي فرحة في سكره وانتشائه * وفي الصحو حسرات تشيب النواصيا

واتى بعض البخلاء بغلام يشترى به فسيم فيه بأربعين دينارا فاعطى فيه
عشرين فقيل له انه من اشترى ذراه فقال اليوم من اشتهاه. ونزل الغيم بعبوس
فرح ما اشترى به بأربعين وسأل اشعب بعوس بدرهم فقال صاحبه بدرهمين
فقال والله لو رميت به كلبا لم يوضع مشويا بين رغيفين ما اشتريته بهذا
الثمن وكان أشعب بخيلا وله حكايات نذكرها بعد ان شاء الله وقال
الاصمعي قالت امرأة من قبيلة لزوجها اشتر لي ركبا فقال لها وكيف
يباع قالت كيلجة بدرهم فقال والله لو خرج الدجال وعاث في الارض
وانت تحفر بعيسى والناس ينتظرون الفرج على يديه ونزل الرجال
ثم لم تطر به حتى تاكلي الركب ما اشتريت لك كيلجة بدرهم قال شاعر
محمد بن عمرو فقال له اما ان اعطيك شيئا من مالي فلا ولكن اذهب فاجني
جناية حتى لا اخرك بـ وقال مروان بن أبي حفصة ما فرحت بشي قط فرحي
بمائة الف درهم وهبها لي أمير المؤمنين فزادت لي درهما فاشتريت

منه شيئا • قال أبو صالح علي العنود قد أنشدني

• رأيت في النوم أني مالك فرسا • ولي وصيف وفي كفي دنانير •
• فقال قوم لهم علم ومعرفة • رأيت خيرا وللأحلام تفسير •
• اقصص منامك في دار الأمير تجد • تحقيق ذاك وللفال تباشير •

فلما سمع الأمير إنشادي قال أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين
وممن كان يبخل على الفقراء بطعامه مع بلوغه في لؤمه وموجبا لملامه
الحطيئة حكي عنه أنه مر به بعض الأعراب وهو يرعى إبلا له وفي كفه عصا فقال له
الأعرابي يا راعي الإبل فما أجابه الحطيئة بعصاه وقال إنها عجراء من سلم
فقال له الأعرابي إني ضيف فقال وللضيفان أعددتها ومر أعرابي بأبي الأسود
الدؤلي وهو واقف على باب داره فسلم فقال له أبو الأسود كلمة مقولة قال
أتأذن لي في الدخول قال وراءك أوسع لك قال هل عندك شيء فتطعمنيه فقال
نعم قال أطعمني قال عيالي أحق به منك قال ما رأيت ألأم منك قال نسيت
نفسك وقال شاعر يهجو بخيلا بطعامه

• إن كنت ترغب في كلامه • فاكفف يديك عن طعامه •
• فالموت أهون عنده • من مضغ ضيف والتقامه •
• سيان كسر رغيفه • أو كسر عظم من عظامه •
• وإذا مررت ببابه • فاحفظ رغيفك من غلامه •

وقال رجل لبعض البخلاء لم لا تدعوني إلى طعامك قال لأنك جيد المضغ سريع
البلع إذا أكلت لقمة هيأت أخرى قال يا أخي أتريد إذا أكلت عندك أن
أصلي ركعتين بين كل لقمتين وقال آخر لبخيل لم لا تدعوني قال لأنك تعلو وتشره
وتغرف اثنتين وأخرى في يدك وأخرى في شدقك وتنظر إلى الأخرى بعينك وعن
بعض إخوانه أشعب عليه ليأكل عنده فقال إني أخاف من ثقيل يأكل معنا دون
فينغص علينا فقال ليس معنا ثالث فمضى معه فبينما هما يأكلان إذا الباب
يطرق فقال أشعب ما أرانا إلا قد صرنا إلى ما نكره فقال إنه صديقي وفيه عشر
خصال إن كرهت واحدة منها لم أدخله فقال أشعب هات قال إنه لا يأكل
عند أحد ولا يشرب فقال أشعب التسع لك ودعه يدخل فقد أمنا ما كنا نخافه

وكان

وكان مروان بن أبي حفصة لا يأكل إلا الرؤوس فقيل له في ذلك فقال إن الغلام لا
يقدر أن يخونني فيه إن أخذ عينا أو أذنا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا آكل
عينه لونا ودماغه لونا وأذنه لونا وأكفى مؤونة طبخه فقد اجتمعت فيه مرافق
في فيه من أهوى شيئا ومن البخل العجيب ما حكي أن دعبلا الخزاعي قال أتيت
سهل بن هارون الكاتب في حاجة فأطلت الجلوس عنده فأضر بي الجوع فتناجيت
فجلست على جمر فلما كضني الجوع قال يا غلام غدنا فجاء بإناء وعليه قصعة
فيها ديك يابس ليس فوقه ولا تحته شيء فاطلع في القصعة ففقد
رأس الديك فقال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم رميت به قال
لم أظنك تأكله قال فبئس ما ظننت إن العيال يأكلونه فما تعيب الناس وقال
لو لم أكره ما صنع إلا لأجل الطيرة لكان حسبي فإنهم يتفاءلون بالرأس للرئيس
وفيه الحواس الأربع ومنه يصيح الديك وفيه عرفه الذي يتبرك به وعينه
التي يضرب بها المثل في الصفاء ودماغه موصوف لوجع الكليتين ولم أر عظما
قط أهش تحت الأسنان من عظم دماغ ديك وهلا إذ لم تأكله رميته فقال لا أدري قال
لكني أدري أنه في بطنك الله حسيبك وكان جعفر بن سليمان
بخيلا على الطعام وبعث الناس من ينوب تربه يوما وعليها دجاجة مشوية
فأخذ منها بعض بنيه جناحا فلما أبصره عبس عليه فاعتراه مغص فقال من هو الذي تناول
فقيل له ابنك الصغير فقطع أرزاق جميع بنيه من أجله فلما كان ذات ليلة
وأمر بنبع أجمال جبال أكبر منهم وقال يا أبتاه أنتم ملكتنا بلا فعل السعداء فما
فأعجبه ذلك منه وأمر برد أرزاقهم البنين وقال بعض الأكياس دعاني رجل
إلى منزله فقدم لي دجاجة فأكلت من المرقة وحذرت أن آكل اللحم فأفوتني
لصلابته وبت عنده فلما كان من الغد أتى بالقدر وطرح عليه شكل أنه قد
زيد فيها فقدم منها فأكلت من المرق وحذرت أن آكل من اللحم فلا قدرت لشدته
فبت عنده الليلة الثانية فلما كان من الغد قال لغلامه أطعمنا على الله
فلما أفرد لغوته فأحضر قصعة من اللحم ووضعها إلى جنبه الطبيلة وقف
على البيت فقال ما عند الله تصنع قلت أشهر أنه لحم ولي منذ نيا
أنتظر فيحل فيه فلما أنه فرد دخل الباب ثلاث دفعات فلم يحصل فيه شيئا فلما

اردت الا تذوق ان ابعض جيرانه يرى اتيانه فقال له اعرفت ان اللحم يخصيب
واجابه من الغد لم يحمد له وارى البيت ارشد الله فناد الباب وسال فقيل هو دار
بخيل شيئا فاعطى لقمة صغيرة فقال يا اهل هذا المنزل كيف اشرب هذا الدواء و
كان اعمى يسال الناس فلا يعطونه شيئا فقال ابو ما اعطاه رجل غريب رغيفا فقال له
احسن الله اليك وبارك عليك وجزاك خيرا ورد غربتك فقال ولم ذكرت الغربة قال
لاني منذ عشرين سنة اطلب فيها وما اخذت رغيفا صحيحا غيرك
فعلمت انك غريب ووقف سائل على باب دار فيها يحيى بن زياد وحماد عجرد وبشار
ابن برد مجتمعين على طعام فقال بلا اصوات السائلين فقال يحيى ملا السحاب بينهم
لو ميزوا بينه بسائل لون فقال ارحموني فقال حماد نحن الى رحمتك احوج منا الى
رحمتنا فقال واسمعوا كلامي فقال بشار لقد اسمعت لو ناديت حيا فقال السائل

اما الخبز فما اوسع * به شفاعتي اموالكم
واما الفعل فما اخيبه * قرنه الله بالخيبة آمالكم

وقال اعشى كان لا يعطي يحصل الخبز الحار له ملا البخيل الجارد ولو بزت له الجنة
بدرهم لم يستنقص منها شيئا وقال جحظة دخلت على هارون بن الجمال وكان بخيلا
بطعامه وكنت اذ ذاك ناعسا فنمت عنده وقد نصبت ما يدبره حريمه تحملة البيت
وقدمت الي صحفة فيها فخذين معقودين بعقبان كانهما قصبا فضة فانشدت
في الحال كل منهما الى شيرازي فقال يا جحظة متى كنت والله معروف الى الفاطي والباجع
والصعوة وانت هليل ونزلته بخبز والعرس يستخيل معلف والله العظيم الجليل لاني
منذ على الكثير والتقليل وهو حسبنا ونعم الوكيل ثم اقبلت على الاكل منهما حتى
اكتفيت فلما انصرفنا عملت فيه

في ملاحة لم تر النفس زوجه * يعير الجيران خبز مرتب
اكلت عصيدا عنده في مطبخه * فبات له يرجع عليه غضب * ولسه
وابدي * لم تعزلوني ان هجرت طعامه * خوفا على نفسي من الاكول
فمتى اكلت قتلته من بخله * ومتى قتلته قتلت بالغول

ووصف اعرابي مائدة هشام بن عبد الملك ثم رجع الاعرابي بعد فقال له
هشام شعري في طعامك يا اعرابي فقال الاعرابي ما بذلك ثلاث ... مالكه

من يرى الشعر والله لا اكلت عندك ابدا قال بعض البخلاء انه لا اكل الا نصف
الليل قيل له ولم قال ليبرد الماء وينقطع الذباب وآمن فجاة الداخل وصرخة
السائل وهو من نوادر البخلاء انه جلس ياكل مع زوجته كما ما فقال
ما اكشفي راسك فجعلت وقرا سورة الاخلاص فبات منه زوجته حتى
الغني فقال ان المراة اذا اكشفت راسها لم تحضر الملائكة وسورة الاخلاص
اذا قربت من شيء الشيطان وانا اكره ان جمعه على المائدة وكيف رجل
فوزا وجعل مع زوجته ياكلان فقال ما اطيب هذا الطعام لولا الزحام
فقالت اي زحام هنا انما انا وانت فقال كنت اود لو كنت انا
والقرد لا غير قال بعض البخلاء لغلامه هات الطعام واغلق الباب فقال
يا مولاي ليس هذا حزم بل اغلق الباب اولا ثم اقدم الطعام ثانيا فقال له
انت حر لوجه الله تعالى لعلمك باسباب الحزم ومن هذا ما يحكى
ان عمرو بن حاتم التغلبي عمل مأدبة فقال لولده وكان حضي اليهم على
الباب وانه لم تعرف وامنع من لم تعرف فقال والله لا يكون اول شيء
وليته من امر الدنيا منع احد من طعام فقال عمرو والله يا ولدي انت
الكرم منه وافطر امتنعوا الباب من شاء دخل وسائر البخلاء يقيس على
مقدار ما اطلع الله شمس الحكمة من مشرقها تقول العرب في حكمة هو أ
والموصوس اخبث شاعر ذم بخلاء وشروى للاخطل

قوم اذا اكلوا اخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار
لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكف يد عن حرمة الجار
قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولي على النار
الخ ثم ام مضيفة لا ضيافة خرسا * يعيبون العلانية بلا اذ ان

قال ابو هلال العسكري يذم بخلاء

تبنى بيوتكم للعناكب مسارح * وفي قدوركم للعنكبوت منسج
وعندكم للضيف حين يؤمكم * سؤال ... بالفقر ومعانج
وانتم على ما تم عمود لكارع * فانهم في استناع لا كارع والج * وقوله
الخ * مطبخ داود في نظافته * اشبه شيء بعرش بلقيس

ثيابه كما خاضه الشحمة، أنفنا يا ناظر الغدا كبيس،

وما يليق بهذا الفصل من التزيين ذكر من عرف بالأكل والتطفيل

قالوا الأكل بنفس الثياب وبعض الدعاء علة وقالوا مطارح الذباب تحت

كلال الأطعام وقالوا الحر عبر ما الأكل والعبر حران فنفع وقالوا الفرج

الأكل من طلبه نعال الغبير من رجله وحق بعضهم كما على مثال البوري اشبا ميه

جم أمعى نجاة النبه يسعى وأدخل يديه في فيه فيأخذه وجويبه وقالوا لو قيل للأكل

من أين لك هذا الشلح في الغور ولو قيل له ما حرفتك لقال الاكتساب الزل

ولو قيل ما أغلبك لقال الحرمان وللعدد رقى قال

وما أكل الأكل عنان حتى أبان، وفر يسار دا سيوف الكامع،

شاعر في بزغ الأكل

ود وكم يعرو انعيه عمر، ويسر ولم تجع بدا له وجزال،

يبيت بسهر الليل منتظرا لها، ويضحي سلسا من مواهبها معرا،

واكثر ما تلغ الدماء كواذبا، فيا من مرضت جاز تلقط منها الغررا،

جمهر أشتهر بالأكل وجمع فيه بين التطفل والتصنع أشعب

ويحكى في الشمائل فيما بلغ من أكله قال ما رأيت عروسا تزف الا كنت

أنا بيتي ولا رأيت جنازة الا حسبتها كانت صاحبها أوصى لي بشيء، وكان أيضا

أشبر يتبلا جيدا الا حيل أنه بلغ من أن في بعروه وكم كما الصبيان

هوى يوما يتولعون به فقلت لهم كم بعرهم عنه ان في دار فلان كذا

فجروا فرحوا يتعادون فلما هفوا عنه كنت أنا طردهم فتبعتهم وقيل

ما رأيت أكل منك قال نعم نزلت يطرح في الشام مع رفيق لي تحته عومه

راهب فتنازعنا في شيء، فجعلت ابن الراهب في استه الكلاب واذا

بالراهب قد نزل وانهد في بيت فعطلو سو يقول قد بنيكم من الكلاب فكم

وكان يقول ما احسنت جارتي يطبخ قدرا الا اغتسلت الفطارة ورفعة

اللبوة وانتظر بيده يحمل الي فنزلت وجلس بين القدر بن ابي عتيق مع زوجته

ونفسي ان يجري له سلوخ فيتخز منه لون كذا ولون كذا فسمعته جارك

له فيقلت أنه أمر يحمل ما سمعت فانتظر نداي الي اهل شم جارت وكم فتت

الذباب وقالت شجرة أربعة من أكلهم بجيب لتأكلونه فقالوا فقال أبي عتيق يكم انه أنت

كالوا أن أفضا في دار يشبع اهلها ربح ان ماته ورحل عنها اشعب بن النبي

، طلوب نبعيه بمنتشرة، أتاني خائب ولم تعرق،

، فمن اكثر شغلا، ومن الاضرابا، ومن احملا على الابلى،

التطفيل وفوائده من أشلاهم فنونهم أكلهم من ذبابه والذي من فراده

دائم من نبيل على نعاله وم القوم دبا الراجع

، أشهد في التطفيل من ذباب، على طعام او على شراب،

، لو ابصر الرغفان في السحاب، لطار في الجو مع العقاب،

وقالوا جاء الى طعام ولم يرع اليه اسنى الطعام وكد يلام عليه

لبعض المتطفلين على التطفيل فقال والله ما بنيت المنازل الا

لتدخل ولا نصبت الا لتؤكل واني لأجمع في التطفيل خلالا

ادخل مجالسها وانفرد مستأنسا وانبسط وان كان رب المجلس عابسا

ولا اتكلف مغرما ولا انفق درهما وقال بنان وكان من كبار المتطفلين على

الناس خير من دخلنا الموائد زائرا ومن عاب الطعام ازرى همة الجسم وكثرة

الأكل ودواع الشهوة ونفاء العزة وقد خلق بعض الطفيليين على قوم

فقال الوارد انت فقال انا الذي لم احوجكم الى رسول ولم تقطعني الى معنى

نحن قوم ان جئنا نذكر الناس ورحلنا على من جئناه لا نبالي صاحب الدار ونسينا أن أدعى

وممن كتب ما ذكرته عن الطفيلية فصل ما عنده منهم وليفه فقال في نسبه

قولوا للملح لا يحمل الأبواب كأنها وكلا أنه ما لنا وكم لكا زالا في السرور

ولا دفعا عنه في الغمور وكم كنوا ما للغلاا تسرى وهيا لنا راغبة ورحمته وبشر

وسهل علينا اذنه ما اذا دخلتم وعا بينهم الضيف فقولوا في متبارك

موصولة بالخصب معروف معه الجوب فاذا اجلستم على الخوان فقولوا

فعلكم الله في البركة كمعجي موسى وخوان ابراهيم وما ينزل بعيسى

ثم انتجوا أفواهكم وافتحوا الكفاكم وابسطوا الكف واحبروا اللقم

وأسرعوا بالقطع ولا تمضغوا مضع المتعللين الشباع التخمين

واذكروا سوء المنقلب وخيبة المنكب وكلوا على الشيخ واخشوا الجراد

البور

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله

ونمر جماعة من الطفيليين بباب بعض الكبراء وقد غدا به فنعم بوابه فكتب اليه
بعضهم، قد أتيناك زائرين جياعا، وعلمنا بأن عندك فضلا،
، ولو انا من الحديث شباعا، معجبات نعم ساقك أكلا،
، ان تجدنا كما تريد والا، فاحتملنا فإنما من الكلا،
جاذا، ثم قد رحلوا المربع الصداقة على لسان طفيلي
، نحن قوم نحب ما قال رسول الله مرحبا بالصواب أحببنا،
، فاذا عنا كل نشهت فانا، لم نزد عيننا الى كراع أحببنا،
ولم أسمع أظرف من قول القائل
، وقديم رفيع حاشية الحيلة طالع زجاجة الآداب،
، شغلته الرقاع عند أبيه، فيا نفسه الى الأصحاب، ولكن
، وقيل أن كنت ولم تجنبني، ولم تطق الي بعيوان سير،
، رأيت الحجى أن أنضي ركابي، اليك وأن أكون رسول نفسي،
وقال آخر يصف طفيليا
، لو طبخت قدر بمطمورة، بالشام أو أقصى الثغور،
، وأنت بالصين لوافيتها، يا عالم الغيب بما في القدور،
وقال آخر يهجو طفيليا،
ان قتل الله الطفيلي انه، على بعده يسعى الى كل منزل،
يجوز ذا به زاد مغله، وتيسر يراه يسري خبز منزله

الفصل الثالث من الباب العاشر في مدح القصد

في الانفاق وذم التقتير والاسراف

قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حثا له على الاقتصاد
وأمر الله فيه أن ينفق وسطا ألا تقتر فتمنع فيكون مذموما بقوله تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذير وقال تعالى مثنيا على
المقتصدين ومثنيا لهم على صلاح العمر والدين أعطاهما نفقاتهم والذي أما
بقوله والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

وقال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد اذا أنفق وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله يحب القصد والتقدير ويبغض السرف
والتبذير وقال معاوية حسن التقدير نصف العيش والكسب وهو قوام
المعيشة وقال لا تكن مقترا ولا تكن مسرفا وأوصى حكيم ولده فقال يا بني
عليك بالتقدير بين الأمرين بين لا منع ولا اسراف ولا بخل ولا اتلاف ولا تكن
رطبا فتعصر ولا يابسا فتكسر وقالوا حسن التقدير رأس التدبير وقال
ذو النون حسن التقدير مع الكفاف أكفى من الكثير مع الاسراف ويقال لا تسع
لولدك ولا لأمر أنت وقال بعض الكبراء جاركم عنهم لا بقدر
جسم البيت وهو مثل وسوالين بالملوك ما حكي أن ابن قال لابنه يا بني
توسع على جندك فيشتغلوا عنك ولا تضيق عليهم فيضجروا منك واعطهم
عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع لهم في الرجاء ولا توسع عليهم في
العطاء وفي وصية لأوصيائه إياك وقول لا أترع البلا وقول
تزيل النعم وسماع الغناء يسلخ جلد الانسان اذا سمع الغناء شرب واذا
شرب طرب واذا طرب وهب واذا وهب عطب واذا عطب اغتم ثم يموت
من غم ذلك وان الدرهم محبوب أو هو كنه مات وان الدنيا محبوبة ان الطلقة كان
وكذب من قال اليمين توزن الدنيا بلا نفع وانما الأمر بعد ذلك والاسراف مع
الأعمى لأنك اذا احتجت اليهم رفضوك وان احتاجوا اليك ومعتنهم سيركب واذا
لم يكن منهم يكن معهم كلاعب الشطرنج يحفظ ما قعد وتحتال في أخذ ما لغيرك
وسأل رجل زياد بن سمية فأعطاه درهما فقال طلبت العراقي فأعطيتني
درهما فقال من يسكن خزائن السماوات والأرض ربما رزق أعز عباده عنه
والكن يريد النزهة والعفة ويكسر عنها رجلا يا ابن الدرهم ويبغي
عند أن أعطى سائلا رغيفا اذا كان رب العالمين يفعل ذلك وقيل
ينبغي للعاقل أن يكتسب ببعض ماله المروءة ويصون ببعضه وجهه
عن المسألة وقال الأصمعي سمعت بعض الأعراب يقول من اقتصد في
الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر وقال الاقتصاد في النفقة
أحد الراحتين فاقنع بواحد النافذ تراهم وقالوا اسفاك العقول في النفقة رجح

اللهم صل وسلم على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم

بما عنده لا تلم ما بأن الإسراف ربما كان سببا في التعجب وقال الشعبي من كثرت
في مؤونته نفقته أسلم ماله ونقصت مروءته وقال الحكماء رأس العقل الاقتصاد
في أن تعاف من غير بخل فالوا إلا تقتصد في الغنى والفقر عدة لنوائب الدهر وما
أحسن قول القائل

إذا شئت أن تستغني المال منفقا ... على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الإنفاق من كنز صبرها ... عليك وإنظارا إلى زمن اليسر
فإن فعلت كنت الغني وإن أبت ... فكل منوع بعدها واسع العذر

ومن الكلام البديع للبديع السرف قوله شكل الإحسان في الإنسان مثل
الثمار في الأشجار فحقه إذا أتى بالحسنة أن يرفه إلى السنة وشاعر

انعم بقدر ما استغنيت ولا ... تسرف وعش فيه عيش مقتصد
من كان فيما استفاد مقتصدا ... لم يفتقر بعده إلى أحد

فما ذكر أن صلاح الأموال صلاح ما يتسع من الأحوال قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لا يقل مع الإصلاح شيء كما لا يكثر مع الإفساد شيء ويقال
من الفساد إضاعة المال البلس تعجيل المال خير من قضائه وينبغي في الاقتصاد بغية زاد

فقليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير مع الفساد

أيا مصلحا أصلح ولا تك مفسدا فإن صلاح المال خير من الفقر

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله فإن
إقلالا في رفق خير من إكثار في خرق وقالوا إن في صلاح الأموال سلامة الدين
وجمال الوجه وبقاء العز وصون العرض وقالوا اطلب ما لك تجد لوقعة
الزمان وجفوة السلطان ونبوة الإخوان وقد يقع الحرمان وكتب عتبة بن أبي
سفيان إلى وكيله فيما عسى صغير ما لي يكبر ولا تضيع كبيره فيصغر فإنه ليس
يشغلني كثير ما لي عن إصلاح قليله ولا يمنعني قليله عن كثيره ما ينوبني من
جليله وقال أحيحة بن الجلاح أصلحوا أموالكم فإنكم لن تزالوا من رجال
ما استغنيتم عن عشيرتكم وقالوا لو أصلح ماله مفرطان الأمر عن العرض والبر تكلم
اطلب المال إذا أخوفته واتسع في اليسر واصبر في العدم وقال عبد الله بن عمرو
ابن العاص اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا وقال

اعمل لدنياك واعمل لآخرتك
الحديث الشريف

شيب

شبيب بن أبي شيبة لبنيه إن كنتم تحبون المروءة والفتوة فأصلحوا أموالكم وقال
معاوية إصلاح ما في يديك أسلم من طلب ما في أيدي الناس وقال عبد الله بن عباس
اطلبوا الغنى بإصلاح ما في أيديكم فإن الفقر مجمع العيوب وقال البستي

اشدد على الفضة والعين تسلم من الغلة والوجى
فقوة العين بإنسانها وقوة الإنسان بالعين

احتياج من جملة ما يزري عن السؤال خوف التعيير بالإملاق وذل السؤال

قال أبو حنيفة لا خير فيمن لا يجمع ماله ليصون به عرضه ويصل به رحمه ويستغني
به عن لئام الناس وقال الأصمعي لابنة أعرابية أما لك على الإتلاف ما يه
فقالت يا أبت حبس المال يشفع في العيال من بذل الوجه للسؤال يا أبت
الرغبة في السؤال وكثرة الإنحال يا أبت أحسد يقول تلفت الفقر من الإقلال
ونفسه ترغب فيما في أيدي العباد يا أبت من لم يحفظ ما ينفعه يوشك أن يوقعه
الفقر فيما يضره وقال عبد الله بن المعتز

أعاذل ليس البخل مني سجية ... ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خير من الفقر للفتى ... وللبخل خير من سؤال بخيل

وقال سفيان الثوري لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إلي
من أن أحتاج إلى الناس فقال منصور بن عبد الله إنك تشير لا تحول عنه
فقال يا أمير المؤمنين لا أجد في الحرفة أدخر فيه أفضل كان داود
عليه السلام يقول في زيادة الأجل ما لا يعرف لا عز أبدا خير من الحاجة في حياته
له وثنائه وقال يعقوب الكندي من جاد بماله فقد جاد بنفسه لأنه نفسه
بماله مواد إلى إله به فقال الشاعر

يا رب جود جر فقر امرئ ... فقام للناس مقام الذليل
فاشدد عرى مالك واستبقه ... فالموت خير من سؤال البخيل

الموت خير للفتى من أن يعيش بغير مال والموت خير للكريم من التضرع والسؤال
وقال أبو الأسود الدؤلي لو لم يجمل على السؤال فلا يسألونا الكفاف ولو
جلال منعهم وقالوا ختم المال حتم وليس من أراد بعضه على إلا فساد
ما انشر بقبيح الرجال الموسرون بأرضهم ويرمي النوى بالمقترين المراميا

وما بادروا وكانت عن ملامة * ولكن هذا الزمان الا قدر جاء

فصل لائق في أن الفقر والإقلال مقرونان بسوء الذكر والإذلال

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الفقر داء لا دواء له من كتمه قتله ومن أذاعه فضحه وقال أيضا مارست كل شيء فغلبته ومارسني الفقر فغلبني إن سترته أهلكني وإن أذعته فضحني وقال الوالد لمحمد بن الحنفية يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإنه منقصة للدين مدهشة للعقل وقال الشريف أبو يعلى بن الهبارية لا صوف لي ولا وبر فيه شيء فافهني كم ومولى بعمره ولذا الموت خالف وقالوا الفاقة هي الموت الأحمر بل هي الموت الأكبر وذكر أن السفاح لما ضرب أعناق بني أمية قام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين هذا والله جهد البلاء فقال له كلا ما هذا وشرطة الحجام إلا سواء ولكن جهد البلاء فقر مدقع بعد غنى موسع وقال ابن دراب لقيت رجلا كنت أعرفه حسن الحال ومعه أصحاب له وهو على حالة رثة كأنما أصابته رزية فسلم علي فقلت ما الذي غير حالك وأذهب مالك فقال تقلب الزمان وكثرة الحدثان فأتيت أخفي بعد البلوان والبعد عن الأحبة والإخوان ومفارقة المعارف والإخوان وحققت بقول الشاعر ما غاض عن الجسم حتى يكتفي عنه البال أو يغني الحدثان

فللموت خير من حياة يرى بها * على الحر ذل الإقلال ومنه هوان

متى يتكلم يلغ حكم كلامه * وإن لم يقل قالوا عديم بيان

وقوله هذا ينظر إلى قولهم فيما ضرب من الأمثال فيما حيث الورى شأن الفقير وإن الفقير إذا كان جوادا قالوا مبذر وإن كان مقتصدا قالوا بخيل وإن كان قليلا قالوا حصر وإن كان ذكيا قالوا بليد وإن كان شجاعا قالوا أهوج وإن كان حليما قالوا جبان وإن كان صموتا قالوا عييا وإن كان وقورا قالوا أحمق فإذا نزل به الفقر لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ذهب حياؤه ذهبت مروءته ومن ذهبت مروءته مقت ومن مقت أوذي ومن أوذي حزن ومن حزن ذهب عقله ومن ذهب عقله وأصيب بهذا كله كان كلامه كله عليه لا له ولغيره في هذا المعنى قال

من كان يملك درهمين تعلمت * شفتاه أنواع الكلام فقالا

وتقدم الإخوان فاستمعوا له * ورأيته بين الورى مختالا

لولا دراهمه التي في كيسه * لرأيته أسوأ البرية حالا

إن الغني إذا تكلم بالخطا * قالوا صدقت وما نطقت محالا

وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم * أخطأت يا هذا وقلت ضلالا

إن الدراهم في المواطن كلها * تكسو الرجال جلالة وجمالا

فهي الحجا وهي الشفاء والغنى وهي السلاح لمن أراد قتالا

وهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي البيان لمن أراد نوالا

لما رأيت أخلاء وخالصتي * والكل منقبض عني ومحتشم وآخر

أبدوا جفاء وإعراضا فقلت لهم * أذنبت ذنبا فقالوا ذنبك العدم وآخر

يغطي عيوب المرء كثرة ماله * يصدق فيما قال وهو كذوب

ويزري بعقل المرء قلة ماله * يحمقه الأقوام وهو لبيب

انقطعت الثياب عندما داب * وكرهت من الكلام الثياب

فالصواب الذي أقول خطاء * والخطاء الذي تقول صواب

وقالوا من حسنت حاله استحسن محاله وقالوا الفقر يخرس الفطن عن حجته ويجعله غريبا في بلدته وقالوا إذا افتقر الرجل اتهمه من كان به واثقا وأساء به الظن من كان يحسنه فإذا أذنب غيره نسب إليه ومن كان له ظن عليه قال إبراهيم بن محمد الشيباني حمدت جهدي أن أنظر إلى الفقير بعين الفقر وأنظر إلى الغني بعين الغنى فلم ينفعني ذلك قال الشاعر

يغدو الفقير وكل شيء ضده * والأرض تغلق دونه أبوابها

وتراه ممقوتا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها

حتى الكلاب إذا رأت ذا بزة * أصغت إليه وحركت أذنابها

وإذا رأت يوما فقيرا عابرا * نبحت عليه وكشرت أنيابها وآخر

إذا قل مال المرء لانت قناته * وهان على الأدنى فكيف الأباعد

فقالوا ما الكيت الا جافة من ريح الفاقة وقال عبد الله بن طاهر الفقر هو الموت الأكبر ينزل به من كل شيء ويقال رب حسب دفنه الفقر وقال الشاعر

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

وقال بعضهم الفقر كنيف لا يليق إلا بالحمقى بروحه ولا يليق به إلا بي عود شاعر

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا * وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

آخر لبست صروف الدهر كهلا وناشئا ... وجربت حاليه على العسر واليسر
فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى ... ولم أر بعد الكفر شرا من الفقر
آخر رزقت فبادلني الزمان موقته ... وما الرزق إلا كثرة التسآل
إذا أردت مساماة تغيرت ... عمّا ينوب باسم رغبة الإقبال
آخر كم من فتى نال الغنى متعذر ... علّاته بالمكارم مغرم
وما فترت في الطلاب همته ... ولا كف أسعد إليه بما حرم
آخر كم من فتى ذا أروع وأغنى ... وما له من ماله أهون به عن غنى
وأكثر ما الفقر يعيا بصاحبه ... وذا الذي لا يكفي الفقر يدوي ويمرض
آخر أرى نفسي تتوق إلى أمور ... يقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ... ومالي لا يبلغني فعالي
آخر إذا قل مال المرء قل صديقه ... ولم يجل عنه الضر يوم تعاوره
وأصبح لا يدري وإن كان حازما ... أقدّامه خير له أم وراءه
فإن مات لم يفقد ولم يجز نواله ... وإن عاش لم يفرح به أو فتى أو نسي أو عام
المنع فيسود هذا المال غير مسود ... ويجد حيث يصيح تغلبا
وأول من يجفو الفقير بفقره ... بنوه ولم يرضوه مع فقره أبا
كأن بفقير الفقر في الناس مذنبا ... وإن لم يجد من قبل ذاك مذنبا
آخر نعم كان المال من يحمل الفتى ... سريا وإن الفقر بالمرء قد يزري
ولا رفع النفس الدنية كالغنى ... ولا وضع النفس النفيسة كالفقر
ألم تر أن المرء يزداد عزة ... على أهله إن يعلموا أنه مثرِ
ويجفى من الأهل إن كان معدما ... ويصبح لا يرجى لنفع ولا ضر
آخر أرى ذا الغنى في الناس يسعون حوله ... وإن قال قولا تابعوه وصدقوا
فذاك دأب الناس ما دام ذا غنى ... وإن طال عند المال يوما تفرقوا

ومن المنظوم في سلك الرشاقة ما قيل في الشكوى من صروف الأيام قال
من الفاقة محمد العربي العامري مرّت للعدم كل الخلق وحوت للانقباض فرضنا
بلا أهل ولا عز ولا أهل ولا مال. أبو الغياث الدمشقي
لم تبق عندي ما يباع بحبة ... وكفاك شاهد منظري عن مخبري

الحمد

إلا بقية ماء وجه صنتها ... عن أن تباع وأين أين المشتري. وقال
فعوضت من الإخوان من غير طائل ... وكان صوابا ما انتقيت على عمل
وصبر الفتيان بيت إليه ماله ... إذا الحر يحمي الجمر على الجمر
لذلك مسح الأمواج في حشا ... والشمائل من موضع ذو أهلي
ما سرني أن الليل في ما ركضه ... وإن امرأ ضال الدهر تبكي. أبو
الحمد لله ليس لي نسبة ... فرخف كفي وقل زوادي
من ظهرت عينه إلى نفس ... أحالها على ما حوته داري. وقال آخر
أنا في حال تعالى الله ما أعظم حالي. ليس لي شيء إذا قيل لمن ذا قلت ذا لي
ولقد أفلست حتى حل أكلي لعيالي. من رأى شيئا محالا فأنا عين المحال
فبلاد الله أرض والسماوات ظلالي. لو يكن في الناس خير لم أكن مثل خيال
جاء الشتاء وليس عندي درهم ... وبروده ذاك قد يطاب المسلم
ويغيظ الناس الجباب وغيرها ... وكأنني بإزاء مكة محرم. آخر
خلوا المال والإيسار تعترف ... وأراني مختصا بالإفلاس
أنا في حالي بقية ترى ... خلقوا بعد منشته الأرزاق. آخر
إذا احتجت بالسوق فيه تعلقه ... نفر ذلة وخضوع
فلا قابل للشيء كيف تشتري ... ولا قابل للباع كيف تبيع. آخر
كفتني الدهر ومن طلب الموت ... وعلل الخبز من الجوع احتلامي
هل سمعتم أو رأيتم أحدا ... أكل الخبز سرا في المنام. آخر
الحمد لله ليس لي جسد ... ولا على بابي منه حرس
ولا غلام إذا هتفت به ... بادر نحوي كأنه فرس
ابني غلامي وزوجتي أمتي ... ملكنيها الإله والعرس
غنيت بالناس واغتنمت به ... عن كل فرد تحجه عبس
فما أبالي بما أبدا أبدا ... كلوا الحيا سمح وكل شرس

والحض على طلب البغية من نيل الطلب المعيشة في الأيام والليال
قال لا تزهدن السؤل خوف منية ... واقدم بتغيله في طلاب الدرهم
ودع الخلود والتناهل إنما ... تعيش صوفته وقوة بغشمه

آخر عجبت لمن في البلاد يلبث ثاويا اغناك بأني اجاوب البلاد
ولا تقعد على ضيم وتجسر احزوالا فتار ممنوع الرقاد
آخر سأضرب في البلاد فإن اصبت الغنى او ارمي بنفسي في بحور الكتاب
فإن اعطاني وما من الدواء احب فعلمي بأنه سنة اولي الالباب
آخر اذا المرء لم يطلب معاشا بنفسه اشتكى الفقر او لام الصديق فأكثرا
وصار على الاهلين كلا واوشكت صلات ذوي القربى بأن تتنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار او تموت فتعذرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم وكيف ينام الليل من كان معسرا
آخر ولا يبعدك خفض العيش تطلبه نزوع نفس الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها اهلا باهل واخوانا باخوان
آخر وما طلب المعيشة بالتمني ولكن القِ دلوك في الدلاء
تجئ بملئها يوما ويوما تجئ بحمأة وقليل ماء
آخر ومن كان مثلي ذا عيال ومقترا من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا او ينال غنيمة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح
آخر العز تحت ظلال السيف مغرسه فاطلب بسيفك عزا آخر الابد
لا ترض بالدون من دنيا بليت بها اذل من كان محتاجا الى احد
آخر فاكبح بنفسك كي تصيب غنيمة ان الجلوس مع العيال قبيح
فالمال فيه مجلة ومهابة والفقر فيه مذلة وفضوح
آخر اشرب من ماء فنا الزمان مقام حر على هوان
فاستنزل الله واستعنه فانه خير مستعان وان نبا منزل بحر فمن مكان الى مكان
وقال … من بعض العلماء له افرض الشيخ على الصبي وفي كده الحماما
ثم صب الورع في رأسي وناوت الحساما جرثم اطلب ان اطلب الرزق غلاما
سأجوب الارض ابغيه حلالا وحراما فلعل الدهر يبقي العفرا ويرثي الحماما
الا خلني امضي لشأني ولا اكن على الاهل كلا ان ذا لشديد
ارى الشيخ في البلدان يبغي معاشا اولم ار من يجلس عليه مخضود
وفيه مقام ذي المنذاح بارض مر عماه فيها جريب

لا عز لمن لا له بصراء غني ومورا ضربا اكول شروب
او تراه مجوب في نيل مال بسهوب وخلفهن سهوب
خولا فلنا اذا امل رضا حرمنها الى سوار ركوب
ليس في قوت ما يطالبه المرء من رزقه تطلبه عيوب
انما العيب ان يرى ساقط الهمة والرزق طالب مطلوب
وواجب اتباع هذا العمل برفع المال الذي به يدرك ما يشتهى من الآمال
ايها رغلا ولا فتار يلا فان الغنى سني كبير والفقر دني حقير
ينال فيه كل امر في ما معه شاعر
ولا خير في دنيا واخرى لمن لم يكن في كيسه درهم
فان المرء بدرهمه كما بالغ به نظمه بعض الشعراء فقال
من قال قوم بغير علم ما المرء الا بالاصغرين
فقلت قول امرئ تعلم ما المرء الا بدرهميه
وقال بعضهم لولده يكن معك من العيب ما تقوى به العيب فان المال معشوق
الورى فمن عدمه فهو في الفقراء فيجمع العرا وقيل للحسن ما بال الناس يكرمون
صاحب المال قال لانه عزيز معشوقهم ما اليه القلوب قال فان المال
يستعبد الاحرار ويذل الاشرار وقال آخر بقدر ما تعطي من المال تعطى من
الاجلال كان قيس بن عبادة يقول في دعائه اللهم ارزقني حمدا ومجدا فانه لا مجد
الا بفعال ولا مجد الا بمال اللهم انه لا يصلحني القليل ولا اصلح عليه اشار في هذا الى
قول الشاعر ولا مجد في الدنيا لمن قل ماله وقال في الدنيا لمن قل مجده المتنبي
واتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا ينحلل في المجد مالك كله فينحل مجد كان بالمال عقده
ودبره تدبير الذي المجد كفه اذا حارب الاعداء والمال زنده
يعيب الغنى ثوب المكارم للغنى وان كان من ثوب المكارم عاريا
ومن موشى بالشعبي متى حزم له يفعل الله ذا الله فقال دانيذا المال حسبا شاعر
اذا وجدت الغنى زينا لصاحبه في اهله وفقر القوم محقور

ان الفقير لتستوي ثوبهم • وذنب ذي المال عند الناس مغفور •
قال معاوية ان الشرف والسودد ليستظلان مع الغنى كما يستقل الفقر بالشاعر
• وان امرءا استغنيت كف فريقه • واذا افتقرت اليهم فهم العدا
• ذو المال عندهم يسود بماله • ويزول سودده اذا افتقر الغنى • اخ
• كم لبيب الجود سود الناس • الغبي واسد السود •
• وكم من الحر ود ليس له عيب • سوى ان ثوبه خلق •
• اذا كنت ذا ثروة من غنى • فانت المسود في العالم •
• وحسبك من نسب صورة • تخبر انك من آدم •
وقال عبد الرحمن بن عوف حبذا المال أصون به عرضي وأطلب به رضى والتقرب
به الى ربي واتبع به مرتفعي واكرم به عدوي وافضل به على عشيرتي وما اغنى اللابن نعور
اشعا يه من كان يشد هجرا من الينع والدمع بلبيبش بجماء الوجه والانكاع
الفقر قال كان محمد بن الجهم يقول من ذهب ماله في عمله فعليه العمر ومن ذهبه نعم
الغزل فهو مجنون ومن ذهبه ميراثه فهو جاهل ومن ذهبه من ملكه فهو مخذول
ومن ذهبه من كسبه وما استفاده من حيله بكرية فهو المطبوع على قلبه الا غود د
بسمعه وبصره وقال ابن خمرة بالله فلا تسر تفاخر بجمال المال في المنزل اجمل الشمس
في العالم وقال بعض عقلاء العرب من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كاذب
حتى يثبت صدقه فاذا ثبت صدقه فهو عندي احمق وقال عمرو بن العاص لمعاوية
ما اشد حبك للمال فقال كيف لا احبه وقد استعبدت به مثلك واشتريت به
مروتك ودينك وقال الحسن بن المنذر ورحمه ذهب لو ان لي مثل احد ذهبا لا انتفع
بشيء منه قيل فما تصنع به قال ادخره لكثرة من يفرض علينا ويطلبه عنطه
وقالوا المال يجمع الشمل ويستر الادناس ويزيد في العقل وقالوا من استغنى
عن الناس عظموه ووقروه ومن احتاج اليهم ازدروه وحقروه • شاعر
• انت ما استغنيت عن صاحبك الدهر اخوه • فاذا احتجت اليه ساعة مجك فوه •
وقيل لبعض الحكماء اي افضل الادب او المال قال الادب فقيل له فما بال
الادباء ياتون ابواب الاغنياء ولا ياتي الاغنياء ابواب الادباء قال

لانا

انا ذاك لعلم الادباء بفضل المال وجهل الاغنياء بفضل الادب
وقال ابن الرومي لا تلم المرء على بخله • ولمه ان زاده على بذله •
• هو على كل امرئ حازم • يجمع ما يكرم من اجله • واخ
• اهون دراهمي واديب فتشاء لغير انصادري ونفسي •
• واحب الي اغر الاعمال من الورثات من ابناء جنسي •
• وما سوء الحر جل ليبيح بعض عرضه لغير نخس •
• فيعرض وجهه ويصون عنه • فيشفى مثل نفس الكلب تعيس •
• فيا ذل الرجال بغير مال • ولو جاء بنسبة في ال عبس •
ولغيرا باه ابو العبر الهاشمي عن شرف وعلو همة فقال رعبا قال في انا سراقة
• فنعت نفسي بما رزقت • وتطمئن في العلى همم •
• ولست العبر شاء بغته • تغني من فوق انس قدم •
• واذا ما الرزق عنا تبني • لم تجز فيه كامن البشع •
• لا اقول الله يظلمني • كيف اشكو غيبني نعم •
الباب الحادي عشر في الشجاعة وفيه ثلاثة فصول
الفصل الاول من هذا الباب في الشجاعة
والبسالة وما فيهما من الوقعة والجلالة
الشجاعة عزيزة في الانسان يمحها ويصب الاحياء ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن يشاء من عباده ان الله يحب الشجاعة
ولو على قتل حية وحرمها فالوا اهي سعة الصدر والاقدام على الامور
المتلفة قالوا الشجاع من يكون شجاعته عند العراك ومقدار الخطر وسيل
بعضهم عن الشجاعة فقال جبلة نفس ابية قيل فما النجدة قال ثقة
النفس عند استرسالها الى الموت حتى تحمد فعلها دون خوف وقال
بعض اهل التجارب الرجال ثلاثة فارس وشجاع وبطل فالفارس
الذي يشد اذا اشتدوا والشجاع الداعي الى البراز والمجيب داعيه والبطل
الحامي لظهور القوم اذا ولوا قال يعقوب بن السكيت في الملاكم

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما عدد ما علمته

العرب تجعل الشجاعة أربع طبقات تقول شجاع فإذا كان فوق ذلك قالوا بطل
فإذا كان فوق ذلك قالوا بهمة فإذا كان فوق ذلك قالوا أليس
من عرف من الأكابر بالباس والنجدة وكان لقومه بعد الشجاع مغنيا وعزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجمل الناس وجها وأجود الناس كفا
وأشجع الناس فلقد قال أنس بن مالك لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق
الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد
سبقهم إلى الصوت وهو على فرس عري لأبي طلحة والسيف في عنقه وهو
يقول لن تراعوا لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
كتيبة قط إلا كان أول من يضرب وقد ثبت يوم حنين في مركز لم يتخلخل
ولا يتزحزح ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام بغلته وأبو سفيان بن
الحارث بن عمه وكان المسلمون يومئذ اثني عشر ألفا فأعجبتهم كثرتهم حتى قال
قائلهم لن نغلب اليوم من قلة وذلك عندهم أول الشيء مما لنا من كثرة الجنود
والعساكر فانهزموا حتى بلغ أدناهم مكة ثم تدارك الله الملة الإسلامية
بنصره فأنزل الله ملائكته على خيول بلق وتراجع المسلمون وقاتلوا قبل
ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلهم فقال من أحس بهم أبو كبشة وسوادك
من قال هذه الكلمة ثم أخذ كفا من التراب فرمى به المشركين وقال شاهت
الوجوه فانهزموا قال ابن عباس فلما كان انتهى إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كفا حصى فما نعلم بعد الثبات شهادة من على ثناء
شجاعته ورباطة جأشه وثباته وما فيه من آيات النبوة وعلامات
رسالته وما اشتهر فيه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بقوة الجأش
وثبات القلب وشجاعة النفس والصبر في النوائب لأكبر فجيعة يوم مات رسول
الله صلى الله عليه وسلم فإن عمر رضي الله عنه كذب بموته وقال ما مات وإنما
واعد ربه كما واعد موسى وليرجعنه الله فليقطعن أيدي قوم وأرجلهم
يزعمون أن النبي قد مات وقال إن محمدا مات علوته بسيفي هذا وأعلن هذا القول
حتى قال لا يزيد أحد وأما عثمان رضي الله عنه فقد دهش جسده

لا يكلم

لا يكلم أحدا فكان يؤخذ بيده فيجاء به وأما علي رضي الله عنه فقعد في البيت ولم
يبرح منه وكان أبو بكر إذ ذاك غائبا في ناحية من نواحي المدينة على ميل منها
بمكان يسمى السنح فلما بلغه الخبر جاء حتى دخل عليه وهو مسجى فكشف
عن وجهه الكريم وأكب عليه وقبل بين عينيه وقال طبت حيا وميتا وأعول
بالبكاء ثم خرج وهو رابط الجأش ثابت القلب مصيب في القول والناس
على خلاف ذلك من الذهول والاختلال في العقل وهم في أمر مريج من فرطة أمرهم
في تيه الحيرة وزلت أقدام كثير منهم في نوازل الشجر بفقد النبي وقال بعد حمد الله
والثناء عليه في كلام طويل من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
فإن الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن
مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي
الله الشاكرين فثار إلى عمر عقله وقال والله لكأني لم أسمع بهذه في كتاب الله
قبل ما نزل بنا وقالت عائشة رضي الله عنها في خطبتها ابنتي أبيها
لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع نجم النفاق وارتدت العرب
وصار المسلمون كالغنم الشاردة في الليلة الماطرة فحمل أبي من ثقل الخطب ما
لو حملته الجبال لهاضها وما اختلفوا في أمر إلا طار أبي بحظه وأثبته جنانا وأشد
قلبا في مقام الشر والخطب العظيم رضي الله عنه وعن ابنته
عائشة رضي الله عنها فأما عائشة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسها
مات بين سحرها ونحرها وشاهدت ذلك الهول ثم احتملته فأقعدته
على رأسه وسجته بيدها ولم ترع أحدا من نسائه وأهله بعينها عليه
وعمرها إذ ذاك ثماني عشرة سنة ثم بكت بادية بصوت لا بكاء
تبعوا صاحبه فلما سمع الناس بكاءها وتحققوا موته ولم
تلطم خدا ولا عويلا ولم تشق جيبا ولم تخمش وجها ولم ترع ويلا
وإنما علم الناس موته ببكائها وأما أسماء فإنه لما ولدها عبد الله بن الزبير لما
رأى الثقفية دخل عليها وشكى ما أراد أن يمثل به فقالت
تنكل وتعشل ومنه كرها احتسبه عند الله فقال لها ما أخاف الموت
وإنما أخاف أن يمثل بي فقالت إن الشاة إذا ذبحت لا تبالي بسلخها

اللهم صل وسلم على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم

وكان عمر رضي الله عنه موصوفا بالشدة وموسوما بالنجدة والشجاعة والنجدة كان
يضع يده اليمنى على أذنه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب على فرسه فكأنما خلق
على متنه وكان علي رضي الله عنه شجاعا بطلا ذكر عنه أنه قتل في ليلة الهرير من حرب
صفين خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا وكان إذا ضرب لا يثني وقيل له إنك ملاق
فلو اتخذت فرسا سابقا فقال إني لا أفر عمن كر ولا أكر على من فر فالبغلة تكفيني
وقيل له في حرب صفين أتقاتل أهل الشام بالغداة وتظهر لهم بالعشي بإزار ورداء
فقال أبالموت أخوف والله ما أبالي أسقطت على الموت أو سقط علي ومن
الشجعان الزبير بن العوام فإنه أول من ذب عن النبي صلى الله عليه وسلم فارس
أشجع من الزبير وقيل إن أجل الشجعان من علي في الزبير تقول زوجته عاتكة بنت
زيد بن عمرو بن نفيل العدوية تخاطب عمرو بن جرموز لما قتله غدرا بوادي السباع

غدر ابن جرموز بفارس بهمة ... يوم اللقاء وكان غير معرد
يا عمرو لو نبهته لوجدته ... لا طائشا رعش الجنان ولا اليد

ومن الشجعان بنو قيلة وهم الأنصار قال ابن عباس ما سلت السيوف ولا
زحفت الزحوف ولا أقيمت الصفوف حتى أسلم ابنا قيلة يعني الأوس والخزرج
وهم الأنصار وفيهم مادح فقال كانوا يحبون الموت كما تحبون الحياة ويرغبون
في الآخرة كما ترغبون في الدنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم
لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع يريد أنهم يبرزون بأنفسهم لوجه الله
تعالى والدار الآخرة فلا تميل نفوسهم إلى ما يغتنم من الغنائم وإنما تعنيهم رغبة فيما عند
يعودون من إعلاء كلمة الإسلام وإخفاء ما كان من شرك عبدة الأوثان فهم يكثرون
إذا دعوا للقتال ويقلون عند قسم الأموال والأنفال قال كعب بن زهير فيهم

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الأنصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم ... يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون كأنه نسك لهم ... بدماء من علقوا من الكفار

ومنهم معاذ بن عمرو بن الجموح فقطع كعبه يوم بدر فبقي معلقا بجلدة بكتفه فلم يزل يقاتل
يومه أجمع وهو معلق حتى وجد ألمه فوضع رجله عليه وتمطى حتى قطع
الجلدة وحمل رجل على حكيم بن جبلة في يوم من أيام حرب الجمل فقطع ساقه فأخذ ما قطع منه فضرب

به وضرب بها من قطعها فصرعه ثم أتاه فقتله واتكأ عليه وقال مرتجزا

يا ساق لن تراعي ... إن معي ذراعي ... أحمي بها كراعي

وحكي
عنه أنه قيل له من قطع ساقك فقال وسادتي ولم تكن في الجاهلية ولا في الإسلام
أشجع من خالد بن الوليد رضي الله عنه ولشجاعته سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيف الله وذلك أنه لم يهزم في جاهلية ولا إسلام ومات على فراشه ويقال إنه
قال عند موته ما في جسمي موضع إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو جرح
بسهم وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء ومن شجعان
الصحابة البراء بن مالك قيل عنه أنه قتل مائة مبارز سوى من شرك في قتله
وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عماله أن لا يولوه جيشا فإنه مهلكة ومن
شجعان الصحابة طلحة بن عبيد الله وحارثة بن خزيمة والزبير بن العوام
والمقداد بن الأسود يروى أن عمرو بن العاص بعث إلى عمر بن الخطاب وهو محاصر
مصر يطلب منه ثلاثة آلاف فارس نجدة فبعث إليه خارجة والزبير والمقداد
وقال أقام كل رجل منهم مقام ألف فارس رضي الله عنهم أجمعين وكان مصعب
بن عبد الرحمن بن عوف شجاعا ذكر عنه أنه كان يثب ثلاث وثبات كل وثبة اثنا عشر
ذراعا حتى يصل إلى فرسه فيعتليه ومن الفرسان مالك بن الحارث المعروف بالأشتر
النخعي من أصحاب علي رضي الله عنه قال أبو بكر بن أبي شيبة أعطت عائشة للذي
بشرها بحياة عبد الله بن الزبير بن العوام إذ التقى بالأشتر يوم الجمل أربعة
آلاف درهم وذكر أن رجلا سب الأشتر فقال له رجل من النخع اسكت فإن حياته
هزمت أهل الشام وموته هزم أهل العراق ومن الشجعان مصعب
ابن الزبير سأل عبد الملك بن مروان جلساءه من أشجع الناس فعددوا جماعة فقال
أشجع الناس في العرب من ولي العراقين فأصاب ألف ألف وألف ألف [illegible]
وجمع بين عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وأم كلثوم بنت عبد الله
ابن عامر وهند بنت زبان بن سيار الكلبي ثم طلبه أهل العراق فأعطوه الأمان
على ما شاء فقال إن مثلي لا ينصرف الآن إلا غالبا أو مقتولا وقاتل حتى قتل
والله ما ولدت النساء مثله وقال أخوه عبد الله لما بلغه قتله إن يقتل فقد قتل
أخوه وأبوه وعمه وإنا لا نموت حتف أنوفنا ولكن نموت بأطراف الرماح

وقت كمثال الصباح قال الزبير بن بكار آل الزبير أعرق الناس في القتل لا يعرف
في العرب بيت في أربع سنة مقتولون في نسق الا آل الزبير وهم عمارة بن حمزة بن مصعب
ابن الزبير بن العوام بن خويلد فقتل عمارة وحمزة معا في حرب الاباضية وقتل مصعب بدير
الجاثليق قتل مع أخويه في حرب الجمل وقتل عبد الله بمكة في حرب الحجاج ولما قتل
عبد الله أمر الحجاج بشر صورته فاذا اجتاز مثل جواد الجمل مكان اذا ضرب به الارض
ينزو كما تنزو اللاتاة المقطوعة وقتل الزبير بوادي السباع في حرب الجمل وقتل
العوام في الفجار قتله قيس بن عمير بن دهمان الثقفي وقيل غيره في حرب خزاعة
وقيل لعبد الملك من أشجع الناس فقال العباس بن مرداس السلمي حيث يقول الشاعر

أشد على الكتيبة لا أبالي ۞ أحتفي كان فيها أم سواها

وقيس بن الخطيم حيث يقول وانه في الحرب العوان موكل ۞ باقدام نفس لا أريد بقاءها
ومن فرسان الخوارج قطري بن الفجاءة ويكنى أبا نعامة وخرج زمن مصعب
ابن الزبير ولى لما كان مصعب واليا على العراق من قبل أخيه عبد الله
ابن الزبير سنة ست وثلاثين وفي هذه السنة بويع عبد الله أخوه وعبد الملك
ابن مروان بالشام فبقي قطري عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وذكر
عنه انه في بعض حروبه على فرس أعجف وبيده عمود خشب قد علا الى البراز
فبرز له رجل فحسر له عن وجهه فلما رآه الرجل ولى عنه فقال له قطري الى اين
قال لا يستحيي أن يفر عنك وكذلك كان عبد الله بن خازم وشبيب الحروري
يصيح أحدهم في جنبات الجيش فلا يلوي أحد على أحد وفيه يقول بعض شعراء
الخوارج في الجاهلية اذا صاح يوما حسبت الصخر منحدرا ۞ والريح عاصفة
والبحر ملتطما ومن شجعان العرب وهو من فرسانهم الفند الزماني كان يقاتل بألف
ذكر انه حمل على فارس مردف وما ناخ فطعنهما فانتظمهما في محد وقال شاعر يمدح
فرسان العرب قد احتملتم كالاولى بأسا وشدة ۞ وأنتم لعرب والعجم فاهم
وبيض نطح العنز فارس في طعنة بكفه مثقل مثل من العجلة ابو دلف في
بعض حروبه وفيه يقول بكر بن النطاح بيت كطعنة من ابيات

واذا ابن الفند قاسم يوم الوغى ۞ نجم الطلب املاقه فنسى بلا
واذا التلوذ بالعمود ولونه ۞ خلت العمود بكفه هنسي بلا

واذا تناول الصخر يرضخها ۞ عادت كثيبا في يديه مهيلا
فاذا رأوه يتبع فارسهم بطعنة ۞ يوم اللقاء ولم تراه كليلا
لا تعجبوا لو كان مد قناته ۞ ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

ومما يعد من شيم الشجعان والابطال بعض النوادر بالشجاعة ووصف
الابطال قالوا الحزم التثبت قبل الاقدام والحزم التقدم فيه وقالوا الحزم انتهاز
الفرصة عند تمكن القدرة وترك التواني فيما تخاف فيه الفوت وقال عبد الملك
لعمر بن عبد العزيز ما العزيمة في الامر فقال اصداره اذا ورد بالحزم قال الشاعر

ليست تكون عزيمة ما لم يكن ۞ معها من الحزم المشير رأي

وقالوا الحازم من اشتدت شكيمته وقويت عزيمته وقالوا الحرب كالنار ان
تداركت أولها خمدت وان استحكم أمرها صعب تداركها وقال قيس
الاقدام تراث السلاح وقالوا لم يعزمه عن مداه عجز والعجز
عجزان عجز عن التقصير وقد أمكن والجد في طلبه وقد فات وتمثل المنصور عند
قتله لابي مسلم الخراساني

اذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ۞ فان فساد الرأي أن تترددا
ولا تمهل الاعداء يوما بغدوة ۞ وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا
وما العزم أن تستشعر شيئا وتتركه ۞ حقيقة العزم منه الجد والطلب
كم سوف سوف خدع الآمال ذا أرب ۞ حتى قضى قبل أن يقضي له الارب

وقالوا من يتكل على العواقب لم يشجع في النوائب وحسن قول شيخ مكتوب أيها
الغافل الجاهل تغنم ولا تتكل على العواقب فتوقع ثم الاعي

فانت لا تقصر فتعجز ۞ حتى تباشر ما منه تتعذر
لن يبلغ المرء بالاحجام بغيته ۞
وعاجز الرأي مضياع لفرصته ۞ حتى اذا فات أمر عاتب القدرا

وقال الشاعر في معنى الموت أبو دلف العجلي

ليس المروءة أن تبيت منعما ۞ وتظل معتكفا على الاقداح
ما للرجال وللتنعم وانما ۞ خلقوا ليوم كريهة وكفاح

وقالوا زوج العجز بالتواني فانتجا بينهما الحرمان قال الثعالبي في مثل

عزا — إن التواني أنكح العجز بنته * وساق إليها حين أنكحها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي * فقصركما لا شك أن تلدا الفقرا

قالت الحكماء الحزم ينبوع الحياة والعجز ينبوع الموت والنفس بين يجب أن تؤتى بكل ما تحب أن تحيا وأحرى الشيء بالحزم ما يأبى العجز. المتنبي

ولو أن الحياة تبقى لحي * لعددنا أضلنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جبانا

قالوا الشعر قلب الحي إن قلة سبب النفع واحرص على الموت توهب لك الحياة وقال أكثم بن صيفي من التواني والعجز أنتجت الهلكة قالوا النظر في عواقب الحرب من أمارات العجز والتهور فيه من علامات العجز أبو عبادة

فارس الحزم ماضي العزم سار في العلى * يخب الجبان طلب العود
ويلحظ بالأمر الصواب كأنما * يلحظ من كل أمر عواقبه

وقال الحكيم تجرع من عدوك الغصة إلى أن تجد الفرصة فإذا وجدتها فانتهز قبل أن يفوتك الدرك أو يعينه الخلف فإن الدنيا دول تقلبها الأقدار وتغيرها الليل والنهار ومثل ذلك ما حكي عن مروان بن محمد الجعدي قال والتفقد على دولة ما نطق وكم ما كظمت ونعمة ما شكرت فقال له بعض كتابه وكان من أشراف الروم ومرفع عليه سنين من أغفل الصغير حتى يكبر والقليل حتى يكثر والخفي حتى يظهر أصابه هذا ومن الأبيات في انتهاز الفرصة وتجرع الغصة قول بعضهم

يا ابنة القوم ما تنبري منه * فارج منه عطفي وعيني وجنبي
ما بزور الكرى جفوني إذ * حذرت الحادثات التي لا تنثني
مجلود إذا استقل بعزم * ثم ينهج بلينتي ولواتي وكلا خر
فلعت لا الغر الشرا بركله * وما في بال الغر الصوان جران
تركت الأسلات وأسلاته * فما فتاعل الأزهر واشتعلان
من كل شيء خلاله العزم أنه * سيكفيكه جران مغتنجان
وما يدرك الحاجات مثل ثابر * وكم فات عنها النجح مثل توان واحي
إذا لم ينل النجح عنه عزمه * ونكب من ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في أمره غير نفسه * ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا واحي

إذا أمكنت هذا أمكنت في العدا * فلا تبق معلقا إلا بهما
فإن لم تلج فابتما مشي معا * أتاك عدوك من بابهما

أبو نصر أحمد الميكالي

قالوا أتسعى في الذي تبغي * بلوغه من نافع الأمر
قلت التأني مطمع بالمنى * لكنه يجمع بالعسر
على كل حال فاجعل الحزم عدة * لما أنت باغيه وعونا على الدهر
فإن نلت أمرا نلته عن حزامة * وإن قصرت عنه الحظوظ فعن عذر

ومن مدح قوم في قومه بالشجاعة ومن أجل تحلي الإقدام ومن شنيعه وبأقدم قالوا فلان بلغ صوته من أسر العدو وأشر شعثه من الحجر العصي ووصف أعرابي رجلا بالشجاعة فقال يموت بالحرب أرضع ثديها وربي في حجرها وسئل أعرابي عن قومه فقال كانوا والله إذا اصطفوا تحت القتام خفقت بينهم السهام بشؤبوب الحمام وإذا تنهضوا بالسيوف فغرت أفواهها الحتوف فرب يوم شموس أحسنت أدبه عن منهم وحرب عبوس أضحكتها أسنتهم ومدح أعرابي قومه فقال والله ليوث حرب وغيوث جدب إن سيافهم أغماد عن الهام وكأن رسل المنايا عن السهام وقالوا فلان يبادر السل مبادرة الأمل إكرام الأسل عن أحلام نحو العسل وقال ابن شرف العنبري وإنه فلان ملبثه يخرجه عن الغلب ومن آمنه تقتاد الأركان الكعب والضرب رماحه نجوم لظلام القتام وسهامه رجوم لشياطين الأنام كم من دحاجة من أضيه وكم قطف المغامر السنينة عن تقاضيه وقال الشاعر مادح

يبلغ الشيوف بوجهه وبخر * ويغير مهجته مقام اليغمي
مالك ير الأدلى فاح شجرنه * فرعا يرى من بالكيب الغضي
ويبول للطرف اصطبر شيبا الغنا * بحفرت ركل الجران لم تعفر
ابو العرج بيسعى إلى الموت والقنا قصر * وخيله بالي ومن تنتعل
كأنه واثق بأن لسده * عمر مغيم وماله أجل واحي
كأن سيوفه ميفت عفوذا * نجول على الترائب والنحور
ونيم رماحه جعلت نجوما * فما يقضي الأفي ضمير

يلقى السيوف بوجه منه يبشر له ، كأنهم يهبون جوادا ماله كبل
يسعى به البيض لا الله من شأنه في صورة الموت الا انه رجل ، مسلم بن
الوليد ، لو ان قوما يخلقون منية ، من باسهم كانوا بني جبريلا
قوم اذا حمي الوطيس رأيتهم ، جعلوا الجماجم للسيوف مقيلا
وللكوفي ، وجاءوا في بلاد الله من كل مارق ، له الهيجاء هيف والوجوه شعث وجود
وللكوفي ، ملأنا به رحب الفجوج أسنة ، اذا الأرض اخفا والسحاب ببرود
عجاج الروع والسروج وكورها ، وثبوت حرب والقناة اجاج
وجرورتهم والنقع ايد في الوغا ، مثل اللا والسابري تماج
جادوا بنفوس العلا وجودوا ، ضربا به الهلوا الصلاح
وتغاوث ابياتهم وجيادهم ، بالأرض نقعو والسماء تصاح
البحتري ، معشر أمسك حلومهم الأرض ، وكادت لولاهم أن تميدا
فإذا الجدب جاء كانوا غيوثا ، وإذا النقع ثار ثاروا أسودا
مكان الأكف فالسيوف في الحرب ، يكونوا اجداثا او حدودا
وله ، إن ترد علم حالهم عن يقين ، فالقهم يوم نائل او نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الأكناف حمر النصال
آخر ، قوم شراب سيوفهم ورماحهم ، في كل معترك دم الأبطال
رجعت اليهم خيلهم بمعاشر ، أكل الكلال جسومهم الى كاهل
يتحنون الى اللقاء بعزوهم ، كتحنن الابل للايلاف
ويباشرون بهي السيوف بأسهم ، امضى وانفع من ظبى الأسياف
جبلت على سعد الرماح نفوسهم ، ولكم جبلت على الإتلاف
فإذا هم عرفوا العدو بطار ، خضبوا الأسنة من دم الأطراف
فنفوسهم تغني نفوس عدائهم ، وعطاؤهم يغني سؤال العافي

الفصل الثاني من الباب الحادي عشر في وقائع
في الحروب من سائر الأزمان والكروب

فقال بعض الحكماء جسم الحرب الشجاعة وقلبها التدبير ولسانها المكيدة وجناحها الطاعة وقائدها الرفق وسائقها النصر وقال عمر بن الخطاب

لعمرو

لعمرو بن معديكرب رضي الله عنه صف لنا الحرب فقال مر المذاق صعب [illegible] اذا شمرت عن ساق من صبر لها عرف ومن نكل عنها تلف ثم أنشد

الحرب أول ما تكون فتية ، تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها ، عادت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها وتنكرت ، مكروهة للشم والتقبيل

قيل لبعضهم صف لنا الحرب فقال أوله شكوى وأوسطه نجوى وآخره بلوى تذاكروا الحروب يوما عند معاوية فقال رجل تزد علي وأمر طلحة والزبير وحنين للعباس بن مرداس وانا ذاكر من الحروب الواقعة في صدر الإسلام بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وهي الجمل وصفين ويوم الحرة ويوم كربلاء اذ هي أكبر الحروب وأشد الوقائع كلها وأعظمها في الدين جميعة وقطابا لما قتل فيها من أكابر آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وعظماء أهل بيته وقرابته

الجمل فسببه أن عائشة وطلحة والزبير خرجوا مغاضبين لعلي رضي الله عنه بعد أن بايعاه لما تخيل في نفوسهما من أن عليا ممالئ الثائر على قتل عثمان رضي الله عنه حتى قتل وأن قتلته كانوا من حزبه فجاءا مكة على عائشة رضي الله عنها وكانت قد خرجت من المدينة قبل قتل عثمان ورغبوا عائشة في طلب الثأر فاكترت اليهم بغلة ذات يوم فقال يعلى بن منية ومنية اسم أمه وكان عاملا لعثمان على اليمن عندي أربعمائة ألف درهم ومائة من الإبل وأشار عليهم بالبصرة ثم نادى منادي عائشة بالتحريض على طلب ثأر عثمان فاجتمع لهم ألف منهم ستمائة على النوق وسواهم على الخيل والبغال ووهب يعلى بن منية الجمل وكان يدعى عسكرا وحمل عليه هودج عائشة حتى نزلوا أهل البصرة وكان علي رضي الله عنه قد بلغه خبرهم وهو في المدينة فخرج منها في تسعمائة منهم سبعون بدريا ووصلت عائشة البصرة من معها وكان فوارسها ثلاثة آلاف فمنعهم عثمان بن حنيف عامل علي من دخولها فأخرجوه منه بعد حرب وقعت بينهم قتل فيها كل من خرج بطلب قتل عثمان او اعان عليه الا رجل واحد يسمى حرقوص بن زهير فإنه هرب وبقي بقومه وأخذوا عثمان ابن حنيف ونتفوا لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه فجاء عليا رضي الله عنه يبكي ويقول بعثتني ذا لحية وجئتك أمرد وكان عثمان بن حنيف من كبار الصحابة وبايع

وبايع أهل البصرة طلحة والزبير وقدم علي إلى الكوفة فنزلوا قائم تلك الليلة ثم
ناشدهم الله في الدماء فأبوا إلا القتال فخرج علي رضي الله عنه وهو راكب بغلة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد القتال فكان أول من قتل طلحة وانهزم الزبير فلحقه
ثلاثة نفر منهم عمرو بن جرموز السعدي بوادي السباع فغدروا بقتله وهو ساجد وقيل نائم
غيلة ووادي السباع بقرب واسط بين البصرة والكوفة وفيه يقول جرير بن عطية
ابن الخطفي عاتبا على بني مجاشع قتل الزبير

إذ تركتم الزبير حمامة ، ترعوا أبو لهم الوادي تبر هديلا ،
قالت قريش ما أذل مجاشعا ، جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا ،
لو كنت حرا يا ابن قين مجاشع ، شيعت ضيفك فرسخا أو ميلا ،
أفبعد قتلكم خليل محمد ، ترجو القيون مع الرسول سبيلا ،
ابنوا النوار ومنى النزال غدرتم ، ومبنى الرياح إذا اشتد بليلا ،
لو كنت جيرة عوذ بن بيوتنا ، لسمعت من صوت الرماح صليلا ،
وحماك كل مغاور يوم الوغى ، وركبت تلو عمود كل الكولا ،

وقتل محمد بن الزبير وجرح عبد الله أخوه سبعا وثلاثين جرحا وأطاف بنو ضبة والأزد
بالجمل وأقبلوا يرتجزون نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننزل بالموت إذا الموت نزل
، الموت أحلى عندنا من العسل ، نبغي ابن عفان بأطراف الأسل ،
فقطع على خطام الجمل سبعون يدا من بني ضبة فلما اشتدت الحرب واستعرت نارها
نادى علي رضي الله عنه اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا فعقره عمرو بن دجنة
وأخذته السيوف من كل جانب حتى وقع وقتل حوله خلق كثير ومال الهودج ومع
ها رجلا يقول اتقوا الله في حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي لابنه
الحسن ملكت فقال من يلي فمن يصيبك فقال لي أكن أرى أن أم يحيى
إلى هذا وجاء أعين بن ضبيعة حتى اطلع في الهودج فقال ما أرى إلا حميراء
قالت هتك الله سترك وأبدى عورتك فقتل بعد ذلك بالبصرة وصلب
وقطعت يداه ورجلاه ورمي به في بالوعة من خرابة من خراب الأزد وقيل إن عليا
لما وقع عليها ضرب الهودج بقضيبه وقال يا حميراء أرسول الله صلى الله عليه
وسلم أمرك بهذا ألم يأمرك أن تقري في بيتك والله ما أنصفك الذين أخرجوك إذ

صانوا

صانوا حلائلهم وأبرزوك فيقال إنها قالت من ملكت فأسجح ثم أمر بها بالمسير
وأن لا يصحبها إلا النساء في محفة من رأه السفر فسار بعضهم وبقي بعض وقال
ابن خلدون في تاريخه أن عليا رضي الله عنه أعطاها ما جهزها وأشخصها إلى مكة
عشرة آلاف درهم ورجعت يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها
علي أميالا وحضرت مكة فأقامت بها إلى الحج ثم خرجت إلى المدينة وكانت
الوقعة في الموضع المعروف بالخريبة نصف جمادى الآخرة وقيل في يوم
الجمعة النصف من جمادى الأولى وعدد من قتل يوم الجمل عشرون ألفا من أصحاب
عائشة وخمسمائة من أصحاب علي رضي الله عنه منهم الحجبي وفي وقعة الجمل يقول عثمان بن
حنيف ، شهدت الحروب فشيبتني ، فلم أر يوما كيوم الجمل ،
، أشد على مؤمن فتنة ، وأقتل منه لحر بطل ،
، فليت الظعينة في بيتها ، وليتك عسكر لم ترتحل ،

يعني الجمل الذي كانت عليه عائشة وحكى أبو الكاتب الكلبي في كتابه الصوت أن عليا
رضي الله عنه قال لابنه محمد بن الحنفية وقد فر عند أمامه يوم الجمل أقدم أقدم
ومحمد ينكص ويتوقى فقال تقدم الرمح فالتفت إليه محمد وقال تمنعني والله الفتنة
المظلمة المطلة العمياء فوكزه علي رضي الله عنه بالرمح وقال له تقدم لا أم لك أتكون
فتنة أبوك قائدها وسائقها رجع ولما رجع علي رضي الله عنه من حرب
الجمل وانصرف إلى الكوفة بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يخيره بين حرب
مجلية أو سلم مخزية فإن اختار الحرب فانبذ إليه على سواء إن الله لا يحب الخائنين
وإن اختار السلم فخذ بيعته وارجع فلما بلغ جرير رسالته إلى معاوية
أرسل إلى عمرو بن العاص فلما حضر أعلمه بالذي جاء به جرير فقال له أما علي فوالله
ما تسوي العرب بينك وبينه في شيء وإن له في الحرب لحظا ما هو لأحد من
قريش فقال صدقت ولكنا نقاتله على ما في أيدينا ونلزمه قتل عثمان ثم قال
عمرو وتابعني فقال والله لا أعطيك شيئا من ديني حتى آخذ من دنياك فقال
بل التمس معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل به منك دنيا فانظر كيف تصنع
، فإن تعطني مصرا فأربح بصفقة ، أخذت بها شيخا يضر وينفع ،
فأعطاه مصر طعمة وكتب إليه بذلك شروطا وأشهد عليه شهودا فبايعه عمرو

ابن العاص وتحاملوا على الوباء وكتب معاوية إلى علي بأن لا طاعة له عليه فلما ورد
جرير بالكتاب إليه معاوية أمر الناس بالخروج إلى صفين لقتال معاوية فاجتمع
له من الخيل تسعون ألفا فيهم سبعون بدريا وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة ومن
المهاجرين والأنصار أربعمائة وذلك لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين
وبلغ معاوية خروج علي فجمع من الجنود خمسة وثمانين ألفا وقيل مائة وعشرين
ألفا وسبق عليا إلى صفين ونزل على موضع سهل معشب قريب من الفرات ونزل علي
على مواضع بعيدة من الماء والعشب فبات وجيشه عطاشا فحيل بينهم وبين
الماء فأشار عمرو على معاوية أن يخلي عليا وورود الماء فقال لا والله أو يموتوا
عطشا كما مات عثمان فاشتكى أصحاب علي العطش فأمرهم بالمسير وقدم عليهم
الأشتر والأشعث بن قيس فساروا وعلي من وراء الجيش حتى هجموا على عسكر
معاوية فأزالوهم عن الشريعة وغرق منهم خلق كثير وارتحل معاوية إلى جانب من
البر بعيد من الماء وأرسل إلى علي يستأذنه في استقاء الماء من غير قتال فأجابه إلى
ذلك وأذن له ثم بعث إلى معاوية يدعوه إلى اجتماع الكلمة وحقن الدماء وكانت
المراسلة بينهما واتفقا على الموادعة في آخر المحرم من سنة ثلاث وثلاثين فلما
كان في آخر المحرم كتب علي إلى أهل الشام يحذرهم الوقوع في الهلكة فأبوا إلا الحرب
والقتال حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فعبأ علي جيشه
يوم الأربعاء مستهل صفر وقدم عليهم الأشتر وتعاقب أهل الشام وأهل
العراق ووقع القتال بينهم فكان من أيامهم كل يوم إلى السابع من صفر وفيه
قتل عمار بن ياسر من أصحاب رسول الله قتله أبو الغادية العاملي وله من العمر
ثلاث وتسعون سنة وكان في حرب صفين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين مع علي
كافا سلاحه فلما قتل عمار خرج يطلب البراز وهو يقول سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لعمار يا عمار تقتلك الفئة الباغية ثم كانت بينهم حروب
أخرى قتل فيها ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر ثم كانت بعدها ليلة الهرير قتل
فيها خلق كثير وكانت ليلة الجمعة فلما رأى معاوية أن قد فشا القتل في أصحابه قال
لعمرو بن العاص هلم مخرجا فقد هلكنا وذلك ولا بد منه فأمر أن ترفع
المصاحف وأن يقال ما فيها حكم بيننا وبينكم يا أهل العراق فرفعوها وكانت زهاء

خمسمائة

خمسمائة مصحف ونادوا من لثغور الشام بعد أهل الشام ومن لثغور العراق بعد
أهل العراق ومن لجهاد الروم والترك فعند ذلك اختلف أصحاب علي فمنهم
من أراد القتال ومنهم من أراد الكف فقال علي رضي الله عنه بالأمس كنت
أميرا وأصبحت اليوم مأمورا ثم أرسل الأشعث بن قيس إلى معاوية يسأله
لأي شيء رفعت المصاحف فقال لترجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله في كتابه العزيز
فتبعثون رجلا منكم ترضونه ونبعث رجلا منا ثم نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله
ونتبع ما اتفقا عليه فقال الأشعث هذا هو الحق وانصرف إلى علي وأخبره بما
قال معاوية فقال الناس رضينا فاختار أهل الشام عمرو بن العاص واختار
أهل العراق أبا موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس واختار علي عبد الله
ابن عباس فقالوا والله لا نرضى برجل هو من معاوية ومنك على السواء فقال
فاصنعوا ما شئتم فجمعوا بين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وأخذوا عليهما
العهود والمواثيق أن لا يحيفا وأخذ الحكمان من علي ومعاوية والجيشين المواثيق
أنهما آمنان على أنفسهما وأن يكونوا معهم المساعدة على ما يقضيانه ثم خرجا
واجتمعا في دومة الجندل في شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين فقال عمرو لأبي موسى
إن هذه الفتنة قد شملت العامة ما دام واحد من هذين الاثنين متولي أمر المسلمين
فقال أبو موسى فما ترى فقال أرى أن يخلع كل واحد منا صاحبه
ونجعلها شورى بين المسلمين يولون أمرهم من أرادوا فأجابه إلى ذلك وتقدم أبو
موسى وصعد المنبر وقال أيها الناس إنا نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح
لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر اجتمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو أن يخلع كل واحد
منا صاحبه ونجعل أمر المسلمين إليهم يولون عليهم من أحبوا وإني خلعت عليا
فاستقبلوا أمركم وولوا من شئتم ونزل ثم صعد عمرو فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
إن هذا أبو موسى ما سمعتم من خلع صاحبه وإني خلعته كما خلعه وأثبت معاوية
كما أثبت حلية سيفي هذا في غمده فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق
الناس بمقامه ثم نزل فاختلف عند ذلك كلمة الجيشين فلما رأى علي اختلافهم
رحل قاصدا الكوفة ولحق معاوية بدمشق وانصرف عمرو بأهل الشام بعد
ذلك إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه فكان علي رضي الله عنه

بالعراق ومعاوية بالشام الى سنة أربعين وفي هذه السنة قتل علي رضي الله عنه
في رمضان وهو ابن اثنين وستين سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين الا شهرا واحدا
ومدة ولاية معاوية أربعين سنة منها أميرا على الشام لعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان
عشرون سنة وخليفة عشرون وتوفي سنة ستين ولما اختلط أهل الشام وأهل العراق
من كثرة الحروب رجع ابن عباس وشريح بن هانئ الى علي رضي الله عنه وكان علي اذا صلى الغداة
لعن معاوية وعمرا وأصحابه فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنت لعن عليا وابن عباس
وحسنا وحسينا والاشتر ولم يزل الامر على ذلك في ملك بني أمية الى أن ولي
عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك وجعل مكان اللعن في الخطبة ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف
رحيم وقتل بصفين من أهل العراق والشام في مدة مائة يوم وعشرة أيام مائة
ألف وعشرة آلاف وقيل سبعون ألفا من أهل الشام خمسة وأربعون ومن أهل العراق
خمسة وعشرون وكانت الوقائع تسعين وقعة وعسكر من حضر بصفين من أهل
الشام مائة وعشرون ألفا ومن أهل العراق مائة ألف وعشرة آلاف والجملة
مائتا ألف وثلاثون ألفا حسوم كربلاء لما بويع يزيد بالخلافة في الذي
رجب سنة ستين خرج الحسين كارها للبيعة من المدينة الى مكة فبلغ أهل الكوفة
امتناعه فكتبوا اليه يحرضونه على المسير اليهم ويعرفونه بانهم شيعته وشيعة
أهل بيته وانهم يقاتلون عدوه حتى يقتلوا انفسهم دونه فخرج الكتاب على الحسين
لعشر خلون من رمضان سنة ستين فبعث اليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب للمبايعة
له فبايعوه فكتب بذلك عامل الكوفة من قبل يزيد وهو عبد الله بن مسلم الى
يزيد يعلمه بذلك فلما بلغ يزيد ذلك عزله وعقد لعبيد الله بن زياد على الكوفة وأمره
بقتل مسلم بن عقيل فبادر حتى دخل الكوفة على حين غفلة من أهلها وهو متلثم
يظنونه الحسين فجعل لا يمر على ملأ من الناس الا قالوا مرحبا يا ابن بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قدمت خير مقدم فلما سمع مقالتهم حسر عن وجهه فلما
رأوه دخل عليهم من ذلك كآبة وحزن وخاف مسلم على نفسه فاستجار بهانئ بن
عروة فأجاره فأرسل اليه عبيد الله يطلبه منه فقال له أسلم الرجل من استجار بي فكتفنا
منه أن قومه سيمنعونه منه فتوعده وتهدده فقال والله لو كانت تحت قدمي

قدمي ما رفعتها عنه فأمر به فضرب بالقضيب على وجهه فأدماه وهشم أنفه وأمر به
فحبس فلما بلغ مسلم بن عقيل ذلك أمر أن ينادى في أصحابه وكان قد بايعه ثمانية
عشر ألفا فاجتمع حوله دار منهم أربعة آلاف فجاء الصارخ بذلك الى عبيد الله
فخرج من المسجد الى القصر فتحصن فيه وأغلقوا أبوابه وأحاط ابن عقيل به من جميعه
من كل ناحية ولم يكن مع عبيد الله في القصر الا ثلاثون رجلا من الشرط وعشرون من
أشراف الناس فبينما هم كذلك اذ أقبل كثير بن شهاب بمن أطاعه من مذحج فنادى
أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعرضوا انفسكم للقتل فان هذه جيوش أمير
المومنين يزيد مقبلة وقد أقسم الامير عبيد الله لئن لم تنصرفوا عن حربه ليأخذن
البريء بالسقيم والغائب بالحاضر حتى لا يبقى منكم بالمدينة متنفس فتفرق الناس وجعل
الرجل يأخذ الرجل بيده الى الشام والمرأة تأخذ ولدها فما أمسى مسلم بن عقيل ومعه
ثلاثون نفسا فخرج متوجها نحو أبواب كندة فما بلغ الابواب ومعه عشرة ثم خرج
من الابواب وما معه انسان فمضى على وجهه لا يدري أين يذهب فانتهى الى دار امرأة
تسمى طوعة فضيفته الحاجة ستقى على بابها ولم تكن تعرفه فقال لها أطعمي معروفا
لعل الله يثيبك عليه بجوار فآوته وجاء الخبر أن مسلم بن عقيل كذلك بيت عندكم
القوم وعرفته من هي فقالت له وحنت عليه وأدخلته بيتا وأغلقت دارها وكانت
للأشعث بن قيس طلبة كان من القصر مع عبيد الله بن زياد فنمى ذلك الى عبيد الله وأثنى عليه
على انتصاره ثم قال من كتب الرضى من وجد لنا مسلم بن عقيل عندكم وقد جاء به عليه دابته
فجاء محمد بن الأشعث وقال ان بلال بن أسيد أخبر أن مسلم بن عقيل عند امرأة كانت
له فقال قم وائتني به فجاء ابن الأشعث في ستة عشر رجلا حتى اقتحموا الدار عليها
فسمع مسلم وقع حوافر الخيل فخرج اليهم بسيفه فاقتحموا عليه الدار فجالدهم حتى
أخرجهم وخرج خلفهم مصلتا سيفه ودافعهم عن نفسه فقال له ابن الأشعث
يا فتى لا تقتل نفسك ولك الأمان وهو يدافع عن نفسه ويقول

أقسمت لا أقتل الا حرا ... وان رأيت الموت شيئا نكرا
كل امرئ يوما ملاق شرا ... أخاف أن أكذب أو أغرا

فقال له ابن الأشعث لا تكذب ولا تغر وأنا زعيم بالوفاء والذمام فلما أعطى
سلاحه تواثبوا عليه وأخذوه وحملوه الى عبيد الله فقال له يا فاسق

ان نبسط المنتك تاحيلا بينك وبينه فقال له قتلني الله ان لم اقتلك قتلة لم يقتلها
احد قبلك في الاسلام ثم امر بكير بن حمران الاحمري ان يصعد به الى سطح القصر
وان يرمي به فيفعل به كذلك بل لبث بامر بكير ان عنقه تضرب ثم ضرب رقبته ساعة
بعد وصلبت جثة مسلم وحمل راسه الى دمشق وكان قتل مسلم بالكوفة يوم
الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين وفي ذلك اليوم خرج الحسين من مكة
قاصدا نحو الكوفة بعد ما وصله كتاب مسلم يخبره فيه ان اهل الكوفة معه فاقبل
حين نفذ الكتاب فبلغه موت ابن عمه لحينه فوصل باصحابه نحو الكوفة اذ مر به
رجل من اهلها فسأله عما وراءه فذكر انه لم يخرج منها حتى قتل مسلم وهاني
ورآهما يجران بارجلهما في السوق فهم بالرجوع فقال له بعض اصحابه والله
ما انت كمسلم ولو قدمت الكوفة لكان الناس اسرع اليك من السيل الى المكان
المنحدر فسار واذا الطلائع خيل قد اقبلت نحوه تمنع الحسين وامره بالرجعة
من حيث جاء فابوا ونحو الف فارس مع الحر بن يزيد اليربوعي وكان نازلا على
القادسية ينتظر خروج الحسين فلما اجتمعا قال له الحر ما الذي اقدمك
دعواك فقال له والله ما خرجت حتى اتتني كتبكم مع رسلكم فقال له الحر والله
ما ندري ما هذه الكتب وقد امرنا اذا لقيناك الا نفارقك حتى نقدمك الكوفة
فقال ثكلتك امك الموت دون ما قلت فقال الحر لو غيرك قالها من العرب
ما تركت ذكر امه وانا فراقيت محركم بنيال لا تدخلك الكوفة ولا تردك الى
المدينة فسار والحر بن يزيد معه حتى اتوا الى نينوى فسأل الحسين عنها فقالوا
الطف فقال نعوذ بالله منه وهي كربلاء فنزل فيها وذلك يوم الخميس الثاني
من المحرم سنة احدى وستين فلما كان في الغد قدم عليهم عمر بن سعد بن ابي وقاص
من الكوفة في اربعة آلاف فارس فلما اجتمعوا كتب عمر الى عبيد الله يسعى
في صلاح الحال معه وعوده انا قد اجتمعنا بالحسين في كربلاء ونحن ننتظر امرك
فيه فكتب اليه حل بين الحسين وبين الماء كما فعل بالتقي عثمان بن عفان فمنعوا
اصحابه الماء ثم انتدب اليهم الشمر بن ذي الجوشن وامره ان يسمع لعمر بن سعد ان
هو قاتل والا فتقدم انت على العسكر وقاتل الحسين فاقبل شمر على عمر بن سعد
وبلغه ما قال عبيد الله فما انتقض من ذلك وقال له لا كرامة ولكن انا اتولى

ذلك ونادى يا خيل الله اركبي وذلك عشية الخميس لتسع خلون من المحرم ثم
تقدموا نحو الحسين فارسل اليهم اخاه العباس يسألهم التاخير عشيته
غد فاجابوه الى ذلك فلما طلع الفجر يوم الجمعة وقيل يوم السبت وهو يوم
عاشوراء خرج عمر فيمن معه من الناس وخرج الحسين واصحابه وكانوا اثنين
وثلاثين فارسا واربعين راجلا ثم وقف فيهم على راحلته ايها الناس اجمعوا
امركم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ان وليي الله
الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين فسمعه نساؤه فبكين ثم قال انسبوني
وانظروا من انا هل على وجه الارض ابن بنت نبي غيري فسمعته اخته
باكية فقالت اليوم ماتت فاطمة امي وعلي ابي والحسن اخي يا خليفة
الماضي وثمال الباقي فقال حسين لها ولو ترك القطا ليلا لناما
فجاء الحر بن يزيد اليربوعي فقال له ما جاء بك فقال جئتك تائبا مما كان
مني فواسيتك بنفسي افترى لي في ذلك توبة قال نعم يتوب الله عليك
ويغفر لك ثم اقبل الحر بوجهه على اصحاب ابن زياد وقال لهم اتقوا الله في
ابن بنت رسول الله حلتم بينه وبين الماء الذي يلغ فيه الكلب ويرده
الكافر وتمنعوا اصحابه فرضي بهم العطش فبئس ما خلفتم محمدا في ذريته
فحمل عليه رجال منهم ونشبت الحرب بينهم واقتتلوا فحمل الحر يشد على
القوم ويقول والله لا تقتل حتى اقتلا ولن اصيبه اليوم الا مقبلا
اضربهم بالسيف ضربا معضلا لا ناكلا عنهم ولا مهللا
ولم يزل يقاتل حتى قتل ثم حمل اصحاب عمر بن سعد على اصحاب الحسين حملة
رجل واحد فقتلوهم كلهم وكان اول من قتل من آل ابي طالب علي بن الحسين
الاكبر وبقي الحسين وحده وكان الناس قد تحاموا قتله فكان بعضهم
يحيل على بعض وصاح شمر لعنه الله باصحابه ان اقتلوه ثكلتكم امهاتكم
فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك بالسيف فقطع يساره وطعنه
سنان بن انس النخعي بالرمح فخر صريعا ونزل اليه فاحتز راسه وقيل خولي
ووجد به رضي الله عنه ثلاث وثلاثون جرحا واربع وثلاثون طعنة
والكل فيما قيل من وجهه وقيل مائة وعشرون جراحة ما بين طعنة ورمح

واتكل فيها اضل من وجهه وقيل مائة وعشرون جراحة بين طعنة برمح وضربة بسيف
ورمية بسهم رضي الله عنه وكانت عليه جبة خز دكناء فمازال كذلك فنزع منه
ونزع السلاح ثم سلبه اسحاق بن حيوة قميصه وسلبه بحير بن كعب سراويله فبقي
ونادى عمر بن سعد من ينتدب للحسين فيطأه بفرسه فانتدب له اسحاق بن حيوة وتسعة
من اصحابه فوطئوا الحسين وهو كذلك حتى رضوه رحمه الله تعالى ولعن قاتله والمعين
له واتى سنان بن انس براس الحسين الى عبيد الله بن زياد فلما دخل عليه قال

اوقر ركابي فضة وذهبا ، اني قتلت السيد المحجبا
اكرم خلق الله اما وابا ، وخيرهم اذ ينسبون نسبا

فبقي بيد المختار بن عبيد فقتله واحرقه ثم بعث بالراس مع محفز بن ثعلبة العائذي
الى يزيد فلما دخل عليه قال قد جئتك براس الام الناس فقال ما ولدت ام محفز الام والا وضع
منه ثم جعل يضرب ثناياه بقضيب خيزران كان في يده ويتمثل

ابى قومنا ان ينصفونا فانصفت ، قواضب في ايماننا تقطر الدما
نفلق هاما من رجال اعزة ، علينا وهم كانوا اعق واظلما

اما والله لوددت اني اتيت به سلما ولو وليتك لما قتلته ثم خرج عليه علي
ابن الحسين والحسن بن الحسن فقال لعلي انت ابوك قطع رحمي ونازعني في سلطانه
فجزاه الله جزاء القطيعة للرحم فقال علي ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها فقال يزيد وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير ويروى انه لما قتل الحسين رضي الله عنه قدم زحر بن قيس
الجعفي فقال له يزيد ما وراءك قال ابشر يا امير المومنين بفتح الله ونصره ورد
علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر رجلا من اهل بيته وستين رجلا من شيعته فسرنا
اليهم وسألناهم ان يستسلموا وينزلوا على حكم الامير عبيد الله او القتال
فاختاروا القتال فغدونا عليهم مع شروق الشمس فاحطنا بهم من كل ناحية حتى اخذت
اخذت السيوف ماخذها من هام القوم وجعلوا يلجؤون الى غير وزر ويلوذون
منا بالاكام والحفر لواذا كما لاذ الحمام من الصقر فوالله يا امير المومنين ما كان الا
جزر جزور او نومة قائل حتى اتينا على اخرهم فهاتيك اجسادهم مجردة وثيابهم مرملة
وخدودهم معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح زوارهم العقبان والرخم

بقي

بقي سبسب لا مكفنين ولا موسدين قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت ارضى من
طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية اما والله لو اني صاحبه لعفوت
عنه فرحم الله الحسين فلم يصله بشيء وقيل انه لما حمل راس الحسين الى يزيد
ابن معاوية ووضع بين يديه خرجت يد من الحائط مكتوب على جبهته

أترجو امة قتلت حسينا ، شفاعة جده يوم الحساب

وقتل رضي الله عنه وله من العمر خمس وقيل ست وقيل سبع وخمسون سنة وقتل
معه ثمانية عشر رجلا من اهل بيته وستون رجلا من شيعته ولما وصل خبر
قتله الى المدينة وكان واليا عليها يومئذ عمرو بن سعيد بن العاص المعروف
بالاشدق قام خطيبا فنادى بقتله فصاح نساء بني هاشم وخرجت ابنة
عقيل بن ابي طالب حاسرة وهي تقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم ، ماذا فعلتم وانتم اخر الامم
بعترتي وباهلي بعد مفتقدي ، منهم اسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ، ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وفي يوم قتله من العام القابل قتل عبيد الله بن زياد قتله المختار بن ابي عبيد
وقتل المختار مصعب بن الزبير وقتل مصعبا عبد الملك بن مروان فيالله العجب
كيف وانى يبرد دم مات في البتول وسيف الحق على الباغي ابن الزرقاء مسلول
يوم الحرة وسببه ان جماعة من اشراف المدينة منهم عبد الله بن حنظلة وبنوه
ثمانية والمنذر بن الزبير قدموا من عند يزيد بن معاوية وكان قد اكرمهم
وكساهم وحملهم فلما قدموا اشتموه واكثروا سبه وعيبه للناس وقالوا قدمنا
من عند رجل شريب فسيق يلعب بالكلاب ويسامر القرود والقيان وانا
نشهدكم انا قد خلعناه وتبرأنا منه فكتب عثمان بن محمد والي المدينة من قبل
يزيد اليه يعلمه بما اجمعوا عليه فكتب يزيد الى اهل المدينة اما بعد فان
الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءا
فلا مرد له وما لهم من دونه من وال واني والله قد لبستكم فابليتكم ورفعتكم حتى خرقتكم
واني قد وضعتكم على راسي ثم على صدري ثم على بطني وايم الله لئن وضعتكم تحت
قدمي لاطأنكم وطأة اقل بها عددكم واترككم احاديث تتنسخ اخباركم مع

مع اخبار رعاة وقود فان اشتم فلا ابلغ من قومي وكتب في آخر الكتاب متمثلا بقول
الشاعر: لقد بدلوا الحلم الذي من سجيتي * فبدلت قومي غلظة بليان
فلما وصل اليهم الكتاب ونزل عليهم ابوا الا خلعه وازدادوا عليه تغيظا
وفيه كراهة ثم بايعوا عبد الله بن حنظلة ووثبوا على عثمان بن حيان واخرجوه من
المدينة واخرجوا من كان فيها من بني امية ومواليهم فكانوا نحو الف فنزلوا دار
مروان بن الحكم فحصروهم فيها فكتب مروان الى يزيد يعلمه بما جرى
فوصل الكتاب اليه ليلا وكان عنده الضحاك بن قيس فقرأه عليه ثم قال له ما
الرأي قال يا امير المؤمنين قومك وعشيرتك وبلد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحرمه وأرى أن تعفو عنهم وتستعطفهم قال اخرج ثم دعا عقبة بن
مسلم المري فقال فما لبث ان دخل رجل اعور ثائر الرأس كأنما يقلع رجليه
من وحل اذا مشى فرمى اليه بالكتاب فلما قرأه احمر وجهه وازبد شدقه فقال له
يزيد ما الرأي قال أرى أن تبعث اليهم جيشا رجاله غليظة الاكباد طويلة
رماحهم فيقتلونهم حتى يكونوا نكالا لمن خلفهم فقال له يزيد فانت لها لولا انك
ضعيف فقال يا امير المؤمنين ان كنت تريد لها رجلا منهم فانه ضعيف وان كنت
تريد الرأي فانه قوي فأمر يزيد بالتجهيز فما أصبح الا وعلى باب يزيد
عشرون الف دارع فيهم عقبة مسلم فاستدعاه يزيد وقال له سر فان حدث بك
امر فالخليفة عنهم الى ابن الحصين بن نمير فاذا قدمتهم وكلمتهم فاجابوا ثلاثا واستوص
بعلي بن الحسين خيرا ثم ودعه وانطلق بمقدم الجيش فلما سمع أهل
المدينة بقدوم الجيش غوروا المياه التي بينهم وبين أهل الشام فأرسل
الله السماء فلم يستق أصحاب مسلم بدلو حتى قدموا المدينة وكان أهل
المدينة قد أطلقوا بني امية فخرجوا قاصدين للشام فلقوا مسلما بالجيش
فرحب بهم وسألهم عن أهل المدينة فأخبروه بحالهم وسألهم أن يكونوا
نزولهم نواحي المدينة فأشار اليه عبد الملك بن مروان أن ينزل في
قبل الحرة فانها مشرفة على المدينة وان أهلها فتطلع من قبالة [illegible] يقاتلونكم
واسنة رماحكم وسيوفكم ما لا يردونه أصحابك منهم مرتين فلما رءاهم
أهل المدينة خرجوا في جموع كثيرة وهيئة لم يروا مثلها فلما رأى أهل

الشام

١٨١

الشام اكثر منهم وكانوا اغتنا لهم فكتب مسلم اليهم يعذرهم سكوا انه وينذرهم
بنكاله فأبوا قبوله مدة ثلاثة أيام مرتقبا انقيادهم لطاعته فلما كان في اليوم
الرابع وهو يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين نادى
منادية يا أهل المدينة قد مضى الاجل فما تصنعون أتسالمون ام تحاربون
فقالوا بل نحارب ثم خرجوا وطلبوا البراز فأمر مسلم أن يعبأ الجيش وضرب
لهم فسطاطا ووضع للقتال وجعل مسلم يحرض قومه ويشجعهم وعبد الله
ابن حنظلة الغسيل يحرض قومه ويقدم اولاده واحدا بعد واحد حتى
قتلوا بين يديه ثم حمل عليه فقتل وقتل يومئذ ثمانية من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال أهل الشام لبني امية قاتلكم الله لما جئتم
بنا حتى نقتلهم ثم اشتد الحرب وكثر القتال حتى انهزم أهل المدينة
فدخلوها وتحصنوا بها فأبى منهم مسلم فدله رجل من بني حارثة على [illegible]
تأتي الى المدينة فسلكه بمن معه حتى دخلها فما راع أهلها الا الجيش قد
خالطهم فتفرقوا فقتلوا في كل وجهة وذلك لثلاث من ذي الحجة سنة ثلاث
وستين ثم انتهبوها ثلاثا وأقاموا بها حتى رأوا هلال المحرم ثم أخذ مسلم
البيعة على أهل المدينة انهم عبيد خول ليزيد بن معاوية ان شاء اعتق وان شاء
قتل ثم ركب مسلم العاصي لعنه الله وخرج الى الحرة يطوف في القتلى ومعه
مروان بن الحكم فمر على عبد الله بن حنظلة وهو ماد اصبعه نحو السماء فقال
والله لئن نصبتها ميتا لطالما نصبتها حيا داعيا الى الله ومر على ابراهيم
ابن نعيم قد جرح في جبهته مستورا بيده فقال والله لئن خضبته عند الموت لطالما
خضبته في حال الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم وهو واضع جبهته على
الارض فقال اما والله لئن كشفت عن جبهته بعد الموت لطالما [illegible]
له ساجدا في طول الحياة فقال مسلم والله ما هؤلاء الا من أهل الجنة
ثم ان مسلما حز رؤوسهم وأرسلها الى يزيد فقال انه انشد لما العقبة بين
يديه بيت ابن الزبعرى: ليت اشياخي ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع
الاسل. قال الواقدي: فقتل يوم الحرة سبعمائة من حملة القرآن ومن قيل
قتل تسعمائة من قريش والانصار وقتل ممن لا يعرف عشرة آلاف ثم

عما رسمه لعبد العزيز بن مكة لقتال عبد الله بن الزبير التي بها قبلها كان يقول يومان قبل موتي
بالشلل وقيل بشبه بمرض كان موته لسبع بقين من المحرم سنة اربع وستين
وفي تلك السنة مات يزيد في الرابع عشر من ربيع الاول وله من العمر ثمان وثلاثون
سنة وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وتسعة اشهر ولما ذكر مسرف جارية
ام ولد يزيد بن عبد الله بن زمعة فيقتله وام قبته وقيل بل اخر جنته
وطلبته وفيما ذكرناه من فن الحروب اقناع يعوز بعده الخبر اذ اسهم في
التهاون المستنجب واحسن ما قيل في هذا المعنى وكلاه وصف
عظم الجيش ومصارع فمكان ابلغ ما وصف به عظم الجيش قول مالك
ابن الريب من ابيات يجيش لهام يشغل الارض جمعه على الارض حتى ما يجدن منارا
السماء والجو منه بالنسور مجلل والارض منه بالخيول مخيل
يبيتوا العقاب على العقاب فيلتقي بين العقاب اسراب وجرل
الا من بديع الحسن قول ما قاله ابو تمام حبيب بن اوس الطائي من ابيات يمدح بها
المعتصم جاء منها قوله

لما رايت الدين يخفق قلبه ، والكفر فيه تعاظم وغرام
أوردتها زرقا عرانين تحت الرهجا ، أسد عرين والبلاد كلام
بسقت فصعب ذيل جيش ساقه ، حسن اليقين وقادة الاقدام
بثواقب حواملها كل شرب ، تعليقها الاسراج والالجام
ومصايلا اذ الشمول بحربهم ، في نصرة الاقوال والاحكام
تغزو الحرير جرم الحرير معانقا ، سكانها الارواح والاجسام
مستن سيلها الحتوف كانما ، بين الحتوف وبينها ارحام
اشباه قوت مخزات مالها ، الا الصوارم والقنا اجام
حتى نقضت الروم عنه بوقعة ، شنعاء ليس ينقضها الابرام
في معرك اما الحمام فمخبر ، في صبوته والكماة صيام
والضرب يقعد من كل كتيبة ، شزرا الغريبة والحتوف قيام
مقلت عراك جمعهم فيه وقد ، جعلت تفيح في غرارها الصمام

ابن عبد ربه صاحب العقد: وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا يعب عباب من قنا وقنابل

فينزل

فينزل او يكون ويبيض نازل ، ويرحل اخراه ويبيض راحل
ومعترك ضنك تعاطت كماته ، كؤوس دماء من كلي ومفاصل
يديرون راحا من الروح بينهم ، ببيض رقاق او بسمر ذوابل
وتسمعهم ام المنية وسطها ، غناء صليل البيض تحت المناصل

ابو الفرج الببغا: غاد الجياد الى الجياد عوابسا ولو بها باسم لم تسفر
في جحفل كالسيل او كالليل او ، كالفعل كلاهم فلق يجري مزبد
متوقد الجنبات تعتنق القنا ، فيه اعتناق تواصل وتودد
متحير بظبا الصوارم مبرق ، تحت العجاج وبالصواهل مرعد
رد الظلام على الضحى واسترجع الـ ، ـاصباح من ليل الغبار الازبد
وكانما نفضت حوائج خيله ، للناظرين اهلة في الجلمد
وكان نقع الشمس مقرور وقد ، جعل الغبار لها مكان الاثمد

وله: في خميس كانما الشمس والابطال فيه غيل حمته اسوده
سلب الشمس ضوءه بشموس ، طالعات افلاكهن حديده
عارض كلما تجلت بروق البيض حفته بالقسطل رعوده
جيش يموت الطرف حتى لم يرى ، ما غاب من اولاه اخر محدودا
ويجيش حتى لو يطير عن الثرى ، لاعز ركبتي جمعه مغدودا
فكانما جعل الاله روابي الا ، علام اعلاما له وبنودا
يغضي على الاعداء ضيغمة باسمه ، قبل اللقاء تمردا وعيدا
وترى وتسمع لمعه وهزيمه ، فتخال فيه بوارقا ورعودا
خميس اذا اخفى سنا الشمس نقعه ، اضاء واراه الحديد المسرد
تواجهه موج الرياح فينثني ، وتحمله الارض الوقور فتمهد

ابو الطيب المتنبي

خميس بشرق الارض والغرب زحفه ، وفي اذن الجوزاء منه زمازم
تجمع فيه كل لسن وامة ، فما تفهم الحداث الا التراجم
وله: وذي لجب لا ذو الجناح امامه ، بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهي ضعيفة ، تطالعه من بين ريش القشاعم

، إذا خوفوا لاقوا من الهيج برجة ترد وقوف الجيش مثل الرواسم ،
، ويحمي عليك الدرع والبيض جوشن من اللمع في حافاته والصوارم ، ابن المعتز
، وترى النقع حتى كأنه دخان وأطراف الرماح شرار ، ابن
الساعاتي والنقع ليل والأسنة أنجم ، وأسلحة غاب والكماة أسود

وصف النزال والقتال وصفه أعرابي وقعة فقال أقبلوا كجناح
الغراب وشدوا أشد الأسد فجعلنا نقتل أعناقهم ولا تبرح قوائمهم
حتى انصرفوا أعقابهم أبو نصر الميكالي في ذكر رجال الحرب من أعمار تناح
ودماء تستباح وأجسام تطاح وأرواح تسعى بها الرياح فالسيوف للهامات
دامغة والرماح في الأكباد والغة بعض البلغاء فلقينا فلانا في الوغى
فوجدناه وجسرنا بالصفاح منهم مجنا وبالرماح منهم قحما ابن عبد ربه من أبيات

، بكر على الظهر أو هال معرفة تقضمت العاليا فيه أشكار ،
، قد ملئت بصحيح الخيل منهم قبر بيني هوامر الخيل الغبار ،
، وكم بيسا منهم من شلو ممزق كأنهم فوق وجه الأرض أحجار ،
، كأنما رأسه فلاة حنظلة وساعده على الأرض من جمار ابن بكي
الخوارزمي كتيبة وجوههم سطورا ضرائب بيض من دم هطول ،
، يترجمها الأعادي للأعادي ويقرأ عليها الجيش الفيل ،
، فيا لك من حجة كتاب وما أنت تحرها حسنا رسوله ابن الرومي
، كتبت لنا أيدي النزال صحائفا تجلى من الأعراب والأنطاح ،
، أقبل أشاحت الكماة وعربه فيها أعيلنا ردع الأرواح ،
، فلا تشكل من سطورها بصوارم والنقط تحت حروفها برماح ابن نباتة
، خلقنا بأطراف القنا لظهورهم عيونا لها وقع السيوف حواجب ،

فصل الفروسية أحسن ما نظم فيه قول الشريف الرضي من أبيات
، فكبنا بالعقيق مع الأعادي جيادا والى وبرق ثنار
وقول جرير وإن كان قبله
، كأن وسر القوم فوق رقابهم غرة الدوغي نيجان كسرى ونيرا وقول
داغر وكأنما أسيم الرماح معاقية والسام قوق مرودهن نسود ،

الفصل الثالث من الباب الحادي عشر في ذم التعرض
للمهلكة وما يليق بها من الملامة

قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم وقد روي أن عمر رضي الله عنه حين كره قدوم الشام أراد الرجوع إلى المدينة فقال له أبو عبيدة بن الجراح يا أمير المؤمنين أتفر من قدر الله قال نعم إلى قدر الله فقال له أينفع الحذر من القدر فقال لست مما هنالك في شيء إن الله لا يأمر بما لا ينفع ولا ينهى عما لا يضر وقد قال تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال خذوا حذركم فإن أول الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح الهلكة وقال يزيد بن المهلب الإقدام على الهلكة تغرير والإحجام عن الفرصة جبن وأنشدت لهاشم بن الحسين

، ركوبك الأمر ما لم تبد فرصته جهل ورأيك في الإقحام تغرير ،
، فاعمل صوابا وخذ بالحزم مأثرة فلن يذم لأهل الحزم تدبير ،

وقال الحارث بن يزيد بن المهلب حين قتل يتوقعه فقال له أضعت الحزم من حيث حفظت الشجاعة الشريف الرضي

، الحزم في غير وقت الحزم معجزة والازدياد بغير العقل نقصان ،

وقال من قاتل بغير نجدة وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكبر الغرر وقال بعض الحكماء من أعرض عن الحذر والاحتراس وبنى أمره على غير أساس زال عنه العز واستولى عليه العجز فصار من يومه في نحس وقد قيل في بعض كتب السير الحازم يحذر عدوه على كل حال يحذر مواثبته إن قرب وغارته إن بعد وكمينه إن تبع ومكره إذا انهزم واستكراده إذا ولى وقال أبو بكر الصديق يوصي خالد بن الوليد رضي الله عنهما إذا دخلت أرض العدو فكن بعيدا من الحملة فإني لا آمن عليك الجولة واستظهر بالزاد وسر بالأدلاء ولا تقاتل مجروحا فإن بعضه ليس منه واحترس من البيات فإن في العرب غرة وأقلل الكلام فإن لك ما وعي عنك واقبل من الناس علانيتهم وكلهم إلى الله في سرائرهم واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه

وقال الشاعر ومن يأمن الاعداء لا يدرانه ، سيلقى بهم في موقف الموت مصرعا ،
قالوا الاقدام على الهلكة تضييع كما ان الاحجام عن الفرصة عجز وقيل لعنترة
العبسي أانت اشجع العرب واشدها قال لا فقيل بم اشيع عنك هذا
قال كنت اقدم اذا كان الاقدام عزما واحجم اذا كان الاحجام حزما
ولا ادخل موضعا لا ارى منه مخرجا وقيل لبعض الشجعان بم غلبت اقرانك
قال لا اعتماد في غير وقته وقال جعفر بن يحيى من مكن من اسباب
الهلكة من نفسه كما يهلك لم يتخلص منه وان كان حاسرا وقال بعض
الحكماء نصوحا لا اعلم ان العفة الكبار المعطلة مع سوء الحزم جنايات عدوك
مبالغة الامر وتجنبه منه تجنب الخائف ولا تعظم له المخافة حتى ارض
خورت ميبون عليه ما يستقوله منك وقيل اذا الهزيمة بلا حزم
والاحتراس في موضع الثقة وحمل على الجزم والاقدام عند انتهاز الفرصة
مغرا اخذ بالحزم في شدته وحمل بالعزم عند من حصنه وقال بعض العلماء
سعة كن حذرا كانك غر وبصيرا كانك غافل فذلك لكانك ناس وقال
بعض الشعراء من اخذ الحزم من المحذور ، فلا يجنيه تعلل الامور
فليعجل الحازم في الامور ، فانه كيف يعذر المغرور ،
وقيل لا يصلح الحزم الا من كان له سبع خصال من كل واحد من البهائم
قلب الاسد وغارة الذئب وصبر الكلب وحذر الغراب وحرص
الديك وبكور الحمام وحماية الزنبور فقال الشاعر
على كل حال فاجعل الحزم عدة ، تقدمها عند النوائب في الدهر ،
فان نلت خيرا نلته بعزيمة ، وان قصرت عنك الحظوظ فعن عذر ،
ومما يكون معه عند لقاء العدو بحال التفكر في اعمال الاحتيال وان
كان قد قال الحكماء الحازم الذي يحتال للامر الذي فاته لعله لا يقع فيه
فليس من القوة التورط في الهوة ومن لم ينظر في العواقب تعرض
يقع صيد حيلته لا على مقاتلة وانشد في ذلك شعرا
اذا المرء لم يحتل وقد جد جده ، اضاع وقاسى امره وهو مدبر ،
ولكن اخو الحزم الذي ليس نازلا ، به الامر الا وهو للقصد مبصر ،

وقيل

وقيل اذا اتسع لك الضيق فاحذر ان يضيق عليك المخرج وقال الشاعر
وبادر الامر الذي ان توسعت ، موارده ضاقت عليك المصادر ،
فما حسن ان يعذر المرء نفسه ، وليس له من سائر الناس عاذر ،
واذا اهممت ورود امر فالتمس ، من قبل مورده طريق المخرج ،
وقيل تفكر قبل ان تعزم وتدبر قبل ان تهجم فانه من لم ينظر في العواقب
لم يتعرض لحادثات النوائب، ووجد على حجر بعمون مكتوب ايها الجاهل
احزم تغنم وتفكر في العواقب تسلم وقيل الناس حازمان وعاجز
فالحازم من عرف الامر قبل وقوعه فاحترس منه والحازم بعده من
اذا نزل به الامر تلقاه بالرأي والحيلة حتى يخرج منه والعاجز من تردد
بين يديه لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا حتى تفوته النجاة وقيل ان ترك التقدم
احسن من التندم واوصى عبد الله بن صالح امير افريقية على جيش ارسله الى
قتال عدو له فقال كن كالتاجر الكيس ان وجد ربحا تجر والا حفظ راس ماله ولا
تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة وكن في احتيالك على عدوك اشد حذرا من احتيال
عدوك عليك وقالوا ما تتقي به الاموال والحيل خير مما تتقي به الارواح
والانفس واوصت ام الاقبال العبسية وهي فاطمة الخرشب وكانت من اشد
العرب مقالات لا تنشب في حرب وان وقعت فيها فلا تلق الحرب حتى تعرف وجه
الهرب فان النفس اقوى ما تكون اذا وجدت سبيل النجاة من خلفها ولا
اختلس من تحاربه خلسة الذئب وكن منه حذرا كالغراب فان الحزم زمام
الشجاعة والتهور عدو التأني وقال ابو الشمراخ وكان احد الفتاك
فاني لكن بحيلتك اوثق منك بشدتك وبحزمك اوثق منك بشجاعتك
فان ذا الحرب وكثرة التهور وعقبة التسكع ومما يكون معه عند لقاء
الا بحال التفكر في اعمال الاحتيال وان قال قد ركنا قدمنا في صدر
الكتاب ما يجب على العامل من مشورة نصحائه في سائر القضايا وانا اذكر
في هذا الباب ما يجب على الحازم من مشورة اولي النهى في كيفية لقاء
الاعداء بما يتم ما هو ينبغي لذلك لان لا يبرم امرا ولا يمضي عزما
الا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح قالوا

العاقل اذا اشتبهت عليه مصادر الامور جمع من أهل التجارب وجوه الراي ومثل
فيظهر له منها الصواب كما ان العاقل اذا ضلت له لؤلؤة فانه اذا جمع ما حول مسقطها
والتمسها يوشك أن يجدها وقالوا من حق العاقل أن يضيف الى رايه اراء العقلاء
ويجمع الى عقله عقول الحكماء وقال بشار بن برد المشاور بين احدى الحسنيين
اما صوابه فيحوز ثمرته او خطا فيشارك في مكروهه وكان يقال الشورى سلم
النجاح وطليعة الفلاح وقالوا الراي في الحرب انفع من الطعن والضرب وقال
بعض الاعراب ما غبنت قط حتى يغبن قومي قيل له وكيف قال لا افعل شيئا حتى
اشاورهم وقالوا مغبون من يتكل الى نفسه ومن اعجب برايه ونظر احمد ابو الطيب
احمد بن الحسين المتنبي الذي يحض على مشاورة الاخوان عن مساورة الاغرار بقوله

الراي قبل شجاعة الشجعان * هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى اقرانه * بالراي قبل تطاعن الاقران وقال غيره
الراي كالشمع يبدو ارضية به * في غمره واذا جمدته قصفا
اشاور اهل الراي فيما ينوبني * وان كان في راي احد صليب
وكم اذن بالغيب علما لسائل * وكم احسن السؤال يجيب

وفي جزالة الراي وسداده يعرف معرفة الامور واستدراك تجنب البادرة بالعمل
الشر حتى كفهم والعطف اي تاخير من العاقبة وضرورة الحزم كما قال الشاعر

اذا ابو الله وجه الراي مادهم * فما اعتزام نعماء العمادين
ولا تقلعن راحتي عواقبه * يزما فكل نجاة الفوز تغرير

وذكر الحصري في كتاب زهر الآداب وثمر الالباب ان قوما من العرب اتو شيخا لهم
قد أوفى على الثمانين وأربى على التسعين فقالوا ان عدونا استاقنا وسرحنا فاشر علينا بما
ندرك به الثار وننفي العار فقال ان ضعف قوتي نسي همتي ونقص ابرامي عزيمتي ولكن
شاوروا الشجعان من ذوي العزم والجبناء من اولي الحزم فان الجبان لا يالوا برايه ما وقى
مهجكم والشجاع لا يالوا برايه ما يشيد ذكركم ثم خلصوا من الرايين نتيجة تبعد عنكم
معرة الجبان وتهور الشجعان فاذا نجح الراي مع هذا كان انفذ على عدوكم من السهم
الصايب والحسام القاضب فلله من الكلمات لو تحرما الجبان جبنه لو فتشـ

او مثله بل اكثر منه من اكل العواقب ووخيمه وهلاك الحالم بالوقوع في الماتم
زمن العجلة واستعمال التواني قال الله تعالى ولا تعجل بالقران
من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
اعطي حظه من الرفق اعطي حظه من الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم
حظه من الدنيا والاخرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها عليك
بالرفق فان الرفق لا يخالط شيئا الا زانه ولا يفارق شيئا الا شانه وقال
عمر رضي الله عنه نعم التؤدة في كل شيء الا ما كان من عمل الاخرة وقال الشاعر

الرفق يمن والاناة سعادة * فتيسر النجاح لمن يخشى ويحزم
في الاناة اذا قاجز صاحبها * حزم ويعقبها التفريط والخرق

التؤدة الرفق راس الحكمة وجد مكتوب على سيف الشاني فيما لا يخاف فوته
استوضحت فما عزم قالوا العجلة تغرس الندامة ومن الرفق تجنى ثمر السلامة

من يدرك التاني نجح حاجته * ومن يكون مع المستعجل الزلل
وربما فات قوما جل امرهم * من التاني وكان الحزم لو عجلوا

وقالوا من ركب العجلة لم يامن الكبوة ومن لم يركب العزم امن الحزم قالوا ان
الاناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة قالوا اذا لم يدرك الظفر
بالاناة فمتى يدرك وقال المهلب بن ابي صفرة واسمه ظالم بن سراق اناة في عواقبها
درك خير من عجلة في عواقبها فوت ومن امثالهم اتيم فتصب او تكن من تانوا درك
ما تمنى ومن ثم الرفق مفتاح النجاح ودعامة الفلاح وقال بعض الحكماء اياك
والعجلة فانها تكنى ام الندامة لان صاحبها يقول قبل ان يعلم ويجيب قبل ان
يفهم ويعزم قبل ان يفكر ويقطع قبل ان يقدر ويحمد قبل ان يجرب ويذم قبل ان يخبر
ولن يصحب هذه الصفة احد الا صحب الندامة وجانب السلامة وقال ابو الفتح البستي

تأن في الشيء اذا رمته * لتعرف الرشد من الغي
لا تتبعن كل دخان ترى * فالنار قد توقد للكي
وقس على الشيء باشكاله * يدلك الشيء على الشيء

وقال بشر بن مروان لبعض أهله اذا اشتبهت عليك المطلوب وغاب عنك
الموارد واشكل عليك المصدر منه فلا تلتبس الا بالتاني ويكون امرك منوطا

وانشد استشهادا لشاعر ما لابي محمد بن سارة الاندلسي

وكل اناة في المواطن سؤدد ، ولا كاناة من قدير محكم

وما الرأي الا بعد طول تثبت ، ولا الحزم الا بعد طول تلوم

وهذا كله فيما اللبيب الحزن ، نبذة يسيرة في الفتن ، والصبر مفتاح

النصر فالدوام نصب تعب وقيل الشجاع مقام الصبر وقال القاضي حظ

الفاسي من ادرك بحسب ما استعجلوا من النصر مما ينسب لعلي رضي الله عنه

اني رأيت وفي الايام تجربة ، للصبر عاقبة محمودة الاثر

وقل من جد في امر يحاوله ، واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

ما احسن الصبر في مواطنه ، والصبر في كل موطن حسن

حسبك من حسن عواقبه ، عواقب محمودة فما احسن

الصبر مفتاح ما يرجى ، وكل صعب به يهون

فاصبر وان طالت الليالي ، فربما امكن الحرون

وربما نيل باصطبار ، ما قيل هيهات لا يكون ، وبعضهم

اذا كنت في امر وقد ترحيلة ، فصبرك ان انجح يزرك بالفتى

كذا عيون الماء تكدر مرة ، وتصفو احيانا كذا عادة الزمن ابن شعر

لا تستكن للريح واثر عنانه ، بعزيمة في الخطب لا تتضعضع

فان التي ما ثبت يرفع بانفه ، فالصبر محمود والا ما لا يرفع

ومن احسن ما قيل فيه

اما والذي لا خلد الا لوجهه ، ومن ليس في العز المنيع له كفو

لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه ، لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو وقال

آخر اصبر على مضض الادلاج في السحر ، وفي الرواح الى الحاجات والبكر

لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها ، فالنجح يتلف بين العجز والضجر

الباب الثاني في ذم الجبن وفيه ثلاثة فصول

الفصل الاول من هذا الباب في ان خلتي

الجبن والفرار مما يشين بالاحرار

الجبن غريزة كالشجاعة يجعلها الله فيمن شاء من خلقه قال المتنبي

يرى الجبناء ان الجبن حزم ، وتلك خديعة الطبع اللئيم

وعرف بعض المتكلمين في حدود الاشياء فقال هو النفور بالحياة والحرص على النجاة وقالت الحكماء في الفراسة من كانت في عنقه وفي رأسه ميل الى ابن يعلم من ابويه وقالوا الجبان يفر عن نفسه يفر من امه وابيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه وقال الشاعر يفر الجبان عن ابيه وامه ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه فما اخذت من كلامه في الامراء فيما عيب به الفرار والاحجام وقالت عائشة رضي الله عنها ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير كلما خفقت الريح خفقت معها فاف للجبناء وقال خالد بن الوليد عند موته لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسمي موضع الا وفيه ضربة بسيف او طعنة برمح او رمية بسهم وها انا اموت حتف انفي كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء شاعر

ان موت الفراش عار وذل ، وموت الشيوخ مخل بهم

وما مات منا سيد حتف انفه ، ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظباة نفوسنا ، وليست على غير الظباة تسيل آخر

بعز محرمة اكفال خيلي على القنا ، ومكلومة اعرافها ونحورها

حرام على ارماحنا طعن مدبر ، وتندق منا في الصدور صدورها

وقيل اسرع الناس الى الفتنة اقلهم حياء من الفرار وقال دارا بن دارا يحرض جيشه على القتال فقيل له ليس من ناج فرار يا بني الاحرار هم الى الذل والصغار ما بين الجبن والفرار فما هي الا اعتزار تظهر ذكر الاشرار كظهور الليل والنهار اثبتوا ثبات الاجل بعدا وقال هانئ الشيباني لقومه يوم ذي قار يا بني بكر هالك معذور خير من ناج فرور المنية ولا الدنية يا بني بكر استقبال الموت خير من استدباره الطعن في ثغور النحور اكرم منه في الاعجاز والظهور يا بني بكر قاتلوا فما للمنايا من بد الجبان مبغض حتى لامه والشجاع محبب حتى لعدوه وقال الجبن خلق من اخلاق النساء وشر اخلاق الرجال وقال يعلى بن منية لقومه حين حرب وامي على يوم صفين الى اين تقولوا اخرجوا من الناس فقال اني لكم من ازرار اعتزار ولما ثول ابو الطيب المتنبي وراء الغلبة عليه هم فقال له غلامه اترضى ان يحكى عنك الفرار وعندك وانت القائل

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فاستفتح ان يغير بالعراق وكان امرا صعبا فقاتل حتى قتل وذلك في شهر رمضان سنة
اربع وخمسين وثلاثمائة وكان مولده بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة وقال
المنصور لبعض الخارجيين وقد ظفر به واحضر اليه أسيرا اخبرني عن أصحابي
ايهم كان أشد اقداما في مبارزتي فقال ما اعرف وجوههم مقبلين وانما اعرف
أقفاءهم مدبرين فقل لهم يرجعوا لاعرفهم لانهم كانوا أشد اقداما هذا
اخذ الكلام علي بن عباس بن جريج المعروف بابن الرومي في قوله يمدح ابا سليمان بن عبد
الله بن طاهر ومدحهم قوم سليمان مراد فيها سوى ان وجهه سيتلعه

اعرض عن قرنه وصير قفا * اصبح شيء عليه يعطيه
كم تعبر العين بالقفا وكم * يكرب في وعيه ويجلده
لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من بين جيش من يشهده

آخر

كان يعرفون دون امجده * طلعته بالجبهة تلتمع
مستقبل منه ومستدبر * وجه جميل وقفا متسع

وقال عبد الله بن الزبير لعدي بن حاتم يعرض به متى فقئت عينك قال يوم قتلت
في استك وانت مول يوم الجمل وقيل قال له يوم قتل ابوك وضربت على قفاك
يعني عائشة رضي الله عنها وانا يومئذ تام وانت لا حاذ وقال شاعر يذكر مارا

شرد النوم فما آذن به * كذاك من يلقى حر الجلاد
متحوما الخيل يشكو الوجى * تبكيه اكمام من حداد
من كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

فصل من احتجاج الفرسان عند ملاقاة الاقران في اوان روع الحرب بغير ضنا بسام الفرق

قال الله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقال علي رضي الله عنه
اذا اطلت الفناء حلت الفناء بر وقال ماذن بن مسعود الشيباني الحزم انجى
من الغدر والثكل الحظ وان الجبان حتفه من فوقه وقال السكامة في كافوام والحال
في الاحجام انشد الحماسة لقطري بن الفجاءة

لا يركنن احد الى الاحجام * يوم الوغى متخوفا لحمام
فلقد اراني للرماح دريئة * من عن يميني تارة وامامي

حتى خضبت بما تحدر من دمي * اكناف سرجي او عنان لجامي
ثم انصرفت وقد اصبت ولم اصب * جذع البصيرة قارح الاقدام

وقال ابو بكر الصديق لخالد بن الوليد رضي الله عنهما حين اخرجه لقتال اهل الردة
احرص على الموت توهب لك الحياة وقالوا اذا انقضت المدة لم تنفع العدة
وقال علي رضي الله عنه ان الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيم ولا يفوته الهارب
ان لم تقتلوا تموتوا الا وان اشرف الموت القتل وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

يا نفس ان لم تقتلي تموتي * ان تسلمي اليوم فلن تفوتي * او تبتلي فطالما
عوفيت

وقيل لبعضهم لو احترست فقال كفى بالاجل حارسا وقالوا
الشجاع موقى والجبان ملقى وذلك ان المقتول مدبرا اكثر من المقتول مقبلا
وانشد بعض الشجعان تاخرت استبقي الحياة فلم اجد لنفسي حياة مثل ان اتقدما

اقول لها وقد طارت شعاعا * من الابطال ويحك لن تراعي
فانك لو سألت بقاء يوم * على الاجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الحرب صبرا * فما نيل الخلود بمستطاع

ومر رجل من الطاعون الى النجف وكان بالكوفة فكتب اليه شريح القاضي
اما بعد فان الفرار لن يبعد اجلا ولن يكثر رزقا وان المقام لن يقرب اجلا ولن يقلل
رزقا وان المكان الذي انت فيه بعين من لا يعجزه طلب ولا يفوته هارب وان المكان الذي
خلفته لا يعجل امرا الى حمامه ولا يظلمه شيئا من ايامه وان النجف من قدرة
لقريب وهذا الطاعون هو الجارف وكان في شوال سنة تسع وستين وهلك فيه
في ثلاثة ايام ما ينيف الف وعشرين الفا كل يوم سبعون الفا ومات فيه
لانس بن مالك ثلاثة وثمانون ولدا ولعبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله
عنهما اربعون ولدا وانشد بعض الشعراء يذكر الفرار من الحين

افررت في يوم الفرار رجاء * جاوزت حتى انتهيت الى القدر
لو كان ينجي من الردى حذر * فقلت هنا اصابني الحذر

آخر

ماذا اخشيت من الامور مقدرا * وهربت منه فنحوه تتوجه

ولما وقع الطاعون بالكوفة خرج عبد الرحمن بن ابي ليلى على حمار له يطلب
النجاة فسمع منشدا يقول لن يسبقوا الله على حمار ولا على ذي منعة كبار

أو بات الحتف على مقداره * فهو يصبح الف أمام الشارد
ومن كلام الحكماء إذا كان الفر حصنا فالحي من بادر وإذا كان
الموت بكل أحد نازل فالعافية إلى آخر أجل أحمد وكان معاوية بن أبي سفيان
كثيرا ما ينشد في حروبه أكان الجبان يرى أنه * يدافع عنه الفرار الأجل
فقد تدرك الحادثات الجبان * ويسلم منها الشجاع البطل
ويقال من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فهو عاجز الرأي
وأنشدني أبو علي بن رشيق القيرواني
لا تسر خيفة من العدا وتفتل خوف الحمام * وشر ما عشته حياة إذ الذلة وعار
وصف من لا فتى في الحرب الحرب * فكوني نبا كالأرض مجرا في الهرب

أبو الطيب المتنبي يصف منهزمين

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم * إذا رأى غير شيء ظنه رجلا
وقالوا فلان يفر من طنين الذباب وكبير الذباب فلان إذا خاف كان من خوفه
كل مكان كأنه في الهوا فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق
وقال الحجاج يصف هزيمة كالإبل الشوارد إلى أوطانها النوازع إلى أعطانها
لا يلوي الشيخ على بنيه ولا يسأل المرء عن أخيه ذم من ركبه الضعف والجزع
واستولى عليه الخوف والفزع قيل لبشار بن برد فلان يزعم أنه لا يبالي
بالغنى وأعداه والعدا ما ألفا قال صدق لأنه يفر من الواحد كما يفر من الألف
وقالوا فلان إذا ذكرت السيوف لمس رأسه هل هو معه وإذا ذكرت الرماح
جس صدره هل ثقب وكان أسلم في كتاب الجيم حيبا ويقرأ كتاب العسل
الجيا فلان يرى صوت الرياح قعقعة الرماح فلان تقلصت من الخوف
شفتاه وامتقع من الفزع وجنتاه وقالوا إذا نظرت إليه شزرا أغمي
عليه شهرا ومن أمثالهم أجبن من صافر وهو كل من يتعلق برجليه في الشجر
خشية أن ينام فيسقط وقيل غير ذلك وأشرد من ظليم وينوذكر
ونعام ينشد لعمر العبسي صهاه يهجو جبانا
وكم تركوا أسلح من حبارى * رأت صقرا وأشرد من ظليم
محا موكنا به على الجبين تولهم فلان * منشر على الجبهة راغب في كونها

نعم

ذم بعضهم جبانا فقال لو سمعت لذا الحرب لطار لبعضها قبل معناها واسمها
قبل مسماها وقال آخر فلان يرجع يوم الزحف إلى خلفه ويرى وعد
الواحد وهو في العد شاعر يهجو جبانا
لو كنت في ألف ألف كلهم بطل * مثل الجحجاح داود بن حمران
وتغتدي الريح تسري حيث تأمرها * وفي يمينك سيف غير خوان
لكنت أول فرار إلى عدن * إذا تجرد سيف في خراسان
إذا صوت العصفور كاد فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد
والمليح الشائع في الملاحة والإبداع والأخذ بمجامع القلوب من غير دفاع
ولا نزاع قول جرير في بني حنيفة
أبناء نخل وحيطان ومزرعة * سيوفهم خشب فيها مساحيها
قطع الثمار وسقي النخل عادتهم * قدما وما جاوزت هذا مساعيها
لو قيل أين فرسان القوم ما علموا * فلو أمد بحبا زمانا في سواديها
أو قيل إن حمام الموت آخذكم * أو تلجموا في شا قامت بواكيها وقول
ابن عم ولد وأبو حبيل رأيته التيسي إذا ما كلفت يديها في الغلبة
تولى ولم يبال الردى في اتباعه * كأن الردى في قصده هائم صب
عرائحا بها مستعجر الكتب فرعنا * عليه وكم رسل تسل وكم كتب
وما الأسد الضرغام يوما بتارك * فريسته إن زار أو نبح الكلب
حمى ونار الكرب تلفح قلبه * وما الروع إلا أو تفاخر الكرب
مضى من أشطى الرور ونفسه * على نفسه من سوء كفوية أرب
فجعى الشيء حتى كفى من كان جامعا * بريق السطري إن فتلته الغرب
وقالوا فلان أفر في الحرب من بني العنبر ومن هشام مستطعم الماء على النبي
فأما بنو العنبر فهم الذين يقول فيهم من أبيات الحماسة
لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد * ليسوا من الشر في شيء وإن هانا
يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن إساءة أهل السوء إحسانا
كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس إنسانا
وأما مستطعم الماء على النبي فهو خالد بن عبد الله القسري وسنذكر أمره

في الجبل الا ان شاء الله والكل منه شي، مجيء به جبار فوق الطي ماج في بني تيم

، ولو انا جرعونا على كثير قتلنا ، رأته قتيل يوم حرب فوتيه ،

، ولو جمعت يوما اتيا جموعها ، على ذروة معقوفة لاستقلت ،

، الفصل الثاني من الباب الثاني عشر في ذكر موقعة ،

، يوم اللقاء، خوف الحوبة ورجاء النقاء ،

قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم نزلت هذه الآية فيمن فر من المسلمين يوم أحد
قال ابن إسحاق خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد ومعه الف فانخزل
منهم عبد الله بن ابي ابن سلول وكان رأس المنافقين ومعه ثلث الناس ورجع الى
المدينة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه سبعمائة رجل وخرجت قريش
في ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فارس فلما التقى الجمعان ونزل الله نصره وحميت
الحرب واشتبك القوم بالضرب وأبلى المسلمون في الكافرين بلاء عظيما ونودي
يومئذ لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وقتل حمزة بن عبد المطلب
عم النبي صلى الله عليه وسلم قتله وحشي غلام جبير بن مطعم وهو يومئذ أسد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل مصعب بن عمير وكان حامل راية رسول الله
صلى الله عليه وسلم قتله قميئة بن قميئة فرجع الى أصحابه وهو ينادي قتلت محمدا وصرخ
صارخ الا ان محمدا قد قتل والصارخ هو ابليس لعنه الله فانجفل المسلمون
وكثر القتل فيهم وتفرق جمعهم عنه الا رجالا تقتل ممن كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحميهم فأصاب العدو منهم نكاية حتى خلص الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقذفه المشركون بالحجارة فأصيبت رباعيته وشج
جبينه وكلمت شفته ودخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته فانتزعهما
ابو عبيدة بن الجراح بفيه فسقطت ثنيتاه فسال الدم على وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمسحه بيده وقال كيف يفلح قوم خضبوا بالدم وجه نبيهم
وكان الذي أصابه عقبة بن أبي وقاص وانهزم المسلمون حتى انتهوا الى المنقى
دون الاعوص ومنهم كانوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل فمر كعب بن مالك
برسول الله صلى الله عليه وسلم من الآدمة وعيناه تزهران من تحت المغفر فصرخ

عقيرته

عقيرته يقول أيها الناس أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا فلما
عرفوه تراجعوا اليه وجعل بعضهم يبشر بعضا ثم نهض المسلمون ونزل الشعب
من معهم ونعته بالسلامة بعد الكسر جمعهم ونهض معهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى الشعب فجاء ركم ابي بن خلف فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحربة وطعنه بها في عنقه فرجع الى قومه وهو يقول قتلني محمد فمات بسرف
وهم قافلون الى مكة ووقى على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم طلحة بن
عبيد الله وقاه بيده فشلت اصبعه وجرح اربعا وعشرين جراحة وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أوجب الحي طلحة وكان يوم احد يوم السبت النصف
من شوال سنة ثلاث من الهجرة واستشهد فيه من المسلمين خمسة وستون رجلا
اربعة من المهاجرين وما بقي من الانصار وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا وفي
تلك السنة ولد الحسين بن علي وذو الفقار كان لسليمان بن داود عليه
السلام اهدته اليه بلقيس مع ستة اسياف ثم كان لمنبه بن الحجاج فأخذه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قتل يوم بدر ومن كسبه من ملاقاه بعراج
جوره ما تبعه الجيش وكان نمرا عن نقصه مصوطا من زجاج مختلفة الالوان
والاصباغ ودنانير من ذهب مكلبة بالذهب مثل خلاخل من ذلك
اوزنا بين العصور على الارض فما شغل الناس بجمعه فيجا بنفسه
ومن الجبناء حسان بن ثابت الانصاري ذكر ابن قتيبة في كتاب المعارف انه
لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا قط قالت صفية بنت عبد
المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معنا حسان في حصن فارع يوم
الخندق مع النساء والصبيان فمر بنا في الحصن رجل يهودي فجعل يطيف
بالحصن فقلت يا حسان انا والله لا آمن ان يدل علينا هذا اليهودي
أصحابه ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد شغل عنا فانزل اليه واقتله
فقال يغفر الله لك ما انا بصاحب شجاعة قالت فلما قال لي ذلك
ولم ار عنده شيئا اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت اليه فضربته بالعمود
حتى قتلته ثم رجعت الى الحصن وقلت يا حسان انزل اليه واسلبه
فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال ما لي بسلبه من حاجة

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اثيرا

يا ابنة عبد المطلب وكان حسان أشبه في فعله بهذا الشاعر في قوله

فإن تشجعني منه ما علمته ... أن الشجاعة مقرون بها العطب

لا والذي منع الأبصار رؤيته ... ما يشتهي الموت عندي من له أرب

للحرب قوم أضل الله سعيهم ... إذا دعتهم إلى نيرانها وثبوا

ولست منهم ولا أبغي فعالهم ... لا القتل يعجبني منهم ولا السلب

وعاش حسان مائة وعشرين سنة ستين في الجاهلية وستين في الإسلام

ولأيمن بن خريم في هذا المعنى ما أخذه من الاستهزاء بالخروج

ما لي ومال الشر كلفتني شططا ... حمل السلاح وقول الدارعين قف

أمن رجال المنايا خلتني رجلا ... أمسي وأصبح مشتاقا إلى التلف

أرى المنايا على غيري فأكرهها ... فكيف أمشي إليها بارز الكتف

أخلت أن سواد الليل غيرني ... أو أن قلبي في جنبي أبي دلف

أخذ قوله فكيف أمشي إليها بارز الكتف من قول بعض الأعراب وقد قيل له اخرج إلى الغزو فقال أنا والله أكره الموت على فراشي فكيف أمشي إليه ركضا ولما دخل هذا الشاعر على المعتز قال له أنت الشاعر الذي قال يا أمير المؤمنين لو بجسمي سواد كما بقلبي ما ذكرتني أبا دلف عندك والفرار السلمي

واسمه حسان بن الحكم بن مالك من بني عوف معروف في الجاهلية بالفرار وهو القائل في فراره

وكتيبة لبستها بكتيبة ... حتى إذا التبست نفضت لها يدي

فتركتهم نقص الرماح ظهورهم ... من بين منعفر وآخر مسند

ما كان ينفعني مقال نسائهم ... وقتلت دون رجالهم لا تبعد

ومن عامر بن الطفيل يوم الرقم وهو يوم كان لغطفان واطلاعا على بني عامر ومن حاجب بن زرارة بن عدس الدارمي يوم جبلة وكان على بني تميم ومن عمرو بن معدي كرب عن عباس بن مرداس والسراقة رجلا منه ومن عتبة بن أبي سفيان يوم صفين ومن عمرو بن العاص من علي يوم صفين فاتبعه علي فلما لحقه عمرو أبدى لكشف عن سوءته تدرأ عنه ومن عبد الله بن مطيع بن الأسود يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة المري وهو القائل في فراره لأهل الشام مع عبد الله بن الزبير

أنا الذي فررت يوم الحرة ... والحر لا يفر إلا مرة

فاليوم أجزي فرة بكرة ... لا بأس بالكرة بعد الفرة

ومن أسلم بن زرعة الكلابي يوم آسك من أبي بلال مرداس بن أدية الخارجي وكان أسلم في ألفي رجل وكان أبو بلال في أربعين وكان أول من أمر في الإسلام وكان إذا ركب بالبصرة صاح به الصبيان في الطرق أبو بلال خلفك ومن عبد الله بن عمير الليثي من قتال النجدية في البحرين وكان وجهه حمزة بن عبد الله بن الزبير فكان يعيره ابن المنتشر في القصة وفيه يقول الفرزدق تمنيت عبد الله أهلا بأحوق جملا التعنيف القوم وليث سائلنا

تمنيتهم حتى إذا ما لقيتهم ... تركت لهم قبل الضراب السرادقا

فلا عصيت ما تفعل الحليلة بعلها ... وكنت حبارى إذ رأيت البواشقا

فلم يزل مستحيا من الخروج حتى ولي أمية بن عبد الله بن أسيد بن خالد بن أسيد من الخوارج يوم مرداتج فوجد به أسوة مطلع ومن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد من الأزارقة وكان معه امرأته إحداهما من بني ليث بن كنانة والأخرى أم حفص بنت المنذر بن الجارود فجعلت الأزارقة تنادي من يساوم فقطعها رجل من الخوارج فقتلها وسبيت أم حفص وأقيمت فيمن يزيد فبلغت مائة ألف درهم فوثب عمرو بن حريث بن عبد القيس فقتلها غيرة وذلك أنها كانت من أجمل النساء فأتي به قطري فقال له ما حملك على ما فعلت قال رأيتها كادت تفتن على المسلمين فخلى سبيله ثم إن قاتلها تعرض ذلك فأتى أحد أهل الحكم فقال له جزاك الله خيرا ما أغنيت عنا العار وأمر له بعشرة آلاف درهم وفي عبد العزيز يقول كعب الأشقري

عبد العزيز فضحت جيشك كلهم ... وتركتهم صرعى بكل سبيل

ما بين مقتول يجود بنفسه ... وملحب بين الرجال قتيل

هلا صبرت مع الشهيد مقاتلا ... إذ رحت منتكثا بالأصيل عويل

ساغل بعد سلوان تفادي سيبة ... تشكو البلابل بعدكم وعويل

ومن أخوه خالد بن عبد الله يوم الجحيف بالأهواز وذلك أن الأزارقة اغتنموا غفلة مصعب الذي في عنهم بالكوفة وكانوا بالأهواز فبادرهم خالد

بأصيل

ثم مضوا إلى عبد الملك بن مروان، فلما بلغ مصعبا الخبر أقبل من الكوفة إلى البصرة
فبعث خالد منها إلى الشام وحيدا، وفي ذلك يقول الفرزدق:

فكان في السودان فرّ وفرّ من ... فلم يبق إلا من نجا باستيه خالد

فبعثتم أمير المؤمنين وأنتم ... فمرون سودان غلاظ الشواعر

ومن الجبناء الحجاج بن يوسف الثقفي، دخل شبيب بن يزيد الخارجي
الكوفة سحرا ومعه غزالة زوجته وستون فارسا، والحجاج بالكوفة
في قصره مختفيا منه، فحلفت غزالة على شبيب أن تدخل المسجد الجامع
وتصلي فيه، فعلم الحجاج فجعل ثم خرج ووجد ذلك، يقول عمران بن
حطان الخارجي يخاطب الحجاج:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

صدعت غزالة قلبه بفوارس ... تركت مدابره كأمس الدابر

وممن كان يجبن في الحروب ولا يقاتل الحجاج وأبو مسلم الخراساني من عواقب مكائد
الأمراء وخبث الغوائل، قال الجاحظ عمن حدثه أن الحجاج كان إذا
التقى الجمعان ذهب عنه اللون وبه رعدة ما بانت وما يزول، وكان أبو كعب
مولاه، فوالى بين الجيش حتى تضع الحرب أوزارها، وأما أبو مسلم
فكان ينصب له عند القتال تعريشا يجلس عليه ويسيره من ورائه
فإذا أبصر الصقور والعقور ويجري من ورائهم أشياء أعاد ما
الجبون والصقور وزياد وابنه عبيد الله وأحمد بن طولون، ومن الكيّ في
ما يحكى أن البحتري شرب مع أبي هفان عند بعض الرؤساء، فلما خرج ركب
البحتري بغلته وأردف أبا هفان خلفه، فلما كانا ببعض الطريق
قال أبو هفان: يا أبا عبادة، من الذي يقول:

يلبس للحرب أثوابها ... فقال: أنا الشاعر البحتري

فلما رأى الخيل قد أقبلت ... إذا هو في سرجه قد خري

ثم صفعه البحتري من خلفه وقال: يا ماص بظر أمه تتشاعر وأنت جهور الشعر
لأبي هفان ارتجالا، قاله على سبيل المداعبة، ومن مليح ما أخبر المتنبي قوله

وإذا

وإذا ما خلا الجبان بأرض ... طلب الطعن وحده والنزالا

نوادر من أخبار الجبناء . في مواطن الحروب والبلاء .

حكي أن عمرو بن معد يكرب مرّ بحي من أحياء العرب فإذا هو بفرس مشدود ورمح
مركوز وإذا بصاحبها في وهدة من الأرض يقضي حاجته، فقال له عمرو: خذ
حذرك فإني قاتلك، فقال: بالتعب أبيه، وقال له: من أنت؟ قال: أبو ثور
ابن معد يكرب، قال: وأنا أبو الحارث، ولكن ما أنصفتني، أنت على فرس وبيدك
رمح وأنا في وهدة، فأعطني عهدك ألا تقاتلني حتى أركب فرسي وآخذ حذري،
فأعطاه عمرو عهدا إلى أنه يخرج من الموضع الذي كان فيه، وجلس محتبيا بحمائل
سيفه، فقال له عمرو: ما هذا الجلوس؟ فقال: ما أنا براكب فرسي ولا مقاتلك،
فإن كنت نكثت العهد فأنت أعلم بما يلحق الناكث، فتركه ومضى وقال:
هذا أجبن من رأيت. وقال روح بن حاتم: لا بد لي من أن أخرج مع مقاتل
ومعه عشرة آلاف درهم، فقال:

إذا عود بروح أن يقربه ... إلى القتال فيشقى بي بنو أسد

إن البراز إلى الأقران أعرفه ... مما يفرق بين الروح والجسد

قد حالفتك المنايا إذ صمدت لها ... وأصبحت لجميع الناس بالرصد

إن المهلب حب الموت أورثكم ... فما ورثت حب الموت عن أحد

لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها ... لكنها خلقت فردا فلم أجد

وحكي أن مروان بن محمد حارب الضحاك الحروري، فلما التقى الجمعان خرج
فارس من أصحاب الضحاك يطلب البراز، فقال مروان: من يخرج إليه وله
عشرة آلاف درهم، فقال أبو دلامة: أنا، وخرج، فلما صار بإزائه رأى
رجلا طويل القامة عظيم الهامة وعليه فرو قد أصابته السماء فابتل
وأصابته الشمس فيبس حتى صار كالقنفذ يحمل فيه السيف، فلما رآه الفارس
جرى إليه وهو ينشد: وخارج أخرجه حب الطمع ... فر من الموت وفي الموت وقع
من كان ينوي أهله فلا رجع، فجاء أبو دلامة فلوى جواده على ما
وأخذ موضعه في الصف كما أخذ الحوت في البحر، فقال
مروان: من هذا الفاضح؟ لا أقال الله عثرته، فقال أبو دلامة: من ويحك أنا

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الله خير من قتل عمه الله واسم أبي دلامة زند بن الجون وقيل زيد بن دنابة الجوهري
واسم أمه الجون وقال عمرو بن هبيرة لأبي دلامة أخرج من الحرب فقاتل وخذ الرمح فقال
فرمى في زنجه فقال حتى تقاتل فقال إن أبي أجاري منيتي موجلة ومنيتي معجلة
والله ما أفعل فقيل له دعني أن تغزو العدو فقال إنا لا أعرفهم ولا
يعرفوني مكنه مثل ما أعطى وقيل وقع في بعض العساكر هيعة فوثب خراساني
الى فرسه ليلجمها وبيده عليه فجعل اللجام في الذنب وقال للفرس كف العرف
متى جبهتك عرفت فلا عينك كيف كانت وحرامية بن عبد الله بن خالد
بن خالد بن أسيد من أهل قرية فقال رمى الجسر الى القجمة في ثلاثة أيام من كي
عنك في بعض الأيام الخيل فقال سرت من أهلها الى القجمة في ثلاثة
أيام فقال له ما أخرجك جلابيه ولو ركبت الضبير وردت اليها في يوم واحد
واجتاز كسرى في بعض حروبه بشيخ فرعون فرسه ونزع سلاحه وهو مستكل
بشجن فقال يا مقتولا يتلي أنا في كرب الحرب وأنت على مثل الحالة فقال الشيخ
أبى الله الأمر أنا بلغت هذا السن باستعمال هذا التوقي وقال المهلب لحبيب
ابن عوف وكان من جند في قتال الخوارج كن على العدو وخذ ما يتخذه منك
فأوما بين الى رأسه وقال أخاف أن يزعب رأس الرمال والنشر
، يقول لي الأمير بغير نصح تقدم حين جد بنا المراس ،
، فما لي ان أطعتك من حياة وما لي غير هذا الرأس راس ،
وحكي ابن حبيب في كتاب المحبر أن حبيبا خرج على المهلب بن أبي صفرة فأنشد
، فغفرانك يا مهلب من أميري ، أما ترى بيننا لي الشفيعي ،
فقال المهلب لم تجوعه من الله الذي لا بد لك ما في رأي فيك الحروب بنفسي
فقال حبيب إنا نكره افتقاد حياة النساء فقال المهلب أو ليس من قال داود
، إذا المرء لم يغشر الكريهة أوشكت ، حبال المنايا بالفتى أن تقطعا ،
فقال حبيب ضحى العيش والرعة ولا غنيا ضمن الحياة بالسعة شمر
أنشد ما قاله حيس من أبي جرير يوم مرة أهجي
، جرت لكم بالقوم حوبي ومورتي ، ونحيي وما جازت بزادي من الثنى ،
، فلما تناهى الأمر في وعودكم ، الى مجيئي وليت أعداكم حميم ،

وكيف

، وكيف ولم أجعل ملامة عاجز ، بغنيم باكرام ارء بنية الشر ،
، ولو كان في رأسان أحملت واحدا ، لكان رأسي بنى وابتغي أخر ،
بعد ما منه ثم التفت الى من حضر مجلسه وقال بئس من اعلنها قائل لا أحواء
وقيل لامرأة إذا رأيت سوادا بالليل فافرح وكم تعرى منه فلانة فيا لحلية
كأنها بها فقال أخاف أن يكون ذلك السواد يسمع مثل المقالة فيقتلني
وقيل لعكرمة بن عبد الله لم لا تخرج فتقاتل مع علي رضي الله عنه فقال لو
كان في نفسان فرمت احداهما فإن أطاقت الحرب اتبعتها الاخرى
ولكنها واحدة نظم بعض الشعراء هذه الكلمات فقال ،
، ولو كان في رأسان أدخرت واحدا ، والجاعلان بعد الدابر ،
، لأقدمت في الهيجاء اقدام باسل ، ولن أحميا بالرمع السرائر ،
، ولكنه رأس إذا ما قصرته ، وما رفع يوما عليهم بجابر ،
ولبعض في هذا المعنى وهو مما ينسب لأبي دلامة
، ألا لا تلمني ان فررت فانني ، أخاف على فخارتي أن تحطما ،
، فلو كان في نفسان كنت مقاتلا بأحداهما حتى تموت فاسلما ،
، ولو كان في رأسان اتلفت واحدا ولكنه رأس إذا زال أعقما ،
، وأيتم أولادا وأرمل نسوة ، فكيف على هذا ترون التقدما ،
ودخل جبير بن الأرقم على الحجاج فأنشده قصيدة شعر يحتال في صفة
الحروب فقال له الحجاج أراك تحسن صفة الحرب أفما قاتلت الابطال
وما بلت الأخيار فقال لا أدري ما الذي في النوم قال وكيف كانت
فقال انتبهت وأنا منهزم فضحك منه ووطئه
صفات من بذل ثباته في المجاج وخبر بالعزم وفرقة عين الذي فراح
قال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال عليه السلام
نصرت بالرعب مسيرة شهر وقالوا فلان من خوفه يحسب كل صيحة
عليه وكل من يشير اليه بالأخرى فلان تخوفه الصفات الصلاح فكيف
سموع كلام وقال شاعر
، ما زلت أحسب كل خيل بعدها خيلا تكر عليهم ورجالا ،

كأن بلاد الله وهي عريضة ، على الخائف المطلوب كفة حابل
كأن بلاد الله في ضيق خاتم ، عليه فما تزداد طولا ولا عرضا

ومما شاع من أخبار من المشهورين في كتاب الأذكياء أن رجلا كان يتعشى فسا، وكان يرى عنترة من الشجعان فقام عنترة يوما بارد افتخا نه فصحوبه جاء نذل الخيل فإنه مزعورا وما زال يفركه حتى مات فقال ابن عيينة كان حاتم بن عبد الله الخثعمي من أجبن الناس وأخوه مجرح عليه النعمان بن سعيد فأخبر بذلك عبد الله فقال الكعبة ماءة وادركوني فقد هلكت عطشا وتراعى الشيء هاربا ، وفيه يقول يحيى بن نوفل

بل الثرى ويل من خوف ومن وهل ، واستطعم الماء لما جد في الهرب

وقد قال الحجاج بن حكيم على عبد الملك بن مروان والأخطل عنده فلا جرى به الأخطل فقال يعرض به لا يبلغ الحجاج ما سولت له ، بقتلى أصيبت من سليم وعامر ، فقال الحجاج : بلى سوف تبكيهم بكل مهند ونبكي عميرا بالرماح الشواجر ، ثم قال يا ابن النصرانية ما كنت لتجترئ على قتل عمرو ولكن ما شرا الله منه فخرج الأخطل خزيا منه وجزعا فقال له عبد الملك أنا جارك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتني منه في اليقظة من يجيرني منه في النوم أخذ هذا المعنى أشجع السلمي فقال في قصيدة يمدح بها الرشيد : وعلى عدوك يا ابن عم محمد ، رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا انتبه رعته وإذا غفا ، سلت عليه سيوفك الأحلام

الفصل الثالث من الباب الثاني عشر فيمن ليم على الفرار والإحجام فاعتذر بما يبعد عنه الملام

سمع سليمان بن عبد الملك قارئا يقرأ لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا فقال ذاك القليل نريد وقال الوليد بن عقبة لعثمان بن عفان يقول لك عبد الرحمن بن عوف لم يهرب قط ولا أنا بغائب يوم أحد ولم أتخلف يوم بدر فعرض به فقال أما فراري يوم أحد فلا تعيرني به فإن الله قد عفا عني فيمن عفا عنه وأما تخلفي يوم بدر فإني كنت أمرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى

حتى ماتت فأخبر عنه بذلك ، ونظرت امرأة حماس بن قيس البكري المعروف بالغارة وقتال الكتائب وهو يصلح حربة يوم فتح مكة وهو يقول

إن تقبلوا اليوم فما لي علّه ، هذا سلاح كامل وألّه ، وذو غرارين سريع السلّه

فقالت فما تصنع بهذه الحربة قال أعدها لمحمد وأصحابه فقالت ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شيء فقال والله إني لأرجو أن أخدمك بعضهم ثم خرج فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وانهزم المشركون يوم الخندمة ولّى حماس حتى دخل بيته فقال لامرأته أغلقي الباب فقالت له وأين ما كنت تقول فأنشد يقول

إنك لو شهدت يوم الخندمه ، إذ فر صفوان وفر عكرمه
إذ لحقتنا بالسيوف المسلمه ، لهم نشيج حولنا وهمهمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه ، ضربا فلا نسمع إلا غمغمه
لم تنطقي باللوم أدنى كلمه

ويحكى أن كسرى أبرويز لما انهزم من بهرام جوبين واستجار بملك الروم فبعث معه على انهزامه وأمر أن يستنيب أربعا منهم شجاع يعد بألف فبارز بهرام فخرج بهرام لمحاربته فلما تلاقى الجيشان برز الشجاع لبهرام فضربه بهرام بالسيف ضربة فرقه بها نصفين فلقيه كسرى وانتزع إلى ملك الروم وقال الناس بعد أبلى رجل يغره مثل هذه الضربة ، وحكى الطرطوشي في كتابه سراج الملوك أن مثل الضربة لم يسمع بمثلها في جاهلية ولا إسلام وأن سيف الأمير كانت معلقة في كنيسة من كنائس بلاد الروم وكانوا إذا عيروا بالهزيمة من تلك الوقعة قالوا لقينا رجالا هذا ضربهم ، ويحكى أن أبا زبير الطائي واسمه حرملة وكان نصرانيا عالما بسير الملوك راويا لأخبارها وأنسابها وأشعارها فحضر يوما عند عثمان بن عفان فقال له يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض شعرك في الشجاعة فقد أنبئت أنك جيد الشعر فأنشده قصيدة له يصف فيها الأسد حتى يقول

عبوس شموس مصلخد خنابس ، جريء على الأرواح للقرن قاهر
منيع ويحمي كل واد يرومه ، شثن براثن الأظافير مكابر
براثنه شثن وعيناه في الدجى ، كجمر الغضا وجهه للشر كاشر
يزل بأنياب حداد كأنها ، إذا قلص الأشداق عنها خناجر

قبلانه عثمان تعلو مراده من الله تعالى ومرض من شجاعة منه وقال له قاتلك الله نعتا
تركي أن لا تسرو ما الخطة لأحبائنا معا ربا فقال كلا يا أمير المؤمنين ما أنا بجبان ولا
هراب ولكن رأيت منه منظرا أفظعني وشيئا غير أشياء هابني ذكي بتجرئه عليه
وتخصه يتمثل عيني قال مثل كان ذا الله فما أخرجت من قلبي حصباي مع أشياء هي
الحرب بن أبي الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فأخرج ركبانا أشيبه وعمارة العلية
حين عطشت الإبل فروأه وذبلت الشفاه وغاضت عنا السيول وأدركت الجوزاء الجبهة
وحميت الصحراء ومر الجندب وطابت العصفور النصب وجاءت الشرة الى القطا وإذا فنا
فرأينا أقوادا كثيرة الدعاء اين الشمال الأشجار مزينة وأشياء مغتنة فقلنا ميلوا بنا
الى أن ركبه الى دوح هذا الوادي فحللنا ثم حططنا رحالنا بأصول دوح كالمهاد فأصبنا
من فضلات الزاد وتتبعناها بالماء السلسبيل البارد وأخذنا نصف يومنا وتركي
مكاوته وما هالته فيها غركزا الله اذ صوت أقصى الخيل ثم مزين أذنيه وفحص الأرض
بيديه ثم مالت أن حمحم وجال وحمحم ثم بال فتضعضعت الخيل وتكعكعت الإبل
وتقعقعت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا أنه قد أتينا فجردنا
أسحارنا فإذا أسبع فرأيناه يتقاعس في مشيته كأنه يجاهشني أو يخبط هرشا
وعيناه الحمراوان كأنهما شررتا بحاجبه تغيران وكشر عن ورد مغبة كأنه مجبوب وبيكه
بعينين كأنهما مشبوبتان له خطيط وتصرك تعنيه وشبلا عيبه غبشة وبرائن وبيض
وكدرسا عنه نفيخه وهامة كالمجر وخد كالمسن وسناعدان مجرورتان وعضدان
مفتولتان وكف شثن البراثن كالمحاجر مفرج بين بيته الأرض بالرحب وكفى
فأجمع عراقيب كالمعاول محمومة لا كليلة ولا مفلولة بجمع أشرعها كأنه الغار
الأخرى ثم نقها بلا شرع بيديه وجمع الأرض تورك به رجليه حتى صار ظله مثليه
ثم أقعى فاقشعر وزمجر ثم زأر زأرة زأر ثم زمجر ما كعمر ثم محكلا ومر للسماء
عرشه ويحار الأرض سلطانه ما تنفيناه الا باخ من زأره كأنه فخم الحراك فأخفى
بتوقيه وتحفظه وتخضخض متنه ويغي بطنه وجعل يلغ من دمه ما تنخر منا عليه
فجمجعنا به مكي راجعا بزارته كأنا بها حشيناها حوتنا واختلس من بيننا رحلة أخي
أعجز ذا أمر فقبضه قبضة تزايلت منه مفاصله ثم نظر عن يمينه وشماله فجلت الأبدي
بتطلب من نعت فجونه ما رتعت الأيدي وأمسكنا الأضلاع وأرتجت الأسماع

ونزلت

ونزلت الا رجال جمعنا العبرى وانخرطت الشنون وانتصفت الغمر بالأب
بالشعوب ونسارت الظنون فقال له عثمان أكفف وأيلك والله لقد رعبت
قلوب المسلمين ونحن نعتقد نعتا فعجبت أن يثب علمي وراءه ونحن وصحبه حتى كانه
انخلع البنيان من مواثنيه ونحن تركت الناس لا يستبين بين أوله وآخره وكان أبو
زبيد هذا نصرانيا ومن ذكي علماء الرواة بأشعار العرب وأخبارها من الحكاية
بالطول مما اقتصصناه لكن استغنينا بالقليل منها عن الكثير ولكن دللنا على الغرض المقصود
في ذكر الأسد بالتصريح من صفة التشنيع والهول الفظيع فيبلغ في لحم اعتذار عن مهربه
مقتضى أدبه فلا يلام بكر بنا نزكي على اقتحام حاجة اقتصرنا على الفاحشة منها لا الحاجة
ومما أخبرنا من الجبناء في اعتذاره لما ارتج عليه انهزامه ومن فرار
الحارث بن هشام وكان قد شهد بدرا مشركا فانهزم فجمع حسان فقصيدة ينكر فيه
فيها فيقول فيها ان كنت كاذبة الذي حدثتني فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام فأجابه الحارث
الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهري بأشقر مزبد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي
وشممت ريح الموت تلفحني في مأزق والخيل لم تتبدد
فصددت عنهم والأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مفسد
وانشرحت الا اعتذار بعض ملوك العجم فقال له يا معشر العرب نعرف بلغتم
بالكتابة التثنية وحسن احتجاجكم وجميل أوطانكم فبلغ الأمر بكم حتى
اعتذرتم عن العار بنحو ربيع بحركم الاعتذار به لكل منهزم وذلك قول الحارث منزلته
ثلاث عشر كلا أبدا هو وهو كان من عمر أسرته فرية بالشام وفيها قبر أبو عبيدة
ابن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم وقيل إن عبد الله بن علقمة الجنبي لقيه تبوء
عبس بيوم بلاء الله أم الحصين فقر عنهم فعيره بلام الله فقال يعتذر
اجاعلة أم الحصين خزاية علي فراري أن لقيت بني عبس
لقيت أبا شاس وشاسا ومالكا وقيسا فجاشت من لقائهم نفسي
جرية دعواهم وعود ابن غالب أولم يبت جامعات تلقيهم نفسي
كأن جلود النمر صبت عليهم اذ جعجعوا بين الاباءة والحبس

وقيل لبعضهم لم انهزمت فقال انا في نفس واحدة وانا ضعيف بالنفخ اليه سبلا
فيذهب راس المال وقيل لآخر عد الى مراتك فقال الحرب سجال وعثر الله به فقال انهزم
بعضهم باخوانهم في بوجه وتعيبه على مراره وقال العقبة بيرك ولا كلهت ولا
هربت فقال لا يشتمني الامير وانا حي خير من ان يترحم علي وانا ميت وقيل لآخر
وقد فر في حرب وذليل تركت يغضب الامير عليك قال يغضب الامير علي وانا حي
احب من رضاه عني وانا ميت ومن اغاليطه معاذير المسكنين والكاذبا
اشتاكيهم المتبكتة ما ذكره صاحب كليلة ودمنة من ان الحازم يكره القتال
ما وجد بدا منه لان النفقة فيه من النفوس والنفقة في غيره من المال والتقى
عسكر في بيس بي هزمة وعسكر الى شبر مولي في بيس منهم ما صبر العراق
النجاة فقصر بعض احياء العرب فقالت له عجوز من محلة ... في جيبك فقال
في بيوت لي وقالوا من جبن سلم ومن تقدم قتل وقال عبد الله بن المقفع الشجاعة
مثلمة وذلك ان المقتول مقبلا اكثر من المقتول مدبرا فمن اراد السلامة
فليؤثر الحزم على الشجاعة وقيل لجبان لم لا تقاتل فقال عن السكان تجلب الكبش
الادعم وقالوا الحياة افضل من الموت اذا كانت النجاة والحياة طالبة على
ان موتا في عز خير من حياة في ذل وقالوا العار في ... وقالوا العار في
وفيه خير من الجلد والثبات في غير وقته وقالوا الشجاع ملقى والجبان موقى
وقالوا السلم ازكى من الطعان وابقى للنفس والرجال وقال المتوكل لابي العيناء
اذ كم بين من ساقد فقال يا امير المومنين الكي بين ذو وجرى والجبان والبين
والمرام وفيه له شاعرهم ومو البريع الهمذاني
فاذا ما ... كالشجاع ولا فلا ... كالعاجز المتواني

الفصل الثالث في العفو وفيه ثلاثة فصول الفصل الاول من فصل
الباب في مدح من اتصف بالعفو عن الذنب المتعمد والصفح

قال الله تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم وقال تعالى فمن
عفا واصلح فاجره على الله وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقال مسلما
عثرته اقاله الله عثرته يوم القيامة وقال عليه السلام ان العفو لا يزيد العبد

الا عزا فاعفوا يعزكم الله ويروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اذا كان
يوم القيامة وجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر
نادى مناد من تحت العرش الا من كان له حق على الله فليقم فلا يقوم الا من
عفا عن جرمهم وفي كتب اخرى ينادي مناد يوم القيامة الا من له اجر على الله فليقم
فيقوم العافون عن الناس ويروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ما من
امام عفا عن مقدرة الا قيل له يوم القيامة ادخل الجنة بغير حساب وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من عفا عن كظم غيظ او كف عن مظلمة فاجره على الله ومن كان اجره
على الله فهو من المفلحين يوم القيامة وقال معاذ بن جبل لما بعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال في ما زال جبريل يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله
لظننت انه يوصيني بترك الحدود وقيل لابي الدرداء من اعز الناس قال الذين
يعفون اذا قدروا واذا ما استنصر قدروا وسئل بعض العلماء وفي سبيل عنه فقال
هو ترك المكافاة عفوا لغير ذنوبه وفعلا وقال اخر هو السكون عند
الاحوال المحركة للانتقام وهو مجمع اشرف الخلال واجمل فضائل الجلال
واعلا مراتب الكمال وركن فيه ومن صبر من استغرابه واعتبر عليه استار
للانفع وامر من عثرات العقوق وعطر من مواضع السوء ويكفي في شرفه ان الانسان
لا يسمى حليما حتى يكون عاقلا عالما محتسبا صبورا وحتى يجمع عقله
الى سعة الصدر ويكون طبيعة ومن يكون مكتسبا مستعدا دائبا النفس
عليه وتنقاد هيبة الحيرة اليه وقالوا الحليم من لم يكن حلمه لغير الشرع
وعن الغرض وهو غير بنى في ان نفسا بنصحها واجب الاحسان بصدر عن صدر
سالم من الغوائل واله دواء طاهر من شوائب الاكدار واما من لا تستطع
بنفع وتمكن ولا تترك بتحقيق وتنزل كما قال ابو الطيب المتنبي

واذا الحلم لم يكن في طباع ... لم يحلم تقادم الميلاد

وبعض هذا ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للاشج عبد
القيس ان فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة
فقال يا رسول الله اشيء جبلني الله عليه او شيء اختص عنده من قبل نفسي
فقال شيء جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذي جبلني على خلق يرضاه الله

ورسوله وقال الفقهاء لهذا المذهب الحلم بالتحلم كما ان العلم بالتعلم واستدلوا
لهذا القول بما يحكى عن جعفر بن محمد انه كان اذا اذنب له عبد اعتقه فقيل
له في ذلك فقال اذا رأيتهم يعلموني فانا اتعلم الحلم وقيل كان له عبد سيئ الخلق
فقال ما نفعا مثل هذا اعبدك وانت قادر على ان تستبدل به غيره فقال اتعلم به الحلم
ومن ذلك قول الاحنف بن قيس من لم يصبر على كلمة سمع كلمات وانشدوا

وفي بيت الحلم للمرء راضيا ، اذا هو عند السخط لم يتحلم
كما لا يتم الجود والمرء موسر ، اذا هو عند الفقر لم يتجشم

ومن احسن الكلام القصار من الحكماء في شرف الحلم ومن تخلق به من العقلاء
ما قالوا الحلم والاناة توأمان ينتجهما علو الهمة ومن ذلك ما روي عن علي رضي الله
عنه انه سأله رجلان من اهل فارس عمن كان احمد ملوكهم سيرة فقال انوشروان فقال
فاي اخلاقه كان اغلب عليه قال الحلم والاناة فقال علي هما توأما الملك
ينتجهما علو الهمة الاناة تزيل العجلة فلا تنتقم من العدو قال
ابراهيم بن عباس الصولي

من يورد البحر اقواما وان كثروا ، حتى يزلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة ، لا صفح ذل ولكن صفح احلام

وقال قابوس بن وشمكير العفو عن المذنب من واجبات الكرم وقبول المعذرة من
محاسن الشيم ومن كلام النبوة كاد الحليم ان يكون نبيا وقال الحكيم نزهة من ملك
فقال ابيه الملك ليس التاج الذي تفتخر به عظماء الملوك فقط ولكنه
الوقار المكلل بجواهر الحلم واحق الملوك بالبسطة من حلم عند كثرة السقطة
وقال معاوية لابنه يزيد عليك بالحلم والاحتمال حتى تمكنك الفرصة فاذا
امكنتك فعليك بالصفح فانه يدفع عنك معضلات الامور ويوقيك مصارع
المحذور وقال الشاعر لا تحسبن الحلم منك مذلة ان الحليم هو الاعز الامنع

ان من عود الغيظ فاجرعه لهم ، توجر ونجر عقب ما تتجرع
ان الحلم ذل انت عارفه ، والحلم عن قدرة فضل من الكرم

وقال معاوية افضل ما اعطي الرجل الحلم فانه اذا ذكر ذكر واذا اعطي شكر
واذا اساء استغفر وقالوا العفو زين حالة من قدر كما ان في الحلم فيه

العفو وقالوا من صبر على تجرع الغيظ وكظمه لم يجن من فعله ثمر الندم وقالوا
الحلم هيبة وسكينة تبلغ راكبها ناحية النجح وتلك ناحية النجح وقال الشاعر

اذا شئت يوما ان تسود عشيرة ، فبالحلم سد لا بالتسرع والشتم
فللحلم خير فاعلمن مغبة ، من الجهل الا ان تشيب بالظلم

وقالوا الحلم حجاب الآفات وقالوا من غرس شجر الحلم اجتنى ثمر السلم قال بعض
البلغاء من غرس الحلم شجرا وسقاه الاناة ماء اجتنى العز منه ثمرا وانبت
المكارم ازهارا وقال عليه الصلاة عمر بن عبد العزيز ما قرن الله شيئا الى شيء افضل
من علم الى حلم ومن عفو الى قدرة وقال حكيم العفو خير الامور عقبى وخير العفو
ما كان عن قدرة ، العفو يعقب راحة ومحبة ، والصفح عن ذنب المسيء جميل
وقال عمر بن عبد العزيز انما استرعوا العفو من الله فالعفو عن الناس والرحمة
بهم والشفقة عليهم وقالوا اعف عمن يظلمك من ينقصك لم ينل حتى يأخذ من
رجال كم يغفوا ويروى عن عيسى عليه السلام انه قال ليس الاحسان ان
تحسن الى من احسن اليك انما تلك مكافأة وانما الاحسان ان تحسن الى من
اساء اليك قال شاعر اخفض جناحك للقرابة والقهم بتودد واعف لهم ان
اذنبوا ، ومن الكرام اذا الكبير بزلة ، فالصفح عنهم والتجاوز اصوب
الا ان حلم المرء اكرم نسبة ، تسامى بها عند الفخار كريم
فيا رب هب لي منك حلما فانني ، ارى الحلم لم يندم عليه حليم

من جمع بالعفو عن خطأ الجاني وصار بالاناة عليه كان فعل الجاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حلبي رضيا وما عفو ما يغيب ويسمح
ويعفو ويصفح وكان كسرى يقول عفوي عمن اساء الي بعد قدرتي عليه
اسرني مما ملكت وكان معاوية يقول اني لاكره ان يكون في الارض جهل لا
يحمله حلمي وذنب لا يسعه عفوي وكان يقول ما وجدت لذة الذ عندي من غيظ
اتجرعه ومن سفه بالحلم اقمعه وكان المأمون ممن اوتي الحلم كثيرا
ومنح العفو طبعا لا تطبعا كان يقول انه لا يستحق العفو حتى اعلم ان
لا وجه عليه ولو علم الناس محبتي في العفو لتقربوا الي بالذنوب فكأنه القائل
بلسان كرمه وانما قاله لا بلسان نطقه وفعاله

وجهل رددناه بفضل حلومنا ... ولو أننا شئنا رددناه بالجهل
رجحنا وقد خفت حلوم كثيرة ... وعدنا على أهل السفاهة بالفضل
لعمري إني عفوت لجاهلي تحلمي ... وتركت ذاك له على علم
فرأيته أسدى إلي يدا ... لما أبان بجهله حلمي

وكان يقول ليس في الحلم مؤونة ولوددت أن أهل الجرائم عن جوار الله في الحلم حتى يذهب عنهم الخوف فيجعلوا في قلوبهم كما يقول المذنبون ثلاثة فمنهم من ذنبه مغفور بعذر كمن أتى ما كان عنه وأخرجه سلبا منه ومنهم من ذنبه قباحة وعذر غير واضح ومنهم من لا اخ له ومن لا تؤمن منه بالله ومن به أن يقال إذا اعترف بالحوبة وأظهر التوبة ومنهم المتردد في هفواته والمتكرر في عثراته الجارية عادته أن ينقض التوبة إذا تاب ويعيد في عذر الإنابة حتى آب فهذا الذي يعاقب بالإكراه وهو يجمع من شخصه بلا فلاح وكان أسماء بن خارجة يقول ما أتاني أحد بمكروه إلا أخذت عليه بثلاث خصال إن كان فوقي عرفت له فضل التقدم واتبعته وإن كان دوني فيه صنت نفسي عنه وإن كان مثلي تفضلت عليه فنظم محمود الوراق معنى الكلمات في عدة أبيات فقال

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن عظمت منه علي الجرائم
فما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم
فأما الذي فوقي فأعرف فضله ... واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فإن قال صنت عن ... إجابته عرضي وإن لام لائم
وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

وقال الشاعر في مثل هذا

إذا كان من يليك بجهله ... أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
فإن كنت أدنى منه في العلم والحجا ... عرفت له حق التقدم بالفضل
وإن كان مثلي في محل من النهى ... أردت لنفسي أن أجل عن المثل

وقال الماوردي وجدت الحسن إلى عبد الله ولواسا إلى عبد ذي صحبة عنه أكرم ماله فكيف لا أصفح عن عبد مسيء مولاه عنده وكان يجري أسر الحمراء

فما كنت من كنت إلا كنوع خلاف ... ليسمع موالي في الإخوان من شاني

بجنى

فيجني الخليل فأستحلي جنايته ... حتى أدل على عفوي وإحساني
يجني علي وأحنو صافحا أبدا ... لا شيء أحسن من حان على جاني

وقال رجل للأحنف بن قيس في مشاجرة وقعت بينهما إن قلت كلمة تسمع عشر كلمات فقال الأحنف لكنك لو قلت عشرا لم تسمع واحدة وقيل للأحنف من أصلح إنك أزمعت معاوية فقال معاوية في مجلس فأنا أعلم ولا أفوز فكيف أعاش به قال سعيد بن العاص ما شاتمت أحدا منذ صرت رجلا لأنه لا يشاتمني إلا أحد رجلين إما كريم فأنا أحق أن أحتمله وإما لئيم فأنا أولى من رفع نفسي عنه

وما نال من يسعى بجد عظيمة ... سفاهة وبنوه من سفاهته كرم
أخو الجهل يرمي بيني وبينهم ... ستحملهم مني على مركب وعر
أعود على ذي الجهل والحلم منهم ... بحلمي ولو عاقبت غرقهم بحري
أناة وحلما وانتظارا لأمهم غدا ... وما أنا بالواني ولا الضرع الغمر
ألم تعلموا أني تخاف عرامتي ... وأن قناتي لا تلين على الكسر

ومما اخترناه وانتقيناه من غرر المدائح المنقولة فيما يغضي عن المسيء الفادح مدح أعرابي رجلا بالحلم فقال إنه إذا أذنب إليه استفرغ مكانه الذنب وإن أحسن إليه اعتد ذلك الحسن قال الحسن بن رجاء في المأمون

صفوح عن الإجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي أن يكون به الأذى ... إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما
فيعفو عن الذنب العظيم وليس يجزي انتقاما
فيجازي الباغي عليه ويرى أنه به اعتزازا

وقال أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي من أبيات

وإذا الجناة المرء قال له انتقم ... فاتت خلائقه الكرام بل احلم
أشجع من الجو الغريق به جنة ... وفضيلة لسواك لم تتفرم
أحنى لعروة البرى لوانه ... أدنى إليك بفضل جاهل الجرم

ومن أبيات تقيم من يسبك مجيح عرضه ويعفو عن الذنب على علم كأنه بأن يؤتى مولاه ذنب امرئ أعظم من جنايته

الفصل الثاني من الباب الثالث عشر في فضل الاعتذار وقبول الاعتذار

ديمح

الاعتزار

وتنصّل إليه فلم يجب فلو لعلم مار من الصفح الشنيع بلا اعتذار وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لم يقبل عذرا من متنصّل صادقا كان أو كاذبا فلا يرد على الحوض
وقالوا الكريم أوسع ما يكون مغفرة إذا ضاقت بالمسيء المعذرة. قال الشاعر

إذا اعتذر المسيء إليك يوما ... من التقصير عذر فتى مقرّ
فصنه عن عتابك واعف عنه ... فإن العفو شيمة كل حرّ

وقال توبة المذنب إقراره وتشفيع المجرم اعتذاره. قال الشاعر

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا ... إن برّ عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من يرضيك ظاهره ... وقد أجلّك من يعصيك مستترا

وقالوا لا يعظم الجرم إلا مع الإصرار ولا يتبين العفو إلا عند الاعتذار
وقالوا الاعتراف يهدم الاقتراف. وقال الشاعر

إن للاعتذار حظا من العفو ... بزال المغيظ فيه انتصاب
وبعض تعذار أجلك من جاءه ... مغفرا بزلته فيه اقتراب

وقالوا ما أذنب من اعتذر ولا أساء من استغفر. وقال الشاعر

إذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا ... إليك ولم تغفر له فلك الذنب

وقال محمد بن شبيب إذا الأطغى يعفون والأكابر يعفون. كتب بعض
الشعراء إلى رئيس يعتذر إليه من ذنب اقترفه

اغتنم زينة تحلّى بفضل العفو عني ولا يفوتنك أجري
لا تكلني إلى التوسل بالعذر لعلّي أن لا أقوم بعذري

ومن دعاياهم مواقع الإلحاح وما يعتذر منه ومواقع الإلحاح وما يشبه الذي
المطلوب إنكاره وإن كان عندك اعترافه فما كل من أسمعته نكرا تتجاوز توسعه
منك عذرا ومواقع الإلحاح وتلك بين العذر فإنه تركيب بلا ذنب. وقال الشاعر

إذا كان وجه العذر ليس ببيّن ... فإن اطّراح العذر خير من العذر

ذكر من فرّ من الشرور وتعففا واتقى الله ورب البنية وتشبّعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك أن أهل مكة كانوا يؤذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة بالقول حتى نزلت ... وسلام ومجون
وغير ذلك من السب والشتم وتعرضنا بذكر ... فكانوا يغضبون لكنايته

في نفسه وأهله ونكثوا إذ أتيح له قتالهم وفي أحد مثّلوا به ودبت رهون بالمجان
شجّوا جبينه وكسروا رباعيته ووضعوا الشوك في طريقه ونثروا الكرش على
رأسه وقتلوا أعمامه وعذبوا أصحابه وألّبوا عليه وأخرجوه من أحب البقاع
إليه وقتلوا عمه حمزة وبقروا بطنه ومثّلوا به حتى إذا فتح الله عليه مكة تملّى
بربه ودخلها بغير حربهم وظهرت فيها كلمته على رغمهم أخذ بعضادتي الكعبة
وقام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وشكره على ما منحه من النصر وقال
لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال
ما تقولون وما تظنون أني فاعل بكم فقال سهيل بن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا
أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول لكم كما قال أخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء. لما
ظفر أنوشروان ببزرجمهر وكان قد نزل به من البحث قال الحمد لله الذي جعل ذنبه
نال كان من أعطاك ما تحب فافعل ما يحب فعفا عنه. وحكي عن مسلمة بن نوفل وكان
سيد قومه أن رجلا ضربه ودق ثنيته فأتوه به فقال له ما حملك على ما فعلت
وما الذي استحللت من انتقامه منك فقال الرجل إنا سودناك لأن تنأ وتكظم
الغيظ وتحلم عن الجاهل فقال له إذن آثرت حلمي وكظمت غيظي واحتملت
فخلّوا عنه فقوموا الرجل وهو يقول

تسود أقوام وليسوا بسادة ... بل السيد الميمون مسلم بن نوفل

وحكي أن عبد الملك بن مروان نقم على رجل ذنبا فهرب منه فلما ظفر به أمر بقتله فقال
له الرجل إن الله قد جعل ما أحببت من الظفر فاجعل ما أحبه من العفو فإن الانتقام
عدل والتجاوز فضل والله يحب المحسنين فعفا عنه. وأتى بعض جلسائه عليه
ما يكره وجفاه ثم دعاه إليه بعد أيام فجاء إليه ... صاحب القول نعيتا
فقال له متى اعتللت فقال ما مسني سقم ولكني جفوت نفسي من جفاء الأمير
فاستحسن ذلك منه وعفا عنه. وقال الأصمعي أتي المنصور برجل يعاقبه
على شيء بلغه عنه فقال يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل
ونحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ
أرفع الدرجتين فعفا عنه. وقال المنصور لجبار بن عمر أعزّ ما هزا

الموجوع وقد عمرتك فكيف لسنا فقال يا أمير المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة
ولكنه موقف توبة والتوبة تليق بالاستكانة والخشوع والذلة والخضوع
فرق له وعفا عنه وسعي إلى المنصور برجل من ولد الأشتر النخعي ذكر عنه الميل
إلى آل أبي طالب والتعصب لهم فتقدم بإحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين
ذنبي أعظم من نقمتك وعفوك أوسع من ذنبي ثم قال

، فهبني مسيئا كالذي قلت ظالما ، فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل ،
، فإن لم أكن للعفو منك لسوء ما ، أتيت به أهلا فأنت له أهل ،

فعفا عنه وأتى المنصور برجل أذنب فقال له يا أمير المؤمنين إن الله أمر بالعدل
والإحسان فإن أخذت في غيري بالعدل فخذ في بالإحسان فعفا عنه وأتي
الهادي برجل فعل ما أنكر عليه فجعل يقرعه ويهدده ويوبخه ويتوعده فقال يا
أمير المؤمنين اعتذاري فيما تقرعني عليه رد عليك وإمساكي عن الاعتذار يوجب ذنبا لم أجنه ولا
كني أقول ، فإن كنت ترجو في العقابة رحمة ، فلا تزهدن في العفو منه في الأجر ،
ولما خرج إبراهيم بن المهدي على عبد الله المأمون عند ما عهد لعلي بن موسى الرضى
وولاه العهد بعده وأمر الناس بلباس الخضرة فكره أهل بغداد ذلك وبايعوا
إبراهيم ولقبوه بالمبارك وذلك في سنة اثنتين ومائتين فأقام سنة وأحد عشر
شهرا وأياما فخطب له ثم دخل المأمون بغداد في صفر في سنة أربع ومائتين
وهي السنة التي مات فيها الشافعي وعليه الخضرة فاختفى إبراهيم ولم يظهر
إلى سنة عشر فلما ظفر به المأمون أوقفه بين يديه وقد اجتمع في مجلسه وجوه أهل بيته
كتاب دولته وخاصته ووزرائه وأمرائه وقواده فاستشارهم في أمره
فكلهم أشار بقتله وكان فيهم أحمد بن خالد ساكت لا يتكلم وقد تبين معهم في
شيء من ذلك فقال له المأمون ما لك لا تتكلم فقال يا أمير المؤمنين كم قتل
مثلك مثله ولم يعف مثلك عن مثله ولأن تكون أوحدا في العفو أفضل لك
من أن تكون شريكا في العقوبة فأعجب المأمون كلامه وعفا عنه ويروى أنه
لما مثل بين يديه قال له ما حملك على اجترام ما أتاه الذي حقيقا فقال الذنب
ترتيب الحقيقة وولي الثأر محكم في القصاص والعفو منك أقرب وقد جعلك الله
الله فوق كل ذي حلم كما جعل ذنبي فوق كل ذي ذنب فإن تعف فبفضلك وإن تعاقب

فبعدلك

فبعدلك وإنه وإن كان ذنبي أعظم من أن يحيط به عذر فعفو أمير المؤمنين أعظم من أن
يتعاظمه ذنب فقال المأمون قد رأيت وما تريد بأنه حقيق لك في العفو
عن خطيئتك والصفح عن جليل جرمك وأقالتك العثرة وأعادك على نعمتك وقال

، لما رأيت الذنوب جلت ، عن المجازاة في العقاب ،
، جعلت منها العقاب عفوا ، أمحض من الخوف للثواب ،

كان أبو نواس قد غلب عليه حب الأمير والانهماك فيه والإلحاح حتى قال
فيه ، عذب ملبسي وحل أمولي بي ، أخاف من كد فيأتي مواهبي ،
، إذا انعكفت متواتر لست تمسك راسي على كاس محتسي ،
فاتصلت هذه الأبيات بالمأمون فقال أمن يقال فيه هذا يجاهر بسكره
خليفة المسلمين فبلغ ذلك الأمين فأمر بقتل أبي نواس حيث وجد فتشفع
فيه فأمر بحبسه وبعد أن يكون ورقة وبعد أن يجلد أبو نواس عن له وكتب عليه
بالعجم ، فبت أستجير من الردى ، متعوذا أن سهو بالمنية ،
، وحياة رأسك لا أعود لمثلها ، وحياة رأسك ،
، من ذا يكون أبا نواسك إن قتلت أبا نواسك ،
وكتب تحت الأبيات إذا قرأ أمير المؤمنين الرقعة يمزقها ثم قال للغلام سر إلى
دار الخليفة فإذا أتيته فادفع الرقعة لأمير المؤمنين فإذا دخلت على الخليفة
الكشف رأسك بين يديه مكتوب فجعل الغلام ما أوصاه به فلما قرأ الأمين
الأبيات ضحك وقال ما أقبحه وأكذبه وأمر بإطلاقه. وحكي عن إبراهيم
اليزيدي قال حضرت مجلس المأمون وهو على شراب مع ندمائه وأكرهني حتى
شربت فكلمني بكلمة فقال الشكر فأجبته جوابا قبيحا وأنا لا أعلم لما أخذ
الشراب مني وغلبة السكر على ما علمت بذلك فعرا شعرا ما انصرف المجلس كتبت إليه

، أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ، ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو ،
، ثملت فأبدى مني الكأس بعض ما ، كرهت وما إن يستوي السكر والصحو ،
، تنصلت من ذنبي تنصل ضارع ، إلى من لديه يجمل العفو والسهو ،
، فإن تعف عني أله فضلا وإن تكن ، إلى عقوبة منك مني الخطو ،

فلما قرأها المأمون رقعته قال قد عفونا عنك فإن مجلس الشراب يطوى

انتهى حل ... محمد والد

فأمر فيه فقال بل وقع على الرقعة انا مجلس ابنوا من ثيابك للمودة بينهم وضعوك
جاءوا التقوا الى ما ارادوا من حديث ودنية رفعوك

حكى الزبيدي في كتاب طبقات الشعراء له وغيره ان يحيى بن الانداس كان يؤدب ولد
بني يوسف بن منصور الحميري قال الحمدي وقال الحسن بن سهل للمامون في رجل سعى
عنده في فقال بكيف اصبه لم يه مزن عليه وعفا عنه واحضر اليه رجل قد
اذنب فقال له انت فعلت كذا وكذا قال نعم انا ذاك الذي اسرف على نفسه
واتكل على عفوك فعفا عنه وقال الصولي ما كان في الخلفاء احلم من
الواثق ولا اصبر منه على اذى وكان يتشبه بالمامون فمما ذكر عنه انه
كان يعجبه غناء ابي حشيشة الطنبوري فوجد المسرور الخصي من ذلك
حسدا فكتب في رقعة بيتين فجعلها في دواة الواثق وكانت الرقعة صغيرة لا تبرح
وانعوا ان كتب رقعة فيسل فيها حاجة من الواثق فغلطها واعطاه الرقعة
التي فيها البيتان فقرأها فاذا فيها

من المسرور في دار لا فتى الى المسرور في الغيرانا طلبه شوميا كهل بنشغى
وكان على اصري عيني الواثق بياض واخذ الله نعمى المسرور فلما قرأها علم انها
فيه فقال له من غلطك في رقعة الحاجة فانتزع من شكلها ورد بها اليه وفتح
حاجته ولم يتغير له عما كان عليه ولما قتل المتوكل يحيى بن المغيثي
العلمي البجي وكان قد خرج عليه في سنة اربع وثلاثين ومايتين فلما
وقع بين يديه وهو مكبل قال ما حملك على ان خرجت علي وانت لا ذو مال
وكان ومعه من الى جمال فقال الشقوة والجبر بالامير المومنين وانت الحبل
الممدود بين الله تعالى وبين خلقه وانه بين قبضتين اسبقهما الى قلبك اولى
من الحزم ثم انشد

ابى العفو الا ان البوح منازل امام الهوى والعفو بالله اجمل
وما انا الا جبلة من خطيئة وعفوك من نور الخلافة يجمل
فنضالك في عز عفوك فلننة فمن بعفو سيدي فيها بعفو اقبل
وانك خير الناس بغير التقى ومن شد ارضي الجماهير يفعل
فلم يعد فيس وعله وخلع عليه وامر له بصلة ويحا الحسين بن الضحاك

المستنصر شرها فاح من فيه الى ديس بن صرفة ثم عاد الى بغداد مستخفيا
وكتب الى المستنصر يستعطفه نوله جرائم العبيد لم يشغلهم حلم المولى
وقراتيته مستجيب ابحوده من سخوتك وجلالة نعمتك موقع على رقعته
لو غربتنا رقة العفو مع عظيم الجرم احتفا راتبا لعفوا عنه فكى منه ثم
تلقى لهذا وقد رهنة لم يزك الموربه ومثلها وهي ما حكي عن محمد
ابن حميد الطوسي انه كان يوما على غدائه واذا بضجة عظيمة على الباب فرفع
راسه وقال لبعض غلمانه ما هذه الضجة من كان على الباب فليدخل فخرج
الغلام وعاد وقال يا مولاي ان فلانا اخذ وجيء به موثوقا بالحديد
والغلمان والشرطة ينتظرون امرك فيه فرفع يده من الطعام مسرورا بلغني
فقال رجل ممن كان حاضرا اعزك الله الحمد لله الذي امكنك من عدوك فسبيلك ان
تسقي الارض من دمه وقال اخر بل يطلب حيا ويعذب حتى يموت ونكلم
كل احد بما وسع له وهو ساكت مطرق ثم رفع راسه وقال يا غلام
فك عنه وثاقه وادخله الينا مكرما فادخل اليه رجل لا دم فيه مطلا
فلما راه هش له ورفع مجلسه وامر بتجديد
الطعام وجعل يباسطه ويلقمه حتى انتهى الطعام ثم امر له بكسوة جميلة
وصلة حسنة ورده الى اهله مكرما ولم يعاتبه بجرمه وامر على حبانيه ثم التفت
الى جلسائه وقال لهم ان افضل الاصحاب من منعك المخاطب على الكبائر
ونهاك عن ارتكاب المآثم وحسن لك ان تجازي الاحسان بضعفه ولا تساء
لمن اساء اليك بمثله انا اذا جازينا من اساء الينا بمثل ما اساء فاين موضع
الشكر فيما اتيح من الظفر انه ينبغي لمن يحضر مجالس الملوك ان يمسك الا عن قول
سليم وامر رشيد فان ذلك ادوم للنعمة واجمع للالفة ان الله تعالى يقول
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر
لكم ذنوبكم. واحسن منها ما كتب به الفتح الى عبد الله بن كامل عاتبا انا الله
وايا الاخر كانت في قلبي عليك فمالها غير ما لا افتراء عليك لك وقربتنا
في قلبي عليك حزازات اخاف عليك منها عنو نقض الجبال انك مني
الدكتاب استخرجها منه فلا تقوم وحسبك معرفة ما انا عليه لك

الجلاء في ايام عمل ما في ضميره وقد احسن الله ما شاء الذي تم اساءته واسبل
عمر بن عبد العزيز ستر الله عليه في يزيد بن المهلب وذلك انه بلغه ان حمزة بن بيض الشاعر
هجاه فاحضره وامر بتجريده وضربه وكانت عليه حلة ديباج كان المهلب وهبها
له فجعل ينزعها فامر بتخريقها فلما عزم على ذلك دعا يزيد بيمينه بشعبيه فقال
له وجيه ما الذي تقول قال قلت

، تعمد ما الديباج خرقت وحده ، ولكنما خرقت جلد المهلب ،

فاطلقه واعتذر اليه ووصله ولما ظفر الحجاج بابن عبد الرحمن بن الاشعث
وكان قد خرج عليه وخلع عبد الملك بن مروان فامر بضرب اعناق الجند الذين
ظفر بهم معه حتى اتى على رجل من بني تميم فقال ايها الامير والله لئن اسأنا في
الذنب لما احسنت في العقوبة فقال الحجاج اف لهذه الجيف اما كان فيهم
من يحسن مثل هذا وامر باطلاق من بقي وعفا عنهم ومن اخبار الحجاج في
العفو عن [illegible] ما حكي انه لما ظفر بعامر بن [illegible] مع
جماعة من الخوارج الصفرية وكان حانقا عليه لبسالته وشجاعته ونكايته
في اصحابه فقال يا غلام اضرب عنق ابن الفاعلة فقال عامر يا حجاج بئس
ما اثنيت به على اهلك ابعد الموت غاية استعطفك بها ما يوم [illegible] عليك
اضعاف ما قلت فاستحيى الحجاج منه وقال له اصبت موضع الصنيعة فقال
اجل فامر له بفرس وسرج ورمح وخلا سبيله وقيل انه لما صار الى اصحابه
قالوا له عد الى قتال الفاسق فان الله اطلقك فقال هيهات غل يدا اطلقها
واسترق رقبة معتقها وقال

، أأقاتل الحجاج عن سلطانه ، بيد تقر بانها مولاته ،
، اني اذا لأخو الدناءة والذي ، عفت على عرفانه جهلاته ،
، ماذا اقول اذا وقفت ازاءه ، في الصف واحتجت له فعلاته ،
، اقول جار علي لا اني اذا ، لأحق من جارت عليه ولاته ،
، تالله ما كرت [illegible] ، وجوارحي وسلاحها آلاته ،
، الكبرى وعلى [illegible] ، وعليه رحمة ربه وصلاته ،
، [illegible] ، نار [illegible] ،

وتحدث

، وتحدث الاقوام ان صنائعا ، غرست لدي فحنظلت نخلاته ،
، ابت الحزامة ان اكون مقابلا ، [illegible] ،
، [illegible] ، [illegible] ،

نع كلمة بن ابي جعفر المتوكل المبعوث بالوثائق على [illegible] بن عبد
الملك متوقعا بين يديه وانشد

، يا بني هاشم بن عبد مناف ، لكم [illegible] ،
، [illegible] ، [illegible] ،
، [illegible] ، [illegible] ،

فعفا عنه ووصله وكان المهلب بن ابي صفرة [illegible]
[illegible]
قال ، [illegible] ، [illegible] ،
، انه جنيت [illegible] ، [illegible] ،
، ولقد جمعت من الجنون فنونه ، فاجمع من الصفح الجميل فنونه ،
، من كان [illegible] ، [illegible] ،

فعفا عنه واعاده الى عمله قال ابو الفتح محمد بن [illegible] كنت بالسيرجان
مع الوزير ابي غالب الحسن بن منصور الملقب بذي السعادتين فانفق ان
شربت عنده يوما بعسكر مكرم فسقطت منه سبحة [illegible]
[illegible] ربابها لم تنحرف لهم توضعا ته عليها ومن جملتها [illegible]
[illegible] با فعل الخير من [illegible] والذي ابلغ من جاز الشرف
، [illegible] ، [illegible] ،
[illegible]
باخذ السبحة [illegible] جميع ما فيها ووضع على [illegible]
[illegible]
[illegible]
الى السبحة وجعلها [illegible] من الحراة [illegible]
الى [illegible] ما [illegible] اذا وانا

العشر ها سمع من سي محمد والده

من رضا به ربه سمع في شكر اهل صنيعة فقال في تعقيب على الرقاع قلت هذا بيسا
الوزير ثم تركت ما كان في الاوراق فتصفحت عرضا واشتغل قلبي لما وجدت فيها
بخطه فنهضت الى الرقاع فتأملته وعدت اليه فشكرته واعتذرت مما وجد
فقال لا تعتذر فانا نستخفه الى النفع واجبا ولم نراع كاتبا و حكى
محمد بن هلال بن المحسن الصابي في كتابه الهفوات عن الفرج الرملي الكاتب قال
قدم علينا المعز بن الحسين الربعي مع الوزير ابي القاسم العلاء بن الحسين
الى الاهواز وكنت انا والكاتب الى نكتا وخليفة العلاء فبعث الى المعز
يطلب منه بغلة مسرجة ولم تكن منزلته عندي منزلة من اراعيه فرددت الرقعة
مع رسوله ولم اجبه عنها ثم انه بعث الى الرقعة وعلى ظهرها مكتوب

عسى سائل ذو حاجة ان منعته ۝ من اليوم سؤلا ان يكون له غد
فانك لا تدري اذا جاء سائل ۝ انت بما تعطيه ام هو اسعد

فأعدت اليه الرقعة من غير جواب كما فعلت اولا وخرج الربعي فاصابه ...
العلاء ووزر الربعي وكنت انا في المتولين الاعمال كثيرة فانظر الى من
استصحبني الشيرازي ووردت عليه وانا لا اشك في قتلي او القبض علي لما
تقدم مني فلما قعد بين يديه واكرمني وافتقدني بما ابتدأ فمضيت برهة
من الايام وانا من فعله متعجب ولا استطيع ان اكلمه في امر ايام فقلت من
مجلسه منهى ما تبيعني الحاجب وقال الوزير يريدك فدخلت عليه بم ان اطلب
ريب في القبض علي بل اقعد خاليا اذ رفيع ما يومى به مني فلما خلا مجلسه
استدعاني واخرج الي بعض رقعة كلاما فجعلته وعاد ومعه الرقعة بعينها
بمسلمها الي فلما رايتها وددت ان الارض ساخت بي وقرات فيها بيتا
يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لا تراع او بعثنا على سوى
فعلك حتى لا تستحقر بعدها امرا وتقف من مراعاة العواقب وتكن
هذا الفعل لا علانية فهربا ثم خلع علي ووطئني وردني الى عملي و اخبر هذا
اشار بعض الحكماء البلغاء في التحريض على اصطناع الكرام الصفح عنه
من امرا رهم الا بان في قوله احسن الى كل من له سابقة في الادب
وسابقة في الفضل ولا تزهد فيه سوء الحاجة منه واها بار الدولة عنه

بانه لا تخلو في اصطناعه من ان تكون احسنت اليه من قصر حظه فلطف رفعها او مكرمة
حسنة تزيد في حقها فان الدهر ... كما يكبر والدولة فضل شكر تؤدي ومن رد ع
خير اصطراعا وما اصطنع من استدعاء شكرا وانشد

وعزم الى المعروف ونعمة ۝ فليتك اذا ما جاءك المجتنى كاتب
ولا تنقص ذا حاجة جاء راغبا ۝ فانك لا تدري متى انت راغب

والجبن في منزلة الغني قول القائل

لم تخف امر الركاب ذا اقعد ملكه ۝ وضيع من الامواج فورا اسا
بنا شرح جعونا لم تلج ... ۝ اسلانا عرفنا طردا تاروسا

عرفنا والعود احمد قال ابو الصقر اسماعيل بن بلبل قبل وزارته للمعتمد
على ما عن خاطره في وزارته وفي المجلس ابو العباس بن ثوابة فقال طاهر
عن الاجل فقال ابو الصقر انفق ... فقال ابن ثوابة في احتراز
فتضاحك انا ابن ... فخجل ابو الصقر ... ولما ولي ابو الصقر الوزارة دخل
عليه ابن ثوابة فقال تالله لقد اثارك الله علينا وان كنا لخاطئين
فقال ابو الصقر يا ابا العباس لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين. ومن ... ابو محمد بن ... الشاعر ... فاخرجت يوما الى
بركة الحبش ... متنزها في ايام الربيع حين اخرجت الارض زخرفها
وازينت ومعي الة شراب وكتاب وكانت تلك عادتي في كل سنة فجعلت
اشرب وانا ... كتابا في ... فلما كان ... وقلبي
في استخدام الهوى اخرجت في اذن ... وانا قبل ما ذا انا امشي
واذا ابصار ... شيخ ... لا يبين من وجهه غير عينيه فسلم وقال
مرابي افضل الشيوخ فقلت في نفسي احمد الاجل ومن يرى معي ما تنعت
فاذا ... فقلت ...
اصلحك الله فضحك وانصرف ولما كان ... ايام ... خلت الى ...
تكرم حاجة ... وامر بابه درهم وقال من هو ...
ذا الحلال فعلمت انه الذي ... ما ... وانشد
بلغ ما رام يغشى بنا القلب واسمع ... على ... والهجع

منها ما حكي أن رجلا جعل له الجعل رغبة على أن يغضب الاحنف بن قيس فوقف الرجل
وبالغ في سبه والاحنف يعرض عنه غير مكترث به مطلقا ولا يلتفت اليه ولا
يرد عليه أقل بعض انامله نزما ويقول واسوأتاه والله ما يمنعه من جوابي
الا هوانه عليه ولعل مثل الحليم من صمت عن سماع الخنا واغضى عينيه
على مضض القذى ومما حكي ان بعض ملوك العرب كان عظيم المملكة
الملكة شريف الهمة كثير النقمة فبينما هو في بيته اذ جاء صاحب مطبخه بصحفة امامه
فوقعت نقطة من الطعام على الثياب فزوى لها الملك وجهه واعرض
عنه اعراض مغضب فرد الطباخ ما في الصحفة بكليتها على الثياب
فقال له الملك ما حملك على ما فعلت وقد علمت ان سقوط النقطة
اضحكت بها قلبي ولم يجرمني تعرف قبح عذرك في الثانية قال استحييت ان يسمع
عن الملك انه استوجب قتلي واستباح دمي مع قولي حرمتي ولزوم
خدمتي في نقطة واحدة اضحكت به بيتي ولم يجري بها قلم ما رءتنا ان
يعتقد ذنب يحسن بالملك فيه وتعذر به قتلي من قبل مثل فعلي فقال الملك
ان حسن منقطعا يتخلص من القتل والتعذيب فليس يتخلص من الناس
اجلوه ما به واطلقوا عليه خلع الرضى وسوغوه انعاما يزيد على
ما انعم مما مضى وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن
عاصم المنقري بينما نحن في داره اذ اتته جارية بسفود
عليه شواء فسقط من يدها على ولد له صغير فمات فدهشت الجارية
واستقلته ذهنها فلما رأى الامر قال لا روع عليك انت حرة لوجه الله
ومن حكاياته انه ادرك الله على كرم نجى القاضية لا بتضعيف اجر ما حكي
انه كان يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه اذ اتي
برجل مكتوف ورجل مقتول فقيل له هذا اخوك قتل ابنك فوالله ما حل
حبوته ولا قطع كلامه حتى فرغ من حديثه فانشأ يقول

اقول للنفس تاساء وتعزية ، احدى يدي اصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه ، هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

ثم التفت الى اخيه وقال يا اخي رعبت نفسك بسهمك وقتلت ابن

اخيك ثم قال له يا بني اطلق كتاف عمك ووار أخاك واحمل الى امك مائة ناقة دية
ولدها فانها غريبة منا وقد ذكر فيه معناه وهو مثل قول من قتل قومه اخاه ولم يقتص من ابنه

وكان قوله: قومي هم قتلوا اميم أخي ، فاذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لاعفون جللا ، ولئن سطوت لاوهنن عظمي

والتعقب عن العفو من الجميع الاعتذار واستعطاف القلوب عند النفار

جرى بين الحسين بن علي وبين أخيه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما كلام وافترقا
متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله كتب الى الحسين بعد البسملة من محمد بن علي الى اخيه
الحسين بن علي اما بعد فان لك شرفا لا ابلغه وفضلا لا ادركه ابونا علي لا افضلك
فيه ولا تفضلني فيه وامي امرأة من بني حنيفة وامك فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولو كان ملء الارض نساء مثل امي ما وفين بامك فاذا قرأت رقعتي هذه
فالبس رداءك ونعليك وسر الي لترضيني واياك ان اسبقك الى هذا الفضل
الذي انت اولى به مني والسلام فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء اليه وترضاه

قال ابو بكر الصولي احسن رقعة كتبت في الاعتذار رقعة كتب بها اخ الى
أخيه الشيخ وكان قد جرى بينهما كلام بعض في الود وكان الشيخ قد اعتذر على
اخيه انا معترف لك بالعبودية مرارا وانت معترف لي بالاخوة فضلا والعبد
يذنب والمولى يعفو ويعفي وقد قال الشاعر

يا ذا الذي يغضب في غير شيء ، اعتب فعتباك حبيب الي

انت على انك لي ظالم ، اعز خلق الله كلا علي

فلما وقف الشيخ على الرقعة هبت عليه منها رياح الاريحية فعطفت منه
على كهف النفس الابية ومضى اليه راضيا واكب عليه باكيا وانحسمت بينهما
مواد الجفا بقبول هادي العذر وازيل معقول العفو واتسع بانتظام الشمل
ومكنون العفو وقع ذو الرياستين الفضل بن سهل الى كاتب من اعتذر الحسين وقال ثنا
نعم انسان بين امرين لم يعجز وبين العجز ثم من قبل اعترته لم تلبث
بالاجابة كامر انا انا اعزك الله كالامة السوداء ان اكلها عليها مرضنا
واما رجعة عنها امسكت وان وقفت بها وجب عليها وان مع عنها فيا حسان
اليها معها عنه وقال العجم ما كتب به بعض البلغاء الى أخيه يستعطفه

انت سليل نبوة وشقيق اخوة اهلها مرسومة وعروة عمادها وثيقة منبى لركن
أوان ونشوز مدة ورضيعا لبان وركيضا امة وغصنا جرثومة وجامس
وكن ومعرا في حجر مكينة تونقة عبر الزهى وتبسم بر المجى وتنبيه غلاء الزناد
والحسود لنا بالمرصاد وكتب اخر الى صديق يستعطفه اعتبت تلوني
واكرتني لك عفو ومتجنيا اصل وكم امرئ لك اصله مغرب لاخاء بالسوء
انفع للغلة واشفى للعلة واسكن للروعة وابرد للوعة والكبد الحرقة
وانفس للعرقة وقال العتبي لا ينبغي عليه من امام من لا يتكل على المعذرة
بل يعتمد منك على المغفرة وقال اخر بدأت تحسن في العفو فاحسن الي فانا ب
الذنب اولى من ان تحسن في العقوبة وقد احسنت في الاعتذار اعتذر اخر
فقال انت بعفوك واستجرت بعجلة فمن حلاوة الرضى واجرني من مرارة
السخط فيما مضى وكتب اخر لكل ذي عفو وعقوبة من ذنوب المخاطبة
مستورة وسيئة منهم مغفورة وذنب مثلي من العامة لا ينبغي وكسري لا يجبر وان كان
لا يجزي عقوبة معاقب بلا عراض لا يؤخذ الا لعلة ولا يعصف في الصفح
الى ميعاده ولكن تحسنوا وقد اساء اخي من ان تسيئوا وقد احسنوا وان كان
الاحسان منا فما احفظكم بكامله وان كان منكم فما احفظكم بالاستتمام

ومن تعجيز ابيات في العفو قال الشاعر

اعط الود عثرته وقبله ، على سنن الصحابي المستقيمة ،
ولا تنزع بمعتبة اليه ، فقد يعفو ويفتقد السليمة ،
اخي اسأت ولم احسن وجئتك هاربا ، وبين لعبد من مولاه محرب ،
يؤمل عفوا انا مار ضارب كفه ، فما احد منه على الذنب اغيب ،
اخي ان كان ذنبي قد احاط بحرمتي ، فاحط بذنبي عفوك المأمولا ،
فلقد رجوت لذا في الذي بيني ، في مثله احرى فللت الشوكا ،
وضللت عنك ملبكري من منصب ، فوجدت حلمك في عليه دليلا ، اخر
يا من اسأت وبالاحسان قابلني ، وجوده بجميع الناس مبذول ،
فرحابة عبرك يا موله من معتذرا ، وانت للعفو من جود وما مول ،
مبس اسات حامل الجود والكرم ، اذ قلدت نحوك لا اعار والندم ،

يا خير من مرت الاحد بياتيه اما ترى لشيخ قد حال عندك الهرم
بالغت في السخط يا مع صفح مقتدر الحلم اذا ما استنجحوا رحم
ان الكرام اذا ما استعطفوا عطفوا والحر يغضب ويعفو ويرحم
والحلم خير وفي الاغضا مكرمة وفي الوفا لاخلاق العفو شيم
علام فيها شيت عن الصبر احرز وفيها يجي فيه كمران العفو تلعا
نحن فرع فرع من اصله عتبنا ونرى العفو منك عظما ومرظا
انت ان كنت من غضب فعلناه من الرجوع ارظ الترضي
لبا في صدورك بيسنا تضى وعم نجيبه ما تقضى
وما بالغ النعلب بالتسبب سوى ما تحب وما تقضي اخر
ما اخشى العفو من انفاد رلاة سيما من فاد رما هر
ان كان لي ذنب ولا ذنب لي فما له غيرك من غافر
جرمة الود الذي بيننا لا تغتفر الا ول بالاخر اخر
اساءة ابيك ثم اساءة عوده اما ان تعفوا من الصفح الجميل
وان العفو من مولى ابن جود به على عثرة تبيل
اركنت تبرا من ذنب فما عطف على تجشر اتبل
اركنت لست بذنب من ع التمام من عقا يبلى وليعفو
العرب جمال بيت الثعالي منحرفا بذنب امر اقسى من العلم مغرما
فما العذر بالعذر ان يبر مذنبا ولا اليه بلادي الذي يبر منجما اخر
وماذا بلت سخطكم با عتذار ولكني اقول كما تقول
فها كل ما بابي عفوك باعتذار ويحكم بيننا الفعل الجميل والاخر
يعني كما زعم الواشون لا رحم ان اساءت وزلت منى القدم
وقد كنا جارا على العهود في حرم ان اجرات طاوبى العهود والكرم واخر
ما انصفتني في طلم الهوى اذا تصف للوجه وعز الرياحين
اخلاط القى الصبا يا سالما حملت اذى الواشين وبي سلاف
والبشر في مرآة وجهك ما له ينعى وانت الجوهر الشيطان ولاخر
بيت شعر وقد قلاد يدك الصبا امثلة الجمال كان مني

فلئن حييت فعند عفا الله وكنت حييت فاعف عني
وكان الناس يقولون إن النابغة اعتذر في قوله شعرا رفع الشعر من أبيات جاء منها
حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذب
فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب
فلست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب
أبو نواس يستعطف الأمين وكتب بها إليه من الحبس
تذكر أمين الله والعهد يذكر مقامي وإنشاديك والناس حضر
ونثري عليك الدر يا در هاشم فيا من رأى درا على الدر ينثر
مضت لي شهور مذ حبست ثلاثة كأني قد أذنبت ما ليس يغفر
فإن كنت لم أذنب ففيم حبستني وإن كنت ذا ذنب فعفوك أكبر اسحاق
الموصلي لئن شط أعظم من ذنب يستوي أملي بعفوك اليوم عن ذنبي وعن زللي
فإن يكن ذا وذاك فما لا بد أعظم من ذنبي ومن أملي

الفصل الثالث من الباب الثالث عشر في
العفو عمن أساء والتقدم من الأشراف سلفا

قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال
تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل فروي أن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول إن في عزة الشاعر لما كان يعرض بمدائح النبي
صلى الله عليه وسلم بلسانه ويحرض عليه فبادر من ليبرق في معلقة فما أسوأ
ابن إسحاق لما أخذ أبو عزة الشاعر يوم بدر وأتي به إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصدق علي ببنات واعف عني عفا الله
عنك فقال نعم على أن لا تعين علي بقول ولا بفعل فعاهده على ذلك وخلى
سبيله ثم إنه خرج مع أبي سفيان يوم أحد فأخذ أسيرا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما أخذ يوم أحد أسيرا فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ألم تعاهد
على أن لا تعين علي بقول ولا بفعل فقال غلبت فتصدق علي ببنات واعف عني
عفا الله عنك فقال عليه السلام إن العفو كله هنا ما مثله مكرمة ولكن لا

يلدغ

لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ثم أمر بقتله فقتل
فمما نقل عن الحكماء من تحريض الحر على مقابلة المسيء بما ينكل المسيء
من لم يتواضع للمحسن إليه وإن كان عبدا حبشيا وانتقم من المسيء إليه وإن
كان حرا قرشيا وقال علي رضي الله عنه الحديد بالحديد والبادي أكرم والشر بالشر
والبادئ أظلم وقال الشعبي يعجبني الرجل إذا سيم هوانا دعته الأنفة
إلى المكافأة وجزاء سيئة سيئة مثلها فبلغ كلامه الحجاج فقال لله
دره أي رجل بين جنبيه وتمثل
ولا خير في عرض امرئ لا يصونه ولا خير في حلم امرئ ذل جانبه
وقالوا من ترك العقوبة أغرى بالذنب ولولا السيف كثر الحيف
وقالوا من قال معجلا إلى الحيف فلا تبخل عليه بالسيف قالوا السفيه
يمتلئ ولا يتواضع ويباري ولا يبارى وقال الموسوي طا
إذا المرء لا يأوي الهوان فأوله هوانا وإن كانت قريبا أواصره
فإن أنت لم تقدر على أن تهينه فذره إلى اليوم الذي أنت قادره
وقارب إذا ما لم يكن لك حيلة وصمم إذا أيقنت أنك عاقره
وقيل لعمر ابن عدي أيسرك أن تدخل الجنة ولا تنتصر ممن أساء إليك فقال
لا بل يسرني أن أدرك الثأر وأدخل مع عون النار وأبو عبادة البحتري
تروم العفاة الحي ود شيمة بعلها إذا أبان دون الثأر سيوف جميعها
ويقال إنما هو مالك وسبقك ما زرع بلاك من شكلك وأحصد بسيف
من كيدك وقال الشاعر فقط العز إخوة البراعة وانتهى بقتل الشهوة سوابغ
الضغائن إن البادي أن توسع حلومها أخزى البلاد ما خيرا في الجزا
وقال المأمون الحلم يحسن بالملوك إلا في ثلاثة أشياء قادح في ملك
ومتعرض لحرم ومذيع لسر وقال أعرابي لابن عباس أتاه على
ضحا هاما إن كلمني رجل فكلمته فقال له العفو أقرب للتقوى فقال
ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل فقال شاعر
إذا كان حلم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أعفى وأروح
وفي الحلم ضعف والعقوبة هيبة إذا كنت تخشى كيد من عنه تصفح

أرى اللين ضعفا والتشجع هيبة ... ومن رأيه يحمل على مركب وعر

وما كل حين ينفع الحلم أهله ... ولا كل حين يرفع الجهل بالفتى

قال الجاحظ من قابل الإساءة بالإحسان فقد خالف الله في تدبيره وظن أن رحمة الله دون رحمته فإن الله تعالى يقول من يعمل سوءا يجز به وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فجازى على الخير بالثواب وعلى الشر بالعقاب وقال الكندي من حمى من تعدى الذنب فلا تحمد دون العفو فإن الأدب رعي والأحرى وقال أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه ... إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

من الكرم في الناس الكرم ... ووقروه ويجلسوه

ومن يسيمهم تيقن عليهم ... وفي جوامد بر خلوه

قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار كما أن من استرضي فلم يرض فإنما هو جبار وقال رجل للحسن بن علي إن فيك تيها فقال ما جعلني في حل فقال ما أحب أن أحل لك ما حرم الله وقال علي رضي الله عنه رد الحجر من حيث جاء فإن الشر لا يدفعه إلا الشر وقال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

احتجاج من جازى السيئة بمثلها من طلب غفران الأمور وقتله

قال ولد كما هو بن عبد الله بن كاظم بن الحسين لما أن تعرضون إليه ابن عم في تحليل أمرهما ضعيف والآخر عليل فهو في أمرهما الضعيف يقوى والعليل يبرأ لعله فيكونان من كيد يوم من شر منهما مكانهما ما أن شيء أعلى مثلهما فيوشي منهما وشر ذليلهما في أعمالهما واعتذر بعض بني أمية فيهم بالصفح عنهم فقال أبو سلام إن الصفح معروف إلى الذين يعرفون الثناء إذا أقصرهم بغيه وأصيب به أهله وأما هؤلاء الذين تظنهم ملوكهم غدرا وأورث ذنوبهم شرا فلم تنفعهم خفايتهم ولا عصبيتهم بواقيهم فالقتل لهم أنجع والراحة منهم أولى فأمر بقتلهم فقتلوا وقال إسماعيل الصلعب بسديف على السفاح وعند سليمان بن هشام بن عبد الملك ومن أدناه وأعطاه بدره فقتله قبلا وأسرته

فقام

فقام بين يدي السفاح وأنشد قصيدة يرثيه بها ويحرضه على قتل من بقي به من بني أمية فأتى منها قوله

يا ابن عم النبي أنت ضياء ... استبنا بك اليقين الجليا

يا وصي النبي الكريم الله ... تعرك للنبي وصيا

لا يغرنك ما ترى من خضوع ... إن تحت الضلوع داء دويا

بطن البغض في القديم فأضحى ... ثابتا في قلوبهم مطويا

فضع السيف وارفع السوط حتى ... لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقام أبو العباس ودخل وإذا المنديل قد ألقي على سليمان ثم جر فذبح وقتل أنفذ، وإن لم يعتقد لها مثال. البرامكة على الرشيد وإراده الإيقاع بهم جعل يتردد في إعمال الحيلة عليهم فتكلم الرشيد يوما في مجلسه بكلمة من العلوم لم يكن يحكى في نوعه هكذا وينشد شعرا في معناها وكان في المجلس من عرفوا إنشاءا يا من العقل الذي كان ابن كانت سببا لا ينقطع عزيمته على قتل البرامكة يقول فيه

ليت هندا أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد

فاستعاد الرشيد هذا البيت مرارا ثم أوقع بالبرامكة بعد ذلك بثلاثة أيام ويشترك في الحفظ الأوسط من الباب الآتي من الإيقاع بهم ما فيه للمتأمل مقنع وللمستخبر مستمتع إن شاء الله ولما رأى المنصور أن أبلغ من قول القائل في قصيدة طويلة ذات معان جمة وفوائد جليلة

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ... ولا يسوغه المقدور ما وهبا

وأحزم الناس من إن نال فرصته ... لم يجعل السبب الموصول مقتضبا

وأنصف الناس في كل المواطن من ... سقى الأعادي بالكأس التي شربا

وليس يظلمهم من راح يضربهم ... بحد سيف به من قبلهم ضربا

والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة ... من قال غير الذي قلناه كذبا

قتلت عمرا وتستبقي يزيد لقد ... رأيت رأيا يجر الويل والحربا

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ... إن كنت شهما فأتبع رأسها الذنبا

بهم جردوا السيف فاجعلهم به جزرا وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
وإن أكن بجانب شيء أو كربت بهم وحبس عني عزمهم غضبا
أفحين نعلو بالبرا فأمنهم ونحن نستعمل الفرات والقربا
وسيف جو لها أراضي بهم جاءوا به أسلا بهم سلبا
لا عجو عن مثلهم في مثل ما صنعوا وإن دكى ذا الكار الطلا والعطبا
فمنهم الغضبان ومجزوع عاد وإنها ما ولوا ملكا فلا عجبا
أن تعجب عنهم بقول الناس كلهم لم يعفهم وكذا عفو رهبا
وإن أحسن من ذا العقول لو ترموا لا كنهم أنفوا من سبعة العربا
لم يتركوا سببا للسيف تعرفه فلا تكن أنت أيضا تاركا سببا
بهم بن الغضبان وملكهم قال وإن هم ولوا ملكا فلا عجبا
أرها ولوا الحلم قال الناس منهم وليس كان مو مثلهم غضبا
إذا وترت امرءا فاحذر عداوته من يزرع الشوك لم يحصد له عنبا
أن لا جماعة وإن كانت ملامسنا عن التقلب في أنيابها العطبا
إن العدو وإن أبدى مسالمة إذا رأى منك يوما فرصة وثبا
واعرضوا بعرضها وأصغر له ضيعا وأبلا نسى العجم والعربا
ايجليون ذمامنا وتغلبهم إلا نفوس موقظ في الورى حربا
على تقبل منهم مرية ومنع لا حصة قبلوا امنا وكذا هبا
جاءوا الكلاب دما عصبة دمهم عن البرية تستشفى به الكلبا
لولم نتر جاز أن تعفوا محاسنهم والليث لا يحسن البغيا إذا وثبا
وقد كري بغيض إلى الشر مني إذا أتى ليبزل حظ قلت للعش مرحبا
وأركب كفي الشر حتى أذله إذا لم أجد إلا على الشر مركبا
وأكره بلا أنار أخلاشا بقلعهم وأمنع أحيانا وإن كنت مغضبا
فتنزلة في أدنى النفس وما يراع في ذم مكافأة اللئيم بالإكرام
قال فالعفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم وقال معاوية بن
يزيد بن معاوية لا يبه صل في معنت على قبز حلم قبح فقال ما علمت عن ...
وإن كان وليا إلا أعطيني نوما ما فعلت وقال الشاعر

حسنى

متى تضع الكرام في اللئيم فإنك قد أسأت إلى الكرامة
وقد ذهبت صنيعته ضياعا وكان جزاء فاعله الندامة
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
قالوا حبيب كرام اللئام فإنه إذا أحسنت اللئيم لم يشكروا وإن أساء ولم يتغيروا
إن ذا اللؤم إذا أكرمته حسب الإكرام حقا لزمه
إن اللئيم إذا أزدري فيه تزايد في جسراته
لا تقر عن فصلاح من جمل الكرام أمنه في هوانه
فقال القباع إلى رهبون أحوج منهم إلى رحمون المتنبي
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا ولعله درس
قال إذا أمر الجهال جهلا مرة فعي ضد للجهال الغنى من الغنم
وإن أنت بارزت السفيه إذا انتمى فإنك سفيه مثله غير ذي حلم
فلا تغضبن عن عرض السفيه وداره بحلم فإن أعيا عليك فبالصرم
ونم عليه الجهل والحلم والخفا لمنزلة بين العداوة والحلم
فيرجوك تارة ويخشاك تارة وتأخذ فيما بين ذلك بالحزم
فإن لم تجد بدا من الجهل فاستعن عليه بجهال فذاك من العزم
ودع عنك في كل الأمور غناية فإن ذا رمانيته كان كالحزم
ومن عاتب الجهال أتعب نفسه ومن كان ذا زاد سفيها إلى البغي
حسبت لكم نفسي على الحلم والرضى فيما من ذوي وبورك كائب
إذا أنت لم تصلح بسبعة فاحسن سيمة كانت في الصدور معاتب
وقال إبراهيم بن المهدي
إذا كنت بين الحلم والجهل نائلا وخيرت أنى شئت فالحلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفا ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل
إذا جانب من يطلب الجهل عامدا فأنت سفيه مثله غير ذي حلم
ولم أعطه إيا لا له نعم وإن كان مكي وما من أول الجهل
وفي الجهل أحيانا ما رجاء عاجلا كما تشتفيه النفس ما نشر الجهل
وينسب لسيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه وعن ذريته الكرام

فإن كنت محتاجا إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للخير بالخير ملجم ... ولي فرس للشر بالشر مسرج
فمن رام تقويمي فإني مقوم ... ومن رام تعويجي فإني معوج
وما كنت أرضى الجهل خدنا ولا أبا ... ولكنني أرضى به حين أحوج
فإن قال بعض الناس فيه سماجة ... فقد صدقوا والذل بالحر أسمج

أبو نواس

في الناس إن جربتهم ... من لا يعزك أو تذله
فاترك مداراة اللئيم ... فإن فيه العجز كله

الباب الرابع عشر في الانتقام وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول من هذا الباب في ذم التشفي والانتقام ومواضع فضل ترك المقام

قال الله تعالى وإذا ما غضبوا هم يغفرون، ولم يزل يغتفلون في هذا دليل على أن الانتقام قبيح فعله على الكرام فإنهم قالوا الكريم إذا قدر عفا وإذا عاقب بمساءة ستر، واللئيم إذا ظفر عقر وإذا أمن فجر، ونتقدم كلاما شافيا في ذم الغضب إذ هو أول ما يبعث إلى العقاب، جاء في تفسير قوله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، أن الطائف من الشيطان هو الغضب. ويروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل لي قولا ينفعني الله به وأقلل لعلي أعيه فقال لا تغضب فأعاد عليه المسألة فقال لا تغضب فأعاد عليه المسألة فقال لا تغضب. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الصرعة فيكم قالوا الذي لا يصرعه الرجال قال لا ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب. وذكر أن جعفر بن محمد الصادق دخل على المهدي وقد امتلأ غضبا على إنسان فقال يا أمير المؤمنين إنك لا تغضب لله فلا تغضب له أكثر من غضبه لنفسه. ويقال إن في التوراة يا ابن آدم لا تغضب ما غضب عليك يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق. قالوا إياك وعزة الغضب فإنها تفضي بك إلى ذلة الاعتذار. قالوا الغضب على من لا تملك لؤم وعلى من تملك شؤم. وقال بعض الأعراب الغضب

عدو العقل فإنه يحول بين صاحبه وبين العقل والفهم فيستولي عليه سلطان الهوى فيصرفه عن الحسن ويسول الاحتمال للقبيح ويسول الغضب وقطع الحق ونمي الباطل. وقال ابن المعتز الغضب يصم القلب حتى لا يرى صاحبه شيئا حسنا فيفعله ولا قبيحا فيجتنبه. ويقال ما رأيت شيئا من الأحوال الذميمة ويكون ناشئا عن سبب من الأسباب القبيحة من أنفع غضبه وأسماء في الانتفاع أدبه واستكان بفعله واستغربه. وقالوا ليس من عادات الكرام سرعة الغضب والانتقام. وقالوا ثلاثة يعذرون في الجانين وإن كانوا عقلاء الغضبان والسكران والغيران. وقال عمر ابن عبد العزيز ثلاثة من كن فيه فقد استكمل الإيمان من إذا غضب لم يخرجه غضبه إلى الباطل وإذا رضي لم يخرجه رضاه عن الحق وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. وكان إذا أنكر منه الغضب على أحد حبسه ثلاثة أيام حتى يسكن غضبه فإن وجبت عليه العقوبة عاقبه وإلا أطلقه.

فمما اخترنا لك من كلام الحكماء وأقوال الكرام الأماجد في ذم التشفي من العفو والمعافي

قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله تعالى فينتقم لربه. وقالوا أقبح المكافأة المجازاة بالإساءة. وقال معاوية إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة. وقالوا الاقتدار يمنع الحر الانتصار. وقال علي رضي الله عنه أنا إلى العفو والرحمة أقرب مني إلى العقوبة والنقمة. وقال جعفر الصادق لأن أندم على العفو عشرين مرة أحب إلي أن أندم على العقوبة مرة واحدة. وحكي أن رجلا من قريش كان يطلب رجلا بذحل في الجاهلية فظفر به فقال لولا أن القدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك وتركه. وهذا يقال لكل عزيز دخلت القدرة وأوضح بالتسلط عذره فهو جدير بالصفح على من قدر بالقدرة جليل أن يتعمد إساءته بالإحسان إليه ويجازي إساءته بالامتنان عليه ويتنزل في الكرام منزلة الكريم من ... ويعفو من غضبه وملامه كما أعفاه من سخطه وانتقامه. وقيل أقبح الأفعال من ذي التمكن والاقتدار عقوبة

ثم انجلا اسوا لاعتزار شاعر

وليست الاحلام في حال الرضى ... انما الاحلام في حال الغضب

وقال المنصور في كلام له لذة العفو اطيب من لذة التشفي

عن عثمان بن حرب انه دخل على المنصور وقد قدم بين يديه جماعة كانوا قد

خرجوا عليه ليقتلهم فقال احتجم يا امير المؤمنين من انتقم فقد شفى

غيظه واخذ حقه ومن شفى غيظه واخذ حقه لم يجب شكره ولم يحسن في

العالمين ذكره وانك اذا انتقمت فقد انتصفت واذا عفوت فقد تفضلت

ولان تثني عليك بسعة الصدر خير من ان تزن بضيقه فقال اما انك

عثرات عباد الله موجبة لاقالة عثرتك من غضب الله وعفوك عنهم موصول

بعفو الله عنك وعقابك لهم مقرون بعقاب الله لك فقبل قوله وعفا عنهم

قال الشاعر لن تبلغوا رفعة بغير العدل اشبع من ترك الانتقام

ومن تكسب المحامد والمجد وسنا في ... بما لا تلح

والعفو يتمول لا سودد مع الانتقام وما تواسى عنه العقوبة من نوع

القلب وقيل ليس من الكرم عقوبة من لا يجد من السطوة امتناعا الى

صلي وحكي ان رجلا من اصحاب علي بن ابي طالب رضي الله عنه في ... فحمل مغيلا له

وكلمه وانت من القلب علينا مضاع الا شتى وقال في اخيه عطفة

يا امير المؤمنين فقال الرجل يا امير المؤمنين لا يبلغ الله ومن عفوت

عنه خير لك من ان تلقاه ومن شفيت غيظك وانتصرت لنفسك فقال

له اذهب حيث شئت وقال بعض الحكماء التي يرى العفو خيرا من

التفتيح بالانتقام وانتصر للمامون

فيشفى عنه وفي من بعير سكونه اما ذا افرزت على العفو عفوك

وقال بيهقي احسن من الخير الا ثوابه وكل شيء في الدنيا سماعه

اعظم من عيانه وكل شيء في الاخرة عيانه اعظم من سماعه وقيل التتبع

كرم من العجز من رضي به لا يكون بينه وتبرا الظالم الا سنن وفيو

ومحاب صعبي وقال ابن المعتز مبالغة المقتدر في العقوبة تغريه

من غضب الله وتبعده من انتصاب الكرم اليه وقال بعض البلغاء في

للمذنب

للمذنب الى الفساد وقيل ليس من حسن الفضل تعجيل الانتقام وقال بعض

الحكماء قد تحملك العفو مع اقتدار ان تشفي غيظك وتبلغ في نيل ما لا

عقوبة المقتدر ثواب تقبح صورته وتثلم حسبه وتجلب ذمه وقال الشاعر

اذا انت لم تعف عن المغترم تعز بمجد ولم تسعد بتفح مادح

رأيت انتقام المرء يزري بفعله وان لم يقع الا باهل الجرائم

وقال الفضيل بن عياض قد يكون العفو من المتعفف حتى يامن عروة بوائقه

وقلت انه من صاحب الانتقام فلانا من ورع الحمق من طلبه معروف

التوجه عن المعتذر بذنبه يرى العفو مغرما والعقوبة مغنما ان ضحك

في وجهه فمسرور انما ضحكت له تبسم لا يرغب في البسيء الا ولا ذمة

ولو شفع فيه سواد الامة في رسالة للبديع الهمذاني يصف ملكا

عظيم الشأن يحسبه المتأمل انسانا وقد فتشكناه وملانه سماء اذا

تغضب لم يرج عفوه واذا تغضب لم يشب عفوه واذا استخط لم ينتظر عفوه

بين رضاه وسخطه عوجة كما بين غضبه والسيف فرجة وبين

سخطه مجاز كما بين الموت والحياة معه مجاز يغضبه الجرم الخفي ولا

يرضيه العذر الجلي وتكفيه الجناية وتمحو رجاها ثم لا تشفيه العقوبة

واسى اجماد حتى انه يرى الذنب وهو اضيق من كفل الرمح ويعمى عن

العذر وهو ابين من عمود الصبح وهو ذو اذن يسمع بها قول العذول

وهو بنانه ويحجب سمع العذر وهو بها ... ويد يبسطها امراه

الى السخط والسيف ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذوو

عيني يعني امراه الى الجرم ويقبض الاخرى عن الحلم مزجه بين

العفو والصفح وجمع بين السيف والقطع ومراده بين الكون والقعود

واحى بين الكرام والعفو ثم قد يعرض من العتاب اليه ضرب الا هناب

ولكن من انشاد فيه غيرا راغبة الرها وقد يفضي ذلك الى ازالة النعما

وقد يبلغ من العقوبة كون العبوة وقد يتخلص من السخط بحزم التعطفة

ثم ان النفع بين لعفه وقلمه والا ... تحت يده ... فلا يلقاه الوالي ... بغيه

ولذة العفو الا ... بالا روح بين جنسه والكلام كما انه الا اجماع

برحمته وحنانه ومما ينفع في سلامة العقول نزع النزاع الى الرأفة
بأرباب العقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون
يرحمهم الرحمن يوم القيامة ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال
عليه الصلاة والسلام لا تنزع الرحمة الا من قلب شقي وقيل من كثرة
أهله لقة قلبه وقيل من امارات الكرم الرحمة ومن امارات اللؤم
القسوة وقالوا من شكر الظفر الصفح عن الذنوب والستر للعيوب
في الحديث ان الله رحيم يحب من عباده الرحماء قال ابن عباس
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راه يقبل الحسن والحسين ان لي عشرة من الولد ما قبلت
واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم قال مالك
ابن دينار ما ضرب الله عبدا بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب الله على
قوم الا نزع منهم الرحمة وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اشجع الناس
اذا لقي الناس وارحم الناس اذا استحكم الباس ويقال ارحم الناس قلوبا
اقلهم ذنوبا وقال عمر بن عبد العزيز استدعوا العفو من الله بالعفو
عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم وفي بعض كتب الله المنزلة يقول الله
تعالى ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا عبادي وقال الشاعر

ابغ للناس من الخير كما تبغي لنفسك ۞ وارحم الناس جميعا انهم ابناء جنسك

الفصل الثاني من الباب الرابع عشر في ذكر من عفي عن معاقب فاستحق العقوبة ومن راقب : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعقبة بن ابي معيط امر بصلبه الى شجرة فقال يا رسول الله انا من بين
قريش قال نعم قال فمن للصبية قال النار فصلب رواه ابو داود وغيره
وقيل انه اول مصلوب صلب في الاسلام وكان النضر بن الحارث بن
كلدة من شر العداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله علي رضي الله عنه
صبرا وذكر ان اخته قتيلة بنت الحارث تعرضت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يطوف بالبيت فاستوقفته فوقف فانشدته

يا راكبا ان الاثيل مظنة ۞ من صبح خامسة وانت موفق
ابلغ بها ميتا فان تحية ۞ ما ان تزال بها الركائب تخفق

من

منى اليك وعبرة مسفوحة ۞ جادت لمائحها واخرى تخنق
فليسمعن النضر ان ناديته ۞ ان كان يسمع ميتا لا ينطق
ظلت سيوف بني ابيه تنوشه ۞ لله ارحام هناك تشقق
قسرا يقاد الى المنية متعبا ۞ رسف المقيد وهو عان موثق
امحمد ولانت نجل كريمة ۞ في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما ۞ من الفتى وهو المغيظ المحنق
لو كنت قابل فدية لفديته ۞ باعز ما يغلى به من ينفق
فالنضر اقرب من قتلت قرابة ۞ واحقهم ان كان عتق يعتق

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرها رق لها وقال لو سمعت شعرها
قبل ما قتلته ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة امر بقتل ستة
نفر واربع نسوة فاما النفر فعكرمة بن ابي جهل وهبار بن الاسود وعبد الله
ابن ابي سرح ومقيس بن صبابة والحويرث بن معبد وهلال بن عبد الله بن خطل
فاما عكرمة فانه هرب ثم اسلم وهرب هبار بن الاسود ثم اسلم فعفا عنه
وكذلك عبد الله بن ابي سرح واما مقيس بن صبابة ... واما الحويرث
فهرب فلقيه علي ابن ابي طالب فقتله واما هلال بن عبد الله بن خطل
فقتله عمار بن ياسر بين الركن والمقام واما النساء فهند بنت عتبة
وسارة مولاة عمرو بن هشام وقينتا هلال بن عبد الله بن خطل كانتا
تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما هند فاسلمت واما سارة
فقتلها علي رضي الله عنه واما قينتا هلال فقتلت احداهما واسلمت الاخرى
وقدم اناس من عرينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلموا
وكانوا في الصفة فاجتووا المدينة فسقمت اجسامهم فشكوا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم مع راعينا في ابله فتشربون من
البانها وابوالها قال فخرجوا فشربوا من ابوالها والبانها فصحوا
فلما صحوا ارتدوا عن الاسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الابل
فجاء الصريخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث في اثرهم فما ترجل
النهار حتى اتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وتركهم في

الحرب منذ ما قتلوا وكان عمرو بن هند من أشد الملوك بأسا في الغيرة عظيم الجرأة يزكي
عتبه أنه لما قتلت بنو تميم أخاه أسعد غضب وآلى على نفسه أنه متى ظفر
بهم قتل رجالهم وسبى حريمهم فلما ظفر بهم أحمى لهم النار ومشى عليه من رجالهم
من بلغ أجله فأتي بشاب فمشى عليه كما فعل أصحابه وأقبلت امه معه فلما
رأت النار وشدة وهجها فحملت تربيتها ورمت بها على النار وقالت
يا بني ويح بني قد رمقه أقبل بولدهم الملك ثم انشدت

أبني لو قبل النار يحرق بالكبرا انني أضحت عليه تفجع
يا ليت من النار جاثني يحجبني أو ليت خيل مثل خرط يلزع

حرق منها عمرو وأمر بالكلاب يرمي بغي من قومها وروى ابن الكلبي عن أبيه
قال أول من خرج من الحرم نعرابا د وثعلب وانتشروا في الأرض نجر وبعث
الصم الملك زهير بن غنم مغرب اسم ما بلى فيهم واسر ونسا فجلا فرع على
الملك عمرو الملك سرى على الشيع مغرب شا جامر اياد ليقتل ما قبلت امه
وفي تقول يا بنيا الملك الغيث الغادر الحلم يلزم حين يعفوا الغادر

هذا عيبر مسلم مجرية باد النفراعة أو متيب عاثر
ارتسط تسط محكما وتعفون ما ترتب بفعل الملك الغادر
لا ذو يعفوك من عقابنا بعد ما جردت لها منكوحة وضاجرا
ما جره الى ابنا عز ملكيهم كورا فلبئس لهم مجير ناصر

فوفى لهن الملك وقال لي ما لا تدخل مارك منهم قا قبلت تخة ماردها
شفقا وقيل بعضها الى بعض منهم كم ماء مائة رجل او اكثر
ما ستخمد الملك وامر بالكلاب وقتل الجبابير ومن العجب
المستبدع والتشبيع المستشنع ما حكاه ابن حمدون في تذكرته
من عبد الله بن الزبير حين ظفر بأخيه عمرو وكان يتابع بني امية ومن جرد
نوع بالمدينة في سواهم فلما بويع عبد الله بالخلافة أخذه واقام
للناس ليقتصوا منه فيأتي كل من حقد عليه في الاختلاط وكان
عبد الله لا يسأل أحدا ادعى عليه شيئا اقامة بينة ولا حجة
وكان أرباب الحقوق يدخلوه عليه السجن فيأخذونه والقيح يتخ

م

من ظهر على الله رضي الله عنه وأصحابه فلما لم يبق احترمه والحقوق أمرا ان يرسل عليه
الجعلان فكانت تدب عليه فتنقب لحمه وهو معقول لا يستطيع الحركة حتى
مات من خل الموكل به على عبد الله وفي يده عص من حديد يسخر به وهو يبكي
فقال له أمات قال نعم قال ابعده الله ثم تناول العص فضرب به ساقيه وقال
لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه في مقابر المشركين من قبيله كان الحجاج
شديد التوكاة على الجناة وذكر المؤرخون انه لما مات احصي من قتله صبرا
سوى من قتله في حروبه ومن اياه فوجدوا مائة الف وعشرين الفا ومات في حبسه
الف رجل وثلاثون الف امرأة منهن ستة عشر الف مخدرات وكان يحبس الرجال
والنساء في موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يقيهم الحر والبرد وكان الحراس
يحصبونهم اذا استظلوا من وهج الشمس وحصر من البرد ولما خرجوا بعد موته
كان فيهم اعرابي فقيل له كم كان لك في السجن اثنتي عشرة سنة قيل له فما ذنبك
قال بلت في ربض واسط ولما اطلق جعل يعدوا وهو يقول

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط خرينا وبلنا لا نخاف عقابا

وذكر أهل التاريخ أن الحجاج ركب يوم جمعة يريد الجامع فسمع ضجة وجلبة
فقال ما هذا فقال اهل السجن يشكون ما هم فيه مما لحقهم من الحر والغم فقال
اخسئوا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات في تلك الجمعة بواسط سنة خمس وتسعين
وهو ابن اربع وخمسين سنة وآخر كلام سمع منه اللهم اغفر لي فان عبادك
يظنون انك لا تفعل وكانت امرته على الناس عشرين سنة وفي الشهر الذي مات
فيه ولي أبو جعفر المنصور وولي الخلافة في ذي الحجة منها سنة ست وثلاثين
ومائة ومات في الشهر المذكور سنة ثمان وخمسين فكانت مدة خلافته اثنين وعشرين
سنة الا سبعة أيام ولما التقى مصعب بن الزبير بالمختار بن أبي عبيد الثقفي
هزمه وأسر من عسكره ستة آلاف وثمانية رجل فقتلهم صبرا بين يديه في يوم
واحد وهو تشبيه البيض وكانوا الفا وثمانية من اشراف العرب وخمسة آلاف من
الموالي كان أبو مسلم الخراساني من صرامة في العمل حدوا أن يفعل بالنفس مثل
قتل مكانوا ستمائة ألف نفس ولما اسر في القتل وجد رقعة على المنبر مكتوب
فيها اقتلا ما عسى أن تقتل فليس تعدو أن تقتل ما تلك مكتب وقد ذكر قا

فقتله فيما ذكر في الكتاب وفيه يقول أبو جعفر حين قتل ووضعت راسه بين يديه

زعمت أن الدين لا يقتضى ، فاستوف بالكيل أبا مجرم

اشرب بكأس كنت تسقي بها ، أمرّ في الحلق من العلقم

وبابك الخرمي قتل في حروبه التي كانت بينه وبين العباسيين ما ينيف على الف الف
وخمسمائة الف وخمسين وخمسين الفا وكان ظهوره في سنة احدى ومائتين في خلافة
المأمون واستمرت فتنته الى أيام المعتصم فما نفذ اليه المعتصم بالعساكر فكانت الحرب
بينه وبينهم سجالا الى ان كانت الدائرة عليه فانهزم عسكره وأسر واحضر بين يدي
المعتصم فامر بقطع يديه ورجليه فلما قطعت ضرب بهما وجهه حتى لم يرى منه أثر
الجزع ثم أمر به فضربت عنقه وصلب وهدمت مدينته التي بناها وقد دخلها الملوك
واستباحوها في أيام المعتصم سنة اثنين وعشرين ومائتين وفي قتله يقول ابو تمام

انجم ايامه لم يبق منه خوف باسد قطعها ، للكفر خوف من اجلاء

ما خلت منه البيد ومن فراره ، وتحسبه علما بسامراء

بتراء مجردا على اعواده ، مثل الكبراء كواكب الجوزاء

مستنشر بالشمس منتصبا لها ، في اخريات الجذع كالحرباء

وكان بشر بن مروان بن الحكم شريرا على العصاة وكان اذا اتاه العاصي اقامه على كرسي
وسمر كعبيه في الحائط ونزع الكرسي من تحت رجليه فلا يزال يتخبط حتى يموت
وقال الشعبي ما رأيت في العمال مثل عبد الله التميمي كان لا يعاقب الا في حدود
الله وكان اذا اتي برجل نباش حفر له قبرا ودفنه فيه حيا واذا اتي برجل نقب في
بيوت جعل منقبته في صدره حتى يخرج من ظهره واذا اتي برجل شهر سلاحا قطع
يده ورجليه اقام اربعين يوما لا يوتى اليه بجان خوف سطوته وقد قتل ابو
عبد الله عم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس السفاح يوما ولي الخلافة وولي
وهو ابن اربع وعشرين سنة في ربيع الاخر سنة اثنين وثلاثين ومائة وعنده ما ينيف
رجل من بني امية ويوم جلوسه على الاريكة فبلغ سوى لبني العباس فانشد

اصبح الملك ثابت الاساس ، بالبهاليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها ، بعد ميل من الزمان وياس

لا تقيلن عبد شمس عثارا ، واقطعن كل رقلة وغراس

ولهم اظهر التودد منها ، وبها منكم كحز المواسي

انصفهم ابو الخليفة واقصوا ، عنك بالسيف شافة الاراجيس

ولقد غاظني وغاظ سواي ، قربهم من نمارق وكراسي

اين قوما بجنب أنى ببالله ، براد السواء والله ناعس

واذكروا مصرع الحسين وزيد ، وقتيل بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران اضحى ، ثاويا بين غربة وتناس

وبهم حرق بن عبد الملك وابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المنعوت
بالامام فقام بهم عبد الله فتشدخوا بالعمد وبسطت البسط عليهم وجلس
عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع انينهم وغوثهم فلما فرغ من طعامه
قال ما اكلت اكلة قط اهنا ولا امرا ولا اطيب في نفسي منها ثم اخرج
عمه عبد الصمد بن علي في طلب بني امية في اقطار الارض فاتاه وجرحها فقتله وان
وجد مقبورا نبش قبره واحرقه من فيه حتى اتى دمشق فدخلها وقتل في جامعها
يوم الجمعة في شهر رمضان خمسين الفا من بني امية ومواليهم كانوا قد استجاروا
بالجامع فلم يجرهم ولما وصل الى الرصافة اخرج هشاما من قبره فجلده مائة
سوط وعشرين سوطا حتى تناثر لحمه وقال انه ضرب اخي سعيد سوطا ظلما وذكر
الدرومي في كتابه بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء سبب ذلك ان هشاما
اتهمه بقتل سليط المنتسب الى ابيه عبد الله فجلده فيه ومن قتله صبرا
ان تركي مقتل زيد المشار اليه في الابيات المتقدم ذكرها فاشفي بالشيء يذكر
لانه ثار على الامويين بالكوفة وكان ظهوره سنة اثنين وعشرين
ومائة بالكوفة وارسل هشام الى محاربته يوسف بن عمر الثقفي فلما قامت
الحرب بينهم على ساق انهزم اصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتل بهم اشد
قتال وهو يقول : ذل الحياة وذل الممات ، وكلا اراه طعاما وبيلا

فان كان لا بد من واحد ، فسيروا الى الموت سيرا جميلا

ولم يزل يقاتل حتى اصابه سهم في جبهته فمات مقتولا منه فدفنه اصحابه
ثم دل يوسف على قبره فاخرجه وقطع راسه وارسله الى دمشق وصلب جثته

جثته هاربة فبقيت سرته حتى صارت سوداء وذلك في السنة التي قتله فيها
ولم يزل مصلوبا الى ايام الوليد بن يزيد بن عبد الملك فامر بحرقه وفيه
يقول حكيم بن عياش الكلبي يخاطب ال بني هاشم ابياتا

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهديا على الجذع يُصلب
وقستم بعثمان عليا سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب

ومات هشام في ربيع الاول سنة خمس وعشرين ومائة وله من العمر ست وخمسون
سنة وكانت مدة خلافته تسع عشرة سنة واشهرا واياما والقتيل بجانب الفرات
سوى محمد بن عبد المطلب وانما نسب قتله لبني امية لانه باسيافهم قاد الجيوش
يوم اعتراك القتال المسلمين والصراع بامرهم قال النبي وفي الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم عثر في يوم احد على رضي الله عنه في دفنه باصحابه وعمل
به الدم يوم حجه وما زالت دولة بني امية كانت اخرهم مروان بن الحكم الكنى
بالحمار فتبعه صالح بن علي الى بلاد مصر فقتله بقرية من قرا مصر تسمى بوصير
ويحكى انه لما قتل قطع راسه بين يدي صالح فنقب جمره فنقط لسانه فاخذه هر
فقال صالح والله لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان في فم هر لكفانا
معتبرا ثم ادخل عليه ابنتان لمروان فقالت كبراهما السلام عليك يا امير المومنين
قال لست باميرالمومنين فقالت السلام عليك ايها الامير فقال وعليك السلام
قالت يسعنا عدلكم قال اذا لا يبقى على وجه الارض منكم احد لانكم بدأتم بلعن
علي بن ابي طالب على منابركم فاستوجبتم اللعنة من الله وقتلتم الحسين بن علي
وسرتم براسه في البلاد وقتلتم زيد بن علي ونبشتموه واحرقتموه بالنار وقتلتم
يحيى بن زيد وامرتم من بال على وجهه وقتلتم ابراهيم بن محمد الامام وهو اسير
في ايديكم ظلما وعدوانا فقالت ابنة الامير فليسعنا عفوكم قال اما هذا فنعم
ثم امر برد عليها ما اخذ منهما وخلى سبيلهما وانشد الصولي لبشار
ابن برد فيه لما انتهب الاموال التي جمعها المنصور في الغزوات والشرب والغناء

بني امية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

فخرج المهدي الى الصيد وما بين جنبيه فلما طار بالشائع من مروان من بشار كان

بشار

بشار على سمعهما فلما احس بدخول المهدي عليه قام ودخل بيت قبة فاتر مع بزوه
فقال من هذا الذي يزوره في غيبة الوقت قالوا بشار فقال علي به فلما مثل بين يديه
قال له يا زنديق هذا من نزلة نزوه في غيبة الوقت تكلمت كلاما لم يسكت لما انك
ما عرفت مكانك ثم امر بضربه بالسياط فضرب حتى مات في قلبه وقال ابن
عبدوس في كتابه الذي صنفه في اخبار الوزراء ان سبب قتله انه هجا يعقوب بن داود
وزير المهدي فصنع يعقوب على لسانه هجاء للمهدي ودخل عليه فقال يا امير
المومنين ان هذا الاعمى الملحد قد هجاك فقال وما قال قال يعفيني امير المومنين
من انشاد ذلك فلم يزل به حتى انشده

خليفة يزني بعماته يلعب بالدبوق وبالصولجان
ابدلنا الله به غيره ودس موسى في حر الخيزران

فقال له وجه من يحمله فخاف يعقوب من ان يقدم على المهدي فيمدحه فيعفو عنه
فوجه اليه من القاه في البطائح وقيل بل دس عليه من قتله في بيته وقيل انما
قتل على الالحاد وكان يرى رأي الثنوية وذلك في سنة ثمان وستين ومائة وفي
المحرم سنة تسع ومائتين مات المهدي وله من العمر اثنان واربعون يوما وخمسة
عشر يوما وكانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا واياما ومن شجاعة ...
من العمر والخلائف ولم يبلغ ... التابعي الحجاج وذلك ان ايوب بن
القرية كان قد خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وكان كاتبا له لما خلع ربقة
الطاعة وادعى الخلافة وحارب الحجاج وقدم اسيرا بين يديه قال له ما
اعددت لهذا الموقف فقال ثلاثة حروف كانهن ركب وقوف دنيا وآخرة ومعروف
فقال الحجاج بئس ما منيت به نفسك يا ابن القرية اتراني ممن تخدعه بكلامك والله
لانت اقرب الى الآخرة منك الى موضع نعلي هذا قال اقلني عثرتي واسقني
ريقي فانه لا بد للجواد من كبوة وللحليم من هفوة فقال له انت الى الهلكة
اقرب منك الى العفو الست القائل وانت تحرض ابن الاشعث وعبد
الرحمن تغدوا بالحجاج قبل ان يتعشى بكم ثم امر بضرب عنقه صبرا وذلك في
سنة اربع وثمانين ولما انهزم عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث هرب سعيد بن جبير
فيمن كان خرج معه فاخذه خالد بن عبد الله القسري فبعث به الى الحجاج فلما دخل

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد
وآله وصحبه عدد ما علم الله

سعيد على الحجاج قال له سعيد فقال نعم قال ألم أقدم العراق فنعمت أن قاع الولاء
فلما بلغني بغضك وحالتك جعلتك إمام قومك ووجدت عطاءك أربعين دينارا فبلغت
به سبعين دينارا قال بلى قال وسألت أن نقل قال بلى واستقضيت أبا بردة بن
أبي موسى وهو مغيرة بن شعبة فجعلته وزيري وكاتبه وأمرت ألا يقطع أمرا دونك
قال بلى قال فأوجدت وفدا إلى أمير المؤمنين فجعلته مثلهم ولم يوجد مثلك
فما استعبتني فيما أعطيتك وذلك كله بغير غضب من الحجاج ثم قال فما أخرجك علي
قال كانت له بيعة في عنقي بيعة فما استوى فالسائر قال فجاء عدو الله
ببيعة أمير المؤمنين كانت والله في عنقك قبل بيعة عبد الرحمن بن الأشعث ثم أمر بضرب عنقه
فلما ضربت عنقه التبس على الحجاج عقله فكان يجعل يقول قيودنا قيودنا
فظنوا أنه يطلب القيود التي على سعيد فقطعوا رجليه من أنصاف ساقيه
وأخذوا القيود وقد أورد الغطاري هذه الحكاية على غير هذا النمط والصحيح
هو هذا **إيقاع الرشيد بالبرامكة** لما ولي الرشيد الخلافة قال ليحيى بن
خالد يا أبة قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك فاحكم بما ترى
واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وافعل ما رأيت فإني غير ناظر معك في شيء
فلما ولي في سنة ست وسبعين ومائة جعفر بن يحيى المغرب كله من الأنبار إلى
أقصى بلاد إفريقية وولي الفضل المشرق كله من النهروان إلى أقصى بلاد الترك وكان
يحيى يميل إلى الفضل والرشيد يميل إلى جعفر فكان يقول ليحيى أنت للفضل
وأنا لجعفر وكان الرشيد يسمي جعفرا أخا ويدخل معه في ثوبه ولما وقع من
جعفر الذنب لم يعلمه الرشيد ولا عرفه أحد فقط فجعل يتربص ويعمل
الحيلة على البرامكة ولا يرى منهم ذنبا كان يرى بينا يقتلهم به حتى توجه
عليه نوع من الناس فتكلم بما كان بينه وبينهم من الأحقاد في الود فتكلم
الرشيد يوما بكلمة تروع فيها جلساؤه كل منهم من يحكي في نوعها حكاية
ومنهم من ينشد شعرا فأنشد بعضهم أبياتا في غير المعنى الذي هم بصدده فكان
سببا للإيقاع بهم يقول فيه

ليت هندا أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة ... إنما العاجز من لا يستبد

فاستعاد

فاستعاد الرشيد الأبيات مرات فكان ذلك عرضا على الإيقاع بهم وكان عمر ما
تقلبت عليهم حرمة الفضل فيما كان فيه من ولي بني الشرفاء وما وكد من سنة ثمانين
إلى سنة ثلاث وثمانين ولم يزل جعفر مع الرشيد على الحالة المرضية إلى أن ركب
في يوم الجمعة مستهل صفر سنة تسع وثمانين إلى الصيد وجعفر معه يسايره خاليا
به وانصرف متمسيا إلى القصر الذي كان يبني له بالأنبار فقبله وطرحه إليه
واعتنقه وقال لولا أني أريد الجلوس الليلة مع النساء لما فارقتك وسار
جعفر إلى منزله ووصل الرشيد بالأنبار فلما كان في وقت السحر بعث إليه مسرورا
الخادم ومعه سلام والأبرش فهجموا عليه وأخذه مسرور وضرب عنقه
وبعث إلى الرشيد برأسه فأمر الرشيد بجثته إلى بغداد وقطعت نصفين وصلبا
على الجسر ولما انصرف الرشيد من الرقة سنة تسع وثمانين إلى بغداد مر
بالجسر فرأى جثة جعفر فقال لئن مضى أثرك لقد بقي خبرك ولئن حط قدرك
لقد علا ذكرك ثم أمر بها فأحرقت ولما قتل الرشيد جعفرا رحل إلى الرقة
وحمل معه يحيى وولده الفضل فحبسهما فيها فجرى أن ضرب الفضل مائتي سوط
ولم يجد ليحيى إلا خمسة آلاف دينار وللفضل إلا أربعة آلاف درهم ولم يجد
لجعفر ولا لأحد منهم شيئا ووجد لمحمد بن يحيى سبعمائة ألف درهم ووجد إلا أنه
وجد لجعفر في قصر بركة فيها أربعة آلاف دينار وزن كل دينار مائة دينار
مكتوب على أحد جانبي الدينار وأصفر ضرب من آلة الملوك يلوح على وجه جعفر
وعلى الوجه الآخر يزيد على ما يهيئ وأمر إذا نالته معينا أيسرا
ولما أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفرا وحبس يحيى أباه والفضل أخاه
فكتب يحيى إليه من السجن عبد أسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه وخذله شفيعه
ورفضه صديقه فحل في الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة فساعته
شهر وليلته دهر من عاين الموت وقارب الفوت فتذكر يا أمير المؤمنين
كبر سني وضعف قوتي وارحم شيبتي وهب لي رضاك بعفوك فإن كان ما
من مثلي الزلل فمن مثلك الإقالة ولست أعتذر إلا بالإقرار حتى ترضى عني فإذا
رضيت رجوت أن يظهر لك من عذري وبراءة ساحتي ما لا يتعاظمك ما مننت به
علي من إقالتي وحفظك زاد الله في عمرك وجعل يومي قبل يومك فوقع عليه الرشيد

من كتاب لم يات على وجه اللعب رابني زيادا انا غير قلبي بان قد بعثت وهو يبر
نغاة بنفسه اذا اخرها وايام تتعاقب البوس بما اعزته امير المومنين من تبرير
شملك وخمول ذكرك والهباء امرك متوقعه صباحا ومساء، ووقع الرشيد عليه
وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان ف
فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون
ثم تناساه هو وابنه الفضل في سجن الرقة الى ان ماتا فمات يحيى في الحبس
سنة تسعين ومائة فجاة من غير علة وعمره اربع وستون سنة ومات
الفضل في شهر رمضان سنة اثنين وتسعين ومائة ولما بلغ الرشيد موته
قال امري قريب من امره وكذا كان فانه توفي بعده بخمسة اشهر في المحرم سنة
ثلاث وتسعين وقد بلغ من العمر سبعا واربعين سنة وكانت مدته ثلاثا
وعشرين سنة وشهرين واياما فانه ولي سنة سبعين ومائة وكان الفضل
ترب الرشيد ورضيعه ارضعته ام الفضل وارضعت الفضل ام الرشيد
وذكر ان الرشيد اقام بعد ذلك في قتل جعفر سنين يتندم وغم نفسه في قتله
فقال لحسين الخادم اشهد بالله لقد رايت الرشيد متعلقا باستار الكعبة
فما يلي في مناجاته اللهم انه استخيرك في قتل جعفر بن يحيى ورثاهم بعد موتهم
من الشعراء وغيرهم جم غفير ومن اختيارنا ابيات من احسن ما قيل فيهم اوردنا
ان نثبت فيها محاسن ما قيل فيهم فمن ذلك ابيات لاشجع السلمي

ولى عن الدنيا بنو برمك ... ولو نشروا الخلق ما زادوا
كانما ايامهم كلها ... كانت لاهل الارض اعيادا
كان ايامهم من حسن بهجتها ... مواسم الحج والاعياد والجمع
يا بني برمك واها لكم ... ولايامكم المقتبلة
كانت الدنيا عروسا بكم ... فهي اليوم ثكول ارملة

وفيهم يقول الفضل بن ابراهيم هذه الابيات
مات الندى والجود وشلت يد الندى ... وغاضت بحور الجود بعد البرامكة
هوت انجم كانت لابناء برمك ... بها يعرف الساري وجوه المسالك
الآن استرحنا واستراحت ركابنا ... وامسك من يجدي ومن كان يجتدي

مغل

فقل للمطايا قد امنت من السرى ... وطي الفيافي فدفدا بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر ... ولن تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي ... وقل للرزايا كل يوم تجددي

ويقال ان الذي سعى بهم هو علي بن عيسى بن ماهان وذكر بعض المورخين
انه وجد على باب قصر مكتوب بعد قتل جعفر هذه الابيات ولم يعلم من
كتبهم ولم يحقق قائلهم
ان المساكين بني برمك ... صبت عليهم نوب الدهر
ان كان ذا جرم عصيتكم ... فليعتبر صاحب ذا القصر

وكانت نكبتهم قريبا من نكبتهم كان الايقاع بهم بعد رجوع الرشيد من
الحج في المحرم سنة تسع وثمانين ومائة وعمر جعفر يومئذ خمس واربعون
سنة وكانت مدة دولتهم سبع عشرة سنة وسبعة اشهر واياما ولله
در المامون اذ قال وكانه يعتذر عن ايقاع ابيه بالبرامكة لا يستطيع
الناس ان ينصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون ان ينظروا بالعدل
بين ملوكهم وحماتهم وذلك انهم يرون ظاهر حرمتهم وخدمتهم ونصيحتهم
ويرون ايقاع الملوك بهم ظاهرا ولا يزال الرجل يقول ما اوقع به الا
رغبة في ماله او رغبة فيما تجود النفوس به او الحسد والملالة
وشهوة الاستبدال والله ما هو هذا وانما ذلك لجنايات في
طلب الملك او في نقض حرمة فلا يستطيع الملك ان يكشف للعامة
موضع العورة ويحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ولا
يستطيع الملك ترك عقابه لما في ذلك من الفساد مع علمه بان عذره
غير مبسوط للعامة ولا معروف عند اكثر اهل الخاصة ولله در
ابي كلثوم بن عمرو العتابي حيث قال يعرض بالبرامكة ويذكر عاقبة
صحبة السلطان وان ما للمتعلق به من غرور الزمان امان

فلوموا على ترك الغنا باهلية ... طوى الدهر عنها كل طرف وتالد
رات حولها النسوان يرفلن في الكسا ... مقلدة اجيادها بالقلائد
ايسرك اني نلت ما نال جعفر ... من الملك او ما نال يحيى بن خالد
وان امير المومنين اغصهما ... معصهما بالمرهفات البوارد

، في رتبة تقيني ميتتي مهينة ، ولم أقتحم أهوال تلك الموارد ،
، فإن كريمات المعالي مشوبة ، بمستودعات في بطون الأساود ،
، وإن الذي يغتر من البحر والفلا ، ملق بأنواع الأذى والمكائد ،

ومن التشفي الشنيع والظفر الفظيع ما حكي أن سفيان بن

معاوية بن يزيد بن المهلب كان يحقد على عبد الله بن المقفع أشياء كثيرة منها
أنه كان يهزأ به ويسأله عن الشيء بعد الشيء فيعنته فإذا أجابه قال له أخطأت
ويضحك منه فلما أكثر عليه ذلك غضب وافترى عليه فقال له ابن المقفع يا ابن
المغتلمة والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى تعدتهم إلى رجال
الشام فحقدها عليه فآلى على نفسه إن أمكنه الله به ليقتلنه شر قتلة
فاتفق أن عيسى بن علي أمر ابن المقفع أن ينطلق إلى سفيان وكان إذ
ذاك على شيء كتبه ببغداد برسالة كان المنصور أمر بها فقال له إني أخاف
سفيان فقال له انطلق ولا تخف فإنه لم يكن ليجترئ عليك وهو يعلم مكانك
مني فلم يجد ابن المقفع بدا من امتثال أمر عيسى فذهب حتى أتى باب سفيان
فاستأذن فأذن له وكان في مجلسه العام فعدل به إلى مقصورة ثم قام
سفيان من مجلسه إلى المقصورة فلما رأى ابن المقفع قال له وقعت والله
فقال له أنشدك بالله تعالى فقال أمي مغتلمة كما قلت إن لم أقتلك قتلة
لم يقتل بها أحد قبلك وأمر بتنور فسجر ثم أمر به فقطع عضوا عضوا
ويلقى في التنور وهو ينظر حتى لم يبق منه عضو متصل بعضو ثم قال يا ابن
الزنديقة لأحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة ثم أمر به فأحرق حيا
بعد ذلك * وكان رافع بن الليث خلع هارون الرشيد ونصب البيارق
وتغلب على بلاد ما وراء النهر وذلك في سنة تسعين ومائة وكان علي بن عيسى
إذ ذاك على خراسان فحاربه فلم يقدر عليه فخرج الرشيد إليه من بغداد سنة
ثلاث وتسعين فلما بلغ طوس مرض واشتد به المرض فلما كان يوم موته
أخذ المرآة حين فنظر فيها وجهه فرأى عليه غبرة الموت فقال إنا لله
وإنا إليه راجعون فبينما هو في تلك الحالة إذ دخل عليه أخو رافع
ابن الليث أسيرا فلما مثل بين يديه قال إنه ما رجوت إذا لم تفتني إلا

يفوتني

لا يفوتني أخوك والله لو لم يبق من عمري إلا أن أحرك شفتي بقتلك لقلت اقتلوه
ثم دعا بقصاب وقال له لا تشحذ مديتك وفصله عضوا عضوا واجعل ذلك
بين يدي أجلي وعضو من أعضائه في جسده ففصله ثم جعله أشلاء ثم قال اعدد
ما قطعت منه فإذا أربعة عشر عضوا ثم رفع يديه وقال اللهم كما مكنتني
منه فكني من أخيه ثم مات من ساعته * وكتب رجل كان في حبس المأمون إليه
لما طال حبسه أغفلت يا أمير المؤمنين أمري وتناسيت ذكري ولم تتأمل
حجتي وعذري وغرضي من حبس الحبس ومنعني من حسد الغير فأجابه المأمون
ركوبك مطية الجهل صيرك أهلا للقتل وبغيك علي وعلى نفسك نقلك من
سعة الدنيا إلى قبر من قبور الأحياء * ومن جميل الشكر على النصر قول صبي
على الحرب فاصبر على عواقب معوناته وموبقات زلاته على غرور صبري
على كثير حسنا بأن تحدثه فإن حظ في نفسك كفة من معصيتي وعزم على
كافيتي وفرغ على هذا العتب قبل تقدم مع والله جميلا من نيتي * ولما
ظفر أبو جعفر المنصور بعبد الله بن حسن قيده وحبسه في دار
فلما أراد المنصور الخروج إلى الحج جلست ابنة لعبد الله تسمى
فاطمة على طريقه فلما حاذت به رفعت

، ارحم كبيرا سنه متهدما ، في السجن بين سلاسل وقيود ،
، وارحم صغار بني يزيد إنهم ، يتموا لفقدك لا لفقد يزيد ،
، إن جدت بالرحم القريبة بيننا ، ما جدنا من جدكم ببعيد ،

فلما سمع المنصور أبياتها قال أذكرتني به ثم أمر به فحدر في المطبق وكان
آخر العهد به وبنو الحسن المذكور في شعبه قام محمد أخو عبد الله بن
حسن وأخو عبد الله بن حسن محمد وإبراهيم وكانا قد خرجا على
المنصور وغلبا على المدينة ومكة والبصرة فبعث المنصور إليهما
عيسى بن موسى فقتل محمدا بالمدينة وقتل إبراهيم بين البصرة والكوفة
في رمضان سنة خمس وأربعين ومائة * وقال أبو بكر الخطيب مات عبد الله
بحبس الكوفة يوم الأضحى سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ست
وأربعين سنة * وكان المنصور قلما يظفر بأحد إلا قتله سواء كان

بسم الله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وآله عدد معلوماتك

مستوجبا للقتل أو غير مستوجب وهذا في أول خلافته فقال له عمر الحربي
يا أمير المؤمنين في القتل العقوبة حتى كأن لم تسمع بالعفو فقال إن بني أمية لم
تقتل منهم والي أبي العباس تقرب منهم ونحن قوم رأوا بلادهم من سوقة
وأنتم خلفاء، ولم تشتهر الهيبة في صدور الناس إلا بإطراح العفو عنهم واستعمال
العقوبة فيهم ومن عجائب الحظ ما حكاه الصولي أن المتوكل قال ركبت
إلى دار الواثق في مرضه في اليوم الذي مات فيه ولم أدر حزنا لما دخلت
الدار وجلست في الدهليز ليؤذن لي فسمعت بكاء ناحية تشعر بموته
فتجسست وإذا إيتاخ ومحمد بن عبد الملك الزيات يأتمران بي فقال محمد
نلقيه في التنور وقال إيتاخ بل نغرقه في الماء البارد وكان القاضي يومئذ
أحمد بن أبي دواد فبادر فجاءه حتى منعه الخوف الدخول فرأى جمعهم حتى دخل
فحمل حزني بأن أغلق لما أخلي من الخوف واشتغال القلب
بالعمل الحيلة في الهرب والخلاص مما يتمرأ به حتى فيما أنا كذلك
إذ خرج الغلمان ينادون الناس ويقولون ادخلوا فمولانا قد مات فشككت أنا
أن ادخلوا ليبايع ولد الواثق ويتغير مني ما قربني خلفت فلقيني ابن أبي
داود فقبل يدي وأمسكني إلى أن صار بي إلى السرير وقال اقعد
على المكان الذي أملكه الله له فقد عرفت وجلست فسلم علي بالخلافة
وجاء محمد بن عبد الملك الزيات وإيتاخ فقبلا على أيديهما ثم استرجع الفؤاد
فسلموا علي ثم الناس ثم لما انقضت المبايعة بقيت متعجبا
مما اتفق مع ما سمعته من كلام ابن الزيات وإيتاخ فبت على الحال وكيف
جرت فقيل لي بينا محمد وإيتاخ في تقرير ما سمعته إذ دخل عليهما ابن أبي دواد
فسلم عليهما وعزاهما وقال أنا رسول المسلمين إليكم وهم يقرؤون السلام
عليكم ويقولون لكم قد بلغنا وفاة إمامنا وعند الله نحتسبه وإنما النظر
إليكم في من أولاه من اختار ثم قال ما قلتما فقال ابنه محمد فقال هو ابن أمير
المؤمنين لأنه صغير لا يصلح للإمامة فجر غير ما للأجلاء وهلاء وعرا
جماعة إلى أن قال وجعفر بن المعتصم فقال رضي المسلمون اتفقا على
بيعته فرضي به ثم أرسل إلى أمير المؤمنين فكان ما رأى قال المتوكل فيعفى

ما قاله ابن الزيات وإيتاخ في نفسي فقتلتهما فلا أعفو عما عليه من قتلي
فقتلت ابن الزيات في التنور وإيتاخا بالماء البارد وكان ابن الزيات
اتخذ التنور لمن أراد عذابه من الحديد وسمر مساميره جانبيه مدورة وجعل باطن
جوانبه مسامير كرؤوس المسال فإذا أدخل فيه الواقف لا يستطيع
الحركة إلى جهة إلا ومن جوانبه الأطراف تنبه الشعابي فلا يزال فيه
حتى يموت فلما ألقي فيه ابن الزيات مر به عبادة المخنث فقال يا
ابن الزيات أردت تجعلني في التنور فجربته فيه فقال المسعود أماع
ابن الزيات في التنور أربعين يوما إلى أن مات وكانت مدة وزارته
للمتوكل أربعين يوما وذكر ابن الجاحظ كان من خواص ابن الزيات فلما
قبض عليه هرب إلى البصرة فقيل له لم هربت فقال خفت أن يقال ثاني
اثنين إذ هما في التنور وقتل ابن الزيات في الرابع من صفر سنة ثلاث
وثلاثين ومائتين وكان قد وزر لثلاث خلفاء المعتصم والواثق والمتوكل
ولما قبض عليه قال يا نفس ليس يكفيك التجارة والإسفار والى غرس
العيش حتى طلبت الوزارة وتعرضت للسباع في غيلها ذوقي الآن
ما جنيت على نفسك ومات الواثق سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وله من
العمر ست وثلاثون سنة وكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر
وأياما أتى الله سكنر فسار فجاء من يطلبه فقال ابن الملا انيس
فعلت ما فعلت وأنا كان فقال وتطلبه أيضا وأنت كان
من أرغب في العفو فقد نبه رجاء الخلاص يوم الجزاء فإنه تعالى والعفاص
قال الله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم
ليوم تشخص فيه الأبصار وقال بعض الحكماء من عزا وعين الظالم
ونعوذ به للمظلوم كتب محمد بن عبد العزيز بن أبي عمار إذا أمكنك
القدرة على المظلوم فاذكر قدرة الله تعالى عليك واعلم أن لك عند الله ما
لا يبيد عنك وقال بعض الحكماء اذكر عند القدرة قدرة الله عليك
وعند الظلم عدل الله فيك وفي المثل كما ترمي ترى وقالوا الأشرار

من المظلوم جوانحه حتى ينكسر من الظالم جناحه وقال اعرابي لرجل جار عليه في
الحكم بين مسلمين اني ارى كل انسان يظلمونه عن الحق وقال عيسى بن ابان لرجل
من طلب عزا بباطل وجور أورثه الله ذلا بانصاف وعدل قال الشاعر

لا تعاجل الذنب بالانتقام، واحتز من تابعة الآثام
مكارم السادات سيماهم العفو، قريبا عن الذنوب العظام

اتي سليمان بن عبد الملك برجل جنى جناية وجب عليه فيها القتل فلما غضب
جاء بقتله فقال يا أمير المؤمنين اذكر يوم الأذان قال وما يوم
الأذان قال اليوم الذي قال الله فيه فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله
على الظالمين فبكى سليمان وأمر بإطلاقه وأتي الرشيد ببعض من خرج
عليه فلما مثل بين يديه قال ما تريد أن أصنع بك قال الذي تريد أن يفعل
الله بك إذا وقفت بين يديه فاطرق الرشيد مليا ثم رفع رأسه وقال اذهب
حيث شئت فلما خرج قال بعض من حضر يا أمير المؤمنين تعفو عن رجل قد قتل
رجالك حتى تخلع بمثل هذا البائع وتخليه بكلمة واحدة انا نخاف
أن تتسلط علينا الأشرار بالإصرار فقال الربيع فأمر برده فلما مثل بين يديه
علم انه قد أغري به فقال يا أمير المؤمنين لا تطعهم فيّ فلو أطاع الله
فيك خلقه ما استخلفك عليهم ساعة واحدة فأمر بإطلاقه وأخذ
الحجاج محمد بن الحنفية رضي الله عنه بعدما قتل عبد الله بن الزبير فقال بايع
أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فقال إذا اجتمع الناس عليه كنت كأحدهم
فقال والله لأقتلنك فقال لعلك لا تقدر فقال ما يمنعني قال محمد حدثني
أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن لله في كل يوم ثلاثمائة وستين
لحظة ينظر في كل لحظة ثلاثمائة وستين نظرة فلعله أن يكفينيك في نظرة
من نظراته فانقبض الحجاج وقال فرج الله عنك اذهب حيث شئت وخلى
سبيله وكتب الحجاج بهذا الكلام الى عبد الملك بن مروان وأمره ان لا كتاب
الروم بتهديد وتهدد فكتب اليه عبد الملك بهذا الكلام فكتب ملك الروم ملك
ما أنت أبو عذرة هذا الكلام ما هذا الا كلام أهل بيت النبوة وقال
رجل لآخر غضب عليه أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك

اليوم

٨١

اليوم وهو على عقابك أقدر منك على عقابه الا نفيت بأمر نفى من بين يدي
أحب اليه من سخطي وعن له فنحن أولى به من ظلمه فعفا عنه وأطلقه وفيما
حكي ان حمدان في أيام المنتصر بالله واحرق دار الزينة وفقد منها
اجتمع الناس في افضل الخصوم ابوا عنه فشكوا امرهم اليه فكتب الى
المنتصر ان كنت خائفا فارج حلمك وان كنت مظلوما فثق بالله تعالى و
السلام ثم عفا عنهم غضب محمد بن سليمان على رجل فأمر بضربه في النطع
فقال له الرجل اتق الله فيّ فقال خلوا سبيله فاني أكره أن أكون كالذي
قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ثم حبسه فيهم قدم الى أحمد بن نصير
مجوسي جنى جناية فأمر بضربه فقال أيها الأمير اضرب بقدر ما تقوى
عليه يوم القيامة من القصاص في الآخرة فتركه ونزل الجمل وأخذ مصعب
رجلا من أصحاب المختار بن أبي عبيد فأمر بضرب عنقه فقال أيها الأمير ما
أقبح بك أن أقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك الذي
يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول يا رب سل مصعبا فيم قتلني فقال
أطلقوه فقال أيها الأمير اجعل ما وهبت من حياتي في خفض عيش قال في ارمح
أعطوه مائة ألف درهم فقال أيها الأمير أشهد أن لابن قيس الرقيات
منها خمسين ألفا قال ولم قال لقوله فيك

إنما مصعب شهاب من الله، تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رأفة ليس فيه، جبروت كلا ولا كبرياء
يتقي الله في الأمور وقد أفلح من كان همه الاتقاء

فتبسم مصعب وقال إنه فيك لموضع الصنيعة وأمر بملازمته فأتى به
فلم يزل حتى قتل في جمادى الأولى سنة اثنين وسبعين وقيل أخرى
في جمادى الأولى وكانت مدة خلافته تسع سنين واثنين وعشرين يوما
وماتت أمه أسماء بعده بجمعة أيام لم تشب ولم يقع لها سن وقيل
من العمر مائة سنة واسم ابن قيس الرقيات عبيد الله وانما عرف
بقيس الرقيات لأنه شبب في شعره بثلاث نسوة كل واحدة منهن
رقية وقيل اجتمع في جداته ثلاث رقيات وعلى القول الأول

فقال الرقيات بالنسب ملى العصبة وقيس بالتشويق وعلى الثناء فقال قيس الرقيات
بالكسر على الإضافة وأما الرقيات التي شبب بهن ابن قيس رقية بنت عبد الله بن جعفر
وفيها يقول ٭ رقود تنام رقية إذا عزانا ٭ يوم جاوزت حمولها سكرانا ٭
ورقية بنت عبد الواحد بن قيس وفيها يقول
٭ أحسنت رقية دونها العمود بالرقعة السوداء بالسبعين ٭
ورقية بنت الحسن وهي ابنة عم رقية بنت عبد الرحمن وفيها يقول ٭
٭ أتكتمني رقية أم تبوح ومن تبع الهوى غير صحيح ٭

الفصل الثالث من الباب الرابع عشر في أن الانتفاع بحدود الله خير وفعلات في حكمة الله وولاة ... اد

قال الله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم
الظالمون وروى أبو داود في مراسيله التي أخرجها في سننه عن مكحول عن
عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا الحدود في البعيد
والحضر على القريب والبعيد ولا تأخذكم في الله لومة لائم وروى أبو هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حد يقام في الأرض خير لأهلها من مطر
أربعين صباحا وقال الحسن البصري إن الله تعالى أنزل الحدود ليزجر بها عن
الخبائث والفواحش وأنزل حفظ حياة لعباده فما انتقصوا وحدوا لا
تأخذكم في الله لومة لائم ولا يحل للأمراء أن يشفع في حد من حدود الله
ولا يجوز للمشفوع إليه أن يشفع فيه لما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حالت شفاعته دون حد من حدود
الله تعالى فقد ضاد الله في ملكه مجمتا ورد غيره في البطالة والإصلاح
في كونه مشروع الإيقاع والإيلام قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا جلد فوق عشر جلدات إلا في حد من حدود الله عز وجل
وقال عليه السلام ادرءوا الحدود بالشبهات وقال بعض الحكماء
ادفعوا الحدود ما وجدتم لها مدفعا ولأن يخطئ الإمام في العفو خير من
أن يخطئ في العقوبة فإذا وجدتم للمسلم مخرجا فادرءوا عنه الحدود وقال
أن يخطئ في العقوبة فإذا وجدتم مخرجا للمسلم فادرءوا عنه الحدود

بعض

بعض الحكماء رب ذنب مقدار العقوبة فيه إعلام المذنب بالعفو لأنه يتجاوز
عن الله وتعالج التي عن الله نباع وقيل الحكمة بن زامع الدوسي من أعرابه
أنا من فلان من عقائد إذا قدر وأجمل إذا انتقص ولم يخفه عن الغضب
ويحكى أن جعفر بن محمد الصادق قال لأبي جعفر المنصور وقد غضب
على رجل فيما يرى في عقوبته أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تغضب لله
سبحانه بأكثر مما غضب به لنفسه إن الله تعالى يقول يوم القيامة
للمنتقم قوما حقد لي فما اقتص بأكثر مما حد له فيقول يا رب
إنما غضبت لك فيقول الله سبحانه ما كان لغضبك أن يكون فوق
غضبي وقال أبو الدرداء لرجل أسمعه كلاما يا هذا لا تغرقن في سبنا
ودع للصلح موضعا فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع
الله فيه وقال بعض الحكماء إن العفو ثقيل من فضل به عجز ومن جاوزك
ظلم ومن اقتصى إليه الكتبي وأتي المأمون برجل وجب عليه حد فبادر
يجري به فقال يا أمير المؤمنين قتلتني قال الحق قتلك قال ارحمني قال ما
أنا بأرحم من الذي أوجب عليك الحد وقال أبو حامد الغزالي كله في القيام
بحدود الله تقدمت امرأة إلى ابن الزبير وكان قد حبس ابنها في دم
فاستشفعت منه بها وزوى وجهه عنها فقال له بعض من حضر ارحمها
أيها الوزير فإنها أمه فقال أفلا أرحم أم المقتول وقال شاعر
إذا عفا من لم يكن في عفوه ٭ حزم به يكن نعماء ٭ وارتكاب ذا زلة ٭ بعزة
لا تغتفر ان وقال الحسن بن سهل لا تعاقب على الذنوب فوق عقوبتها فإن
الله أمر منك على عدوك وقال أمير السفهاء فصل في إعلام الإصلاح
وقوا عن الذي بين من إذا عوقب لئيما ولا ما يصل وقال أبو العفو أفضل
الذنب الذي لا يكون عن عمد ولا يقتضي الحد ولا ينقض سنة ولا يورث
جرأة فأما الذي يرتكب عمدا ويوجب حدا فلا ضمان لمن يحيى في الذنوب
والتجاوز عنه إبطال للحدود وذلك مما لا تحتمله السياسة ولا ١
تطلقه الشريعة في جميع ما يستوجب الحد كم عاقب من يستحق العقوبة
ذكر الحدود التي أوجبها الله تعالى على من عصى في ارتكاب الفواحش

وتعالى **حد الزنى** وهو من الكبائر يثبت بأحد أمرين إما بإقرار أو ببينة
والبينة أربعة شهداء يشترط في قبول شهادتهم رؤية العين للمباضعة وفي جواز
نظر الشهود خلاف. وحد الزنى أن يدخل من شهوة مغيب الحشفة البالغ العاقل حشفة
ذكره في أحد الفرجين من لا عصمة بينهما ولا شبهة والزناة نوعان بكر ومحصن
فيجلد الفاعل في البكر إن كان حرا عاقلا بالغا عالما بالتحريم مائة سوط
على سائر أعضائه دون الوجه والرأس والفرج وسائر المقاتل المخوفة
ويغرب عاما كاملا. وقال مالك تغرب الرجال دون المرأة وقال أبو حنيفة
لا يغرب والتغريب على مسافة القصر وهو الكثير في الحر والمسلم في
الجلد والتغريب سواء. وحد العبد على النصف من حد الحر ويغرب نصف
عام في أحد القولين. وقال مالك لا يغرب لما في تغريبه من الضرر بسيده
فأما المحصن فهو الذي وطئ بعد نكاح وحده الرجم بالحجارة
حتى يموت ولا يلزم الراجم توقي مقاتله ولا يجلد من رجم فإن رجم بالبينة
رجم في جميع جسده من الضرب وإن هرب اتبع بالرجم حتى يموت وإن رجم
بإقراره لم يتبع وإن هرب لم يتبع وإن تاب الزاني بعد القدرة عليه
لم يسقط عنه الحد. **حد السرقة** والسرقة أخذ مال محرز بلغت قيمته
نصابا إذا سرقه بالغ عاقل مختار لا شبهة له في المال ولا محرز له فيقطع
يده اليمنى من مفصل الكوع. والنصاب ربع دينار ذهبا أو ما قيمته ربع دينار
وهو عشرة دراهم عند الشافعي وثلاثة دراهم عند مالك ويختلف في
الحرز باختلاف الأموال وإذا قطع السارق والمال باق رد على
مالكه وإن سرقه ثانية قطع وقال أبو حنيفة لا يقطع في مال من تبن
وإن عاد بعد الحال عن القطع لم يبطل ويشترك في قطع السرقة الرجل والمرأة
والحر والعبد والمسلم والكافر وإذا سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى
فإن سرق ثالثا قطعت يده اليسرى وإن سرق رابعا قطعت رجله
اليمنى وإن سرق خامسا لم يقتل بل يعزر لأنها معصية ليس فيها
حد ولا كفارة. وإذا تلفت السرقة في يد السارق ضمنها وقطع لأن الضمان
يجب لحق الآدمي والقطع يجب لله فلا يمنع أحدهما الآخر كالدية

والكفارة

والكفارة ولا يقطع صبي ولا مجنون ولا عبد سرق من مال سيده ولا والد
سرق من مال ولده ولا ولد سرق من مال أبيه أو جده لأن لكل واحد منهما
شبهة في مال الآخر. **حد الخمر** كل ما أسكر كثيره من خمر أو نبيذ حرم شاربه
سواء أسكر أو لم يسكر إذا كان مكلفا والسكر ما زال معه العقل حتى
لا يعرف بين السماء والأرض ولا يفرق بين الطول والعرض هذا قول أبي
حنيفة وقيل هو أن يجمع بين اضطراب الكلام فهما وإفهاما وبين
اضطراب الحركة مشيا وقياما. *يحكى* أنه لما جلس أبو بكر محمد بن أبي
داود الأصبهاني الفقيه بعد موت أبيه بعث استفتى من سواه
إليه رجلا فقال ما تقول أدام الله سلامتك متى يكون الشارب سكرانا فقال
إذا عزبت عنه الهموم وباح بسره المكتوم فعلم بهذا الجواب
موضعه من العلم. وقال أديب في عنبر العين مجون

شربنا شراب الكرم حتى كأننا نرى الأرض تمشي والجبال تسير
إذا أم كلب قلت قرم مبارك وإن قرم قلت ذاك تعيس
تسايرنا الحيطان من كل جانب ترى الشخص كالشخصين وهو وحيد

والحد في الخمر أن يجلد أربعين بالجريد أو بالأيدي أو بالنعال أو
بالسوط ويبكت بالقول القبيح والكلام الرادع. وحد العبد على
النصف من حد الحر كما جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر
وصدرا من خلافة عمر فلما رأى الناس قد انهمكوا في شرب الخمر
وتتابعوا فقال علي رضي الله عنه أرى أن يجلد الحر ثمانين والعبد أربعين ويجعل
ذلك أقل ما يكون من اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
الفقهاء الأربعين حدا والزيادة عليها تعزيرا لأجل افتراء
الشارب إذا سكر هذى وإذا هذى افترى وإذا افترى استحق التعزير
فإن مات في الأربعين كانت نفسه هدرا وإن مات في الثمانين ففيه
قولان أحدهما جميع الدية لتجاوزه الحد في حقه وهو أربعون
والثاني نصف الدية لأنه تلف من حق وعدوان فضمن بدله. **وحد القذف**
ثمانون جلدة إجماعا وهو من حقوق الآدميين يستحق بالطلب

و يسقط بالعفو ويعتبر في القذف خمسة شروط وهي البلوغ والحرية والعقل
والإسلام والعفة وإن كان بغير ذلك لم يحد قاذفه بل يعزر لأجل الأذى
ويشترط في القاذف أن يكون بالغا عاقلا فإن كان صغيرا أو مجنونا فلا
يحد ولا يعزر وإن كان عبدا جلد أربعين لنقصه بالرق ويستوي في الحد المسلم
والكافر والمرأة ولا يحد القاذف بالسرقة والكفر بل يعزر لأجل الأذى
والقذف بالزنى فيما كان بالتصريح لا بالتعريض وقيل بالتصريح و
التعريض وهو مذهب مالك وقيل لا حد في التعريض وهو مذهب الشافعي
والتعزير مشروع في كل ذنب لم تشرع فيه الحدود ولا يبلغ به أدنى
الحد فلا يبلغ به في الحر أربعين ولا في العبد العشرين فإنه
لم تشرع فيه الحدود كمباضعة الأجنبية فيما دون الفرج وسرقة
ما دون النصاب والسرقة من غير حرز والقذف بغير الزنى والجناية
التي لا قصاص فيها ويجوز أن يكون التعزير بالعصا وبالسوط ونحوه
على حسب ما يرى الإمام ويختلف باختلاف الذنب وقال عليه
الصلاة والسلام أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم إلا في
الحدود فيعزر من جل قدره بالإعراض عنه ويعزر من دونه بالتعنيف
ويعزر من دونه بزواجر الكلام ومن دونه يعزر بالضرب وحالهم في الحبس
كذلك من يوم إلى غاية غير مقدرة ويجوز في التعزير العفو عنه إذا
لم يتعلق به حق لآدمي كالشتم والضرب وإن عفا المشتوم أو
المضروب كان ولي الأمر مخيرا بين التعزير تقويما والعفو صفحا
فإن تعافوا قبل الترافع إليه كان ولي الأمر مخيرا والجنايات
من قود وعقل والجنايات على النفوس ثلاثة عمد محض وخطأ محض
وخطأ عمد وشبه عمد أما العمد المحض فهو أن يتعمد قتل
إنسان بما يقتل غالبا فالقود أن يقتل القاتل بمثل ما قتل به المقتول
إذا قتل بالسيف لم يقتص منه إلا بالسيف وإن أحرقه أو أغرقه
أو رماه بحجر أو رماه من شاهق أو ضربه بخشبة أو حبسه ومنعه
الطعام والشراب فمات فللولي أن يقتص بمثل ذلك لقوله وإن عاقبتم

فعاقبوا

فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به والدية في هذا القتل مائة من الإبل في مال القاتل
حالة فإن أعوزت الإبل وجبت قيمتها بالغة ما بلغت وقيل ألف دينار
أو اثنا عشر ألف درهم وأول من سن الدية مائة من الإبل عبد المطلب وحكم
القود فيه أن لا يفضل القاتل على المقتول بحرية أو إسلام فلا يقتل حر
بعبد ويقتل الذكر بالأنثى ولا يقتل مسلم بكافر وهو مذهب مالك والشافعي فإن
قتل حر عبدا فلا قود وكذا إن قتل مسلم كافرا وقال أبو حنيفة
يقتل المسلم بالكافر والحر بالعبد كما يقتل العبد بالحر والكافر
بالمسلم ويقاد الرجل بالمرأة والمرأة بالرجل والكبير بالصغير
والعاقل بالمجنون من إهانة لقوله تعالى أن النفس بالنفس وقال
المخالف له أن الآية وردت حكاية ما كتب في التوراة على أهلها
وإنما كتب به المسلمون كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ولا يقاد والد بولده ويقاد الولد
بالوالد والأخ بالأخ وأما الخطأ المحض فهو أن يتسبب إليه
الفعل من غير قصد لإيقاع الفعل بالمقتول كرجل رمى هدفا فأصاب
إنسانا أو ركب دابة فجمحت بإنسان فمات منها وما أشبهه إذا
حدث عنه القتل فيكون خطأ محضا تجب فيه الدية دون القود
على عاقلة الجاني في ماله مؤجلة تؤخذ [illegible] المقتول في ثلاث
سنين أخماسا عشرون خلفة وهي التي خلفت من أمهاتها ولها من العمر
وعشرون بنت مخاض وهي التي مضى لها من العمر سنتان وعشرون بنت
لبون وهي التي مضى لها من العمر ثلاث سنين وعشرون حقة وهي التي
مضى لها من العمر أربع سنين وسميت حقة لأنها استحقت أن يحمل عليها
وعشرون جذعة وهي التي مضى لها من العمر خمس سنين ولا يتحمل القاتل
مع العاقلة شيئا من الدية ولا يتحمل الأب وإن علا ولا الابن وإن
سفل لأنهم ليسوا من العاقلة وعلى القاتل مع الدية عتق
رقبة مؤمنة سليمة من العيوب فلأنه لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة
الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها في جملة الأحرار لأن الإطلاق

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

من غير اذن كان جانيا من قتل لان الذمي ممنوع من القصاص وقتل فيه غيلة ولا سبيل
يتوصل به اليه فعليه فيباع شيء من متاعه بعيره ودية نفس الحر المسلم الف دينار
ان كانت ذهبا واثنا عشر الف درهم ان كانت ورقا وان كان ابلا فمائة من الابل وهو اصل
الدية ودية المراة على النصف من دية الرجل في النفس والاطراف
ودية اليهودي والنصراني ثلث دية المسلم وقال مالك نصفها ودية
المجوسي ثلث عشر دية المسلم ودية العبد قيمته وان زادت على الحر
اضعافا واما شبه العمد فهو ان يكون على وجه اللعب بغير ما هو للقتل
كفعل الاب في ابنه كما فعل المدلجي او عزر السلطان رجلا على ذنب فتلف فلا قود
في القتل وفيه الدية على العاقلة وهي دية مغلظة وهو ان يزاد عليها
ثلثها يوخذ منها ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة والعاقلة
هم العصبات الذين يورثون بالنسب والولاء واذا اشترك جماعة في
قتل رجل واحد وجب القود على جميعهم فعليهم دية واحدة تقسط عليهم
بالسوية وان كان بعضهم جارحا وبعضهم ذابحا فالقود في النفس على
الذابح الموحي والجارح ماخوذ بجراحته واذا قتل الواحد جماعة قتل بهم ولا
يلزمه القود في اطرافهم ونفسه ياتي على ذلك والقود في الاطراف كما قال
الله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف
والسن بالسن والجروح قصاص فلا تقطع يمين بيسرى ولا صحيحة بشلاء ولا
ضرس بسن ولا ثنية برباعية ولا لسان ناطق بلسان اخرس لانه اكثر من حقه
ويوخذ الاخرس بالناطق ويقاد الشيء بالادنى وما انقسم الى اعلى
واسفل يوخذ الاعلى بالاعلى والاسفل بالاسفل فيما الدية فيه كاملة من جوارح الانسان
وحواسه العقل والاذنان والسمع على حياله والعينان والبصر على حياله
والاجفان الاربع على حيالها والانف والشم على حياله والشفتان والذوق
على حياله والاسنان واللسان والنطق على حياله واليدان والرجلان والاصابع على
حيالها والحلمتان ومنفعة المشي والجماع من غير قطع الذكر والحشفة
جميع الجسد في جميع اللحم النابت على العظم ما تختص به المراة دون الرجل
الثديان وفي الرجل خلاف الا مفاد ويجب في كل جفن ربع الدية وفي كل سن

خمس

خمس الدية وكذا في الاضراس والرباعيات وفي كل اصبع من اليد او الرجل عشر
الدية لا يفضل اصبع على اصبع وفي كل انملة ثلث دية الاصبع ما خلا الابهام
وفي كل انملة منه نصف العشر واذا وجب القود في نفس او طرف لم يكن لوليه
ان ينفرد باستيفائه الا باذن السلطان فان طالب حقه من غير اذن
السلطان فلا شيء عليه وان تعذر وخاف فوات القاتل فالولي مخير
بين ان يعفو او يقتل او ياخذ الدية وذلك مما خص الله به هذه الامة
لان الله تعالى كتب على اهل التوراة القصاص وحرم عليهم العفو واخذ الدية
واوجب على اهل الانجيل العفو وحرم عليهم القصاص واخذ الدية

ثلث عشر الدية

المحاربون هم اجتماع جماعة على شهر السلاح وقطع الطريق واخذ
الاموال ومنع السابلة فالحكم فيه كما قال الله تعالى انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع
ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض وحكمهم عند الشافعي انها مترتبة
باختلاف افعالهم لا باختلاف جناياتهم فمن قتل واخذ المال قتل وصلب
ومذهب مالك وابي حنيفة ان يصلب حيا ثم يطعن بالرماح حتى يموت
ولا يترك ان يقطع وينفى ولا يجوز العفو عن حد القتل وان عفا ولي الدم
ومن قتل ولم ياخذ المال قتل ولم يصلب ومن اخذ ولم يقتل ولم ياخذ المال
عزر ولا يخير ونفي والنفي هو الحبس وهو قول مالك وابي حنيفة وقال
الشافعي هو ان يطلبوا لاقامة الحدود فيهربوا فان تابوا
وقبل الامام تحقيقه من العقوبات في كل قاطع كان من غير تفصيل وتوبة
المحارب قبل القدرة عليه فان كان لحق في منعة وضع عنه الحد الا ما فيه
ولا يسقط عنه حق الادمي وقال مالك توبة المحارب قبل القدرة عليه
تضع عنه جميع الحدود والحقوق الا الدماء وبالله التوفيق

الباب الخامس عشر في الاقوات وفيه ثلاثة فصول الفصل الاول من هذا الباب في مدح اتخاذ الاقوات وما فيه العزة والاعوان

قال الله تعالى حكاية عن قول الكفار في دركات النار وطلبهم الاغاثة من
المومنين على ازالة ما مسهم من عذاب الجوع او تخفيف ما نالهم من العذاب

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

لا شيء مما أنا فيه سما معين ولا هو في جميع **فصل** إنما سمي الصديق صديقا لصدقه
فيما يدعيه من المودة وسمي العدو عدوا لعدوه عليك إذا ظفر بك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من الإخوان فإن الله حيي كريم يستحيي
أن يعذب عبدا بين إخوانه وقال عليه الصلاة والسلام المرء كثير بأخيه
وقال عليه السلام عليكم بالإخوان الصدق فإنهم معونة على حوادث الزمان
وشركاء في السراء والضراء وقال علي رضي الله عنه في معناه

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب وإن عدوا واحدا لكثير

وقالوا من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والخذلان وقالوا اتخاذ الإخوان
شبكة للإخوان وقالوا مثل الصديق كالنعل تتوصل بها وإذا انقطعت تستغني
بالنعل المشبه بالحاجة إلى الأخ الصديق كالحاجة إلى الماء المعين وقال
الصديق ثالث النعمتين وثالث العينين وقال في ذلك الإخوان روح الحياة
وراحة الجنان وقال ما من ما كسب أطيب من مؤاخاة الإخوان وتقسيم الروح
ومنادمة الخلان وقيل لبعضهم أيما أحب إليك شقيقك أم صديقك قال
شقيقي إذا كان صديقي وقالوا الأخ الصالح خير لك من نفسك لأن النفس
أمارة بالسوء والأخ الصالح لا يأمر إلا بالخير وقال المغيرة بن شعبة
التارك للإخوان متروك وقيل الرجل بلا صاحب كالشمال بلا يمين وقال
الشاعر وما المرء إلا بإخوانه كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجذم
وقيل لحكيم ما العيش قال إقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الإخوان
وقال الشاعر ما ضاع من كان له صاحب يقدر أن يصلح من شأنه
وإنما الدنيا بسكانها وإنما المرء بإخوانه وما أحسن
قول من قال ما دامت النعم على شكرها الزمرد صديقي أمنى
من ملامة وذا أخ صالح تنزل النقطة منه الوتين
ولم يقل في احتياج الإنسان إلى صديق يرتبه في الشدائد ويعينه على
بلوغ المقاصد مثل قول العقيد المنصور

لولا وجود الصديق عندي ما قال عدوي ما نال مني
وكنت إذا ابكاني الدهر حتى فرحت بفيض الدموع تجفني
وما جبلة الصديق إلا مجموع خوف عقيب أمني

وقالوا الحكيم من الإخوان من كان ذا عقل موفور يهتدي به إلى الرشد
الأمور فإن الأحمق لا يثبت له وصال ولا يدوم لصاحبه على حال فالسوا
الحكيم من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي ولا أدب فإنه رداء لك
عند حاجتك وزين عند نائبتك وأنس عند وحشتك وزين عند عافيتك وقال
حسان بن ثابت رضي الله عنه

أخلاء الرجال هم كثير ولكن في البلاد هم القليل
فلا يغررك خلة من تصافي فمالك عند نائبة خليل
وكم خل يقول أنا وفي ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين فذاك لما يقول هو الفعول

ومن صرح الشاعر في اعتبار الأخلاق واختبار الإخوان قول بعضهم
وإذا اجتليت من امرئ في أمره وذكرت ما يبقى له ما يصنع
إن الشباب إذا استراح به الثرى من جمال التبيان بما يكاد الزرع وقال
آخر طبع الذكي يجيء من طابعه من كان ذا شرف وكان عفيفا
إن الذكي إذا تفضح حالة فإنه علو منه لا يزال شريفا
وقال علي رضي الله عنه الأخ رقعة في ثوبك فانظر بم ترقعه وقال الثعالبي
لا تستكثرن من الإخوان إلا إذا كانوا خيارا فإن الإخوان غير الأخيار
بمنزلة النار قليلها متاع وكثيرها بوار شاعر

لا تركنن إلى أهل الزمان ولا تأمن إلى أحد واسمع الخبرا
ما رشدك بجرب من تعاشر حتى يقول لك التجريب كيف ترى واخبر
تخبر من الإخوان كل أمر حسن تبين عند النائبات ثباته
وقال آخر إذا ما رأيت امرأ أحمقا يزيد ويزداد بالعقل عن لائق عورى وقيل
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

• من نال المجالس أخزنا بعضنا • يعتبر الصاحب بالصاحبه •

• علامة الصاحب في خدنه • تبين للشاهد والغايب •

• إذا اختبرت أن تبغي لك الود صاحبا من قبل أن يقع لك الود تغضبه •

• فإن كان في حال الرضا خير صاحب وإلا فمن جربته فتجنبه •

• ابن مسعود: ما شيء أدل على شيء، ولا الدخان على النار، من الصاحب على الصاحب. وقال حكيم: كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع جنسه. وفي المنثور: رأى حكيم غرابا مع حمامة فتعجب من ألفتهما مع تباينهما في الجنس فأثارهما فإذا كل منهما مكسور الجناح فقال: إنما جمع بينهما العلة. وقالت الحكماء: الأضداد لا تتفق والأشكال لا تفترق. وقالوا: على قدر تشاكل الأجناس تتآلف قلوب الناس وأحب مشاكله أحسنها مواخاة وأكثر ما تتآخى الطيور تشاكلا. وحكي أن عبد الله بن جعفر جاء مكة ليلة فبات خارجها فلما أصبح دخلها فقال: يا أهل مكة عرفنا خياركم من شراركم في ليلة واحدة، نزلنا ومعنا أخيار وأشرار فنزل خيارنا على خياركم وشرارنا على شراركم. وقد نظم المتنبي هذا القول في بيت واحد فقال

• وشبه الشيء منجذب إليه • وأشبهنا بدنيانا الطغام • وقال غيره

• لكل امرئ شكل من الناس مثله • وأكثرهم شكلا أقلهم عقلا •

• وكل أناس يألفون لشكلهم • وأكثرهم عقلا أقلهم شكلا •

• لأن كثير العقل ليس بواجد • له في طريق حين يلقى له مثلا • آخر

• وقائل كيف تفارقتما • فقلت قولا فيه إنصاف •

• لم يك من شكلي ففارقته • والناس أشكال وألاف •

وقال بعض الحكماء: لا يحتاج أن تتواصل ومن علامة الأشكال أن تتفاوض الأشياء فتتحلل إلى معرفته وتجري إلى عشرته فإذا أطاعك فتنبه ولكن في عشرته وثق بمعرفته وتيقن ثبات الحلية وقال حاتم

• وإذا أعجبت الجفن مشتبه لدى لعينا • وتارك شكل لا يوافقه شكلي •

• وشكلي شكل لا يقوم بمثله • من الناس إلا كل ذي نيقة مثلي •

• وفي بعضه في الجود والبذل لم يكن • تأنيه فيما مضى أحد قبلي •

وأجعل

• وأجعل ما لي دون عرضي جنة • لنفسي وأستغني بما كان من فضلي •

أبو سليمان الخطابي

• وما غربة الإنسان في شقة النوى • ولكنها والله في عدم الشكل •

• وإني غريب بين بست وأهلها • وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي •

ويقال: المودة نسب من غير رحم ووصلة من غير قرابة. شاعر

• وقد صحبت الناس ثم سبرتهم • وبلوت ما وصلوا من الأسباب •

• فإذا القرابة لا تقرب قاطعا • وإذا المودة أقرب الأنساب • وآخر

• ما الغريب الذي يجفوه موطنه • ولا يجد ويبعد الغريب بالنسب •

• كم من قريب بعيد الود منقطع • ومن بعيد سليم الود مقترب •

فصول شروط الإخاء، وحقوقه الواجبة على كل أخ لصديقه

والقول الجامع لحقوق الصديق ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للمسلم على المسلم ست خصال واجبات من ترك واحدة منها فقد ترك حقا واجبا لأخيه: أن يسلم عليه إذا لقيه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويجيبه إذا دعاه، ويحفظه إذا غاب، ويشيعه إذا مات. وقال عمر بن الخطاب: ثلاث يصفين لك ود أخيك: تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه. فنظم بعض الشعراء هذه الكلمات فقال

• ثلاث تصفي الود لك من أخيكا • إذا اجتمعت فيك للأخوة فيكا •

• تسلم عليه قائلا متحببا • إليه إذا لاقيته وتحييكا •

• وتوسع له في الود في كل مجلس • كما كنت يوما موسعا لك بيكا •

• وتدعوه من أسمائه بأحبها • إليه تكن بالود منه وتبكيكا •

• وداوم عليه مع أخيك بأمانة • من الشوق عند النائبات يقيكا •

وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص على كم يقبله فقال: لا تشبع وتجوع، وتلبس وتعرى، وأن تواسيه بالبسط. وللشعراء نظم شائع في الكلمات فقال

• خليلي على منه ثلاث • واجبات أنعمها أخواته •

• حفظه في الغيب إن غاب عني • ولقاه بالبشر إن لاقاني •

• ثم بذل المعونة حين يشكو • مشفقا في الخطوب أنه عاني •

جملة يعم من شرائط الاخاء والمودة رعاية الاخ أخاه في البشر والرحمة
وقال علي رضي الله عنه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته
وغيبته ووفاته وقال كلثوم اليماني لا تواخين إلا كريما كي يؤاخيك لكمال المروءة
الذي ان بعدت عنه غلطك وان بعدت اليه كنفك الثعالبي ينبغي ان يكون الصديق
لصديقه اسمع من قابع واطوع من خاتم وقيل لابن السماك واسمه محمد بن صبيح اي
الاخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافر عقله الذي لا يملك على القرب
ولا ينساك على البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه راعاك ولا يقبضه
عند يسر ولا ينقطعه عند عسر ان استعنته عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون
مودة فعله اكثر من مودة قوله يستقل كثير المعروف من نفسه ويستكثر قليل المودة
من صديقه وقال جعفر الصادق رضي الله عنه لعمر الله خمس من كانت فيه
فانسبوه اليه ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه الى شيء منها وهي ان يكون زينه
قريبه زينه وسريرته كعلانيته وان لا يغيره عليه مال وان يراه أهلا لجميع
مودته ولا يسلمه عند النكبات وقال مكي بن عبد الله الزبيدي اذا انقطع شسع
نعل أخيك ولم تواسه في الحفا فقد ملت له الى جانب من الجفا ومن حق الصداقة
حفظ العهد وبذل المال واخلاص المودة ورعاية الغيب وتوقير المشهود ونصح
النصح وكظم الغيظ واستعمال الحلم ومجانبة الخلاف واحتمال الكل وحمل
المؤونة وطلاقة الوجه وحسن اللقاء والمشاركة في البأساء ولبعضهم
فيا رب قلت في معنى الاخاء مختار

لم يبق شيء على الايام باقية ۞ الا انقضت غير حفظ العهد والذمم

فما ذوو خلفاء ابناء الحياة معي ۞ لا يرعاه على الاكثار والعدم ابو

العتاهية احب من الاخوان كل مؤاتي ۞ وكل غضيض الطرف عن عثراتي

يوافقني في كل أمر أريده ۞ ويحفظني حيا وبعد مماتي

ومن لي به ياليت أني أصبته ۞ فقاسمته مالي من الحسنات

وقالوا خير الاخوان من [illegible] به ومعنى وقيه عندك قبل يحن عليه
وقال اعرابي اصحب من ينسى معروفه عندك ويذكر حقوقك عليه وقال علقمة
العطاردي اصحب من اذا صحبته زانك واذا اخدمته صانك واذا اصابتك خصاصة مانك

اصحب من ان مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان عثر على سيئة
سترها اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولت أمرا أمرك وان
تنازعتما في شيء آثرك الذي لا تخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه وانشد ابو بكر الكاتب
أطول من كثير في النعم بوسي عادته وان يرد المنعماء بالبر منه عادته
وآخر

خير اخوانك المشارك في المر ۞ وأين الشريك في المر أينا

الذي ان شهدت زانك في القو ۞ م وان غبت كان أذنا وعينا

ان أخا الصدق من كان معك ۞ ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك ۞ شتت شمله فيه ليجمعك

وآخر

لعمرك ما زان الفتى في أموره ۞ ولا شانه الا طباع الخلائق

ولا صاحب الا مواخ في كل حالة ۞ كريم كريم أو خليل مواسي

يواسيك في البلوى ويحفظ العهد ۞ ويصفيك ودا ما حظيت بصادق

يكون اذا ما نابك يوما كريهة ۞ سنانا لدى الهيجاء في كل مارق

وقيل لخالد بن صفوان اي اخوانك أوجب عليك حقا قال الذي يسد خللي
ويغفر زللي ويقيل عللي ويبسط عذري مللي قال الثعالبي من بقي من بقي
خلقك ويسير خلقك وقال الحجاج بن يوسف لابن القرية ما الكرم قال صدق الاخاء
في الشدة والرخاء وقيل أي شيء أضيع قال مودة تمنح من لا وفاء له
في حفظ أو كارها قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي

من لي بانسان اذا أغضبته ۞ وجهلت كان الحلم رد جوابه

واذا صبوت الى المدام شربت من ۞ أخلاقه وسكرت من آدابه

وتراه يصغي للحديث بطرفه ۞ وبقلبه ولعله أدرى به

وقال الخليل بن أحمد يجب على الصديق مع صديقه استعمال أربع خصال الصفح
قبل الاستقالة وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبذل قبل المسألة ومخرج العذر
قبل العتب وقال رجل لشبيب بن شيبة جئتك خاطبا لمودتك قال قد زوجتكها
على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع في مقالة الناس وقالوا الشيء لنا
علانيته أحسن من اذاعة ما كتمت

اذا شئت أن تزعم كل [illegible] عليا [illegible] هزا

إذا ما بدت من صاحب لك زلة … فكن أنت محتالا لزلته عذرا

وقيل لبعض الأدباء من الحبيب قال من ∴ شغله والو كرم ضده ونعله فعل
لدى الشعبي قال من ود بمنته محبة فزينت عينيه له وان شملته بمحنة فزين عينيه
به فقيل له من الودي قال من يحكي بالنعمة كالاخ ويرمي بالجفوة جلالة قيل فمن
الصاحب قال الذي اذا تاكل كالاخ عند الناس ورأه دنا ∴ الأكياس قال
بعض البلغاء اذا جاءك أخوك بلاء فمرجاد لك بنفسه لونه فرب ذلك ما
لا قوام لنفسه الا به واذا فعل عليك برمرك فلا تعرفه بود وللّه در القائل

إذا ما أخ كان صاحب باخ … وفي محضه الود هي بينه
أعلى بالود على من لا أخا … فيزكو ما كنت ربيته
لأن الصفو حار منه يمح … وبيني إذا ازلفني بينه وأخر
أميل مع الصديق على ابن أمي … وآخذ للصديق من الشقيق
فإن ألفيتني عندا مقاما … فإنك واجد عند الصديق

وقالوا انت لكثير معا ونقل أخا لا عند البلاء أكثر من معاونتك إياه عند الرخاء وقالوا
اجعل حسنات أخيك محسوبة وسيئاته إلى الزمان منسوبة وقالوا من علامة الصديق
أن يكون لصديق صديقه صديقا ولعدو صديقه عدوا

صديق صديقي داخل في صداقتي … عدو صديقي ليس لي بصديق
صديق عدوي داخل في عداوتي … وإني على ود الصديق ودود

وقالوا ليس من الحب أن تحب ما يبغض حبيبك السري الرفاء

وليس يكون المرء صديقه … إذا لم يكن حرب العدو المغالب
تود عدوي ثم تزعم أنني … صديقك إن الرأي منك لعازب وأخرى
أبيات إذا ما صديقي من تغاضب معه عادى وانقطع الكلام

وقالوا يجب على الصديق أن يحتمل لصديقه ثلاث مظالم ظلم الغضب وظلم الدالة
وظلم الهفوة وقالوا إذا صح الود سقط شرط الأدب وقيل إذا صح الاعتقاد
ذهب الانتقاد وقال الحامدي أحب الإخوان إلي من يكفيني مؤنة التحفظ
وقال الشاعر لا تبعدوا أخاوانا البعيد ثم … تلتها جاهبا ولا تجب منا حبيبا
فإن نصحن يزيل ثم يصحبنا خيرا والمد … يكر ريثما ترجع طايبا

ومما

ومما يجب عليه من حسن الصنيع رفض العتاب واجتناب التقريع

قال عيسى عليه السلام الصبر على أخ على ما فيه من العيوب خير من
أخ تستأنف مودته وقال من عاتب في كل ذنب أخاه فحقيق أن يمله ويقلاه
وقالوا من يهتك الحرمة وحرك القوة بجواب ما بينهم من الأسباب وقالوا
العتاب يقوم مقام العنف ما سلم من تعداد السقطات وخلص من تذكار
الحركات وقالوا أيسر من العذل سرعة العذل فقال العتاب داعية
الاجتناب وقالوا عتاب الأحباب داعية الهجر والسباب وقالوا العتاب
تذكرة داعية القطيعة بين الأحباب وقال شاعر في هذا المعنى

لولا كراهية العتاب وأنني … أخشى القطيعة إن ذكرت عتابا
لذكرت من عثراتكم وذنوبكم … ما لو تلي على الصخور لذابا

وقال أحمد بن يوسف

وكم من ملمات هوالك سرتنا … لأنك عابتكم جوابا
تركت عتابكم وعلمت أني … رأيت الهجر منزلة العتاب وأخر
تحمل من صديقك كل ذنب … وعرضك ما من نطق القول
ولا تعتب على ذنب حبيبا … فكم هجر تولد من عتاب وأخر
إذا اعتذر الصديق إليك يوما … من التقصير عذر أخ مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه … فإن العفو شيمة كل حر

وقيل إذا انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة وقال أبو بكر الخوارزمي
لا خير في حب لا يحتمل أقذاءك ولا يشرب على الكدر ماءك وإنما المعاشرة
مجاملة والمجاملة لا تسع إلا ستر المخط والكشف ولا تحمل الحساب والتقصي
ملالة الاستقصاء أول الزهد آخر الود وقال محمود الوراق

إن التجني للقطيعة وامق … والعتب يخرج كامن الحقد
فاصبر أخاك على تغيره … وارع الذي قد كان من عهد وكذا
أخلص الود لمن أخبته … وأعط العذر منه إن عثر
وإذا ما زلت النعل بالفتى … تلتبس من أجله الشر
عن جميع مثله يجهل … إنما الجمل كما تستنعي

قالوا من الصديق على صديقه ان يستزله ويتغمد هفوته لانك اذا اردت صديقا
بريئا من الذنوب نقيا من العيوب رمت امرا معوزا وافترحت صعبا معجزا قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة ... يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

وقال بشار

اذا كنت في كل الامور معاتبا ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
واذا انت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت واي الناس تصفو مشاربه
فعش واحدا او صل اخاك فانه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلا ان تعد معايبه
ارضى من المرء في مودته ... بما يؤدي اليك ظاهره
من يكشف الناس لم يجد احدا ... يصح منهم له سرائره
يوشك ان لا يتم وصل اخ ... في كل زلاته تنافره

ولآخر

نعم الناس في الدنيا وكم يوم تره ... يليح بغير او يكدر مشربا
ومن قلة الانصاف انك تبتغي ... المهذب في الدنيا ولست المهذبا

وقال العباس بن الاحنف

ان بعض العتاب يدعو الى العتب ... ويؤذي به الحبيب الحبيبا
واذا ما القلوب لم تضمر الود ... فلن يعطف العتاب القلوبا

ومن امثالهم رب بغض صغير عاد نقمة كبيرة

فكم غافل يرى خلعه شيء حوده ... ووري زناد قلبه لهب
وازرق القطر يبدو امثاله ... واول الغيث قطر ثم ينسكب

وقال نصر بن سيار

ارى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك ان يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى ... وان الحرب اولها كلام
فان لم يطفها عقلاء قوم ... يكون وقودها جثث وهام

وقال عبد الله بن طاهر

اذا ما صديقي رابني سوء فعله ... ولم يك عما ساءني بمفيق
صبرت على اشياء منه تريبني ... مخافة ان ابقى بغير صديق

ومنه قول

الآخر

وكنت اذا الصديق اراد غيظي ... واشرقني على حنق بريقي
غفرت ذنوبه وعفوت عنه ... مخافة ان اعيش بلا صديق

ومنهم من استحسن عتاب الاصحاب فربما كان حثا على اكتساب المحاب
قالوا معاتبة الاخ الصديق خير من فقده فلعل ذلك يكون سببا الى صلاحه ورشده
وقالوا ترك المعاتبة من علامات الاهمال والتواني عن منهيات الاعمال وقالوا
شر الاصحاب من لم ينجع فيه العتاب وقال علي رضي الله عنه عاتب اخاك بالاحسان
اليه واردد شره بالانعام عليه وقال علي بن عيسى في جلاء العتاب صفاء
الاحباب وثمار الوداد ودليل الطبع وحركات الشوق وراحة الواجد ولسان
المشفق وقالوا العتاب يبدي القلوب ويترجم عن خفيات الغيوب وما احسن
قول من قال

تواقفنا عاشقان على ارتقاب ... اراد الوصل من بعد اجتناب
فلا هذا ابتدا عتاب هذا ... ولا هذا ابتدا من الجواب
فلا عيش كوصل بعد هجر ... ولا شيء الذ من العتاب

ولآخر

اعاتب من اهوى على كل حالة ... ويجتنب الاحزان من معه الذنب
فما ذاق التائب من حرقة له ... بمنزلة الغيث الذي قبله الجدب

ومما اخترنا من محاسن الابيات ما قيل في مستحسن المعاتبات فمن ذلك قول الشاعر

لا تعرضوا كان من دونه سركم ... وانتهى حسنكم بالوصل والقرب
بربكم لا راح يتهمني ... وسوء ظنكم نفى العتاب ويبلغ العود في اللهب

ولآخر

سانسيك بعدي ان نسيت مودتي ... كانك لم تخش بتلك ولا وهم
واكبد اذ لم تخش من معتبي ... فتبرأ من همي وتبرأ من دمي
وانسى لك نسيان الذي ولت عليه ... الليالي من جديد ومن كهم
فان قيل ان الذي كان بينكم ... رجعنا عليه انه كان في الحلم

ولآخر

فلا تأخذ من مللت الاذى مني ... فتسومه نوى مجانبتي وبعدي
وسوف تلوم نفسك ان بغيتنا ... وتبلو الناس والاخوان بعدي
فوالله لا انساك حتى ... اوسد مضجعي وازور رمسي

ولآخر

تحرقكم منا فبعدا تشرعوا ... نبال العراق فكنتم نبالهم
اذا كنتم لا تعفون ملمة ... عن التعبير كونوا علينا وكدلها

وقال ابرهيم بن العباس

وكنت أخي بإخاء الزمان ... فلما نبا صرت حربا عوانا

وكنت اعدك للنائبات ... فها انا اطلب منك الامانا

وكنت اذم اليك الزمان ... فاصبحت فيك اذم الزمانا

ولبعضهم في المعنى وهو ذكر الهجر

هجرتم ولم نهجر وخنتم ولم نخن ... وقلتم قد انعم التغريب وما ظلمنا

ستشغل عنكم اذ شغلتم بغيرنا ... ونجعل قطع الود منكم ولا منا

هجرتمونا بلا ذنب جنيناه ... وابدلتم جميلنا بقبيح

أحرزتم غيرنا ونسيتمونا ... فبالله ما في الحق مليح

ان الهجر فيه وصدتك عني ... ولا اذنبت ذنبا لحسن اجني

فان تهجر فاني لا ابالي ... واني نار وجدي تكفيني

ولا ارجو في امر فهم ... فان الترك تجربتي

ولا كنت اقول بيننا نعيما ... لا هل البعض منه ابدا اعني

ستذكرني اذا جربت غيري ... وتعلم كل امر كان مني

وقال بعض الادباء يعاتب عيسى بن موسى

أأن تكلمت لم يكن لكلامي ... موقع والسكوت بين يدي

واراني اذا املت اميري ... ناقص الحظ في دنو وبعد

فأرى ان هذا الشوق في جميع الامور ... امري وجهدي

أي شيء ما امنعته عن غيري ... واحتال ان اعرف منه غضي

قد لعمري ايست منه حياتي ... وخيال من ارجيه تعبي

وينبغي للعاقل اللبيب ان لا يوغل في عتاب الحبيب فانهم قالوا في كلام بعض الحكماء بعض المعاتبة حزم وكلها عزم كالخشبة المنصوبة في الشمس تمال بغير ميلها ونعرف في الامالة فينقصها وقالوا الجواد اذا ضرب في غير وقت كبا والحسام اذا استكره نبا وهذا قال بعض الاعراب اقل الناس عقلا من اخرجه في اكتساب الاخوان واقل عقلا منه من ضيع من ظفر به منهم ويقال قارب الاخوان فان المقاربة اقرب للانساب

ولا تنقص عليهم فان التقصي اقطع الاشياء للاسباب ويقال بالرفق العتب على الاخوان تنقى وحشيات الخواطر والالباب ويجمل الاخ في معاتبة اخيه بقول هذا القائل

فان الصديق واعيه هجر العتاب ... واخصص من بعد بالفضل تخصيص

او تقول الاخ وهو الذي قد حسنت اخلاقه ... وكرمت اعراقه

خذ من خليلك ما يغنيك مستمتعا ... ما بين عيابه المرء والخبر

ان كنت لا تصحب من ترى احدا ... ما خلا بنفسك اخوانا على غرر

وما اكثر العتاب يجني مودات الاكفاء ويبقي كوامن الرماية بين ساعي

كثر العتاب فقلت ان عاتبتنا ... كان العتاب لوصلنا استمكانا

ورجون ان تبقى المودة بيننا ... موصولة حتى كنت ذاك يسيرا كا ولعمركم رجال

واخ كان يلام بالحياء اخا في ... تلون الوانا ثم على خطوبه

اذا عبت منه خلة فهجرته ... دعتني اليه خلة لا اعيبها

كتب يزيد بن معاوية لصالح بن زياد قليل العتاب يذكر والاخوان الاسباب وكثيره يقطع وقال الانساب

لا تكثرن في كل حادثة ... عتب الصديق فانه يبعدوا

فمن مشى بالبعد واجتنب به ... آثرى العتاب كلما تعبرا

لا يريستطر من يليه نبوة ... فيبنوا العتيق وهو الجواد الفحل

فاذا اقبلا ما سنبغه وتا فيه ... خنى فيه به انقطاع الاكرم

وارى الصديق اذا استثاره تعتكا ... فاتعتكا يخرج كامن الاحقاد

ولربما كان التعنت باعثا ... لتناول الابعاد والاضداد

كان في الخليل من الخليل يليه ... فاذا اسا فكافه بعتابه

واذا عتبت على امرئ فاخشيته ... فيتوه كان عتبه وسبابه

وان ضبطه ما استكمله مودة ... واحب لا على اذا دعا بجوابه

في ذلك نعمة من كان اعقله فكان التكلف للشيء على فعله يستله

اذا اتاك الصديق عليه كبرا ... فتكبرا على ذي الحال العربي

وان سلك الغرام به كبرا ... فخذ عرضا سوى ذا الذي العربي

فالجاب الصفو بغير تراخ ... الصفو لصاحبه تضييع الصفو

ولآخر وإن الصريع بأجفان نعيمه * وقد لاح صوب غمام المتزهى
وأزور عند بحاهه وقاتله * وجنتي وجفنا ولم يتخلص
فاعرف به الموت بما معقوله * وارى به عرض العبير وحلى
أن كنتني للنار منه شعاعه * بيوم القيامة ساء كفر لاحمي
الكميت ولست إذا ولى الصريع بوده * بكئيب أبكي عليه وأندب
ولكننا أقوام دمث وإن نكن * له مرمتا عنى فلي عنه مذهب
إلا أن خير الود ود تطوعت * به النفس لا ود أتى وهو متعب
وقال ابن أبو العتاهية ما أنا إلا كمن غادة * أرى خليلي لا تبرأني
لست أرى ما ملكت كفي * أملك من لذة جرى مكاني
فوقه التي ترتضي الأماني * ولم ينل جنبي الإله إني وكونهم
أبيات من كنت عن ماله غنيا * فلا أبالي إذا اجتفاني
ومن يراني بعين نقص * رأيته بالذي يراني
ومن يراني بعين تم * رأيته كامل المعاني
ومن تشمت أنه إذا الموت ملنيني * وأكمي أعراقا وقال ابن الغراد
أكلت دمي إن لم يجب عناقه * وتاركته في حسن مسرح سير
فإن عادني ودي رجعت لوده * وإن لم يعد الغيث إذا الحشر وقال محمد
مازح تمادى به الهجران واستحسن الغدرا * وإني بإيناسه يكلفني الدهرا
فوالله ما استبقيت بعد مودة * هجرتها ولا ارتضعت إذ لا غمرا
فإن عاد في ودي رجعت لوده * وإلا فإني لا أحمل الأمرا
فإن رماني جانبا فحوره * فنسليت عنه واستعن لدهرا
أعرّ ابن الغيراوي مثله * وأنا عن لحصار وأمر عشرا وقال
سعيد أشكو إلى الله جهلا أمره * ما كان في الحاج وكذا بالمملوك
وكان وصوله إلى أهمي * وخير الخلاء الود ود الوصول
ثم ناله الدهر عن رأيه * وإن يغل الهجر إنه حمول
في شعفه إذا زرت لا حيلتا * مستنزل بالخلو والتجار
فرة نامته بالهلالية * ومن توخى ملاحي الثار

ملح في مرح الأخلاء الأصفياء، وصفات مودات الأعزاء الأوفياء
مرح الصاحب بن عباد رحمه الله فقال تصفحت أوكار القلوب وأوكار النفوس
فلم أجد أحسن من قربه وتأملت أشخاص الخطوب فلم أرى فيها من بعض محاسنه
أنوار تحجب بنجوم وسماسمة شموس لم تتصل بكسوف والبلاغة نزكية بأسباب
وريحانه بل بأفنان الصبا وفتيانه ومرح أحمد بن طيفور رحمه الله فقال فضل تستثنه
غنيمة وموافاته كريمة وموكلا المسألة إن بعثه نعوان من كنه جود وقال
شاعر يصف أخاه
أخ وأب وأجواد شفيقة * نفى في الأحباب ما مرحامه
سلوت به عن كل ما كان قبله * وأذهلني عن كل ما هو بعده
وآخر في طالب أحبه ود وإنه * فيعطيني ود وتبرعه
أمنت من صروف الزمن بينه وبينه * إذا دب من الحاسر سوده
الناموس ثمامة بن الأشرس فقال إنه يتصرف في القلوب تصرف
السحاب مع الجنوب وقرأ أحسن من قال في وصفه شعر بيته
خل بلغت من أربه شرف العلا * وإخ غنينا به عن الأخوان
ومتى طلبت منه حاجة كان لي * كفلت بيراء بزينة وعطاء
وآخر موضى لسبيل الخير منبع * في جنبه كل ما يأتي ويجتنب
له خلائق بيض لا يغيرها * من الزمان كما لا يصدأ الذهب
ومن كلام الثعالبي يصف صديقا قلبا مثلا لكي من حل لباسه موضى مودته
وجد كعلو الهجر وحديقة مدى كحديقة الورد الطف من نسيم الشمال على
صفحات الماء الزلال وأشهى بالقلب من علاقة الحب وقال شاعر
متى غرفوا بالسبع ما أنا جوده * ولا ومنتنا أعطاي ومعا علمه
إذا أجر عند الجزاء الأجر لكم * وفي وبا كل إن شيئة الدباطة
وآخر أخ لي في طي أجاويسي * ترى الدهر مفعوما بغمي
يشاكلني سرور في انتماجه * ويا حمر عند شطر همي
يصون عيوبه حين تنشروا * مخافة كأني نهج جرمي
ويجمع الود منه أمسن * ويمنع من معاداته وكلمي

وينعم حكمه في كل ما يأتي ، كأنه ما يليه يرضى بحكمي
فلو أنهم من الجزور يفترى ، إذا الحديث به يرمى ويحمى وكذا
في فهم أدوا أنيابي فريقي ، نبوة الذم كان خير فريقي
حقه واجب على مغيبي ، لا يؤذي وقد مضى في عفوي
فإذ والود والإخاء ، وما أكل قريبي وده بقربي
فهو كالدم في اللطافة واليسر ، وكالنور الشعشعاني في
والشغوف بحول البدر ، كان بعيدا عني ومحول الشعبي
فرحي في مجامل الحب منه ، حتى لا يبني مجاري العروق
خف ثقلي على صاحب مزاح ، دون دهر ضواري ومعروفي صريفي
سوجارد إذ جاره هو وإن ، علوا في ماء قبال من عفوي

الفصل الثاني من الباب الخامس عشر فيما يتزين به أهل المحبة من شرائع الفوائد المستحبة

ينبغي أن يكون أول ما نبدأ به ما يجب من الأدب على الجليس في مصاحبة
الجليس فهو واجب أدبه أن الداخل على الجليس إما جليسا ما صحبه أو
أجنبيا فإن كان أجنبيا فينبغي له أن يستأذن في الدخول إليه أو يقف حيث
يراه وأن يبدأ بالسلام إذا دخل عليه وينظر بعين الإكبار إليه فإن أذن
استرسل ودنا وإن أذن له في الجلوس جلس حيث انتهى به المجلس حتى يرتبه
إن أراد إكرامه فإن ذلك يجملك عنده ويبوئك تحسينه لك وقال
الأحنف بن قيس لأن أدعى من بعيد أحب إلي من أن أقصى من قريب وإن كان
خصيصا به ممن كان يجلس إلى جانبه ويجيء إليه من سر ما يكتمه عن
غيره فينبغي له وقت جلوسه أن يكون بينه وبين الجليس فرجة لاحتمال
أن يجيء من يجب عليه إكرامه فيرفع منزلته فيجلس في تلك الفرجة ومن
أدب الجليس ملازمة الخلاء والمعاملة بلا تطاول ونزاهة الجواب على ما يشاء
الفقهاء وستر العيب وحفظ الغيب وأن يحسن الحديث إذا حدث ويحسن
الاستماع إذا حدث ويكرم حرمة مجلسه إذا غاب ويكرم حرمته إذا حضر
ومن أدبه أن يكون مع رئيسه كما كان حارثة بن بدر مع زياد وحكي أن

زياد الفيل على استبشاره حارثة بن بدر فقال كيف أطرح رجلا هو يسايرني منذ دخلت
العراق لم يصكك ركابه ركابي ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ولا تأخر عني فلويت
عنقي إليه ولا أخذ علي الشمس في شتاء ولا الروح في صيف ولا سألته عن
شيء من العلوم إلا حسبته أنه لا يحسن غيره قال عبد الله بن طاهر
لعبد الرحمن وهب المحضر مؤدب ولده بعد أن استخلصه وأنزله منزلته
منزلته يا عبد الرحمن اعلم أني قد جعلتك جليسا مقربا بعد أن كنت نائيا بعيدا
مبعدا ومن لي بعد من نقصان ما خرج منه لم يعد رجحان ما دخل فيه لم يكن
في وجهي فأنا أعلم بنفسي فيك ولا تساعدني على شيء يقبح مني وإن لج بي
الغضب فإن من أتاني من غضبي فيه فينقص عنده تنبيها بالمسامحة
عليه وكن على التماس الحظ بالسكوت أحرص منك على التماسه بالكلام
فقد قيل إذا أعجبك الصمت فتكلم وإذا أعجبك الكلام فاصمت ولا تردن علي في محفل وكلمني بقدر ما
استطعمك واعلم أن حسن الاستماع أحسن من حسن القول وإذا
حدثتك حديثا فلا يفوتك منه شيء فإن قلة التفهم من الخطأ بل ورفع له
وأرني فهمك في طرفك فإن أكرم الأسماع ما انتهى من لسانه وقالوا إذا كلمك رئيسك
فاصغ إليه بسمعك وأقبل عليه بوجهك وكن بشعيته ناظرا له واشغل
بحديثه خاطرك واسمعه سماع مستبشر به مستنكر له وإن أحكمته
علما وأتقنته فهما ولا تعرك في الرد له عليه فيما أسلفت الآن نعيا في
إليه وفي كلام بعض الحكماء الاستماع بالعين فإذا رأيت عين من تحدثه مقبلة
على غيرك فاحرمه حديثك إلى غيرك وما أحسن قول من قال

إذا ما سيد نادى فأعلم ، بأن علينا غير الانتقاد
فكن عف الجوارح ذا احتياط ، بغير الانتقاد بلا رقاد

وقال العباس بن عبد الله لابنه إن هذا الرجل يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الأكابر من الصحابة وإني أوصيك بخلال
خمس لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا يجربن عليك كذبا
ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة وقال شاعر في بني العباس

إذا حدثوا لم تخش سوء استماعهم ، وإن حدثوا أدوا بحسن بيان

منح طرق ... عن بين
... وصحبه

وكانوا من دخل على السلطان بعلمه بتخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل
القيام وكانوا لا يغترون على صحبة الملوك الا من لا يلحف اذا سألهم ولا
يستثقل ما حملوا به ولا يطغى اذا رضوا عنه ولا يتغير لهم اذا سخطوا عليه ولا
يفشي اذا استكتموه ولا يبغي اذا أكرموه وكانوا يصحبون السلطان بالحرمة
والحضرة بالتواضع والعدو بالحجة والعامة بحسن الخلق وكانوا من استخف
بالاخوان أفسد مروءته ومن استخف بالعلماء أفسد دينه ومن استخف
بالملوك أفسد دنياه ويجب على المرء تحري معاشرة الجليس
الا فتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس بن مالك رضي الله
عنه ما بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه (رجليه) بين يدي جليس قط
ولا جلس اليه أحد فقام من عنده حتى يكون الرجل هو الذي يقوم عنه ولا
رآه قام مع أحد فانصرف عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف وكان
يكرم من يدخل اليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم
عليه بالجلوس عليها ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم اليهم ولا
يقطع على أحد حديثه ولا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف من
صلاته وسأله عن حاجته وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث تثبت
لك المحبة في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وتوسع له في المجلس وتدعوه
بأحب الاسماء اليه وقال سعيد بن العاص رضي الله عنه لجليسي علي
ثلاث اذا دنا رحبت به واذا جلس وسعت له واذا حدث أقبلت عليه
لكل قادم دهشة فابدؤوه بالسلام ولكل داخل حشمة فابدؤوه باليمين
وقال يحيى بن خالد لولده جعفر يا بني اذا قربك جليسك فأقبل عليه
واصغ له ولا تقل قد سمعته ان كنت احفظ له منه حتى كأنك لم تسمعه
الا منه فان ذلك يكسبك المحبة والميل اليك وان لا تستحقره اذا جلس
الى صوانتك فقد حكي ان هشام بن عبد الملك كان يعتم فقام اليه سعيد
ابن ... فأمر بالا يرش ليعينه على تسوية عمامته فقال له هشام
انا لا نتخذ الاخوان خولا وقام عمر بن عبد العزيز الى اصلاح السراج
لجلسائه فقال له أحدهم الا أمرتني يا أمير المؤمنين فكفيتك

اصلاحه فقال ليس من المروءة ان يستخدم الرجل جليسه قمت وانا عمر ورجعت
وانا عمر وما ينبغي عطف المرء على الثالث زيارته من بعيد من
غير انقطاع ولا تكلف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عاد مريضا وزار أخا نادى مناد ان طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا
ولقد أحسن من قال امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين واصلح بين
اثنين وامش ثلاثة اميال وزر أخا في الله وروي اخبار عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في
وبر والديه ومن ستة وبر رحما ومن ميلا وعاد مريضا ومن ميلين
وشيع جنازة ومن ثلاثة اميال وزار أخا في الله ومن أربعة اميال
واصلح بين اثنين ومن خمسة اميال وانصر مظلوما ومن ستة اميال
في قضاء حوائج المسلمين وكانوا يرون المودة جسم روحها الزيارة وقالوا
المحبة شجرة اصلها الزيارة وثمرتها الالفة قال الشاعر

رأيت أخا الدنيا وان بات آمنا على سفر يسري به وهو لا يدري
تثاقلت الا عن يدا استفيدها وزورة ذي ود اشد به ازري

وعلى الزائر ان يجعل الزيارة الا غبا فانه يؤمن من ملال الاحباب
قال عليه الصلاة والسلام زر غبا تزدد حبا وقالوا ربما كان
التفاضل في كثرة التلاقي وقالوا قلة الزيارة أمان من الملال
وقالوا كثرة الالتقاء سبب التباعد وقال الشاعر

زر قليلا من تحبه غبا فدوام الوصال داعي الملال

ولقد أحسن عبد المنعم بن غلبون الصوري في قوله

عليك باقلال الزيارة انها اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا
الم تر ان الغيث يسأم دائما ويسأل بالايدي اذا هو امسكا

مكاتبة في استدعاء الزيارة بأبلغ لفظ وأوجز عبارة

كتب بعضهم الى صديق له طال العهد بالاجتماع حتى كدنا ننساك عهد
التلاقي وقد جعلك الله للسرور تماما ولا نستتم انسنا ما طلع في
ملك عيني شمسنا وفي سماء قلبي بدرا فامنن بالعزم بالحضور الي بمنه

وكتب سعيد بن حميد لبعض اخوانه من طلعت الكواكب تنقض من رقعة من ابتداء
الطلوع قبل غروبها وانشد
، لو تفضلت بالمجي الينا ، لغفرنا لغيرك العيش فينا ،
كتب ، اخي يومنا اعزك الله رقيق الحواشي لين النواحي ذو سماء قد رعدت
وبرقت وانت موضع السرور ونظام العيش وأحسبوه قبل البيان تنعم وكذاتم
عنا تنزع وانت بطاعتنا تسعد وبحبالك الفناء ترتشر وقال الشاعر
، وطول زمان ما عنه حلة الثرى انبعثوا وبستانا من النور حانيا ،
، أجزنا كثيب الكثار وجنة منى فتمنينا مكنت الا مانيا ،
وكتب بعض ظرفاء المجيد الى محبوبه يستزيره في بيانه بلغ حبه بالاحب
وكتبت اليك من شوق بن معي ، وحرمت وجه الحسن الجميل ،
، لعل اسم في والكلت نيلي ، واضحكت العواذل من عويلي ،
وكان جوابه لما قرا ، لعل الكثرت من قيل وقيل ،
، فأما اذ كنت معروضه ، وتبت الى ان جاوزت من سبيل ،
وما احسن قول العتبي بن عباد يستزير ندماء من الزمر الى الجمعة بعد
، من طلعتم بها شرسا فيا ما طلعوا عندنا بدورا ،
، وماذا عليكم لو فننتم فزورة ما وجبتم فيها علينا التفضلا ،
، فان لم تكونوا مثلنا في اشتياقنا فكونوا انا سا تحسنون التجملا ،
وكتب حميد بن مهران الى ابي ايوب الهاشمي يستزيره ،
، افيك الذي ياربيع الورى ، ومرحل من مسا شم في الثرا ،
، وبعد بلي مرودة في الغب اذا افتخر الود والتمس العرا ،
، وطالت يعمل صرف الرجا ، وصعو المراح وكيت آلكرا ،
، وقد تأفت النفس من واحد الى ان الجماد اشترى ،
اذى جعلت من الحب نفسي فدار ، وتيريح وادي الا الغفار ،
، وعنى من يجب ترنك نفسي واكواب وافراح قد از ،
، وبادر وعيني ما مورس بها ، فانه نبا الصورد دال الثقار ،
وكتب بعضهم الى صديق له يستزيره بابيات فيه ،

، والله لا يجزي عن الهم اكثر من يوم ويومين ،
، وقد صبرنا عنكم جمعة ما مثلكم كل الحال المحبين ،
ومن احسن ما في الاستدعاء ما كتب به الاشراقي جعفر بن يحيى
، سل عن الصوم يا ابن يحيى فجئ زاحلا فعونا من النهروان ،
، فيصون المدام شهرا ويقضي الحج من لذا صوات والعيدان ،
، فاتنا نصطبح ونلهو جميعا ثلاثا يعقبن من شعبان ،
فجاء من برقيه وقدم من بريده رقعة مكتوب فيها
، ان يوما كنت فيه الى مجلسك يوم يسود كل زمان ،
، يوم سوكانه طلعة الكاس اذا قابلته وجوه القيان ،
، فاصطبح واغتبق فيه نفسي من جميع الادم والحدثان ،
وكتب بعض الظرفاء ، عندنا جرعى مضيع ، وجدي يسر عيونا قارع
وطبيل مليح ، واغاني الكاس وانح ، وغزال من بني الديلم في الحمور
بارع ، ماله عندك عيب ، غير ان ليس بنابغ ، والى اللال العذب مع
بعرك ، فلم يخش تابع ، فتجشم واركب الصلاج واخطك تراوغ ،
وكتب ، اخي عندنا فرح مخ ينشر الغد رشيق وبيد يدر كعبل
وغلام مستنيك ، فتعالوا نتغرى ثم نشرب وننيك ، اعتزار
من لم يزر ، ابو اسحاق الصابي
، عران عندي يا موكدي عذرا وان عذر عصوه الى جمع من عظيم زاجر ،
، فلم اقدم على اللقاء ولم اجسر على الحبس ولم اسمع الى الذي علي ما من حجج ،
بريح حجبت زوجها وبجر صرعنو بجر ، ومنه ما نحوه من قول
الحسن بن وهب وهو اعتذر عن فائت عن زيارة محمد بن عبد الملك الزيات
الوزير بطيفي ما منعه عن زيارته
، اوجب العذر في تراخي اللقاء ما توالى من هذه الانواء ،
، لست ادري ماذا اذم واشكو من سماء تعوقني عن سماء ،
، غير اني ادعو على تلك بالصحو وادعو لهذه بالبقاء ،
، فسلام الاله اهديه مني كل يوم لسيد الوزراء ،

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

وقد كتب علي بن الجهم مما كتب به الى بعض اخوانه معتذرا

ابلغ اخانا تولى الله صحبته اني وان كنت لا القاه القاه
وان طرفي موصول برؤيته وان تباعد عن مثواي مثواه
الله يعلم اني لست اذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

ومن احسن ما رويته في هذا الباب واشرفه في عيادة الاخ اخاه في حال المرض

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلم اذا عاد اخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة قال جناها فيما حكى ان المسور بن مخرمة اعتل فجاءه ابن عباس نصف النهار فقال له المسور يا ابن عباس هلا ... ان احب الساعات الي ساعة اؤدي فيها حق الصديق ودخل بعضهم على محمود الوراق يعوده فانشد

ان ذا العجب ممن يعد ودنا فتعيا لديه ان يقول الا نعم
وفيها لمن يعنى الهوى بيها والذي كانت بنا الشكوى وكان لك الاجر

وكتب ابو تمام حبيب بن اوس الطائي الى الحسن بن وهب يتوجع له من حمى اصابته

يا حليف الندى ويا توأم الجود ويا خير من حبوت القريضا
ليت حماك بي وكان لك الاجر فلا تشتكي وكنت المريضا

وكتب الفتح بن خاقان يتوجع للمتوكل من رمد اعتراه

عيناي احمل من عينيك للالم فما سلم وقيت الردى اخي الابد
من ضعف عينك بعينيه ومهجته فكاه من الفتى في حال وارث

ويجب على اللبيب الظريف في عيادة المريض الضعيف

تخفيف السلام وتقليل الكلام وتعجيل القيام وقلة جلسة العيادة خاصة وقالوا التخفيف خير عادة في العيادة فان حالة كما قال عمرو بن العلاء ومن عاد مريضا في مرضه الذي به فاطال عنده فقال الا ما يطيق قال ابي ان اسامر لا قال انت معافى وانا مبتلى والعافية لا تدع لي نفسي واتباع لا يرعى انام والله ان سال به سيرى من سال العافية الشكر ومن اهل البلاء الصبر ومن ادابه ان لا يطيل فانه قد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اغبوا في زيارة المريض واربعوا الا ان يكون مغلوبا

وحكى

وحكى سلمة قال دخلت على العباس اعوده فاطلت وانجعت في السؤال فقال في اذن من ذوق ما انشده

حق العيادة يوم بعد يومين وجلسة مثل لحظ العين بالعين
لا تبرمن مريضا في مسايلة يكفيك من ذاك تسال بحرفين

اخر

ادب العيادة ان تكون مسلما وتكون في اثر السلام مودعا
فاذا دخلت الى العليل فلا تكن متخشعا في الشيخ او متوجعا
حتى اذا ابدى الحياة الى مسكنا منه وعزا بخوفه منه متشجعا
فاخرج به تنعي اليه فيناه اوان تركك نسيت مضجعا
واذا وجدت عليه اشفاقا فقم من ان تزوره يراك مسرعا
وتوق شر العائدين فشرهم من كان منهم موهما ومروعا

في فصل على هذا النحو المعروف بالاعرج على علي بن عيسى عائدا ابراهيم يعود

كم لوعة للندا وكم قلق للجود من قلقك
البسك الله ثوب عافية في نومك المعتري وفي ارقك
يخرج من جسمك السقام كما تخرج قبل الظلام من عنقك

اخر

تعلقت السلامة من يبض نوع كل نابتة تذوب
فانك ما اعتللت بل المعالي وانك ما مرضت بل القلوب

اخر

ولما اشتكيت اشتكى كل ما على الارض واعتل شرق وغرب
لانك قلب لجسم الزمان وما صح جسم اذا اعتل قلب

البساوي

اذا ما ضربت في تار واشتكى عرفت سروري ما اشتكى ورقاد
وحرمت لذيذ الراح ما دام شاكيا ولم اطعم كاسي وتسلاد

اعتذار من لم يعد

ان كنت في ترك العيادة تاركا حظي فاني في الدعاء مجاهد
فلربما ترك العيادة مشفق واتى على غل الضمير الحاسد
فكذلك مقلتي بشوك القتاد اذا ذنى مرضت مرضتك كقلع الرقاد
باتت الحمامة الجوانح وانزل من مقلتي مكان السواد
منعتني عليك رقة قلبي من دخول عليك في العواد

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

لو بان في سمعك منك أنينا بعثت من دنا نبين مواني

وكتب يعتذر بكونه لم يعلم

دفع الله عنك نائبة الشكو ... وحاشاك أن تكون عليلا

أشهد الله ما علمت وما ذا لك من العذر جائزا مقبولا

ولعمري لو علمت لما سعيت ذهبا وكان ذاك قليلا

فاجعل الآن التعلل بالعذر سبيلا إذ لم أجد له سبيلا

فقديما جازيت بالود ودا ما شاء الخليل خليلا

الشريف أبو يعلى بن الهبارية

العذر في ترك عيادة شيخي أنه لي فيما اعتراه مقاسم

وكل نصيبي منه من نصيبه وعلي فيما أذى عنه متقاسم

فلا زال جسمه أقرب من داء يخامر ولقلبي سالم

وإنا أهوى أن بقاه وإنه لبسعي بحرمته الصحيح السالم

حكى محمد بن داود الكاتب في كتاب الزهرة أن الشيبر بلغه أن الفضل بن الربيع عليل فكتب إليه معتذرا عن تأخره عن العيادة

أعزز علي بأن تكون عليلا أو أن يكون بك السقام نزيلا

وعزيز أنك واجبت بلوعة إذ قيل وعدوا واحسن عليلا

فوددت أني مالك لسلامتي فأعيرها لك بكرة وأصيلا

من الغرام بشتكي ما تشتكي وكذا المحب إذا أحب خليلا

وأنشدني الشيخ الإمام الفقيه الكبير أمير الدين محمد بن علي المحلي الشيخ لنفسه يعتذر من ترك عيادة بعض الرؤساء

أرجيت ذلك بأبدا التشريعا وإن انقطعت فإني التجميعا

ووجوبه فيه من ما أنبي عن جنبك كي أراك جميلا

وما يزيد من المودة أعزب المزاورة الهدية فتستعطف بها القلوب

الشارة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا وتحابوا وتذهب الشحناء

قال عليه السلام تهادوا فإن الهدية تذهب وغر الصدور وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها وقال لو أهدي إلي كراع لقبلت

ودو

وتورث حب الجبلة وقالت عائشة رضي الله عنها الهدية تورث

في القلوب المحبة وتذهب وقال ابن عباس الهدية تجلب إلى المودة القلب والسمع

والبصر وقال الشاعر إن الهدية حلوة كالسحر تجتلب القلوبا

تدني البغيض من الهوى حتى تصيره حبيبا

وتعيد مضطغن العداوة بعد نفرته قريبا

ومن أمثالهم

إذا قدمت من سفر فأهد لأهلك ولو حجرا قال الجاحظ ما استعطف

السلطان ولا استرضي الغضبان ولا أزيلت السخائم ولا استرجعت

النفائس بمثل الهدايا وقال بعض السادات هي السعادة وقال بعض الأدباء

في رسالة يذكر فيها الهدية الهدية رسول يغني لسانه ويدخل

على القلوب من غير استئذان وهدية المحب تشتمل على عقله كما ذكر أن رجلا أهدى

للنعمان نعلا رقيقة فجعل النعمان ينظر فيها ويقول فيها وقد أحضر الأعلام في مجلسه

مرتبة اللهم إلا أن يبصره شيئا سخيفا فيبغي بالاعتذار عنه

شرها فقال كما فعل أبو العتاهية فإنه أهدى إلى الفضل بن الربيع نعلا وكتب

له معها نعلا بعثت بها لتلبسها قدم بها تسعى إلى المجد

لو كان يحسن أن أشركها جلدي جعلت شراكها خدي

وأهدى أحمد بن أبي الخليل إلى ابن محمد في يوم نوروز أطباقا فيها وردة وياسمين

ودينار ودرهم وكتب معه

قل لابن مجد في السماح الخضرم لا زلت كالورد النضير الباسم

وكنا مثل نشاء الأنس في ... في عز دينار وفخر درهم

وقال بعضهم من أحسن ما أسرا العليل بجلالة قدر المهدي إليه انقطاع

سبل المودة بينه وبين إخوانه ولزمه الحياء من حيث النفس لذلك أبو العتاهية

من أبيات الناس بعضهم ببعض تولد في قلوبهم وصالا

وتزرع في قلوبهم هوى وودا وتكسوهم إذا حضروا جمالا

ما من صديق وإن تمت صداقته يوما بأنجح في الحاجات من طبق

إذا تلثم بالمنديل منطلقا لم يخش نبوة بواب ولا غلق

لا تكذبن فإن الناس مذ خلقوا لرغبة يكرمون الناس أو فرق

فالجملة فالهدية اذا كانت من الصغير الى الكبير فلطفت ودقت كان ابهى واسنى
واذا كانت من الكبير الى الصغير فعظمت وجلت كان اوقع لها وانجع اهدى
يعقوب الكندي الى بعض اخوانه سيفا وكتب معه الحمد لله الذي خصك بمنافع من الهدى
الذي يجعلك تهتز للمكارم اهتزاز الصارم وتمضي في الامور مضاء حده الماثور
وتصون عرضك بالاغماد كما تصان السيوف في الاغماد ويلمع من الحياء في صفحة
خده الشريف كما يشف الرونق في صفحات السيوف وتصقل شرفك بالمكرمات
كما تصقل متون المشرفيات واهدى الخطيب دواة ومرفعا وكتب معها قد
خدمت مجلس مولانا بدواة تزاوج من نعم جنابه وتروى بما حلوه عرائه على
مرفع يوذن بدوام رفعته وارتفاع النوائب عن ساحته اهدى ابن العميد
الى صاحب فرسا وكتب معه قد عرفت البلدية اسا والله تعالى يبارك له فيه ويجعل
الخير معقودا بناصيته والاقبال تلو وجهه والنيل الى مائة كل شوط وفتح
الفتوح غاية شاوه والادراك الطالب تحجيل قوائمه وسلامة العواقب
منتهى عنايته والسلام. فرائد منثورة في هدية حقيرة واعتذر عنها
بقلته واثيب باجمل منها يروى ان خالد بن يحيى بن مطرفع على
ختانه ودعي ما هدي اليه وجوه الدولة كل منهم بحسب حاله ومقدرته فصنع
بعض المتجملين العاجزين خريطتين وملأ احداهما ملحا مطيبا وملأ الاخرى سعدا
مطيبا وكتب معهما رقعة فيها لو تمت الارادة لاسعفت بالعادة ولو
ساعدت القدرة على بلوغ النعمة لتقدمت السابقين الى خدمتك واتعبت
المجتهدين في كرامتك لكن قعدت بي القدرة عن مساواة اهل النعمة وقصرت
في الجدة عن مباهاة اهل الثروة وخشيت ان تطوى صحيفة البر وليس لي فيها
ذكر فبعثت المفتتح بيمنه وبركته والمختتم بطيبه ونظافته
ومن السعد بالسكر من المعرفة هذا بر اعلى التفضل متجرعا غصص الافتقار
على الميسور والتأمل يعذر بقول الله تعالى ليس على الضعفاء ولا على
المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج والسلام فامر خالد بالاشياء
عليه بقبول خدمته ومعذرته والاحسان اليه بالاعراض عن جرائمه والى ان
الصحن فتح له خالد دار يحيى ووضع الخرائط بين يديه والرقعة بين يديه ثم قرأ

الرقعة

الرقعة امر ان يفرغا ويملأ احداهما دنانير والاخرى دراهم ويحكى ان بعض
الفقراء اتصلت به امرأته بما مجوهراتها من ايام جلستم من امور ثلاث
سلال محيطة ففتحت سلة منها فوجدت مملوءة خشاشا وفيها رقعة مكتوب
فيها ما شر خشين من الا شي وفتحت الاخرى فاذا هي مملوءة عطايا مصاروا
وفيها رقعة مكتوب فيها هذه ما اهتفت لوجه الله تعالى شكر الله على سلامتك
من مرضك وفتحت الاخرى فاذا هي ما وجدت له شيء فيها الا رقعة مكتوب فيها
لو كان لنا شيء لا هديناه فيها فحمد من كان حاضرا ولم تزل الغيبة شيئا
مما اهدي اليه الا اعطته منه وكتب بعضهم مع هدية حقيرة

فقبول الهدية اكرم ومه   وما شانها من ان تهدى الكريم
وان الملوك على قدرها   لتقبل نشابة او قلم ابي

النعارى
هدية المرء تنبى عن مروءته   وعن حضارة من فيها وخشيته
وما يجيء من الهدي اليه اذا   كانت بمجمع عن قدر رتبته
فما يحيى حرمه من حفت هديته   وتلك منه على مقدار قدرته

وكتب والاخر مع هدية امرا ما تيلا

بعثت شيئا الى سيد   يا من من خلقه مقتبس
هدية خل صحيح الاخا   جزى منه ذكرا يجزى النفس
فجد بالقبول واعلم بانه   ليس كالحياء انت في المجلس

ولاخر
من بعثت القليل اليك لا القلة بنى مكوله ذا قبول
لا تقس الا ذا كعطا الغمر لا نيل الكثير الجليل
فالمقنع ملك السرية مني   ان جهد المقل غير قليل

ولاخر
يابن الولي الذي عمت اياديه الجميلة اقبل هدية من يرى في حفظ الدنيا قليلة
اعتذار من لم يجد شيئا

نادى في الهدايا كل قوم   الى الغزاة شربة للقرواء
فما ان هممت بما اقرر له   ليوضع من بين الامهاء
رايت كبيرا ما اهديه قليلا   لديكم ما فتحت على الوعاء

ولاخر
انا اشرنعسي فقوما لكما   ولقد اهوي كل ابن الاخر

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله
عدد ما في علم الله دائمة بدوام ملك الله

أو أمر ما لا صبر دونه • وأنا الحفيظ عليه بلا شكي •
أو أمر شكا ابن مرتهن • بحبل ما عليه الأحرار تهن •
وكذا والدي الحرجاب عاشا لحبيبي • رفقا الحال ونسوا السكام •
• فاقضي ناعل ارتغاء وبيه • عزه من على فضاء الزماج •
وقال: • من بيتي تفضي من بيتي • ومتني تفضل عن مالسي •
• تجاللوا الود ومحض الشوك • أخوفا بعد بعد أحشائي •

ومن واجبات يشيم الأخوان حفظ ما أودع حون من الأسرار

وكتمان السر مما يجب على الإخوان أن يأخذوا به أنفسهم ويروضوا به طباعهم لما فيه من الفضل وقناع الطبيعة والفضل حكي أن رجلا أراد صحبة إنسان فسأل بعض أصحابه عنه فأنشد

• كن في بيت السر حتى كأنه • إذا استنكفته عن خبئه جاهله •
• وجي لكم حباشرا ومبينة • ولقنا بالأشغال وجئتها شاغله •

فقال مثل هذا ينبغي أن تنال محبة القلوب ويطلع على خفايا الأسرار والغيوب وما ذاك البيتان لكثير عزه من أبيات وأسرع الى من يعرف من يأملها منه قال صحبته فال نسيته وقيل لعمر بن ربيعة كيف كتمانك للسر قال أجعله عوضا من قلبي وشعبة من نفسي فيكون في وجه وجهي وقيل لأعرابي ما بلغ من حفظك للسر قال إني لأخفيه شغافه قلبي ثم أجحده وإنما كان لم أسمعه وقالوا قلوب العقلاء حصون الأسرار وقالوا صدور الأحرار قبور الأسرار وقال الشاعر

• ولما سرائر في الضمير كمونها • فنسي الضمير بأنها في كمية •

ما أحسن قول الزمخشري في جوابه ومن سأله الطائب في مجاورة جرت بينهما كيف كتمانك للسر فقال

• لسر هو بقي بين جنبي معقل • مراء على المستبطنين طويل •
• إذا لقحت أذني به من لسانه • فليس عليها للمخاطر سبيل •

وكتب إليه أيضا

• وللسر مني بين جنبي مكمن • خفي في عن مدارج أنفاسي •
• أفر به عني بموضع حفظه • فأحيه عن إحساس غيري وإحساسي •

كأنه من بعد احتباكه أعقبه • فبعض له واع وبعض له ناسي •

قيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أكتم الخبر وأحلف للمستخبر قال الثعالبي من نفى عن نفسه الذي يفضوا إليه بسره ففي نفسه بسر ربابه وخرج من عقال الحلم وأسر شاعر بعد يكتم الأسرار من له حسب فالسر عند كرام الناس مكتوم

والسر عندي في بيت له غلق • قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم

مجنون ليلى

ومستخبر عن سر ليلى رددته • بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فأنت أمينها • وما أنا إن خبرتهم بأمين

يروى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لا بد للحر سود الدولى أن يرى رجلا مختونا قال يا أمير المؤمنين أولست كذلك قال بلى ولا كن رجلا يستودع رجلا سرا فيفشيه ومنه البيت وليكن كتوما للسر فإنه أجل أخلاق البشر أجل اليقين وجحد وجحد وقال الشاعر

تصل الضمير إذا أراد وصالنا • ونعير بعد صدوده أحيانا
لا نظهر على القطيعة بيننا • بل قامت مودة لما استرعانا

أخي: إنك بي لا تبغي سوء تشد • وتجمع الستر أحبابا وأدع ما
تيسر أنك بي الإرغاب صاحبه • بشأن كان من أسرار علما سالح

ابتليكم ولا أكتم الأسرار كرها بعدما • ولا أنا الأسرار تنقل على قلبه
فإن سخيرا الحفوظ بات بيلة • تقلبت الأسرار جنبا إلى جنب

ومما يفضي بين الصحاب من حقوق المجاورة التزام ما يجب من حقوق المجاورة

قال الله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب قالوا الجار ذي القربى الجار الملاصق والجار الجنب البعيد عن الملاصقة والصاحب بالجنب الرفيق في السفر وقال الحسن البصري ليس حسن الجوار كف الأذى ولكنه الصبر على الأذى وأدنى حقوق الجار أن لا تؤذيه بقتار قدرك وأن تؤمنه من حسدك وشرك قال جابر بن عبد الله الجيران ثلاثة فجار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلاث حقوق فأما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له قبله حق الجوار وأما الذي له حقان فجار مسلم لا رحم له له حق الإسلام وحق الجوار وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام

صح طول ما حكي على ابن محمد والد

ذوي الرحم وحفظ الجوار ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا ابا ذر
اذا طبخت اللحم فاكثر المرق وتعاهد جيرانك ، وكان يقال من نال من جاره
حرم بركة داره ، وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال
من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ولا يوذي جاره ولا يحجب
نصره ، وكان عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنه ينفق على اربعين دارا من جيرانه في جهات
داره الاربع في كل سنة اربعين الف دينار ، وكان يبعث اليهم الاضاحي
والكسوة في الاعياد والمواسم ، واعطى ابو الجهم العدوي في داره بالبصرة
مائة الف درهم فقال لهم وبكم تشترون منه جوار سعيد بن العاص قالوا وهل
رايت جوارا يشترى فقال والله لا بعت دارا تجاور رجلا ان غبت عنه
سال عني وحفظني في اهلي وان رآني رحب بي وقربني وان سالته قضى حاجتي
وحياني وان لم اسأله عطف علي وبداني والله لو اعطيت فيها ملئها ذهبا
ما اخترته عليه ولا نقصت إليه فبلغ ذلك سعيدا فبعث اليه بمائة الف
درهم ، وقال جعفر بن ابي طالب لابيه يا ابت اني لا استحيي ان اطعم طعاما
وجيراني لا يقدرون على مثله فقال له ابوه اني لارجو ان يكون فيك
خلق من عبد المطلب ، وقالوا الاحسان الى الجار يعمر الديار ويزيد في الاعمار

إني لأحسد جاركم بجواركم ... طوبى لمن اضحى لداركِ جارا
يا ليت جارك باعني من داره ... شبرا فاعطيه بشبر دارا

وقال بعض الحكماء من اعان حسن الجوار فقد مرن على استجلاب المودة
خير معين مع مكسب السداد

ناري ونار الجار واحدة ... واليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جارا لي اجاوره ... ان لا يكون لبابه ستر
اعمى اذا ما جارتي خرجت ... حتى يواري جسمها الخدر ، وآخر
اجود وارعى حرمة الجارات ... كي يبقى لي كل عرض مهذب
وامنع جيراني من الضيم والاذى ... واركب من اكرامهم كل مركب

ومن لطيف النوادر المحكية في اكرام الجار فكان بيوه يا عكار انزل
بعض احياء العرب فبيع لهم من بضاعة العطش فمات منهم جانوا ...

لهم

لهم ثم يكن ينقطع في الحي احد دونه فاعلموا بخبر اليهودي فجاءوا وغسله وكفنه
وتقدم وامام الناس خلفه وقال اللهم انه من جارنا وقد علينا ثناء
حياة اخفيناه فامره وهذا اليك فلا الخيار ان تجعل به ما هو اهل له او تجعل به
ما انت له اهل فانك اهل التقوى واهل المغفرة شاعر

راع حقوق الجار في كل ما ... حرم الله واوصى به
وزره في الصحة مستبشرا ... وعده في السقم واوصابه
ولا تقيم على الا ما السنة ... تبرو الكثير القول واحابه

وهذا الحرف تكون فيما ذكرناه اماما وختاما وتنصير التعامل فيما به
شيء كان وما فيما يلزم الا حرفا . من تمازج الارواح كامتزاج الراح
بالماء . الغزالي قيل لبعضهم من الصديق فقال انت هو سوى انك
الا انكما جسمان بينهما روح ، وقيل لا يسمى الصديق صديقا حتى يكون
الاخوة واخي فقال الغزالي ففي سر في القلوب فيتشى على قدر العقول
وقيل له فلا تكون ما معنى الصديق قال انت هو الا انه غيرك ، وقيل
لبعضهم ما الا حرفا . قال نفس واحدة واجساد متفرقة ، وقال ابن
المقفع الاخ نسيب الجسم والصديق نسيب الروح ، وقيل لارسطاطاليس
وقد سئل عن الصديق ما معناه فلبت تضمنه جسمان ثم بعضهم فقال

فنحسب اخي في الامور مشاعر ملي ولد جنسان والقلب واحد
اذا غاب عني لم اجد كمع سنه لا ان جواب شطره متابعين ، آخر
يا في من يومني في المشقات ... نبيته يوما على عيني مشعلا
روحه روحي وروحي روحه ... ان يشا شيئا وان شئت يشا

ونحو تشبعه ما قاله الناس في الاتحاد فما رايت ولا سمعت احسن من
قول الحسين الحلاج في ذلك

أنا من اهوى ومن اهوى انا ... نحن روحان حللنا بدنا
نحن مذ كنا على عهد الهوى ... تضرب الامثال بنا الناس بنا
فاذا ابصرتني ابصرته ... واذا ابصرته كنت انا ، وله
جبلت روحك في روحي كما ... يجبل العنبر بالمسك النقي

، فإذا اشتكيت شيئاً مسني ، فإذا أنت أنا لا نفترق ،
، مزجت روحك من روحي كما ، تمزج الخمرة بالماء الزلال ،
، فإذا اشتكيت مسني ، فإذا أنت أنا في كل حال ،

وهذا غاية ما بلغه علمي وأدركه فهمي وتعشقه الناس في حسن الاختيار معروف من المواهب وللناس فيما يعشقون مذاهب وهذا حسن التشبيه إلى الرضيع من ثدي قول أبي إسحاق الصابي ،

، أنت الكرى مؤنس طرفي وبعضهم ، مثل القذى مانع طرفي من الوسن ،
، لقد تمازج قلبانا كأنهما ، تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن ،

وقال كاتب من بغداد كنا لكاتب حبيبه فارغ غزل الصراحة أو من غزل العلاقة والنعس بالتعريض ، النعس منها بالتعشيق وقال إذا كانت أخلاق مليكي الوداد في سواد العيون والنفس كالسرور فيا من العود داء فإنه من كيت خصاله وجبر وصاله

الفصل الثالث من الباب الخامس عشر في ذم الثقيل والتبغيض بما أشبه من النثر والقريض

قال الله تعالى فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث وقالت عائشة رضي الله عنها هذه الآية نزلت في الثقلاء. وكان أبو هريرة إذا رأى رجلا ثقيلا يقول اللهم اغفر له وأرحنا منه وكان الأعمش إذا رأى ثقيلا مقبلا يقول ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون وروي عنه أنه قال من فاتته ركعتا الفجر فليلعن الثقلاء. قيل لبعضهم عنده قال من نظر إلى الثقلاء فإنه ما رأيت ثقيلا قط إلا واشتكت عيني وكان يقول إذا كان عن يسارك ثقيل في الصلاة فتسليمة واحدة تكفيه وكان بعضهم إذا رأى ثقيلا قال استراح العمياء من النظر وقيل لرسطاطاليس ما بال الثقيل أثقل من الحمل الثقيل قال لأن الحمل تشترك الجوارح في حمله والثقيل ينفرد القلب بثقله ،

، إن الثقيل وإن تخفف جسمه ، كان الثقيل على الفؤاد ثقيلا ،

وقال بعض الملوك لطبيب حضر بين يديه فقال مزاج معتدل إلا أنه أرى فيه تكلف لم يقبل في مجلسك اليوم ثقيل قال نعم قال هذا من ذاك

وقال جبريل بن بختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء فإن المجالسة فيما نسوا مجالسة الثقلاء حمى الروح وقيل لمحمد بن زكرياء الرازي إن أتى الثقيل السمج أوثر بالأرواح الكرب من الراحة إلى الفجع فقال نعم يمرض الكبد الذي كان يعقب الشفاء إن مجالسة الثقيل تغلب الأسقام وتنحل الأجسام وتورث الأحزان وترهل الأبدان وتضر الأذكياء وتشرب الأرواح وتحلو الأجسام وتجلب الأمغاص وتشحر الأدمغة وتبرح الأحزان وتنشط الكسل ويعمي الأذكياء وقال أرسطاطاليس للإسكندر إياك ومجالسة الثقيل فإن فيها ذبول الروح وذهول العقل وموت الفجأة وقال الأصمعي سنة يمضي وربما قتلت انتكار الثانية من الخادم والسراج الخفي وبكاء الأطفال وخلاف من تجب ورؤية الثقلاء. وما أتى في طلعته كون من البغضاء ، وكشفت عن مساوئه ستور الأغضاء. قال الأعمش لأبي حنيفة وقال له يعوده في جلوسه يا أبا محمد ما أشتكي من طول علتك قال جلوسك عندي قال ما تشتهي قال أشتهي أن لا أراك. ويحكى أنه قال له يا أبا محمد لولا ما يغاث من التثقيل عليك لزرتك في كل وقت فقال إنك ثقيل علي وأنت في بيتك فكيف إذا جئتني وقال رجل لآخر في العيادة أن الله يا خير من جوكي يثبته الخ عوضه خيراً منه فقال لا عوض فقال أن أرى ثقيلا مثلك اعتذر رجل إلى آخر في تخلف زيارته فقال ما رأيت أحدا يعتذر منه الآن من صلى أمام بقوم فكأن يطيل فلاما بعضهم من طبعه من الخوف فقال وإنما يكفيني الأقبل الخاشعين فقال أنا رسول الخاشعين إليك بأنك ثقيل فما نحن نعيقون النعمى من احتمال بردك. ومن هجا أبو علي الحسين بن أبي الطيب أبا حرز أبياتا فيجوا بها أو ما ثقيلا ما وجد من حورك في تطويله ثقيلا ذكر ما في هذا الموضع لابن لما جمعه من المعنى البديع واللفظ الرائع .

، والثقل روحا من عقاب عقنقل ، أحد ما غارت جنوب وشمال ،
، يوم قبا في الخمس نطع خمسه ، وإن بعضهم الأسلس عل ،
، بثقيل فياط في النعام كأنه ، مناة غير أمه متبتل ،
، ويعشر في الغزلان لمنا كأنما ، تبسه بلا رأس إلى هم جمل ،

فقلت له لما انتحى بصلبه ... وأردف أعجازا وناء بكلكل
وزاد بغم ركبته في حلائه ... ألا يطول التسليم منك بأمثل

وقيل ثقيل على الصاحب بن عباد فأطال الجلوس وأبرم في الحديث فكتب الصاحب رقعة وأعطاها إياه فقرأها فإذا فيها

أركنت تزعم أن الدار تملكها ... حتى تقوم فتبغي غيرها دارا
أم كنت تعلم أن الدار أملكها ... فقم لكي تزهر الأشجار أنوارا

وقيل قوم محمد بن الكريم من أجل قال له أبو العيناء ما لك لم تعزنا شيئا فقال والله ما جئت إلا في خف قال كذبت لو قرعت في خف خلعت روحها بالحبل من جسم كالجبال وروح كالجبال وقال رجل لبعض الثقلاء في مشاجرة وقعت بينهم والله ما نعرف الثقيل الأول ولا الثقيل الثاني فقال كيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك وإلى هذا أشار بعض الشعراء فقال

ثقيل براه الله وابن ثقيلة ... أرى الثقل فيهما في أبيه وجيكا
أبوك أثقل الناس في الثقل كلهم ... وأنت ولي العهد تقرأ بيكا
يا من تبرمت الدنيا بطلعته ... كما تبرمت الأجفان بالسهد
يمشي على الأرض مختالا فأحسبه ... من بغض طلعته يمشي على كبدي
لو أن في الناس جزءا من سماجته ... لم يقدم الموت إشفاقا على أحد

قصد حماد الراوية دار مطيع بن إياس فحجب فكتب إليه يسأله الدخول عليه

هل لي في حاجة إليك سبيل ... لا أطيل الجلوس مني ثقيل

فكتب في البيت أجابه أنت يا صاحب الكتاب ثقيل وكثير من الثقيل القليل

وقال محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه يهجو ثقيلا

يا ثقيلا على القلوب إذا عن فقرا بغيته بطول السهاد
يا قذى في العيون يا حرقة بين ... الحشا يا غريما أتى على ميعاد
يا ركودا في يوم غيم وصيف ... يا وجوه التجار يوم الكساد
خل عنا فإنما أنت فينا ... واو عمرو أو كالحديث المعاد

وقال الشاعر يذم ثقيلا يا قوة الباس ويا ضعف الأمل
يا جبل السلو أعيته الجبل يا زحل الأرض ومريخ الزحل

ومما

ومما استحسنته في مزاح الثقلاء الشافية محاسنها أقسام الثقلاء

قال بعض البلغاء من آداب مجالسة الثقيل إذا واجهك ثقيل فارح من خلفه التقوم ومن بعده التبرم ولا توسعه ترحيبا ولا تقبل بفرقه ولا تقبل عليه بوجهك ولا تنقل عنه بنيتك وأوحشه عن استئناسه وتجهم له من جلسائه وابعد ما استطعت وانقبض فيه فقطعت بعض راحة نفسك ومجلسه لا أنس بأنه إن أدنيته أبعد وإن لله عليك عنه جسدك وكبدك وزاد به ذكرك وكربك قال أبو بكر الخوارزمي ثقلاء أثقل من موت الفجاة وكتاب العزل وبعد الحبيب وطلعة الرقيب وفرج البلاء في كف البخيل وشرب فراخ بلا علة ودواء بلا علة ورؤية الموت عند الكبير وفرقة الأحبة بالكبر جلاء وفقد الأحباب وسفر في الأجماد وذم العباس بن الأحنف ثقيلا فقال والله ما الحمام مع الأحرار وكثرة الذنوب مع الإفلاس وشوبة السفر في الأسفار بأثقل من لقائه قال أبو نواس الحسن بن هانئ الحكمي يذم ثقيلا

ثقيل يطالعنا من أمم ... إذا سره رغم أنفي ألم
لطلعته وخزة في الفؤاد ... كوخز المشارط في المحتجم
أقول له إذ أتى لا أتى ... ولا حملته إلينا قدم
فقدت خيالك لا من عمى ... وصوتك كلا لا من صمم

قال بعضهم ثقيلا فقال لا أدري كيف لم تحمل الأمانة أرض حملته وقد أشفقت الجبال بعد ما قلته كأنما أخذ من أبعد الجبال وسوء العواقب وكانا وطه عدو الحياة وموت الفجاة شاعر

يقول في اليوم التعصب ... ويحل عن مرتقا بالشرور
تطاول للمبكى قال سوء ... وجهد أدعيا لا تدور
إذا ما تبرا لها مكانه ... حضور خصوم أو طلوع رقيب
وإن جاء نحوه قاصرا مكانه ... كتاب بعزل أو فراق حبيب
وثقيل أشد من غصص الموت ... ومن كيد العزاء إلا نسيم
لو عصت ربها الجحيم لما كان ... سواه عقوبة للجحيم

صلاح الدين الصفدي

وله، خلو الناس من همٍّ ومن حزنٍ الوحدة أنجس من رضيع أبيه،
فشاء الله بثا ثقيلا فقينا ليس فيه خير لمن يرتجيه،
لم يكن منهما نكاح ولكن قذفت من رحمها فأمن فيه،
فتمنيا لنا لكم وقلبي حرج كلما نطقت التيه،
ثقلاء في قوم يشربون وإن غلا فقال آخرهم،
أيها الراغل الذي جاء يقول حين تنوا الحريف في وتصحبني، فقال
الثاني، خف عنا فإنك أثقل الله علينا من يحيى بن كعب، فقال
الثالث، ومن الناس من يخف ويعمر كمثل البرد أي قوم طب، فقال
الأعرابي، لست بالبارح العشية والله لتشتم ولا تشرب ضرب،
أو تقيلون بالكبير علينا أو تحلون من ذا بعقب،
فاستظرفوه وخلعوا عليه وممّا يكون للنفس الحمل فوقنا ذم
من كان بغيضا فقوله سئل جعفر الصادق رضي الله عنه هل يكون
المؤمن بغيضا قال لا ولا يكون ثقيلا وذكر أن أنوشروان لما أراد أن
يحيي ويرى من ولي عمره استشار وزيا في ذلك فقال كل عيا لا
يستحق به الملك ومن قائل لا يصلح للملك لا تصحبني وذلك ما يرجى
بما الملك فقال أنوشروان فتخاله أنه لا يكاد يرى إلا راكبا و
على من يرجى أنسا فلا يتيسر الا عليه ومن قائل أنه أبو دوجته والملك
إذا كان ابن أمة نقص ذلك من أعين الناس فقال أنوشروان فضلنا
لأن الأبناء ينتسبون إلى الآباء ولا ينتسبون إلى الأمهات فلا يضر
ما قلت فقال الموبذان إن فيه عيبا وهو أنه مبغض إلى الناس فقال
أنوشروان عندك الآن ستر أمر العيب التي لا مرج معه ولا عذر عنه
واعدا الذي لا جزاء له فغمر فيا إن من كان فيه خير ولم يكن ذلك العبر
للناس فلا خير فيه وقالوا فلان أوحش من ربع محول سكانه وتحمل
أضعانه وغارت نجومه وعفت رسومه وقالوا فلان أقرب للعين
من ساعة داعية البين الحبيب وقالوا فلان لا تقبله النفس حتى تمجه
الأرض الدم وذلك أنه أنما تقام الروح فلا تقبله فاعتذر أنا نفعلا

وقالوا

وقالوا فلان أبغض من زوال النعمى وموت الفتى وكلمة الردى وقالوا
مجالسة البغضاء تثير الهموم وتجلب الغموم وتقرح القلب وتستزيد
الكرب وتكرع في الشكاة وتطوي بساطا إلا نبساط وقال شاعر يهجو
بغيضا يا بغيضا زاد في البغض على كل بغيض أنت عندي فرح الطلاب في كبد
المريض

الباب السادس عشر في العزلة وفيه ثلاثة فصول الفصل الأول من هذا الباب في الاستيناس بتلون الطباع وتباين الأجناس

قال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي
حكما وجعلني من المرسلين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم
يفتقدوا وإذا شهدوا لم يعرفوا أولئك أئمة الهدى ومصابيح الظلم
وقيل لبعض العباد ما أصبرك على الوحدة قال أنا جليس ربي
إذا شئت أن يناجيني قرأت كتابه وإن شئت أن أناجيه صليت له
قال ذو النون المصري لا شيء أنفع لك ولا شيء أجلى
لهم وأنفع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم صومعة المؤمن بيته
يكف فيه بصره وفرجه ولسانه وفرجه وقال العتابي ما رأيت
الراحة إلا في الخلوة ولا الأنس إلا مع الوحشة وقال الجنيد
للسري السقطي أوصني قال لا تكن صاحبا للأشرار ولا تشتغل بالاهتمام
عن الأخيار وفي كتاب كليلة ودمنة ينبغي للمروءة أن تمنع المملوك
تجملا ومع الشرار متنبلا كالفيل أما أن يكون مركبا نبيلا أو في
البرية مهيبا جليلا وقال علي رضي الله عنه من وجد في نفسه وحشة
من الناس فليعلم أن الله أحب أن يؤنسه به وقالوا ما استغنى
أحد بالله إلا وافتقر الناس إليه وقال بعض الحكماء لا أنس
بالله مع محبة الناس فإن الله إذا أحب عبدا أوحشه من خلقه وقد
قيل من خلا بالله حبب إليه الوحدة وقال الجنيد الكتب ملا عاتبني
خلوتي والله ما علمت في مناجاتي وليس لي فيشي قال

من جفا الناس ولم يأنس بهم … ثم يلاينهم تم تجهّل

وصار بالوحدة مستأنسا … يوحشه الأقرب والأبعد

فإنما يكون عونا للكريم على الانقطاع عن الناس علته من نوع الطباع

قال سفيان للحسن البصري دلني على من أجلس إليه قال تلك ضالة لا توجد قيل

لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود الفأ

سمعنا بالصديق ولا نراه … على التحقيق يوجد في الأنام

وأحسبه محالا نمقوه … على وجه المجاز من الكلام

قيل لبعضهم من أبعد الناس سفرا قال من كان في طلب صديق مرضي

يكون عونا له على حماقته وعونا على ملماته سمع المأمون أبا العتاهية

ينشد وإني لمحتاج إلى ظل صاحب … يروق ويصفو إن كدرت عليه

فقال خذ مني الخلافة وأعطني هذا الصاحب وقيل في هذا البيت

عزيز من الإخوان من مودته … فما في ولا من كنت تخوع بربه

وقال بعضهم إن كان في مخالطة الناس خير فإن في العزلة أسلم وقال بعض

الزهاد لرجل إن استطعت أن تكون بحيث لا يعرفك الناس فافعل

وإن كان الأنس في الجماعة فإن السلامة في العزلة وقال الشاعر

ليس في الناس وفاء ولا في الناس خير من بلوت الناس كلهم فالناس كسير وعوير

وقال آخر

كن بعيد البيت حلسا وارض بالوحدة أنسا واغن عن الناس بأرض الرحمن شيئا عجبا

وبكر بالسلامة وانقطع الكتاب تربا تمت بالسلامة أنتم أو تدوم الجموع أمسا

وكتب بعضهم إلى صديق له أما بعد فإني أحمد الله إليك وإني عن الناس إليك

وقيل لبعضهم ما تجد في الخلوة قال الراحة من مداراة الناس والسلامة من شرهم

وما دوا الناس إلا الناس في شر وراحة ولو كشفت من الناس ما كنت معتدا

وكتب محمد بن يحيى عبد الله بن طاهر إلى أخيه من منبة السلام وكان أخوه

يخاف ويشكو إليه قلة الوفاء الذي يرى وذاك به بعض الجلساء فكتب إليه جوابا

كتب عني الأمة نجسا وارض بالوحدة أنسا

ما رأينا أحدا ساوى على الخبرة فلسا وقال

آخر من بلونا الناس كلهم فلم أجد في الناس حرا

صار أحلى الناس في العين إذا ما ذقت مرا

لا تجزعن لوحدة وتفرد ومن التفرد في زمانك فازدد أبو حامد الغزالي

ذهب الإخاء فليس ثم أخوة إلا التملق باللسان وباليد

فإذا كشفت ضمير ما بصدورهم صادفت ثم نقيع سم الأسود

إذا ما كنت أنا غلطا فبينما منذ أنت تطلب آخر

مكن بالنعاد لذا أعتقته فما في زمانك من تصحب

بلوت الناس وأهل الزمان وكل بعيد وكل خليق

وأوحشني من عهد الزمان وأيأسني بالعدو والصديق

بلوت الناس من شرها ومرها فلم تخف ما يقربها مني

فخلت فيما أبا التخلي كثيرا بيت مسامر وزمن

وفي الدار في العز والأنس وفضل الله بالتيني بالزمن

ما أعجب الناس في تقلبهم فاشتر كعمد وذا عيب

تنزهي عن الشخص حين تنصحه ويخطئ العقل حين يختنبه

قال بعض الحكماء الوحشة من الناس على قدر الفطنة بهم منه قول علي

رضي الله عنه أخبر تقله قال المأمون لو كان كلام علي في موضع من كلام النبوة

لعكسته وقلته أقله تخبر قال وصيب بن الورد صحبت الناس منذ خمسين سنة

فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا أقال لي عثرة ولا ستر لي عورة وكان يستر لي

عورة وقال علي رضي الله عنه إذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل أحد عجز

وقال شاعر أما الوفاء فشيء قد سمعت به وما وجدت له عينا ولا أثرا

من تواهم في الدنيا أخا ثقة فإنه قد يهدهم في المثا

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب فالناس بين مخاتل وموارب

يفشون بينهم المودة والصفا وقلوبهم محشوة بعقارب آخر

لما انجبر ما سمع يبين في الناس منصف وكل وداد قد بقي منهم تكلف

وكل إذا عاشرته فبذوي نفس لعمرك وادعوا عزته قصوا مختلف

وإنا منذ الدهر كالدهر لم نثق به وفيه إلا مجهول مسترف

وآخر: ذهب الوفاء بلا وفاة ، وذهب الحياء ولا مروءة ،
الا الشواهد البشة ، امر النفوس بلا اخوة وقال غيره
الحسن الصوري: نزع الزمان خليلي من الصفاء ، سروفاء الاخاء والصرو
فقال العزلة عن الناس توفر العرض وتبقي الجلالة وتستر الفاقة وترفع
مؤنة المكافاة في الحقوق وفي الاختلاط في الرغبة فرج عروة بن
الزبير الى العقيق واعتزل الناس فعاتبه بعض اخوانه فقال رايت السنتهم
لاغية وقلوبهم لاهية واديانهم واهية فخفت ان تلحقني معهم الداهية شاعر
، الا ليس الا التعرض كل وقت ، وما فيها الا قلة عليه عذر ،
، وكل اذى مجبور عليه ، وليس على من البعد، صبر ،
وآخر ، واوحشني من الاخوان علمي بهم فبقيت مهجور النواحي ،
فلم اخلهم في جنب مزج ، وهي قد بين الناس الشراج الامام
الشافعي اذا لم اجد خلا تقيا فوحدتي ، الذ واشهى من غوي اعاشره ،
، واجلس وحدي للعبادة امنا ، اقر لعيني من جليس احاذره ،
قال جعفر الصادق العزلة اسكن للفؤاد وابعد من الفساد واعود
للعماد الثعالبي اذا كان الصديق المؤانس متعذرا وصحيح الاخاء كبكاد
يري ملاطفة بعنقاء منعقدة العري وقالوا اذا انس اللبيب بالوحدة
دون الصاحب ونزه نفسه بالركود عن تعب الحاجة والصاحب وترجي
بالادب وتحلي بحلية المؤمن والزم نفسه الرياضة بالادب ولعزوف
من ابلم العزلة فقد استراح واراح ووجد كل فضل العقل والراح
وانشد لعلي بن عبد الرحمن الجرجاني
، ما تطعمت لذة العيش حتى ، صرت في وحدتي لكتبي جليسة
، ليس شيء اجل عندي من نفسي ، فلم ابتغ سواه انيسا
، انما الذل في مخالطة الناس ، فدعهما وكن في وحدة رئيسا
وما احسن قول بعضهم في المعنى ،
، اذا ما خلوت من المؤنسين ، جعلت المؤانس لي دفتري ،
، فلم اخل من شاعر محسن ، ومن مضحك طيب مندر ،

، وكم حكم بينوا اثنا بينا ، فواي للنا في المسكن ،
، فان نا وقربه باسرار ، ولوة عند الهم لن يلحقني ،
، فلست ارى مؤثرا ما حييت ، عليه نديما الى الحشر ، وبعضهم
، وما كغن في بمرجومرو اخاه عليه الا خفية فيه ،
، ولن تدع التجارب في قربا اميل اليه الا قلت عنده ،
، انست بوحدتي فلزمت بيتي ، رايت الانس يستوحش فيه ابو نواس
، فمن يبقى الانسان فيما ينوبه ومن اين للحر الكريم صحاب ،
وبما اخترت من كلام الحكماء الاجلاء في التحذير من اتخاذ الا
صدقاء والاخلاء قال بعض الحكماء لو ان الدنيا ملئت سباعا
وحيات ما خفت ولو بقي احد من الناس خفت منه وقالوا اشعر من
شرار الناس وكن منهم على حذر وقال اخر ما بقي في الناس الا
حمار رامح او كلب نابح او اخ فاضح وقال ابو الدرداء كان الناس
ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال سليمان الناس اربعة
اصناف: اساد وذئاب وثعالب وضان فاما الاساد فالملوك والذئاب
التجار والثعالب القراء المخادعون والضان المؤمن ينهشه كل
من يراه شاعر الناس اخلاقهم شتى وان جبلوا على تشابه امراء وازواج
وقال بعض الحكماء احذر الناس فانهم ركبوا سنام بعير الا في بروج
ولا تكن حول ذا لا عفو ولا قلب مومن لا اخوك وقال
خالد بن صفوان الناس اصناف فمنهم من هو كالكلب لا تراه الدهر
الا هارا على الناس ومنهم من تراه كالقرد يضحك من نفسه وقال
عمر الجميل كان الناس احيانا مختلفون والهوا متباينون فمنهم
مختلفة لا تباع ومنهم غير مختلفة لا تبتاع وقال جعفر الصادق
لبعض اخوانه اقلل من معرفة الناس وانكر من عرفته منهم وان كان
لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على
حذر وقال بعض البلغاء بلوت الناس كلهم فلم ار الا من يرى
العون بلا كلا وانا كل حفظ واللئيم من جهة والكريم لغو والنصح

يسلم على شكر معروف الله

غمًّا والغش نصحا والمدح هجاء والهجاء قدحا وقال العتابي في مثل ذلك

تساوى أهل دهرك في المساوي ... فما يستحسنون سوى القبيح
وصار الناس كلهم غثاءً ... فما يجزون للأمر النجيح
والمحوا الجود عندهم جنونا ... فما يستعقلون سوى الشحيح
وكانوا يغضبون من الهجاء ... فقد صاروا يغضبون من المديح

وقال حكيم مصاحبة الناس خطر فمن صبر على مجتمعهم فقد بالغ في الحزم
إنما هو كراكب بحر إن سلم ببدنه من الغرق لم يسلم قلبه من الفرق
تجنب قرين السوء واصرم حباله ... وإن لم تجد عنه محيصا فداره
ومن يطلب المعروف في غير أهله ... يجد وراء الحمد في قراره

ووصف بعض البلغاء أهل زمانه فقال أخلاق الناس تحت بيع من أخس البيع فإن نصحت لهم رمقوك ووشوا بك وأبغضوك ولم يعذروك إن حضرت اهتنوا أو غبت فشاهدوا ينظرون على أنك مولع بهتوه للمتجد وغيبتهم شحيح ومفضيهم تجيح إن رأوا خيرا دفنوه وإن كتموا شرا أعلنوه إنفاقهم على غرور والتحاسد بينهم على خطر من يركبهم عدو ثائر ومتقول كاذب وحسود مواد إن احتججت ثم تكشفوا وإن اغتبت ثم تعيبوا وانتشر
إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا ... شرا أذاعوا وإن لم يسمعوا كذبوا

ولهذا المعنى قال

أيا لائمي إن تعصني من ترى أمرا ... ولم تشو بالنصح في تقاسيه أبرا
من عاش منفردا لم يأته حرج ... على انقضاء مدى في الأنام عمرا

ومما يكون مماثلا لهذا الفصل ومعادلا له التحذير من صحبة السلطان وإن كان عادلا قال إلا نعيش صحبة السلطان خطر إن أطعته خاطرت بدينك وإن عصيته خاطرت بنفسك والسلامة منه أن لا تعرفه ولا يعرفك وقال ابن مسعود إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه ويخرج وليس معه منه شيء وقال عبد الله بن عمر ما ازداد رجل من ذي سلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا وقال الفضيل بن عياض كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن

وقال

وقال أيضا لا يدنو الرجل إلى حتفه ومنيته حتى يقرب من أن يدنو إلى سلطان وقال أيضا ما أقبح بالعالم أن يقال أين هو فيقال هو عند الأمير وكتب أبو بكر بن عياش إلى عبد الله بن المبارك أن كان الفضل بن موسى يجالس السلطان فإن ذاك من الصلاح وقال أبو الفتح البستي

يا من يرى خدمة السلطان عدته ... ما أرشد الله إلا ذل والشرح
بجسمه تعب والنفس خائفة ... وعرضه غرض والدين منثلم
هذا الذي شرفت أيامه ولت ... نعوذ بالله أن زلت به القدم

وقال زياد بن أبيه يوما لجلسائه من أنعم الناس عيشا قالوا أمير المؤمنين يعني معاوية فقال فكيف بثغوره وأموره إن له من الناس لعيبة وفزع قالوا فأنت قال فكيف بثغوري وخراجي ومداراة الناس قالوا فمن قال رجل له دار يسكنها وزوجة صالحة يأوي إليها وخادم وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فإنه إن عرفنا وعرفناه أفسدنا آخرته ودنياه

وصاحب السلطان في محنة ... في أجل لا مرد في حينه
إن ساء خاف على نفسه ... أو سر خاف على دينه
وصاحب السلطان كالسفينة ... في البحر عرضا لأمر خوفه
إن أدخلت من مائه في جوفها ... أدخلها وما في جوفه
إن الملوك بلاء حيثما حلوا ... فلا يكن لك في أكنافهم ظل
ماذا ترجو من قوم إن غضبوا ... جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما ... إن الوقوف على أبوابهم ذل

الفصل الثاني من الباب السادس عشر فيما يحض على الاعتزال من ذميم الخلائق والخلال

أول ما نبدأ منها ولم يكن لنا إلا عن أمر عنها كيف تبع من سوء غنائه أن فداه وصعبا أو مالا على حزن جاره في وجه يتغالى ويزده إن الشافعي رضي الله عنه قال الكبر الناس بنفسه البخيل فإنه إذا ارتفع حجا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل شاعر

قبيح الكبر بالإنسان مثلنا ... وكفؤا لا على إخوانه تاها

اخي تزداد للاخوان مكرمة ان نال حظا من السلطان او جاها ، او

(وله ايضا) تغيرت عني حين وليت منصبا وقمت به من قبل ذا كنت صاحبه ،

وما سرني الدنيا باول صاحب واول شخص غيرته النوائب ،

(اخر) ان الولاية معيار العقول بها يبين من به نقص او به قصور ،

فكم امير سمعنا كان ذا ادب قبل التولي واعتراه تيه ،

وقال ابو بكر الخوارزمي

كم من فتى نال من دهره ما يبغي عنا به من اخلاقه كنود ،

فما نال فوق القوت مغرورا من دهره او من على عمه تيه ،

وما ذا الذي نرغب فيه وطاله وان هذا ان يلم به العز ،

(و) بعضهم يعاتب من تغير له وقد حبر قبلي ،

ولما من يتدبر السعادة وحكم الزمان على تيه ،

عزلت عن الود ان وكنت فرما لدنيا تستغيبه وتستغيبه ،

(اخر) دعوت الله ان تعلوا محلا فلو اتبرد في اعلى السماء ،

فلما ان علوت علوت عني فكان اذا على نفسي دعاء ،

ان الولاية تمتحن اصحابها فلربما وجوههم عنا وتنكروا ،

فاصبر على جور الولاية منهم وانظر عنابهم الى ان يعزلوا ،

(اخر) من لم يجر الصديق الذي نال جميع السلطان لحباعه ،

اتباع ودي وقمون ودعهم حتى اذا نال الذي تعني قناعه ،

(اخر) ورب اخ قد كان لي سكنا وكنت منه مكان العين في الراس ،

ولم ... اذا انا في غنى وخانه سوء بناء واشا بين ،

حتى اذا ما خلى من ماله وكرا مما احب من اللذات والكاس ،

غدا الي بوجه غاصب كلي وعاد بوجه من حال الملاس ،

(اخر) تاه علينا وزاد الكبر منه وخانه عمره ومنيا منه ،

وكل من نال حقوق رتبته تغيرت للصديق اخلاقه ،

وقال عبد الصمد بن بابك يشكو من نفيا مال امير اكتسب المال وحال عن ما كان عليه

العال . اشكو الى الله من الظل بحي كي عن الذي بي ومن يبغي على الزمن ،

وصاحبا ليس مجرى عالصاحبه دهرا فغادرني فردا بلا سكن ،

هبت له ريح اقبال فطار بها نحو السرور والجاه والنحول والحزن ،

ناءت بجانبه عني وصيرني مع الاسى ووالى السير في قرن ،

وباع صفوه اذ كشف الصفي عليه مجتمع في السير والعلن ،

وكان غالبه حينا بارخص يا قوم اصعود بيع بالثمن ،

فليتني في الارض مغبوطا بصفقته ان يكن من مغبون الشعر ايشرف ،

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الخشن ،

(وقال) ما اخر يعاتب من تغير له تغير مالبه عن ما نعهد الزمان بعير الغنا ايه

وكنت اخي ابلغ عودك يا بن مليا الكنيسي وانغص من مع النسى ،

نعم لي وقت وفتى ثم اغتنى اذ فقد مان خيط مثل الشكي ،

فلو نلت ما يعنى في اليوم اوغوا الفند ما ينغوا الى اخي الزمي ،

الم ترا ان الغنى يرجى له الغنا وان الغني يخشى عليه من الكفر ،

(اخر) الم ترا ان تغلا الرجال اذا الدهر سا غيرهم سا غيروا ،

وان خانه دهر أسلموا فلم يبق منهم له واحد ،

وقد علم الناس ان المريض يموت لما عاده عائد ،

(اخر) كم من صديق لنا ايام دولتنا فكانت يرحبنا فيها ويعرفنا ،

لما رات انخفضت عنا امارتنا من كان ينصح من كان يغويا ،

من كان يلحظنا من كان يصحبنا الا تنكر عنا حين يلقانا ،

(اخر) من يغبط حين تستغني كثير وما لك عند فقرك من فريق ،

فلا تغضب على احد اذا ما طوى عنك المودة عن ضيق ،

(اخر) ارى قوما وجوههم حسان اذا كانت حوائجهم الينا ،

وان كانت حوائجنا اليهم تغير حسن وجههم علينا ،

ومنهم من يستمع ما له به ويغضب حين تشفع ما لديا ،

فان يك يعلمه سمحا ومعلى فيها مثله تغرا سنويا ،

وهما يدل على صغر الهمة وانبعاث التلون على الصديق بسالف منس

قال بعضهم لا افتلي بالمجموع يجوع حين واحب الى من ابتلي يتلون وقال

فأعرض إن كان له صاحب صديق فلا تتمنوا له رفعة فتغيروا رتبة بعد بكونه فكلما
من عينه ولا تلتفت إلى قول حبيب بن أوس الطائي

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

فليس كما قال فإنه بالرتبة يتسع بالنعمة تغيرا لخشية زوال النعمة وبعده عن نفسه
فالبؤس وإن كان من قبل شريكه وقسيمه في الرقعة وشفيقا له فلا بد في الزيادة
بالسلامة وبعد معرفته له عشرة أن لا يرجى لنا أملا له فأرق فعبابه مجتمع
وإن دخل في غمار الناس أزهد من التبرم به أعجبه وقريبا قال الفقيه منصور بن إسماعيل
الفقيه

إذا رأيت امرأ في حال عسرته ... باقي المودة فاجهد ودك تغل

فلا ترد له حالة تبسم بها ... فإنه بانتقال الحال ينتقل

وكان منصور الفقيه يقول الحكماء والبلغاء لا تطلبن صحبة رتبة من ارتفع
من رتبة التي هو فيها وبيك فيه فإنه يشتغل عنك في أحوال ثلاثة يكون قريبا
عند حاجته إليك ومعرضا عند استغنائه عنك ومعروفا عند احتياجك إليه
وقال بعض الأعراب يذكر قريبا تلون عليه هجر ثم عتاب إليه يبني وبينه
بعد امتلاء بما والكعمرت سواله وجوه مسرات كانت بلا بها فإذا ما كان بيني
وبينه مقبلا وأقبل ما كان مدبرا وصارت مودته مشغلة كشغل الأحباء وإخوته
متلونة كتلون الحرباء وقال بعض المتلونين وقد لا تثق فلما يعني
انقضائه ويقال إياك ومن مودته تعلو قدر حاجته إليك فعند ذهاب الحاجة
ذهاب المودة وقال بعض الأعراب لرجل يا بني تصحب من إذا استعنت
من غنى لا يأل أن يغني لم تنال إذا انقطع من قريبك رجاؤك فاتحفه
بعروك وما أحسن قول بعضهم

إذا أنا لم أصبر عليك كثيرا ... فتيته زهدا تلق ذا الصديق

وإن سلط الإغراق به كل بعضهم ... تخرج عما يسوى الحال الهوى

فإذا جاء العفو تغني وأرج ... حقد قدرا ثم تصنيع العفو

وبشار بن برد

إذا كنت وأيا الخوف من الهوى ... من حسد في كل أمر كابة

فعيل لا وجه العراه ولا تكن ... مغنية رجال كثير تزامنه

ولقد أحسن الكميت بن زيد في الأبيات إذ عظم بأنف شامخ وإباء عن أهل

في الكرم راسخ إذ قال من أبيات يعتب

ولا أنا بالمكثر الدنو كأنني ... إذا صد عني ذو المودة يقرب

ولكنه إن دام دمت وإن يكن ... له مذهب عني فلي عنه مذهب

ألا إن خير الود ود تطوعت ... به النفس لا ود أتى وهو متعب

وقيل لبعض الولاة كم لك من صديق فقال أما في حال الولاية فكثير ثم أنشد

الناس إخوان من دامت له نعم ... والويل للمرء إن زلت به القدم

ولما نكب علي بن عيسى الوزير لم يطق بابه أحد من أصحابه وإخوانه
الذين كانوا ملازمين في حال نعمه واشتغاله فلما ردت إليه الوزارة اجتمعوا
إليه وعظموا عليه وجعل كل منهم يأخذ في السبق للقياه والتقرب إلى مجالسه
مجيبون إليه كذا ثم أنشد

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... فكيف ما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت ... عليه يوما بما لا يشتهي وثبوا

لا يحلبون لحي در لقحته ... حتى يكون لهم شطر الذي حلبوا

عاتب الزمان بعض الوزراء فتنكر بعض الصحب إليه وقبض عنه أصابع القبض
عليه ثم عاد فلبسه من الإقبال حلل الجمع الذي لما وقع من تقدمه النحوس
بأزمنة الزمان وجملة أعباء الشرور وأثقاله فقال يعاتب من انقطع عنه في حال
خموله ويشير بأن نجم سعده كطلع بعد أفوله

عادت الأيام بعض شيء ... فأعرض الناس ثم ناب أسوا

يا ليت الدهر عوض عني ... عودا فيعرفها ودادا بيننا

العرض

كتب بعضهم إلى صديق تلون عليه أما بعد فمبرعا فيه الشك في أمرك
عن نية الأمر فيه لأنك برأتني بلحقه من غير جرم ثم أعقبتني جفاء من غير
بالعتب أو ذنب في إخائه وآيستني أخرى من وفائك بمجيئك من دونه لكنه
بالنتاج الذي في أمرك فقد كلمته التشديد فإنما على التلاقي وافترقنا على اختلاف
والسلام وكتب إليه أم تلونت حتى لست أدري من العمى أريح جنوب أنت أم ريح شمال

فربت بصيرتها هل منتهى هو ... فتحي نحيل مستقيم بحالاتك

هد ودع كذوب لست تبرح خلالة ... لا نجمون من تلونه إلا قليلا

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله
... صلاة دائمة
... الواحد

وليس بن عمرو ليست بناجح وانه من عجب شانك وافعه
كذا الدنيا شانك شاتم لم شاهد كما انت تلقى جاهلا عارف — وكتب
فلا تغضب ليس انه من تطوف انا على عشر اجيني — اخ
اذا لم تكن مما يحتسي تجتنبا من تسبح واخرى منك تاسف

ومن جميع تعلقات الاخلاء التحذير من اغتياب من غاب من الاخوان
قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم ماله ودمه وعرضه
وان يظن به السوء وقال الحكيم لا تخف التهادي من اهدى اليك اخيه عيبه
وحفظ له غيبته وقالوا الغيبة جهد العاجز فقالوا بالحق وصحبة من اذا
حضر مدح واذا غاب ثلب ومزح وقالوا الزينة عار والغيبة نار وقالوا
اللبيب اذا غاب ثلب واذا حضر اغتاب ويقال من عف عن الغيبة كف عن
الغيبة وقال العتابي شر الاخوان من اذا وجد ما هدم وان وجد
فاذا هدم وان استودع سرا افشى الشريف الرضي

ابن — اذا انت فتشت القلوب وجدتها قلوب اعادي في جسوم اصادق
المعتز — بلوت اخلائي جميعا الى شانه واقللت بالعجز منهم نصيبي
وكلهم ان تصحبهم فريقا يعد والغيب

وقالوا من اكل خبزا بلحوم الناس لم يجد نفسه من الادناس ومر عمرو بن العاص
على جيفة ملقاة فقال لاصحابه والله لان ياكل احدكم من هذه حتى يمتلئ به
خير له من ان ياكل لحم اخيه وكان ابو الطيب القاسم يتجوا يتناول
فقال له نصر بن احمد الى متى تاكل خبزك بلحوم الناس فجاوز بعد
وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو اول
من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال
ابن الحسين ... الغيبة فانها ادام كلاب الناس واغتاب رجل
رجلا عند مسلم بن قتيبة فقال له لقد استدللت بكثرة ... الكرام
ويحكى عنه انه ذكر عنده رجل فتكلم فيه بعض اهل المجلس فقال له
مسلم مه اوحشتنا من نفسك وسودت وجهك للتنا على ... وما انس

نعم من قال لا يكون لسانه رطبا بعيوب الناس ... يريح في اعرابي اقام
ابراهيم بن ادهم ناسا فلما قعدوا للطعام اخذوا في الغيبة فقال لهم ابراهيم
ان من كان قبلنا كانوا ياكلون الخبز قبل اللحم وانتم اكلتم اللحم قبل الخبز
منع الله ... فكما المعصية ... المغيب تلقى الفلاة النعام
ابو عباد — احذر الغيبة فهي ... انما المغتاب كالاكل
لحم من لحم اخيه ابن المعتز

اخ لي يعطيني الرضى في حضوره ويمنعني بعض الرضى وهو غائب
اذا ما التقينا ... منه كاشح فبان غائب في شانه منه بالحى
على قبيح في غيره ان ... علمتني كيف ترمي الحائين بعضهم
بحترا — ... لا بشيء عليك ... اذا عتبت ... العدو يقول
وحسبك من لؤم وخبث ... بانه عن غيب ... يقول الوزير
المغربي — اي شيء يكون اقبح ... من صديق يكون ذا وجهين
من وراء يكون مثل عدو واذا ما التقى يقبل عيني
يضاحكني قوله اذا ما لقيته ويرشقني ان غبت عنه باسهم
وكم من ... به ... وفي قلبه ان غبت طاب ... وعلقم
في ... جمل التساوي ... معناها ... صبغة ...
فكانه ملك الشمال موكل ابدا يكتب السيئات وحفظهم
وما صاحب ... عن الرجال بصاحب اذا لم يكن ... الامور الصعاب
اذا ما ... فرحبا ... ومن وراء بالسماع القواضب
كثير — اذا انتقد الناس من الكرام رايته ... في كل ... غائب
عزة — انت في معشر اذا غبت عنهم بدلوا كل ما ... شينا
واذا ما رأوك قالوا جميعا انت من اكرم الرجال علينا

ولبعضهم فقال

شر السباع الضوار كونه وزر والناس شرهم ما وقع وزر
كم معشر ... دونهم سبع وما ترى ... يوده بشر
ومما يرغب الوجيز في الانفراد حسن اهل الصفو ومودة

الحسد داء دوي وخلق رديء يدل على قلة الدين وضعف الاعتقاد وقلة اليقين
فلا يزال صاحبه حليف هموم وأليف غموم وظالم في زي مظلوم وإن هو غير
مرجت على الحقد طباعه وجبلت على الغل أخلاقه وأمر بالاستعاذة في
بالله من شره وحض على الاحتراز من ضره قيل لعبد الله بن عمر كيف زمت
البدو وتركت فوضك مال وهل يغني في الناس الا من اداد وانعم بحث
واذا واعترى شمت ثم أنشد

عين الحسود اليك الدهر ناظرة تبدي المساوي والاحسان تخفيه
يلقاك بالبشر يبديه مكاشرة والقلب ملتهب فيه الذي فيه

وقال معاوية بن أبي سفيان كل الناس قادر أن أرضيه إلا حاسد نعمة
لا يرضيه إلا زوالها وقالوا الحسد داء يفعل في الحاسد أكثر من فعله في
المحسود ونظم معنى الكلمات محمود الوراق فقال

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا إلا الحسود فإنه أعياني
لا أن لي ذنبا إليه علمته إلا تظاهر نعمة الرحمن
يطوي على حنق حشاه لأن يرى من حال مالي أو بفضل بيان
ما إن أرى يرضيه إلا ذلتي وذهاب أموالي وقطع لساني

ونظمه آخر فقال

قل للذي كان محسودا على نعم دع الحسود تقطع نفسه قطعا
لو كنت تعلم منه ما يريد به لما صنعت به بعض الذي صنعا

وقال بعض البلغاء الحسد شؤم واعتياده لؤم ينقض الأشباح وينغص
الأرواح ويورث الأحزان ويحرق القلوب ويكدر غدرانها ربما هيئة العيش
ويشعل نيران الشحناء والبغضاء وإن الحسود مجروح في جلده منابزا
في بدن مظلوم وهو ظالم جهول تعيبه على معارض للدين مشيئته
معترض على الله في قضيته يعيش محروما ويبيت مغموما ويصبح محزونا
ويكتب ملعونا مرحوما في الدنيا الى الكرب والتلف ومحروما في العقبى
من النعيم والزلفى لا تعمل شعلة النار في الحطب اليابس ما يعمله
الحسد في جسد صاحبه ويذيبه كما يذوب الشمع ويأكل لحمه ويمشش

عظمه

عظمه ويجعله معرضا للكروب ومبغضا للقلوب فجدير بالانسان أن يبعد
من الحسد فوقه من ادعى مراتب الشر فلم يعم قالوا أشر بوائق خبيث من محسود
بر اعبط وقال بعض السلف إذا أراد الله أن يسلط على عبد من لا
يرحمه سلط عليه حاسدا يحسده وقال أردشير كل خليقة رديئة يحسن
دواؤها إلا الحسد فإن الحاسد يسعى في احتراقه ويتمنى الغوائل لمن أنعم
عليه وقال أبو الطيب المتنبي

يريد بك الحساد ما الله دافع وسمر العوالي والحديد المذرب
وله: وأظلم خلق الله من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب
وله: سوى وجع الحساد داو فإنه إذا حل في قلب فليس يحول
فلا تطمعن من حاسد في مودة وإن كنت تبديها له وتنيل

وقال ابن المعتز الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ويبخل بما لا يملكه
ويطلب ما لا يجده وقال حكيم الحسد يبين نقص الحاسد ويدل على كمال المحسود
وما أحسن قول المعافى بن زكريا النهرواني

ألا قل لمن كان لي حاسدا أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عني بأن زادني وسد عليك وجوه الطلب

أبو
فراس
يرى حاسدي الحساد أجر المجاهد وأعجز ما أوتيت إرضاء حاسد
ولم أر مثل اليوم أكثر حاسدا كأن قلوب الناس في قلب واحد

وقالوا لا تتوصل من الحسود راحة حتى ينقص من المحسود جناحه
وقالوا حسب الحسود ما يلقى من هم النعمة في من نفسي ورط حب
النعمة وقالوا من علامات الأغبياء معادات الأغنياء وقال عبد الله بن
مسعود لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون
الناس على ما آتاهم الله من فضله يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة الحسود
عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي ولم أسمع بأحسن من حمزة بن بيض
وقد مر بواد مملوء إبلا وشياها وزرعا ورعاء

اللهم ارعه وتيسر في زرع نبتا والحالبون ويسر لي ما أحلب

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله عدد ...

٦

فلعل إن الزرع يؤتي أهله ولعل في الأشياء يوما تجرب
ولعل ما عوننا يصيب علومها وتصيب ساكنها الى ما مجدب
قال المرزباني صاحب كتاب الاتعاظات فلم يكن اخذ ابدا ما قال حتى
ان اباهم جميع ما تمنى لهم ولكن يغمر من سر اصله حكي ان ثلاثة من الحساد
اجتمعوا فقال لأحدهم ما بلغ من حسدك قال ما اشتهيت
أن أفعل بأحد خيرا قط قيل لأي شيء قال لئلا يثني عليه فقال له انت رجل
صالح لكنني ما اشتهيت ان يفعل احد باحد خيرا قط قيل لاي شيء قال لئلا يشتغل الا طبع
بالشكر اليه فقال الثالث ما في الارض خير منكما لكنني ما اشتهيت ان
ان يفعل بي احد خيرا قط قيل له ولم قال لأني احسد نفسي على ذلك فقال
له انت اشدنا حسدا واكثرنا حسدا قال لنا المحسود عمر ومعين
لا يدرك ان الا بالتمني شاعر
ان يأكل الحسد الذي هو واقد متوقد وتوقد غمه من مقش
ان المحسود وان اراد مودة جعفوا بالقول لذا العدو الجمس
وقال علي رضي الله عنه لله در الحسد ما اعدله بدأ بصاحبه فقتله
وقيل للعقلاء في مرض اما به ما تشتهي فقال اكباد الحساد والعين
الوشاة واعين الخيل وقال بعضهم لوثيق ايلا ان الحسد فانه يبين
عليك ولا يبين على عدوك كان يقال الحريص محروم والبخيل مذموم
والحاسد مغموم وصف أبو بكر الخوارزمي حاسدا فقال واما فلان
فمعجون من طينة الحسد والمنافسة ومطبوع في قالب الدخل والنافسة
يحيى من رزقه الله فضلا نال فضلا ويحيى من جعله فسيحا واسعا ويغار على النجم من
يسبح فيه وعلى البحر من يستضيء به وعلى الشمس من تطلع عليه وعلى نسيم
الهوى من وطئه لو ملك السماء لمنعها عن الامطار وتنوا لها عنه
الا رض لمنعت من تعزية النبات والاشجار ولو تخير لن الاشجار
لعدل بينها وبين الا ثمار كان كل رغيف يعطي من قوته وفوت عياله وكان
كل درهم ينفق من ماله وقال الحكماء لما انه يخل على نفسه بالهواء
وتجانب اعظاء على الغزال والتعشاء وقال شاعر

لأن من حساده بل خلدوا حتى يروا منه الذي يكمد
ولا خلا الله من حاسد فإن خير الناس من يحسد ابو تمام
ان يحسدوني فإني لا الومهم قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات اكثرنا غيظا بما يجد وله
وإذا اراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود والشهود
حسد الفتى اذا لم ينالوا سعيه فالناس اعداء له وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغيا انه لدميم ابن المعتز
ومن عجب ان يلام بغيضي معاشر غضاب على سبقي اذا انا جاريت
يغيظهم فضلي عليهم ونقصهم كأني قسمت الحظوظ فحابيت واخر
إني حسدت فزاد الله في حسدي لا عاش من كان يوما غير محسود
لا يحسد المرء الا من فضائله بالعلم والحلم او بالفضل والجود
ومما يتعوذ الكريم باجتنابه جار سوء فلا ضير يجانبه
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اعوذ
بالله من جار سوء في دار مقامة فان البادي يتحول كان عمر رضي الله
عنه يقول ثلاث كلهن فواقر جار سوء ان رأى إليه عارفة لم يشكرها
وان سمع كلمة سوء لم يغفرها وجار ان رأى حسنة اخفاها وان عثر
على سيئة افشاها وامرأة ان حضرت عندها اذتك وان غبت عنها
خانتك كان يقال من جهد البلاء جار سوء معك في دار المقامة يلبس
لك ثوب البغض لا منه لا يتبع فيه عيب ولا يعوي بالملامة ومن دعاء
الله يحيى اللهم اني اعوذ بك من جار زنا في عينه تراني وقلبه ترعاني ان
رأى خيرا دفنه وان سمع شرا اعلنه قال لقمان لابنه يا بني حملت
الحجارة والحديد فلم ار شيئا اثقل من جار سوء في دار مقامة قال الشاعر
ومن عجب ان كان للبيع لي هنا في جلق
الا من يشتري دارا برخص كراهة بعض جيرتها تباع واخر
يلومونني ان بعت بالرخص منزلي ولم يعلموا جارا هناك ينغص

٧

ثم صلى وسلم على سيدنا محمد وآله
وصحبه ... ملة الله

تعلقت لم كبوا السلام فانما يحيى بها تغلو الدنانير وترخص

وقال رجل لسعيد بن العاص والله انك لاحبك فقال وكيف لا تحبني ولست بجار
ولا ابن عم ويقال في التوراة أحسد الناس للعالم وأبغاهم عليه أقاربه
وجيرانه ويقال ان أهل الناس بسعيد من تسعد به جيرانه ولا يبلغ منه
اخوانه واستعرض ابو مسلم الخراساني قوما اهل امرئ انه فقال لاصحابه
ما تقولون فيه فكل قال شيئا فبعضهم يقول يصلح للولاية ينبغي به النهار
ويبرد به آخر النهار وآخر يقول يصلح لمبارزة الابطال ومناظرة
الابطال وآخر يقول يصلح ان يقاتل الاعداء ليوم يجري به قصب
السباق فقال ابو مسلم كلكم اخطأتم السنة الجمع وزاد نفرة
عن الاسخياء والحزن فلاتوا وهذا يصلح أيا الا فيه فقال لم يجرب
الحرب والعرب من جاربنوا يعرم بقابليته السكون والفرار وقيل
لابي الاسود الدؤلي لم بعت دارك فقال ما بعت داري وانما بعت جاري
الشريعة افضل الا مائل والنبل الا باطل والعلم والعمل والسنن
والفعل الفضلاء من العلماء وزين أرباب الحياة للا مير بالمرتب
حسن عهد بالنوائب الكبلا نى تنعشه يرمز جار الله

لي جار شخصه اكبر من أوصاف المعايب
مسرات حبيبي وعداوات الاقارب
ليته اذ لم يعنني لم يكن عون النوائب

الفصل الثالث من الباب السادس عشر فيما جاء
في الكتاب من دعاء برجوان تسمع وتجاب

قال الله تعالى قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعاؤكم وقال تعالى واذا
سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان وقال تعالى
وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدعاء مخ العبادة وقال عليه السلام استقبلوا امواج البلاء
بالدعاء وقال عليه السلام الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل
فعليكم عباد الله بالدعاء ولما كان الدعاء في الفضيلة من المكانة

بستحب

يستحب لمن وضع كتابا ان يختم به كما بدأ بالتحميد كتابه فاستحمد الله تعالى
وانتخبت من الادعية التي مررت بها من عهد ومن أهل الاخلاق ووردت
بما يقول العباد متصل الاجابة وعرفت جودة القبول اسانيده
يسهل على الراغب فيها ان يتوسل متى أحب وبعبر ما واثره
الاوقات التي يتكفل النجح فيها باجابة الدعوات اوقات اختار به
الله لاداء ما افترض من الصلوات فاذا اراد من وفقه فليضرع
عقب صلواته وتلو ما فاته لعدلا سكناته والخضوع لم يرجع في
توجهه وعرها القبول منه بخضوع وليقل اللهم ارزقني موجبات
رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم والفوز
بالجنة والنجاة من النار اللهم لا تدع لي ذنبا الا غفرته ولا هما الا
كشفته ولا عيبا الا سترته ولا سقما الا شفيته ولا زمنا الا
يسكنته ولا خوفا الا امنته ولا سوءا الا صرفته ولا مبتلى الا رحمته
ولا حاجة من حوائج الدنيا والاخرة الا قضيتها برحمتك يا ارحم الراحمين
اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة ومن عاجل يمنع خير الاجل
ومن حياة تمنع خير الممات ومن أمل يمنع خير العمل واسئل الفوز
والسلامة ودخول دار المقامة اللهم لا تحرمني سعة مغفرتك
وسبوغ نعمتك وشمول عافيتك وجزيل عطائك ومنح مواهبك
لسوء ما عندي ولا تجازني بقبيح عملي ولا تصرف وجهك الكريم عني
اللهم لا تحرمني وأنا ادعوك ولا تخيبني وأنا ارجوك اللهم انك
تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب اللهم ان كنت كتبتني عندك
في ام الكتاب محروما مقترا علي في الرزق فامح من ام الكتاب شقاوتي
واقتار رزقي واثبتني عندك سعيدا مرزوقا فانك تمحو ما تشاء وتثبت
وعندك ام الكتاب اللهم يا من لا يشغله سمع عن سمع يا من لا يبرمه الحاح الملحين
يا فارج الهم يا كاشف الغم يا مجيب دعوة المضطر يا رحمن الدنيا
والاخرة ورحيمهما ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك اللهم
اني اعوذ بك ان ادعو بدعاء به عندك والقوة انه ذهب مقاصيا مطران

لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين
فاستجبنا له ونجيناه من ظلمات ثلاث ظلمة الخطيئة وظلمة البحر وظلمة بطن
الحوت فإنه دعاك وهو عبدك وسألك وهو عبدك وأنا أدعوك وأنا
عبدك وأسألك وأنا عبدك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا
محمد وأن تستجيب لي كما استجبت له وتنجيني كما نجيته وأدعوك بما دعاك
به عبدك أيوب إذ قال مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبت له
وكشفت ما به من ضر وآتيته أهله ومثلهم معهم رحمة من عندك فإنه
دعاك وهو عبدك وسألك وهو عبدك وأنا أدعوك وأنا عبدك وأسألك
وأنا عبدك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأن تفرج
عني كما فرجت عنه وأن تستجيب لي كما استجبت له إنك سميع الدعاء
اللهم إني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع
ودعاء لا يسمع وعمل لا يرفع اللهم إني أسألك في صلاتي ودعائي
بركة تطهر بها قلبي وتروح بها روحي وتكشف بها كربي وتغفر بها ذنبي
وتصلح بها أمري وتغني بها فقري وتذهب بها ضري وتفرج بها غمي وتنسي بها
همي وتشفي بها سقمي وتقضي بها ديني وتجلو بها حزني وتنمي بها
مالي وتجمع بها شملي وتبيض بها وجهي وأفضل ما عندك خير لي اللهم
أصبح قلبي مستجير بعفوك وذنبي مستجير بمغفرتك وخوفي مستجير
بأمنك وفقري مستجير بغناك وضعفي مستجير بقوتك وذلي مستجير
بعزك ووجهي الفاني البالي مستجير بوجهك الباقي الدائم اللهم
مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني
وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل
محمد واجعلني في حفظك وكلاءتك وودائعك التي لا تضيع واعصمني
من كل سوء ومن شر كل ذي شر واحرسني من شر الشيطان الرجيم والسلطان
الظالم إنك أشد بأسا وأشد تنكيلا اللهم إن كنت منزلا [illegible]
بأسك أو نقمة من نقمتك على أهل معصيتك بياتا وهم نائمون
أو ضحى وهم يلعبون فصل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واجعلني

واجعلني في كنفك وفي حفظك وفي حرزك اللهم إن هذا بين الليل والنهار خلقان من
خلقك فاعصمني فيهما بحولك وقوتك ولا تبتلني فيهما بجرأة على معصيتك
ولا ركوب إلى محارمك واجعل عملي فيهما مقبولا وسعيي مشكورا
وسهل لي ما أخاف عسره وصعب على أعدائي وأصلح لي فيهما بالحسنى
وآمني مكرك ولا تهتك عني سترك ولا تنسني ذكرك اللهم صل وسلم على
سيدنا محمد وآله وافتح مسامع قلبي لذكرك حتى أعي وحيك وأتبع
كتابك وأصدق رسلك وأؤمن بوعدك وأخاف وعيدك وأوفي بعهدك
وآخذ بأمرك ولا أجترئ على نهيك اللهم إني أستودعك نفسي وديني
ومالي وأهلي وكل نعمة أنعمت بها علي فاجعلني اللهم في كنفك وأمنك وكنفك
وكلاءتك وحفظك ورعايتك وودائعك يا من لا تضيع ودائعه
ولا يخيب سائله ولا يعجزه مطلوب اللهم إني أدرأ بك في نحر أعدائي
وكيد من كادني وبغي من بغى علي اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع
بها شتات أمري وتلم بها شعثي وتحفظ بها غائبي وتصلح بها شاهدي وتزكي
بها عملي وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم وما قصرت عنه
مسألتي ولم تبلغه أمنيتي من خير وعدته أحدا من خلقك فإني أرغب
إليك فيه اللهم يا أبصر الناظرين ويا أسمع السامعين ويا أسرع
الحاسبين أغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملني بالعافية
اللهم إني أسألك حسن الظن بك والصدق في التوكل عليك وأعوذ
بك أن تبتليني ببلية تحملني ضرورتها على التغوث بمعاصيك وأعوذ بك
أن أقول قولا من طاعتك ألتمس به سواك وأعوذ بك أن تجعلني عبرة
لغيري وأعوذ بك أن يكون أحد أسعد بما آتيتني مني وأعوذ بك أن أتكلف
طلب ما لم تقسمه لي وما قسمت لي من قسم أو رزقتني من رزق فأتني به في يسر
وعافية حلالا طيبا وأعوذ بك من كل شيء يزحزحني عن بابك ويباعد بيني
وبينك أو ينقص به حظي عندك أو يصرف وجهك الكريم عني اللهم دعاك
الداعون ودعوتك وسألك السائلون وسألتك وطلب الطالبون
وطلبتك اللهم أنت الثقة والرجاء وإليك منتهى الرغبة والدعاء

في الشدة والرخاء اللهم وصل وسلم على سيدنا محمد وآله واجعل اليقين في قلبي
والنور في بصري والنصيحة في صدري وذكرك على لساني اللهم أنت الحاجز والمانع
والواقي الدافع من كل سوء وأسألك الرفاهية في معيشتي ما أبقيتني
على طاعتك وأبلغ به رضوانك وأصير به منك غدا إلى دار السلام
اللهم لا ترزقني رزقا يطغيني ولا تبتليني بفقر يشقيني وأعطني من
الآخرة حظا وافرا وفي الدنيا معاشا واسعا اللهم أيد مروتي في
وفي عمري عطفك رغبتي فيما قبل توبتي وارحم ضعف قوتي واغفر
خطيئتي واجعل لي من كل خير نصيبا وإلى كل خير سبيلا اللهم أغنني في كل ما
سألتك من ذنوبي واعصمني فيما بقي من عمري واردد على أسباب طاعتك واستعملني
بها واصرفني عن أسباب معصيتك وحل بيني وبينها اللهم متعالي الشأن
عظيم الجبروت شديد المحال والكبرياء قادر وما هو قريب الرحمة سامع
الأصوات صادق الوعد وفي العهد مجيب الدعاء أمضيه قابل التوب
محمد لما خلقتنا ترزقنا ما طلبت شكورا أن شكرت ذكرا أن ذكرت أسألك
بالأمين مجتنبا وأرغب إليك ملجأ وأجأ إليك مقيما وأتوب إليك تائبا
وارهبوا نادما اللهم إني ضعفت فلا قوة لي إلا من حيلتك فيمن
على نفسي مقل بسوء عملي الأمن خلقتني وأمرتني ونهيتني ورغبتني في ثواب
ما به أمرتني ورهبتني عقاب ما عنه نهيتني وجعلت لي عدوا يكيدني
وسلطته على ما سكنته صدري وأجريته مجرى الدم مني لا يغفل إن غفلت
ولا ينسى إن نسيت يؤمنني عقابك ويخوفني بغيرك إن هممت بفاحشة
شجعني وإن أردت صالحا ثبطني ينصب لي حبائل الشهوات وحبائل
الشبهات إن وعدني كذبني وإن اتبعت هواي أضلني إن لم تصرف عني
كيده استزلني وإن لم تفلتني من حبائله يصدني وإن لم تعصمني منه يطغني
اللهم فاقهر سلطانه عني بسلطانك عليه حتى تحبسه مع المعصومين
اللهم لا هادي لما أضللت ولا مضل لمن هديت ولا مانع لما أعطيت
ولا معطي لما منعت ولا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت
ولا مقدم لما أخرت ولا مؤخر لما قدمت اللهم أنت الحليم فلا تجهل

وانت

وأنت الحليم فلا تعجل وأنت الكريم فلا تبخل وأنت العزيز فلا تذل وأنت
المنيع فلا ترام وأنت المجير فلا تضام اغفر لي ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على
كل شيء قدير لا إله إلا أنت صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم واختم بالباقيات الصالحات عملي يا أرحم الراحمين قال
المقتبس لشوارد فوائد ما ذكر من الأذكار والموثق لغرائبها من
الأشياء وإلا تراه وعن ما تم كتابها واقتبس من محاسنه بغير اسرار وكادت
سناه حسنه يعلو بالأبصار دون الأبطار وتفجرت من خلاله سطور
ينابيع الحكم وصح عند أربابها أن يغني جيبهم بالكنز وسعدت العالم كله عن
معان كأحسن ما ينشئ عنه الكلام وما هو نعمات برائعه تعريبع
الهموم مفاتح الرضا والثناء في نفحات بوعي إليه عند انتزاعه من الطعم
بالمعاني العقول أوليائه وأعدائه فسبحان الله الكريم وأمسكت
من عنان القلم في مضمار الأطناب وقصرت خطوه يطيل السلامة
مفوضة بالإكثار والإسهاب وجلوته في حلل مفنونه وما يعصمك
والإيجاز لما سبق من وعد ما دام هيبة يتصل به التفريق من شعوب
التلفيق ويبرأ به شبهات شبهاتها من يريد أن يبين زمام التوجيه جمع
تيسير به على حكم اختيارك ومرادك ويبلغ غاية أمله بجياد سعيك
واجتهادك والله سبحانه أبرأ من الحول والقوة وأسأله أن يرفع
عن الوقوع في منزلق السوء وأن يرزقني حسنات يجلو جمعها
يجعل هذا الكتاب للنفوس يعجب ويزري ويجري به بالمحبة
الحمد في العرف أنه من راجيه قريبا وبدا عنه سميع مجيب
الله على سيدنا محمد خير خلقه وعلى آله وصحبه
ورضي الله عن الصحابة أجمعين
رب العالمين